

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 2 - محمد بن احمد



قسم مدرسة الدكتورالية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

موسومة بـ:

علاقة الإسلام بتعريب

الإيمان

إشراف الأستاذ الدكتور

رابح لونيبي

من إعداد الطالبة

شعنة خديجة

لجنة المناقشة

اسم و لقب الاستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
عبد القادر بوعرفة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 02
رابح لونيبي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 01
بلهوارى فاطمة	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 01
بهادي منير	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 02
شخوم السعدي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
دراس شهرزاد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 02

السنة الجامعية 2017-2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَخْتَلَفُ الْأَسْنَتِكُمْ وَالْوُنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾»

صدق الله العظيم

سورة الروم، الآية 22

شكر وتقدير

أقدم بشكري وعرفاني إلي:

الأستاذ الدكتور "رابح لونيبي" الذي لّقني طريقة البحث العلمي والمنهجية لإنجاز هذه الأطروحة، من أجل ان يكون عملي على قدر من الاتقان، حيث انه منحني الكثير من وقته فشكرا جزيلا أستاذ.

كما أقدم بالشكر والتقدير لكل من الأستاذ "بوعرفة عبد القادر" والأستاذة "بلهوارى فاطمة" لما قدموه لي من مساعدة، فالاستاذ بوعرفة لما سهل لي من البحث في مخبر "الابعاد القيمة للتحويلات الفكرية السياسية بالجزائر" والأستاذة "بلهوارى فاطمة" للدعم الذي قدمته لي في نشر المقال بمجلة "عصور" فألف شكر.

كما لا يفوتني ان اشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا مجهودا لإبداء آرائهم وملاحظاتهم القيمة.

كما لا انسي كل من ساعدني وأمدني بالعون.

والحمد لله أولا وأخيرا.

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل

إلى الوالدين العزيزين أطال الله في عمرهما وبارك الله فيهما، اللذان لطالما

كانا دفعا لي وشجعاني بكل ما أوتيا من الوسائل المادية والمعنوية

فالف شكرا لهما

مقدمة

نستهل موضوع أطروحة علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ بمقدمة تحتوي على سبع نقاط وسنفضل كل نقطة على حدى وهي تحديد الموضوع، طرح الإشكالية وضع الفرضيات، خطة الأطروحة، المنهجية المتبعة، الدراسات السابقة، صعوبات البحث، الأفق المستقبلية للأطروحة.

1) تحديد الموضوع:

إن موضوع أطروحة الدكتوراه "علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ" يدخل ضمن موضوع تخصص مدرسة الدكتورالية الدين والمجتمع أي أنه ضمن سياق الدين تحديدا الإسلام وانعكاستها التعريب ودراسة المجتمع، ألا وهو سكان شمال إفريقيا الأصليون الأمازيغ (البربر).

ومنه لزم تحديد الإطار الزمني والمكاني للموضوع:

. **الإطار الزمني:** إن فترة اعتناق البربر للإسلام تجاوزت حسب المؤرخين أكثر من سبعين سنة، أي منذ بداية فتوحات عمرو بن العاص وانطلاقته من مصر الموافق لـ 22 هـ 642 م، إلى غاية إسلام جل البربر في ولاية عمر بن عبد العزيز (الخلافة الأموية) كمرحلة أولية، لكن لوحظ أن انعكاسات انتشار الإسلام قد تعدت الفترة المذكورة سالفاً إلى أعوام متقدمة تحديداً إلى غاية دولة الموحدين، أي بالمعنى التقريبي للعصر الوسيط الذي يحدد من طرف المؤرخين من منتصف القرن السابع ميلادي إلى بداية الربع الأخير من القرن السادس عشر ميلادي. ومنه ظهرت أشكالية التعريب التي انتجت بدورها عدة أشكاليات مثل أشكالية الأشراف عند الأمازيغ.

. **الإطار المكاني:** إن المنطقة المراد دراستها تشمل كل أقاليم قبائل الأمازيغ، حيث نجدهم يتمركزون حسب أغلب المؤرخين من غرب الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي شرقاً ومن البحر المتوسط شمالاً إلى دول إفريقيا ما وراء الصحراء، وبالتالي فالإطار المكاني يتحدد بإقليم المغرب الكبير الذي هو نفسه مجال تواجد الأمازيغ، ولهذا فالحدود هي كالتالي:

– الحدود الشرقية لبلاد المغرب: أغلب المؤرخين والجغرافيين من بينهم الإصطخري، والمقدسي، والإدريسي يجعلونها ما بين برقة والإسكندرية.

– الحدود الشمالية لبلاد المغرب: تتمثل في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، ومنها وجدت أشكالية إدخال الأندلس ضمن حدود المغرب الشمالية، فحسب كل من ابن خرداذبة واليعقوبي، وابن الفقيه الهمداني فإن الأندلس تعتبر جزءاً من بلاد المغرب بحكم قربها الجغرافيا.

ولكن إذا طبقنا القاعدة المعمول بها في رسم الحدود، والتي يراعى فيها العنصر البشري بإعتبار أن تمركز الأمازيغ هو نفسه بلاد المغرب، فإننا نجد من المنطقي إدخالها في المنطقة خاصة بعد فتح الأندلس بجيش جله أمازيغ.

– الحدود الجنوبية لبلاد المغرب: فيما يخص الحدود الجنوبية فإن معظم المؤرخين والجغرافيين يتفقون عموماً على أن الصحراء كانت دائماً تشكلها، أي أن بلاد الأمازيغ تمتد جنوباً إلى بلاد السودان.

(2) طرح الإشكالية:

تستلهم الدراسة أشكاليتها من دخول الإسلام إلى بلاد الأمازيغ، وانتشاره فيما بعد بحكم اعتناق جل الأمازيغ له، وبهذا نتج عن الاعتناق أشكالية هامة ماثلة في تعريبهم والتي تعتبر ظاهرة أنتجت أشكالية، بمعنى ظاهرة أسلمة جُل الأمازيغ وإشكالية تعريب أغلبيتهم وليس جُلهم، حيث نرى أن مثلاً ببلدان أخرى طالها الفتح الإسلامي كتركيا وإيران والشيشان، قد اعتنقوا كلهم الإسلام لكنهم في نفس الوقت احتفظوا بهويتهم سواء التركية أو الفارسية أو غيرها، وآخرون مثل مصر وبلاد الشام أسلم أغلبيتهم (بقيت أقلية مسيحية، الأقباط في مصر والأرمن الكاثوليك في بلاد الشام) ولكن تعرب جُلهم، أما بلاد الأمازيغ فقد أخذت خصائص من هؤلاء وهؤلاء، وإشكالية التعريب تقاطعت معها العوامل والعوائق، وعنصر العوامل كان أقواهما متمثلاً في الإسلام بما

فيه من مفاهيم، وعناصر استيعاب الآخر، ويأتي بعده عنصر العوائق بما فيه من نعة وعصبية وعقدة التفوق والعلو على الآخر.

وبالتالي ومع مرور السنين أنتج التعريب قضية الأشراف وهي **المفاخرة بالنسب العربي القرشي**، أي الانتساب إلى قبيلة الرسول محمد ﷺ.

ومنه لزم طرح الأسئلة التالية:

1- لماذا تمسك الأمازيغ بهويتهم طيلة قرون وقرون من تداول الغزاة على أرضهم (الفينيقيون، الرومان، الوندال،

البيزنطيون) ولم يندمجوا معهم، في حين اختلف الأمر عندما تعلق الوضع بالفاتحين الآتين من شبه الجزيرة العربية؟

2- بما أن الإسلام دين عالمي حيث أن خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ أرسل للناس كافة لقوله تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" ﴿ [سورة سبأ الآية 28]، فلماذا تم إحلال الهوية العربية مكان الهوية الأمازيغية؟

3- إن الإسلام دين مساواة وعدل بين الأجناس لقوله ﷺ: "لا فرق لعربي على عجمي ولا لأبيض على

أسود إلا بالتقوى" فلماذا التفاجر بالنسب العربي القرشي؟ وما موقف الإسلام من الاختلاف والتنوع؟

4- عُرف الأمازيغ بكثرة أعدادهم وبطونهم، فكيف تقلصت أعدادهم وأصبح العنصر العربي يمثل الأكثرية

والعنصر الأمازيغي يمثل الأقلية، خاصة أننا نجدهم يتمركزون في الجبال والصحراء؟، ولماذا هذا التقسيم الجغرافي

حالياً أم أننا أمام أمازيغ محافظين وأمازيغ معربين (لأن العامل الجغرافي كان مساعداً)؟

5- هل المصاهرة بين العرب (الفاتحين) والأمازيغ (السكان الأصليين) حدثت من طرف واحد أم من الطرفين

وبالتراضي؟ وهل أن إدماج الأمازيغ مع العرب الفاتحين كان حتمية لإسلامهم مباشرة أم أنه مرحلة أتت بعده،

أو بعبارة أخرى: هل التعريب موازي للأسلمة أم أنه مرحلة تأتي بعده؟

6. هل الفتح الإسلامي الذي وجد بقوة السلاح عن طريق العمليات العسكرية والحملات في بلاد الأمازيغ أحدث إبادة للعنصر الأمازيغي كما حدث لعنصر الهنود الحمر في أمريكا الشمالية؟، أي هل الفتح العربي الإسلامي كان حركة استيطانية خاصة في فترة الدولة الأموية في بلاد الأمازيغ؟

7- لماذا اختفت الديانة المسيحية من بلاد الأمازيغ وظلت الأمازيغية حاضرة إلى يومنا هذا، وفي المقابل لماذا اختفت اللهجة القبطية من مصر في حين مازالت الديانة المسيحية حاضرة بها؟

8- لماذا ظهر في مسرح التاريخ زعماء أمازيغ مسلمون ادعوا النسب العربي لإضفاء الشرعية على السلطة السياسية لتظهر بذلك أشكالية الأشراف في المجتمع الأمازيغي أمثال المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين؟

9- هل التعريب اللغوي يرادف التعريب العرقي؟، ومنه هل كل من اتقن لغة ضاد تعرب تلقائياً؟

10- ما الذي استمر من تاريخ وتراث الأمازيغ؟، وهل يعني أسلمة جُلهم ودخولهم ضمن النسيج الإسلامي انه قضى على الثقافة الأمازيغية؟

وضع الفرضيات:

ولحل أشكالية علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ سنضع فرضيتين هما:

الفرضية الأولى: التعريب جاء نتيجة طغيان تعداد العرب في بلاد الأمازيغ وهذا بحكم تدفق موجات الهجرات التي وجدت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا طيلة فترة العصر الوسيط.

الفرضية الثانية: التعريب جاء نتيجة حتمية للأسلمة، وبالتالي وجود فئتين من الأمازيغ، أمازيغ معربون وأمازيغ محافظون، خاصة أولئك الذين تحصنوا في (الجبال والصحراء)، أي أن العامل الجغرافي ساعد هؤلاء على الاحتفاظ بهويتهم الأمازيغية وحماتها.

(3) خطة الأطروحة:

ولكي نعالج هذه الإشكالية تم اتباع الخطة التالية، إذ قُسمت الأطروحة إلى مقدمة ومدخل وأربعة

فصول وخاتمة:

ففي المدخل ركزنا على ماهية الأمازيغ وهذا من خلال التطرق إلى مفهوم مصطلح الأمازيغ لغوياً وتاريخياً، إذ تم الاعتماد على قواميس اللغة العربية ومنها لسان العرب لابن منظور، ثم انتقلنا إلى مواطن مختلف قبائل البربر وقد وجدنا صعوبة في ذكرها بسبب كثرة ترحالهم وكثرة بطونهم وطول مدة الدراسة، ثم تطرقنا إلى مفهوم العرب والعربية والتعريب، حيث أن لكل واحد مدلول ومفهوم خاص به. وحتى فيما يخص استخدامنا لكلمة الإسلام فهناك عدة مستويات لدراسة الإسلام فهناك الإسلام بمعنى تاريخ الدول الإسلامية بما فيها من أحداث ووقائع، وهناك الإسلام بمعنى الثرات الفقهي والتشريعي، وهناك الإسلام بشقه الصوفي، وأخير هناك الإسلام كما يفهم من طرف المسلم العادي.

ثم جاء الفصل الأول الذي يعتمد على التحليل والاستخلاص، حيث تطرقنا فيه إلى تحديد مدلول مصطلح "الفتح" بحكم أنها بداية التأريخ للإشكالية، وركزنا خلاله أيضاً على عوامل التعريب الخارجية التي جعلها كانت مرتبطة بالعنصر العربي.

أما الفصل الثاني يعتمد هو أيضاً على تحليل واستخلاص العوامل الذاتية للتعريب، بمعنى أن الأمازيغ يعربون أنفسهم، بحيث نلاحظ أنهم فقهوا الإسلام وبالتالي لزم عليهم التفقه في العربية، هذه العوامل الذاتية للأمازيغ في تعريب أنفسهم، تُفسر على أنها عوامل نابعة من خصوصية المجتمع وطبيعته، حيث أن لكل شعب من شعوب العالم وضْع ومكان وخصوصية، ولهذا ارتأينا أن نركز في الفصل الثاني على العوامل التي تمس ذاتية، تركيبية وخصوصية مجتمع الأمازيغ وبالتالي فهم طبيعته وبالتالي ركزنا على فهم قيمة الأحداث وتفاعلها مع الفكر الانساني أكثر من معرفة الأحداث في حد ذاتها، وبهذا لا يحصل الفهم إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار جملة من

العوامل المتداخلة في صنع الحدث التاريخي، وقد جمعت في العوامل التالية: تاريخية، سياسية، اقتصادية استراتيجية، اجتماعية، وأخيراً دينية.

أما الفصل الثالث فقد انتقلنا من العوامل إلى العوائق بحكم أسلمة جلّ الأمازيغ وتعريب أغلبهم وليس كلُّهم وقد تعددت مجالاتها أيضاً.

أما الفصل الرابع فكان لزاماً علينا أن نركز فيه على الانعكاسات، وبالتالي قسم إلى قسمين:

(أ) انعكاسات العوامل سواء الخارجية أو الذاتية.

(ب) انعكاسات العوائق.

4) المنهجية المتبعة:

يذكر عبد الله العروي حول ضرورة تجديد التاريخ المغربي "من مستلزمات التجديد، خلق ذهنية معاصرة عند المؤرخين المغاربة وذلك بتوسيع وتعميم الدراسات المنهجية والابستمولوجية" وبالتالي فإن طبيعة البحث (علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ) تتطلب تطبيق منهج التحليل التاريخي حيث أن النظرة التحليلية تستوفي مختلف مناحي أشكالية التعريب، فُصِّلْ وعِماد أشكالية هذه الدراسة هو تشخيص ظاهرة التعريب في بلاد الأمازيغ، ولهذا استوجب علينا أن نطبق المناهج التالية:

(1) المنهج الأركيولوجي (الحفري): الذي يتطلب البحث المضني للحصول على المادة التاريخية

المتناثرة ضمن المصادر والمراجع الكثيرة والمتنوعة الاختصاصات.

(2) المنهج الجينيولوجي: ويطبق خاصة في الفصل الأول لتحديد المفاهيم، حيث أنه لمعرفة كيف لزم

قبله معرفة من هم، أي من هم الأمازيغ كيف تعددت أسماءهم من أطلقها عليهم؟ وكذا تحديد مختلف المفاهيم المرتبطة بالتعريب.

(3) المنهج المقارن: يطبق هذا المنهج للمقارنة بين مختلف المصادر والمراجع، وبالتالي بين مختلف

وجهات النظر بغية الوصول قدر الإمكان إلى الحقيقة التاريخية (وجهات النظر تعددت فمن اعتبر التعريب في بلاد الأمازيغ نتيجة كثرة هجرات القبائل العربية إلى بلادهم ومن اعتبرها أن الأمازيغ تعربوا نتيجة تبني الهوية العربية).

(4) المنهج التحليلي الإستقرائي: لتفسير الحقائق التاريخية المكتسبة تفسيراً علمياً قائم على التحليل

والتعليل، وبعيداً عن العاطفة والذاتية والإيديولوجية، أين سعى قدر الإمكان تطبيق نظرية إبوخيا (الحصر) تعليق الأحكام السابقة للوصول إلى الحقيقة قدر المستطاع، ومنه عند التحليل لزم الخروج بالحكم النهائي سواء بتّرجيح إحدى الفرضيتين أو بالجمع بينهما إن أمكن ذلك.

(5) الدراسات السابقة:

إن موضوع (علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ) قد درس من طرف المؤرخين سواء القدماء أو المعاصرين، لكن جلهم تناولوا الموضوع من الجانب التاريخي، أي الكرونولوجي (التعاقبي)، دون إعطاء تحليل معمق للظاهرة في حد ذاتها، وإن وجدت الأبحاث فنجد أنها تتعرض للإشكالية بمفهوم إيديولوجي يخفي وراءه أهداف، وبالتالي نجد توفر المعلومات مع ندرة التحليل والتعليل.

أما الدراسات الخاصة بالأمازيغ فهي كثيرة ومتنوعة، فمثلاً نجد معظم الدراسات تركز على دراسة الأمازيغ عبر العصور (من القديم إلى الحديث)، وبالتالي أجمعت الدراسات أن الأمازيغ شعب ذو خصوصية ثقافية، وكذا من ناحية الطبيعة البسيكولوجية (النفسية) إذ نجدهم يرفضون كل ما هو أجنبي دخيل، وطالما استبسلوا في الدفاع عن الوطن وحاربوا الرومان، الوندال والبيزنطيون وحافظوا عبر قرون وقرون على هويتهم الأمازيغية ورفضوا الاندماج مع الأجانب، لكن اختلف الوضع مع الإسلام وأصبح استثناء تاريخي لزم دراسته لمعرفة أسبابه، وظروفه وانعكاسات التعريب على المجتمع الأمازيغي.

6 صعوبات البحث:

الصعوبات المنهجية: لقد واجهتنا بعض الصعوبات المنهجية ونذكر منها:

- النقص الفادح في المعلومات الملمة بالموضوع، وإن وجدت فهي غالباً تركز على الجانب السياسي أو العسكري وعدم وجود تحليل معمق لموضوع بحثنا الذي يُركز على البُعد الاجتماعي بحكم أن الإشكالية هي أشكالية سسيولوجيا أساساً.

- بُعد المصادر عن فترة الحدث أو بالأحرى فترة نقطة التحول المتمثلة في فترة الفتوحات الإسلامية، أي عدم وجود مصادر متزامنة مع الحدث وهو الفتوحات الإسلامية ببلاد الأمازيغ التي تعتبر نقطة بداية التحول، حيث أن أقدمها لعبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب "فتوح مصر والمغرب والاندلس" 257 هـ، هذا البعد الزمني بين المصادر والحدث أدى إلى اتسام المصادر العربية بجانب أسطوري، وكذا وجود تناقض في السنوات، والأماكن وحتى الأسماء في بعض الأحيان. وبالتالي الاعتماد على المصادر العربية وحدها يدخلنا في متاهة ما يسمى (التاريخ حسب التفسير الاسروي)، حيث أن التاريخ العربي في تلك الفترة كان تاريخ الأسر الحاكمة خاصة تاريخ أسرة بني أمية، وبالتالي انعدمت الكتابات التاريخية في تلك الفترة التي تنطلق من منطلق شمولي وأكثرها كان من منظور واحد ألا وهو منظور العرب.

- شساعة بلاد الأمازيغ وتعدد قبائلها وبطونها واختلاف مواطنها باختلاف الفترات التاريخية، فنجد صنهاجة في شمال تارة، ونجدها في الجنوب (الصحراء) تارة أخرى وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

- تعدد المراجع بخلفيتها الإيديولوجية سواء المناصرة للقومية العربية أو المراجع الكونولياية وبالتالي انعدام الموضوعية.

7 آفاق البحث (محفزات البحث):

إن دراسة هذا نوع من المواضيع التي تهتم بتاريخنا ينقلنا إلى آفاق جديدة للبحث العلمي ذات بُعد وهدف مستقبلي، حيث يعتبر التاريخ عاملاً أساسياً في تحريك ضمائر الشعوب، إذ نجد حالياً دواً متقدمة تولى

مادة التاريخ أهمية بالغة في الأطوار التعليمية وفي البحث العلمي وخاصة تاريخهم، حيث أنه لمعرفة الآخر لزم معرفة الذات، ولهذا يجدر بنا إعطاء الأولوية لدراسة تاريخ منطقتنا، ومعرفة إنجازات أسلافنا بحكم أننا أبناء المنطقة، ولا يجب ترك الآخرين يدرسونه ويعقبون علينا، ويستنتجون ما يخدم اتجاهاتهم ومصالحهم، ومنه لزم معرفة الماضي لتثبيت الحاضر ورسم الآفاق المستقبلية.

إن دراسة التاريخ لا تشكل فقط دراسة تفاصيل الماضي، وإنما تقدم لنا مفتاحاً للمشاكل المطروحة في حياتنا الحاضرة، أو حسب تعبير فريد بن سليمان في كتابه مدخل إلى دراسة التاريخ "التاريخ وكيف سلوك الانسان في الحاضر على ضوء الماضي وفي المستقبل على ضوء الحاضر وذلك على أساس أن حياة الانسان تراكمات تجارب".

وهو تعبير أيضاً عن كبرياء الشعوب وهنا اقتبس مقولة لدكتور هشام الصفدي في مقاله نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر "الشعوب كالأشجار الحية تزداد مقاومتها للأعاصير كلما رسخت جذورها في أعماق الأرض" وبهذا فإن الفائدة من دراسة التاريخ تحرير الانسان من أعباء الماضي حسب تعبير مارو: (Marrou)

« *La connaissance historique libère l'homme du poids de son passé* »

فالدراسات التي تم مطالعتها من خلال إنجاز الاطروحة سواء المستشرقين او المشاركة لم تكن تلتزم لا بدقة ولا بالموضوعية سواء عن قصد، مثلاً المستشرقين لإمرار مشروعهم الاستطاني الاستعماري فرق تسد عبر ثنائية (عرب، أمازيغ)، أو عدم قصد للمشاركة لعدم معرفتهم كفاية بخصوصية المجتمع المغربي أو حتى لنرجسيتهم بحكم أن المصادر كُتبت بأقلامهم، ولعل من الأهداف التي سنحلّصُ إليها هي معرفة هوية الانسان المغربي عامة والجزائري خاصة، إضافة إلى رسم صورة شاملة عن حركية الانسان في الشمال الافريقي، وتقبُّله لشتى الأفكار الوافدة إليه سواء كانت أفكاراً دينية أم سياسية، وبالتالي غربلته لها هو ما سيعيننا لا محالة عن معرفة تركيبة شخصية الانسان الأمازيغي والمحيط الاجتماعي الذي نشأ وينشأ فيه بما يضمن الربط بين البعد الأمازيغي والبعد

الإسلامي والبعد العربي، ويرد عن كل من يريد أن يحدث قطيعة معرفية بين الأمازيغية كبعد حضاري وبين العربية والإسلام كبعد حضاري موحد، وبالتالي الإيمان بثقافة التنوع والاختلاف، التي تخدم الأمة المغاربية للبناء لا للهدم، وبهذا لعبت الثقافة العربية الإسلامية دوراً محورياً في صقل الشخصية الأمازيغية منذ نقطة التحول التاريخي أي منذ انطلاق الفتوحات الإسلامية من فتوحات عمرو بن العاص، مروراً بالزحف الهلالي على دول الشمال الأفريقي وانتهاءً بتكوين امبراطوريات أمازيغية (المرابطين والموحدين)؛ إذ نلمس تحولاً تدريجياً في العادات الأمازيغية لتصبح أكثر تلاءماً، والثقافة العربية ناهيك عن المعتقد الإسلامي الذي أضحى صبغة في الذات الأمازيغية وأوجدت به تراث لا يستهان به من ناحية الغنى، و بالتالي هي محاولة لفهم ذاتنا، ولعل من أحسن ما قيل حول الموضوع، ما أجاب به المؤرخ مارك بلوك ابنه عن سؤال لما يصلح التاريخ أبتاه؟ ليجيبه: لنفهم

Papa explique -moi donc a quoi sert l'histoire

Un mot : pour tout dire domine et illumine nos études ; comprendre

أي لنفهم ماضيها، وبهذا استرداد الذات الأصيلة لتكون حافزاً وسداً منيعاً للأعاصير التي تضرب مختلف الدول في وقتنا الراهن، أو بعبارة أخرى وعي المجتمع بذاته في ظل أزمة الأقليات التي تعصف بالعالم العربي حالياً، والمراد منه تمزيقه إلى فسيفساء دويلات.

ومن هنا لزم علينا ألا نترك غيرنا يكتبون تاريخنا. وبالتالي يضعون من خلال مؤلفاتهم مختلف إيديولوجياتهم التي وبدون شك لن تخدم أهدافنا في الإزدهار، التطور والرقى.

وبالتالي لا بد أن نعوض ما فاتنا من تجاهل لتاريخنا، ونفض الغبار عنه وندونه نحن أبناء الوطن، ولا ندع الآخرين يحكمون علينا، ونحن إلى اليوم محتاجون إلى نظرة شمولية للوطن، نجتمع فيها كل مكونات المجتمع، متخذين بذلك مفهوم الأمة التي أتى بها الإسلام، فالإسلام نبذ العصبية أو بالمفهوم الحالي نبذ القومية المبنية على النظرة الضيقة القائمة على الروابط السلالية. ومن هنا اقتبس ما ذكره المفكر محمد عابد الجابري في كتابه (الدين والدولة وتطبيق الشريعة) "جوهر الدين وروحه أنه يوحد ولا يفرق والدين الإسلامي هو دين التوحيد

المطلق: التوحيد على مستوى العقيدة (إله واحد) وتوحيد على مستوى المجتمع (أمة واحدة) وتوحيد على مستوى فهم الدين وممارسته".

ولقد حاولنا في هذا البحث أن نجيب على بعض الأسئلة، ولا نزعم أننا قد حققنا كل ما هو مطلوب في هذا المجال وكل ما نزعمه هو أننا حاولنا، وإن لم نصب فأعتقد أننا قد أثرتنا الموضوع، وسيأتي من سيتطرق إليه بشكل أوسع وأعمق بعدنا، وأن يصحح ما قد وقعنا فيه من أخطاء عند السرد، والتحليل أو التفسير، حيث نتمني أن يكونوا من أبناء هذا الوطن الغالي. ولقد حاولنا أن نكون موضوعيين قدر الإمكان في كل مرحلة من مراحل البحث وفي كل ما كُتبت من قول أو تفسير أو تحليل أو حتى استخلاص، بعيدين كل البعد عن مختلف الاديولوجيات، وليس لنا هدف سوى أن نضيف إلى البحث العلمي في الجزائر هذا الإسهام المتواضع، والحمد لله أولاً وأخيراً وصَلِّ اللّهُم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

المدخل

(I) الأمازيغ والأمازيغية :

قبل التطرق إلى أشكالية الأطروحة وهي علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ لزم علينا تحديد مفهوم المصطلحات المتعلقة بها من أمازيغ وعرب وتعريب.

(أ) . مفهوم الأمازيغ:

إن الأمازيغ هم سكان شمال غرب إفريقيا قديماً* وقد سموا بعدة أسماء (لوبي، إفري، وبربر) فكلمة لوبي انتشرت في عهد اليونانيين وإفري استخدمها الفينيقيون، أما كلمة بربر فأصلها من اليونان، وقد وظفها الرومان لتعبير عن كل المجتمعات والقبائل الخارجة عن نفوذهم، وقد استعملت الكلمة في جل المصادر العربية لتنتشر مع تهذيب المعنى بحكم أن المصطلح كان تمييزي عنصري أثناء الحضارة الرومانية، وبهذا فإننا نلاحظ أن جُل هذه المسميات صدرت من أطراف خارجية مستوردة وليست نابعة من جوهر السكان الأصليين لشمال إفريقيا، ولم تحض باعتراف الأمازيغ أنفسهم.

أما كلمة أمازيغ فهي قديمة جداً، حيث وردت هذه الكلمة من طرف المؤرخ اليوناني هيكتاسيوس¹ Hekatorios عاش في القرن 3 ق.م، حيث سمي سكان شمال غرب إفريقيا بـ"مازييس" **Mazyes** وهي كلمة قريبة من اسم أمازيغ. أما هيروتس² Herodotos في القرن 5 ق.م. فقد ذكر اسماً هو ماكسيس **Maxiyes** وهي الكلمة التي نقلها عنهم اللاتين بشكل محرف. فسموا الشعب النوميدي مازاس **Mazaces** أو مازكيس **Mazax** أو مازيكس **Mazikes**، ومنه يُستخلص أن الكلمة

*- لن نخوض في إشكالية أصل الأمازيغ لأنها إشكالية تحدث عنها الكثيرون وستتطرق إليها في شقها الجيناليوجي المنتسب إلى العرب في الفصل الرابع الانعكاسات التعريب لكن لمزيد من المعلومات حول مختلف النظريات راجع كتاب

- M.-G. Olivier, *Recherches sur l'origine des Berbères*, édition Iodyssée, 2009. p65 p89

1- بوزياني الدراجي، سلسلة العصبية القبلية، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها، أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص: 16.

2- نفسه، ص: 16.

المتداولة قريبة لهذا المدلول وهناك دراسة-NICOLAS F¹ نجد لفظ أمازيغ من فعل زغ أي بمعنى الذي بمشي شامخاً كنبيل من النبلاء وبالتالي فقد أخذ معنى الأمة التي لا تنكص ولا تتراجع، أما طرح LAOUST² فإن لفظ أمازيغ هو أيضاً مشتق من فعل زغ الذي يعني نصب خيمته، وزغزغ الرجل أي انتصب ولم يتراجع، كما أن محمد شفيق يذكر أن أمازيغ وجمعه أمازيغن، وتأتيه تأمازيغنت، أي أن الكلمة في حد ذاتها في صيغتها اللغوية اسم فاعل³، ولدى التوارق مشتقة من الفعل "يوزغ" ويعني غزا أو أغار ومهما يكن فإن كلمة أمازيغ تعني في مجملها الشموخ والنبل والشهامة والشجاعة، وهذا ما يفسر أن سكان شمال غرب إفريقيا يُفضلون تسمية أنفسهم أمازيغ بحكم أن المصادر تذكر أن وفداً منهم انتسبوا إلى مازيغ⁴، عندما سألهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نسبهم ولم يذكر الوفد أي مصطلح مذكور سالفاً، وإنما ذكروا أن جدهم الأكبر مازيغ أي ينتسبون إلى إليه وأن ليس لهم مدائن، حيث يذكر الناصري سرعة إسلام البربر للإسلام بشكل جماعي كان نتيجة وصية أو إسلام زعمائهم. فمنذ الوهلة التي وطأت أقدام جيوش عمرو بن العاص أرض المغرب "جاءه ستة نفر محلقين رؤوسهم ولحيهم وهم يرغبون في الإسلام. وذلك بدعوى أنها وصية أجدادهم فما كان على عمرو بن العاص إلا أن أرسلهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذي أحضر من يترجم كلامهم غير المفهوم فسألهم عن أصولهم فقالوا إن جدهم الأكبر مازيغ"⁵. ومنه، يستخلص أن تسمية الأمازيغ هي تسمية نابعة من صلب وجوهر السكان الأصليين لشمال إفريقيا، أما البربر فنجد أنها تسمية مستوردة من الحضارة الرومانية وقد تداولها أكثر العرب الفاتحين ونقلت في مصادرهم من طرف الإخباريين، فالتسميات عامة للشعوب في

1- عبد الحميد العوني، الأمازيغ والأمازيغية في 26 لغة قديمة، منشورات الحلبي، المطبعة الاورومتوسطية المغربية، تمارة، المغرب، 2010م، ص: 45.

2- نفسه، ص: 45.

3- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، مكتبة تاويلت، 2010، ص: 08.

4- الناصري، أحمد بن خالد أبو العباس، الاستقصا في اخبار المغرب الاقصي، ج1، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء المغرب الاقصي، ط1، 1997م، ص: 74.

5- نفسه، ص: 74.

التاريخ يضعها المستعمر فمثلاً اسم الفينيقيين¹ ليس من صنعهم، ولكنه من صنع الإغريق ولو سأل أحد الفينيقيين عن اسمهم الحقيقي لكانت إجاباتهم "الصيداويون"² نسبة إلى مدينة صيدا.

وعلى هذا الأساس، فإن توجيه التاريخ والاستدلال بمصطلحاته نجدها غالباً بيد من يمتلك آلية كتابة التاريخ، وغالباً ما يكون بيد المنتصر، وما يُعاب على الأمازيغ أن وجهة نظرهم انعدمت بحكم أنهم لم يدونوا تاريخهم على مدى فترات تداول الغزاة على أرضهم، وبالتالي فجُل المصادر تقريباً في مختلف فترات التاريخ (القديم أو الوسيط) نجد فيها أن من يكتب عنهم هم الغزاة أو الفاتحين أنفسهم. لهذا غلب على المجتمع شمال إفريقيا اسم البربر بدل الأمازيغ، هذه الأخيرة تعني أيضاً لغوياً الرجل الحر، ويذكر أيضاً النسب الشريف أو الأرستقراطي وعليه يكون معناه الإجمالي الرجل الحر ذو الأصل والنسب الشريف.

ويذكر G.H Bouquet أن مصطلح الأمازيغ سببه اجتماعي أكثر منه لغوي³. وعليه، فكلمة أمازيغ تعني السكان الأوائل أو الأصليون لشمال إفريقيا نسبة إلى جدهم الأكبر، وفي معناها الاصطلاحي العام تعني الرجل الحر النبيل الذي لا يرضى بالعبودية والاضطهاد، كما سبق وأشرنا إلى ذلك بحكم رفضه تداول الغزاة على أرضه، حيث عايش طويلاً مختلف أنواع الاستعمار، ولمدة طويلة مختلف أنواع الاحتلال ولمدة قرون من فينيقيين، ورومان، ووندال، وبيزنطيين، ومنه لزم علينا أن نفهم لماذا فضل جماعة ستة نفر منهم اسم أمازيغ على اسم البربر؟ فإسم أمازيغ اسم محلي نابع من الذات الأمازيغية، وكذا تيمناً بالحرية، واعتزازاً بهويتهم رافضين أنواع الاندماج مع المستعمر بمختلف أنواعه وإن طال أمد الاحتلال.

1- الفينيقيون مصطلح أطلق من طرف الإغريق، مشتق من phonex التي تعني اللون الأحمر الأرجواني الذي كان كثير الاستخدام من طرف الفينيقيين.

2- هشام الصفدي، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، وزارة التعليم والشؤون الدينية، الجزائر، عدد 08، 1972، ص: 171.

3- C.-H. Bousquet, *Les Berbères*, presse histoire et institution universitaire de France, Paris, 1957. P 55

أما مفهوم الأمازيغ على مستوى المعجمي في اللهجات البربرية ففي الترقية مثلاً نجد أمهاغ¹ بمعنى (المستلب) وفي الشلحية (أمير) بمعنى الشاعر. أما إذا نظرنا إلى الكلمة في قواميس اللغة العربية، أي من المنظور العربي فإننا لا نجدها تشير إلى مفهوم الكلمة ولا إلى مشتقاتها كجمع إمازيغن أو تمازيغن² أو أمازيغان، أو مفرد مثل مزغ أو أمزغ أو مازغ، والكلمة التي تذكرها المعاجم وقريبة إلى نفس المفهوم هي مزر أو مازر وجمعه أمازر ومعناها شديد القلب، ويرى الأستاذ صالح بالعيد "أن التغيير في الحرف الغين (غ) إلى الراء (ر) يعود على مسألة التبادل بين الصوتين (الغاء والراء) وهما حرف واحد في اللغة الفرنسية بالخصوص R فليلفظ غاء وراء. ومن هنا فإن القواميس العربية تكون قد أحدثت تحريفاً في الغين، حيث قلبه أي غيره إلى الراء"³.

وعلى العموم فإن كلمة أمازيغ هي كلمة جامعة للسكان الأصليين لشمال غربي إفريقيا، أو السكان الأوائل، وتعني الأشراف الأحرار ولهم خصائصهم المميزة من عادات وتقاليد، وكذا لغتهم المتميزة بذاتها، وهذا ما سنتطرق إليه من خصائص ذاتية في الفصل الثاني.

(ب) اللغة الأمازيغية:

الأمازيغية هي لغة الأمازيغ التي تترجم هويتهم فاللغة "ظاهرة مكتسبة تخضع للشروط التي يعيشها المجتمع الإنساني"⁴، تعتبر الأمازيغية اللغة الجامعة للهجات البربرية، الترقية، القبائلية، الشلحية الريفية⁵، الشاوية،

1- صالح بالعيد، في مسألة الأمازيغية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، بدون طبعة، بدون سنة، ص: 17.

2- تامزيغن يطلق على امرأة أي مؤنت أمازيغ. راجع محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 08.

3- صالح بالعيد، ص: 18.

4- نفسه، ص: 31.

5- يرجع عبد الحميد العوي في كتابه الأمازيغ والأمازيغية في 26 لغة قديمه، ص: 29، "شله يقصد بها لفظ الحبشية في نعت الأمازيغ ويعني حملة الرماح أو ناس الرماح" ومنه نستخلص أن حتى اللهجات ما هي في الأصل إلا مرادف لكلمة أمازيغ في اللغات القديمه.

التأمازيغية، والواقع أنها لغة ما تزال حية¹ يتخاطب بها الناس، محافظة بذلك على كيانها الذاتي من خلال تداولها بين أفراد المجتمع الأمازيغي، ومن لغات الميتة المشتقة منها نجد الليبية، النوميديّة، والجيتولية².

وعلى هذا الأساس فاللغة الأم الجامعة لهذه اللهجات هي اللغة الأمازيغية، ونلاحظ أن وجود هذه اللهجات شيء طبيعي، حيث أن لكل لغة لهجات، وقد حدثت للغة الأمازيغية ما حدثت للغة العربية من كثرة اللهجات³، حيث نجد فروق بين لهجات القحطانيين والعدنانيين، وحتى في يومنا الحالي كثرة لهجات الوطن العربي، ونجد التقارب بين اللهجات حسب قرب مناطق قبائل الأمازيغ، كما أن وجود اللهجات راجع إلى كثرة الاختلاط، فلا يخفى أن بلاد الأمازيغ تعرضت على مدى طول تاريخها إلى هجمات خارجية⁴، ولعل تتابع الهجمات عليها راجع إلى الموقع الاستراتيجي لبلاد الأمازيغ، ومنه اتصال الأمازيغ القدماء بالأجانب سيؤدي إلى نتيجة التأثير والتأثير المؤدي إلى الانصهار⁵.

وما يهمنا هو التأثير الذي نتج عنه الانصهار، الأمر الذي أفرز تلك اللهجات، فوجودها ليس دليل قاطع على أن اللغة الأمازيغية لا ترقى إلى مصاف اللغة، ودليل على أنها ما زالت موجودة لحد اليوم، وبالتالي فهي لغة حية تقاوم مختلف عوامل التعريب وهذا ما سنتطرق إليه في فصل العوائق، وكذا سنتطرق في الفصل الرابع إلى العلاقة بين الأمازيغية واللهجات الحالية.

أما الكتابة التي اصطلح على تسميتها التيفيناغ فقد وُجِدَت عدة فرضيات لأصلها⁶:

- 1- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 63.
- 2- مفهوم اللغة الأم واللهجات مثل اللغة اللاتينية اللغة الأم للغات الحالية لأوروبا التي كانت عبارة عن لهجات، لتتطور وتصبح لغات قائمة بذاتها.
- 3- محمد على دبور، تاريخ المغرب الكبير، الجزء الأول، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1963م. ص: 62.
- 4- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 23.
- 5- محمد كوشي، سؤال الهوية في شمال افريقيا، التعدد والانصهار في واقع الانسان واللغة والثقافة والتاريخ، افريقيا الشرق، المغرب الدار البيضاء 2014م، ص: 183.
- 6- محمد الهادي حارش، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومه، للطباعة والنشر، الجزائر 2013، ص: 69-71.

الفرضية الأولى: الأكثر شيوعاً أن الكلمة أصلها إغريقي phoenix والتي تعني اللون الأرجواني، بحكم أن الإغريق هم الذين أطلقوا اسم الفينيقيين على الحضارة الفينيقيين.

الفرضية الثانية: الأصل المحلي للكلمة وارد، والدليل مدلول الكلمة نفسها فكلمة تيفيناغ مشتقة من جذر افنغ أو إفني¹ والتي تعني اكتب أو معناها أيضاً الاكتشاف (تفي = اكتشاف، نغ = نا أي صيغة الجمع)² وعليه يصبح معناها الإجمالي اكتشافنا.

الفرضية الثالثة: ترجع كلمة التيفيناغ أيضاً إلى معني مفاده "الحروف المنزلة من الله"³، حيث أنهم كانوا مجتمعاً متديناً منذ تاريخه القديم، ويقدم تقريباً كل شيء بما فيها الحروف، هذه الأخيرة كانت مجموعها في بادئ الأمر عشرة⁴ والجدول أدناه يوضح حروف التيفيناغ وما يقابلها من الحروف العربية⁵:

ψ	I	Λ	+		⊙	○	[И	I
ب	ج	د	ت	ي	س	ر	م	ل	ن

ويضاف إلى هذه الحروف أشكال تسمى "تيدباكين"⁶ ومعناها الدليل على العمل والتوسع وقد اعتقد أنها من وضع البشر ليصبح مجموع الحروف التيفيناغ ككل ثلاثة عشر حرف.

1- محمد كوخى، ص: 170.

2- محمد الهادي حارش، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، ص: 71.

3- محمد على الديبوز، الجزء الأول، ص: 66.

4- أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، من الفتح الإسلامي الي بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية كلية التربية، 1971م، ص: 28.

5- نفسه، ص: 28.

6- نفسه، ص: 28.

ج) خصائص اللغة الأمازيغية:

ومن خصائص اللغة الأمازيغية ما يلي¹:

- تتميز بأشكال هندسية كالمربع المفتوح والدوائر والخطوط المتوازية والمتقاطعة والمنكسرة، وتكتب عموماً في صفوف عمودية من الأسفل إلى الأعلى والبداية من يسار².
- الابتداء بساكن مثل تزايت بمعنى الصلاة، تمارت بمعنى اللحية، تفويت بمعنى الشمس، تفاوت بمعنى النار.
- قد ينقلب فيها الفعل اسماً والاسم فعلاً.
- تاء التأنيث تكون في الأول لا في آخره.
- وجود علامة المذكر وهي البدء "أ" أو "إ".
- يكثر بدأ الاسماء بالهمزة مثل أجنا بمعنى السماء.
- الماضي يبتدئ بالياء والمضارع بالهمزة.
- كما نجد في اللغة الأمازيغية حروف مركبة³، فمثلاً يكتب الباء ويرسم تاء وسطه ليصبح حرف مركباً، وينطق بت وهذا من الإصلاحات والإضافات التي أدخلها الملك ماسينيسا* *Massinissa*.

1- راجع كل من أحمد مختار عمر، ص: 24، 23، وأيضاً محمد علي الدبوز، ج1، ص: 53، 52.

2- محمد الهادي حارش، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر، ص: 70.

3- محمد علي الدبوز، ج1، ص: 67.

*- الملك ماسينيسا *Massinissa* ولد سنة 238 ق م مؤسس مملكة نوميديا قد وجه عنايته للغة الأمازيغية وطورها حتى استقرت لما علته اليوم راجع، أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، ص: 28.

(د) التوزيع الجغرافي للأمازيغ:

يتوزع الأمازيغ في مناطق متباعدة بينها حسب ماهيتهم لها ويجدر الذكر أننا كلما توغلنا إلى الجانب الغربي من شمال إفريقيا نجد أعدادهم تزداد. وعليه، فالفوارق بين هذين الفرعين فوارق اقتصادية بدرجة أولى، وليس فوارق عرقية بحكم أن جدهم الأكبر واحد هو مازيغ كما سبق الذكر. وترتكز أمة الأمازيغ جغرافياً ما بين برقة والمحيط الأطلسي شرقاً وغرباً، وما بين السودان والبحر الأبيض المتوسط شمالاً وجنوباً.

وقد ذكر ابن خلدون في تقسيم شعوب الأمازيغ، أن جدهم الأكبر مازيغ ابن كنعان بن حام بن نوح¹، وقد انقسموا إلى فرعين نسبة إلى جديهما وهما برنس* ومادغيس (الابتر)**، هؤلاء أولاد مازيغ الذي هو ولد كنعان بن حام بن نوح²، وسيكون لنا فصل حول أشكالية أصول الأمازيغ حيث أن آلية التعريب استخدمت علم الانساب*** ومنهما تفرعت قبائل الأمازيغ إلى 14 قبيلة كبرى.

1- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى العبر، مراجعة سهيل زكار ووضع الحواشي خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الجزء 6، 2001، ص: 161-166.

*- البرانس أحفاد البرنس مستقرون يعيشون على الزراعة وهم أمازيغ الحضرة الذين يسكنون النواحي الشمالية والسفوح المزروعة.

** - البتر: هم البربر الرحل سكان البادية يعيشون على الرعي والتنقل ويرجع المؤرخون تسمية إلى جدهم الأكبر البتر أو إلى خاصية لباسهم التقليدي القصير أي المبتور. هم البربر الرحل سكان البادية يعيشون على الرعي والتنقل، ويرجع المؤرخون تسميتهم إلى جدهم البشر أو إلى قصر لباسهم مبثور. يذكر الدكتور أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت لبنان بدون تاريخ ص19 "من الغريب أن نلاحظ ان تقسيم البربر الي مجموعتين بدو والحضر أي بثر وبرانس نجده أيضا عند العرب عندما قسموا الي قحطانيين وعدنانيين فالاولون ينتمون الي أصل يعني (حضر اي أهل حضارة) اما العدنانيون أصل بدواة " ومن خلال هذا نستخلص ان الأمازيغ والعرب متشابهان في الانماط الاجتماعية وهذا عامل من عوامل التعريب (العوامل الاجتماعية).

2- راجع ابن خلدون، العبر، ج.6، ص: 176، 177. أيضا الناصري، الاستقصا في اخبار المغرب الاقصي، ج.1، ص: 64. وهذا إذا سلمنا برواية أن أصل الأمازيغ من نسل حام.

***- سنتطرق في الفصل الرابع الي إشكالية الانساب حيث انها تدخل ضمن عنصر انعكاسات عوامل التعريب.

فقبائل البرانس تنقسم إلى عشرة قبائل من البرانس أزداجة¹، أوربة²، أوريفة³، صنهاجة⁴، عجيسة⁵، كتامة⁶، كزولة⁷، لمطة⁸، مصمودة⁹، هسكورة¹⁰.

أما القبائل البترية فتتقسم إلى أربعة قبائل رئيسية وهي ضريسة¹¹ ونفوسة¹²، أداسة¹³، لواتة¹⁴، وحسب هذا التقسيم يصبح مجموع القبائل الأمازيغية الرئيسية أربعة عشر.

وكل قبيلة من هذه القبائل الأربعة عشر تفرعت إلى بطون وقبائل أخرى لا حصر لها، وهنا يجدر الذكر أن الأمازيغ قدماء في وطنهم، وقد انحدروا من بقايا انسان شمال إفريقيا القديم الذي كشفت عنه الحفريات،

- 1- أزداجة لم تذكر المصادر اسم جدهم الأكبر لكن نسجل أنهم هم الذين أسسوا دولة ناكور راجع بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج. 2، ص: 08 سنتطرق إلي دولة ناكور في العوامل الإستراتيجية.
- 2- أوربة هم أبناء أورب بن برنس ستلعب هذه القبيلة دورا هاما أثناء فترة الفتح الإسلامي. نفسه، ج. 2، ص: 11.
- 3- أوريفة هم أبناء أوريف بن برنس خلف أربعة أبناء قلدن، مغز، ملد، هوار، هؤلاء أوجدوا بطون قبيلة أوريفة نفسه، ج 2 ص: 16.
- 4- صنهاجة: نجد أن هذه القبيلة لا تتفق المصادر حول جدهم الأكبر لكن تتفق أنهم أوفر القبائل عددا ويزعمون أنهم يمثلون ثلث الأمازيغ ويطوئهم تصل إلى سبعين 70 بطن. نفسه، ج 2، ص: 54.
- 5- عجيسة: هم أبناء عجيسة بن برنس نفسه، ج 2، ص: 129.
- 6- كتامة: هم من أبناء كتام أو كتيم بن برنس ويطوئها تنحدر من أبناء كتام وهما غرسن ويسودة وعنهما تفرعت بطون كتامة كلها. نفسه، ج 2، ص: 142.
- 7- كزولة وتذكر في بعض المصادر جزولة وجدهم الأكبر غير معروف مواطنهم أرض سوس، المغرب الأوسط إذ ينسب إليهم جبل كزول القريب من تيهرت. نفسه، ج 2 ص: 173-178.
- 8- لمطة: هي الأخرى لا يعرف جدهم الأكبر ومن بطونها قبيلتين زكن ولخس مواطنها تمتد بجوار مواطن المثلثين الصنهاجيين (الصحراء). نفسه، ج 2 ص: 178.
- 9- مصمودة: يذكر بوزياني دراجي أن نسبهم فيه نوع من الالتباس فנסابة العرب يتجاهلون تسلسل نسبهم من أمثال ابن جزم في حين يذكر ابن خلدون أنهم من نسل مصمود بن يونس بن برير ومن بطونهم الشهيرة برغواطة، غمارة وأهل جبل درن، نفسه ج 2، ص: 182.
- 10- هسكورة: هم من أبناء تصكي العرجاء ولا يعرف لهم أب مذكور في المصادر لعبوا دورا تاريخيا في دولة الموحدون لها عدة بطون. نفسه، ص: 255. أيضا ابن خلدون، العبر، ج. 6، ص: 420، 424.
- 11- ضريسة تنسب الي ضري بن زحيك بن مادغيس الابتر وقد تفرعت منها قبيلتين بنو فاتن وكذا يحي بن ضري ومنه تفرعت منها قبائل أشهرها عدة منها زناتة وزوارة وزواغة ومكناسة ابن خلدون العبر ج 6 ص 170 ص 229، 230.
- 12- نفوسة أو بنو نفوس هم أبناء نفوس بن زحيك بن مادغيس الابتر مواطنهم بجهاط طرابلس حيث نجد جبل نفوسة المعروف باسمهم ابن خلدون العبر ج 6 ص: 230 بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية ج 1، ص: 274-284.
- 13- أداسة: هم أبناء أداس بن زحيك بن مادغيس الابتر تداخلت مع هوارة بسبب زواج ام اداس بوالد هوارة (اوريف بن برنس) بوزياني الدراجي ج 1، ص: 90، 91.
- 14- بنو لواتة تفرعت منهم نفزاوة وكذا لواتة نفسه، ج 1، ص: 237، 238.

والدليل على ذلك كثرة عدد قبائلهم وبطونهم وانتشارهم على كامل تراب بلاد المغرب الإسلامي* .

هـ) مواطن الأمازيغ:

لمعرفة مواطن الأمازيغ لزم رسم حدود البلاد في الجهات الأربعة، ومنه فالمنطقة المراد دراستها تشمل كل قبائل الأمازيغ، حيث نجدهم يتمركزون حسب أغلب المؤرخين من غرب الإسكندرية إلى المحيط الأطلسي** شرقاً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى دول إفريقيا ما وراء الصحراء. وبالتالي، فالإطار المكاني يتحدد بإقليم شمال غرب إفريقيا، إذ أننا كلما إتجهنا غرب كثر عددهم. ومنه فالحدود هي كالآتي ذكره:

1- الحدود الشرقية لمواطن الأمازيغ:

أغلب المؤرخين والجغرافيين من بينهم الإصطخرى، والمقدسي، والإدريسي يجعلونها ما بين برقة والإسكندرية¹.

2- الحدود الشمالية والغربية لمواطن الأمازيغ:

لا نجد مشكلة في تحديد هذه الحدود، لأنها عبارة عن مسطحات مائية، إذ تتمثل الحدود الشمالية في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط أما الحدود الغربية فتتمثل في المحيط الأطلسي.

3- الحدود الجنوبية لبلاد أمازيغ:

أما الحدود الجنوبية فإن الرأي الراجح لدى جُل المؤرخين على أن الصحراء كانت دائماً تشكلها، أي أن بلاد الأمازيغ تمتد جنوباً إلى بلاد السودان، إلا أنه على مر التاريخ قد سميت بلاد الأمازيغ بعدة أسماء منها

*- لقد استعمل هذا اللفظ عدة مفكرين مغاربة أمثال هشام جعيط، عبد الله العروي موسى لقبال مستدلين في ذلك أن العربي يقصي الفئة من سكان شمال إفريقيا وهم الأمازيغ في أن المصطلح المغرب الإسلامي مصطلح جامع موحد. كما ان المصطلح يدل على فترة الوسيط وإذا استبدلنا كلمة مغرب بالغرب فهنا تدخل معه الاندلس.

**- المحيط الأطلسي سمي سابقاً بـ " بحر الظلمات" لابتعاد اليابسة فيه. وكذا عدم وجود انعكاس لضوء الشمس.

1- بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص: 11.

ليبيا¹، إفري²، إفريقية³، نوميديا⁴، موريطانيا⁵ وآخرها بلاد المغرب*.

ومن هنا لزمنا الإشارة إلى أنه يصعب تحديد مواطن مختلف قبائل الأمازيغ نوعاً ما خاصة قبائل البتر بسبب ترحالهم⁶، وكذا لأن الأمازيغ بقبايلها وبطونها كانت أمة واحدة لكنها تشعبت بسبب اختلاطها في المدن والقرى **والبوادي**، وبسبب ديناميكية الهجرة فأصبحنا نرى مثلاً زناتة أو هواره أو صنهاجة أو لواتة أو نفوسة وغيرها في المغرب الأدنى (طرابلس) تم نراها في المغرب الأوسط أو المغرب الأقصى وهكذا دواليك. وبالتالي، نستطيع أن نركز على أماكن قبائل الأمازيغ الكبرى التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي⁷، حيث كانت

1 - ليبيا: تسمى من طرف هيرودوت المؤرخ والرحالة الإغريقي أي الإقليم الجغرافي الممتد من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي وأطلق على سكانه الليبيين. اسماعيل العربي، صنهاجة وكتامة وغيرها من البربر الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، عدد8، 1972م، ص: 143.

2 - الإفري: هم السكان الذين يسكنون الكهوف والمغارات وأصلها "إفرت" كلمة أمازيغية تعني الكهف وقد أطلقت هذه التسمية من طرف القرطاجيين الذين كانوا يقصدون بها من كان يتبع سلطاتهم مباشرة. راجع د. موسى لقيال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص: 13.

3- إفريقية: يرى ابن خلدون أن الكلمة مشتقة من اسم الملك (الحميري) "إفريقش" بن صيفي بن سبأ الذي نزل بأرض البربر بعدما قتل ملكهم جالوت وبتحطيم قرطاجية عقب الحرب البونيقية الثالثة (146-149 م) وانتساب السلطة الرومانية البروقنصلية للدلالة على المناطق التابعة مباشرة للقرطاجين وقد إتسع مدلول كلمة إفريقية ويصبح شاملاً للمنطقة برقة إلى المحيط في عهد البيزنطيين. اسماعيل العربي، صنهاجة وكتامة وغيرها من البربر ص: 148.

4 - نوميديا: ظهر المصطلح في عهد السلطة الرومانية للدلالة على مناطق المتوسطة التي تليها إفريقية، وكانت مستقلة. به ممالك البربرالخارجين عن حدود الامبراطورية الرومانية (الليمس). غوستاف لوبان، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1979م، ص: 300.

5- موريطانيا: للدلالة على المنطقة الغربية التي تلي نوميديا وهي الأخرى كانت مستقلة عن الرومان عن الليمس. نفسه، ص: 300
* - المغرب: مصطلح يرتبط ظهوره بعصر الفتنة بين على ومعاوية أي قبل منتصف القرن الأول الهجري للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي ويشمل مصر بملحقاتها أما مصطلح المغرب على نطاق شمال إفريقية إن لم يدخل حيز التنفيذ إلا في القرن الثالث (3هـ) هجري ويطلق على نطاق شمال إفريقية من سلوم إلى طنجة.

6 - محمد على دبو، ج2، ص: 43.

7- نفسه، ص: 44.

المحرك الأساسي في تأسيس دول إسلامية (الدولة الفاطمية أسست من طرف قبيلة كتامة، أما دولة المرابطين فأسست من طرف قبيلة لمتونة).

أ- المغرب الأدنى: تسكنه خمسة شعوب من أقسام البربر الكبرى.

- لواتة: من برقة إلى سرت.

- هواة: من سرت إلى طرابلس.

- نفوسة: غرب مدينة طرابلس وجنوبها.

- زناتة: جنوب طرابلس تجاور نفوسة.

ب- إفريقية (تونس) نفزاوة: جنوب مدينة كاف إلى قسنطينة.

ج- المغرب الأوسط (الجزائر)¹:

- كتامة: من سكيكدة شرقاً إلى بجاية غرباً.

- زواوة: غرب بجاية إلى شرق مدينة الجزائر

- جراوة: جبال الأوراس.

- صنهاجة: شرق مدينة الجزائر إلى غرب مليانة وجنوب مسيلة.

- زناتة: شرق مليانة إلى وادي ملوية غرباً ونجدها في تلمسان أيضاً.

- لواتة: نواحي تيارت، جبال الأوراس، وبجاية.

- أزداجة: إقليم وهران.

د- المغرب الأقصى:

- شماله: قبيلة غمارة.

1- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1965م، ص:

- فاس: أوربة.

- وسط المغرب الأقصى وجنوبه: جبال درن مصامدة.

ه - الصحراء:

- صحراء المغرب الأقصى: نجد صنهاجة.

- غرب صحراء المغرب الأوسط: هواة¹ وكذا قبائل زنانة.

وعلى العموم فإننا نجد البرانس في السواحل، أما البتر في الوسط والجنوب بسبب معاشهم الإقتصادي. كما تجدر الإشارة أنه هناك فارقين المفهوم الغربي للوطن ومفهوم القبلي للوطن²، فالغرب ينظر إلى الوطن على أنه رقعة جغرافية ذات حدود أي رقعة ثابتة نشعر بالغرابة عند الإبتعاد عنها، وتعلق بهذه الأرض شعور عاطفي، أما الأمازيغ فهم على شكل قبائل أي مجموعة بشرية جاءت نتاج أجيال متعاقبة لا تحتاج إلى إطار إقليمي في تحقيق وجودها وإنما هي عرق وفئة بيولوجية، أي أن الأنساب هي أساس الروح القبلية، ولهذا السبب فإننا نجد صعوبة في تحديد مواطن ومراكز الأمازيغ الجغرافية، إذ أن أي قبيلة من الأمازيغ تعتبر بلاد المغرب من أدناه إلى أقصاه وطنها، فأينما تجد القبيلة معاشها واستقرارها وسعادتها فهو وطنها تحط فيه الرحال وتستقر فيه وتنصهر ضمن سكان قبائل الأمازيغ الآخرين³، وبذلك كثرت فروعهم ووطنهم فأصبح عددهم لا يحصى، ولهذا السبب لا يمكن تحديد مواطنهم بدقة متناهية وعلى الأرجح فهي عموميات، وعلى سبيل المثال لا الحصر قبيلة صنهاجة نزحت من الشمال إلى الجنوب واتخذت الصحراء معقلاً لها وهذا راجع إلى ظروف تاريخية سنتكلم عنها بإسهاب في حينها*.

1- تنسب معظم قبائل البربر إلى جددهم الأكبر فمثلا قبيلة هواة نسبة إلى جددهم "هوار بن أوزيغ" وبالتالي فالقبيلة تأخذ اسم الجد الأكبر. وعليه تصبح البطون قبائل لأبناء الجد الأكبر وهكذا دواليك، بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ج1، ص: 89.

2 - إف غوتييه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، مؤسسة تاوليت، 2010م، ص: 145.

3 - محمد على دبو، ج2 ص: 45.

*- سنتطرق إلى قضية إسلام الملتزمين وهم أنفسهم قبيلة صنهاجة ببطونها الثلاث (ملتونة مسوفة وجدالة). وصددهم للتعريب.

وخلاصة القول في تعريف الأمازيغ حالياً "هي القدرة على الإفصاح بلغة الزاي" وهي من الحروف التي

يكثر سماعها في اللغة الأمازيغية¹.

(II) مفهوم الإسلام :

- معنى الإسلام هو الدين الذي عرف به سيدنا محمد صل الله عليه وسلم ومرد هذه التسمية ليس وضعي أي من وضع الإنسان إنما سماوي بحكم قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة، الآية 03).

- المعنى اللغوي: لقد أثار المعنى اللغوي للإسلام جدلاً واسعاً في أوساط اللغويين والمفسرين. حيث أننا نجد مادة

"سلم" تفيد هذه المعاني الثلاث في مجملها².

- معنى تفادي من الآفات الظاهرة والباطنة.

- معنى الصلح والأمان.

- معنى الطاعة والإذعان.

- المعنى الشرعي: الإسلام هو توحيد الله والخضوع له وإخلاص الضمير له والإيمان بالأصول الدينية التي

جاءت من عند الله³، وجعله بمعنى الإخلاص في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (سورة النساء الآية 125)، أما بمعنى الخضوع في

قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَن يُأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (سورة الزمر الآية

54) وتطلق كلمة مسلم على كل من خضع لله وأطاع أي نبي من أنبياء الله ونجد القرآن الكريم قد حدد أن

أنبياء الله كانوا مسلمين فالنبي نوح يقول ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة يونس الآية 72)، وسيدنا إبراهيم ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ

إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي آخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (130)

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة، الآيتين 130 و131). والنبي يوسف

1- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 09.

2- عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، بدون طبعة، بدون سنة، ص: 13.

3- نفسه، ص: 14.

عليه السلام ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (سورة يوسف الآية 101)، ثم أرسل الله رسوله
سيدنا محمد صل الله عليه وسلم بالشرعية المكملة لهؤلاء الأنبياء، ولهذا خاطبه الله بقوله ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا
أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ﴾ (سورة النساء الآية 163)، وكذا نفس السورة
الآية 165 لقوله جل جلاله ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ
اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ 165.

(III) مفهوم العرب والعربية والتعريب :

(ا) - مفهوم العرب :

العرب إحدى الأمم التي جعلتها التوراة من نسل سام بن نوح¹، مثل الأشوريين والبابليين، وقد اتخذ
العرب شبه الجزيرة المنسوبة إليهم في جنوب غرب آسيا بعد أن ضاقت بهم شطوط الفرات، واضطرتهم طبيعة
المنطقة أن يتخذوا البداوة كمعاش اقتصادي لهم.

وقبل أن نرجع إلى قواميس اللغة العربية لكي نفقه جيداً معاني هذه المصطلحات، ننبه أولاً إلى أن
الحضارة الإسلامية العربية ومسألة الانتماء الحضاري كما حددها مالك بن نبي هي نتاج تفاعل الإنسان مع
التراب والزمن بدافع من دين يدين به²، ومن هنا تحدد الهوية بالوطن واللسان والعقيدة والحضارة. هذا المفهوم
سنعود إليه فيما بعد لأن المصطلح يتغير مفهومه حسب سيرورة التاريخ، حيث أن مفهوم العرب تغير مع مرور
الزمن، فقد كان يعني أولاً البدو والبادية، فلما تحضّر بعضهم انقسم العرب إلى بدو وحضر، ومنذ ذلك الحين بدأ

1- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، الجزء الأول، المطبعة الملكية، الرباط المغرب، 1968م، ص: 344.

2 - نقلاً عن رابح لونيبي، البديل الحضاري دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددنا، دار المعرفة، 1998م، الجزائر، ص: 63،
حيث يضيف رابح لونيبي "مالك بن نبي أعطي للفكرة الدينية دوراً أساسياً في بناء الحضارة".

المعني يأخذ صفة جنينولوجية سلالياً وجنسياً¹، ولم يعد يمثل الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعينها أولاً باستثناء كلمة مشتقة منها وهي الأعرابي الذي مازال يدل لحد اليوم على البدوي.

وابن خلدون نفسه يحيل مفهوم العرب إلى أسلوب معين في الحياة يخص به سكان المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية²، وبالتالي فهو أسلوب عيش أكثر منه هوية كما سبق الذكر، أي الكثرة بالتجانس وليس بالتوالد أو الأصل، وقد فسر بعض المستشرقين كلمة عرب على أنها تعني المنطقة القاحلة لأن الكلمة السريانية (عربوا) تعني الصحراء، إلا أن مشقات عرب تزيد على الثلاثين، وتتميز بدلالات مختلفة حسب سيرورة التاريخ كما سبق الذكر. وقد أرجع أصل العرب (ARABIYA) إلى الصحراء وهذا نسبةً إلى نقوش الملك داريوس هيستا بيس³.

مما سبق نستخلص أن مفهوم العرب اتخذ عدة أشكال ومفاهيم ودلالات فنجد المفهوم الجينولوجي (النسب أو الأصل) ومفهوم التجانس وكذا المفهوم الجغرافي (الجيوسياسي، بمعنى موقع شبه الجزيرة العربية) والمفهوم التضاريسي (الصحراء) وحتى المفهوم التكنولوجي، حيث أننا رأينا أن العرب قُسموا إلى العرب البائدة التي أهلكت عن آخرها بسبب شركهم وهم (عاد، ثمود، طسم، جديس، عمليق). ونجد أيضاً المفهوم الاقتصادي (البدو الحضر أو الرعي والتجارة).

ب) مفهوم التعريب:

1- عبد الوهاب بن منصور، ج1، ص: 345.

2- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، ج6، ص: 97.

3- عثمان سعدي، الأمازيغ البربر عرب عاربة عروبة شمال افريقيا عبر التاريخ، شركة الملتقي للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، 1998ص: 22.

لزم الرجوع إلى قواميس اللغة لتحديد مفهوم كلمة التعريب في مادة (ع ر ب)، فلو رجعنا إلى القاموس المحيط للفيروزآبادي لوجدنا أن التعريب مفاده يعني "تهديب المنطق من اللحن"¹، أما لسان العرب لابن منظور فإن التعريب يعني «... مشتق من عرب العُرب والعَرَبُ: جيل من الناس معروف بخلاف العجم؛ ونجد أيضاً العَرَبُ العَارِبَةُ: هم الخالص منهم، ومُتَعَرِبَةٌ ومُسْتَعَرِبَةٌ: دخلاء، ليسوا بخلص والعربي منسوب إلى العرب... وعربي: بين العروبة والعروبية ... ولقوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تَوَدُّوا، وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا﴾ سورة الحجرات الايه 14، فسماهم الله أعراباً، فهؤلاء قوم قدموا من بوادي العرب للنبي ﷺ في المدينة، طمعاً في الصدقات، لا رغبة في الإسلام... والعرب أهل الأمصار، والأعراب منهم سكان البادية خاصة والتَّعَرُّبُ أي التشبه بالعرب...»².

ومن خلال ما سلف يرجع ابن منظور كلمة عرب لأول من نطق لسانه بلغة العرب يَعْرُبُ بن قحطان وهو أبو اليمن كلها³، وهم العرب العاربة، وقد نشأ سيدنا اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام معهم، فتكلم بلسانهم، فهو وأولاده: «...العرب المستعربة... والعرب المستعربة هم الذين دخلوا فيهم بعد، فاستعربوا. قال الأزهري: المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب، فتكلموا بلسانهم، وحكوا هيئاتهم، وليسوا بصرحاء فيهم. وقال الليث: تعربوا مثل استعربوا.

وقال الأزهري: الإعراب والتعريب معناها واحد وهو الإبانة، يقال أعرَبَ عنه لسانه وعرب أي أبان وأفصح ... أي بمعنى الابانة والايضاح....».

1- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، طبعة الاولى دمشق 1998، مادة ع ر ب، ص: 113.

2- ابن منظور، لسان العرب تحقيق عبد على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف كورنيش النيل القاهرة مصر، ص: 2863.

3- نفسه، ص: 2864 - 2866.

وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربته، العرب، وأعربته أيضاً، وأعرب الأغم وعرب لسانه، بالضم، عروية أي صار عربياً، وتعرب واستعرب أفصح¹.

نستخلص مما سبق أن التعريب ارتبط ارتباطاً كلياً بالدخيل من الكلمات الاعجمية أو الأجنبية، حيث نجد محمد مبارك يقيم مقارنة بين تعريب اللفظ وتعريب الشخص حيث يذكر أن "اللغة العربية لغة ذات نظام منسجم متماسك... تجري فيها الأفاظ على نسق خاص، في حروفها وأصواتها، وفي مادتها وتركيبها، وفي هيئتها وبنائها، كما كان المجتمع العرب نظام في ارتباط أفراده وقبائله وفي صلات القربي والنسب وصلات التضامن والتعاون، وله سننه في السلوك والخلق لا يستطيع الفرد الخروج عليها بل ينشأ منطبعاً عليها ومنساقاً إليها، ولذلك كان دخول الغريب في القبيلة أمراً لا بد من معالجته معالجة لا تخل بتماسك المجتمع، فكانوا يقبلونه بينهم على أنه جار لهم يحمونه أو يلحقونه بالولاء... ولا بد له في هذه الحال من أن يسلك مسلكهم في الحياة في عاداتهم وأخلاقهم، ومنه دخول الكلمة العربية في اللغة العربية شبيهه بدخول الغريب في العرب وإلحاقه بإحدي قبائلهم... إن إطلاق كلمة تعريب للدلالة على الألفاظ الأجنبية التي دخلت لغة العرب.. بحيث جنست وأصبحت من جنس كلام العرب"²، هذه المقارنة اختصرت مفهوم التعريب، حيث نلاحظ أن الكلمة المعربة هي فكرة استخدمها الناطقون بالعربية في معان غير موجودة في لغتهم على سبيل النقل أو الاستعارة في فترة بداية حركة التعريب.

وعلى هذا الأساس فإن مفهوم التعريب قد تطور عبر العصور، ففي البداية كان التعريب لفظياً، أي بالمفهوم الاصطلاحي بمعنى إيجاد مفاهيم عربية للألفاظ الأجنبية، ومع سيرورة التاريخ فقد تطور التعريب، إذ

1- ابن منظور، ص: 2866.

2- محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دمشق سوريا، الطبعة الثانية، 1964م، ص: 291.

اكتسى صبغة إنسانية شاملة تتمركز حول مصير الفرد وهويته¹. ومن ثم، فالمقصود بالتعريب هو الإنسان نفسه وأداته الأساسية المتحكمة في تكوينه².

وعليه، ينقسم التعريب إلى لفظي وفكري، وبذلك يتخذ مفهوم التعريب تصوراً شاملاً، إذ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم ومدلول الأمة التي ينمو ويتكاثر أفرادها بالتوالد أو التجانس أو كليهما، فالتوالد نرجعه إلى الأصل أي إلى الجد الأكبر. فمثلاً يعقوب بن إسحاق جد بني إسرائيل، ويعرب بن قحطان جد عرب اليمن، أما التجانس فمثل عرب اليمن وعرب الحجاز، كونوا الأمة العربية التي لا يُراد أبداً من خلال إطلاق هذا المصطلح على من انحدروا من صُلْبِ يعرب أو عدنان بل يدخل في سياقهم أقوام آخرون، كالكنعانيين والقبط والبربر، وهنا أشكالية التجانس وليس التوالد. وعليه، فالأمة العربية تكاثرت بطريقة ثانية غير التوالد وهي التجانس، مع العلم أن بحثنا يركز على دور الإسلام في تعريب الأمازيغ لكن لزمنا الإشارة إلى أن التعريب لم يكن من سمات ظهور الإسلام وإنما كما هو معروف أن العرب قبل الإسلام قسمت إلى قسمين العرب العاربة وهم من سلالة قحطان وهم الأصل في العروبة والقسم الثاني العرب المستعربة وهم أولاد عدنان الذي هو من سلالة سيدنا إسماعيل عليه السلام (راجع الملحق رقم 08- ب نسب القبائل العربية العربية والمستعربة)، وسيدنا إسماعيل عليه السلام عبراني العرق ولكنه تجنس بجنسيتهم عند استقراره في الجزيرة العربية، وهكذا تكاثرت الأمة العربية بأولاد سيدنا إسماعيل لا عن طريق التوالد بل عن طريق التجانس، غير أن هذه النقطة لا تنقص من مكانتهم ولا تقدح في عروبتهم ولا تخرجهم من الجنس العربي ويكفيها شاهداً على صحة عروبة بني إسماعيل أنه ﷺ من أولاد إسماعيل المستعربين، فالمسألة ليست مسألة هوية بالتوالد وإنما مسألة هوية بالتجانس، وقد عبر عنها ابن باديس في محاضرة 1939م بعنوان العرب في القرآن، وفي هذا يذكر محمد المليي نقلاً عن ابن باديس " والتاريخ يجب ألا

1 - محمد المنجى الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت لبنان، ماي، 1985، ص: 93.

2 - نفسه، ص: 94.

ينظر من جهة واحدة بل من جهات متعددة، حيث أن في العرب نواح تجتبي ونواح تجنب... وهذه هي طريقة القرآن بعينها فهو يعيب من العرب العيوب النفسية كالوثنية ونقائصهم العقلية كالفسوة والقتل وبنوه بصفاتهم الإنسانية التي سادوا بها مدنياتهم السالفة واستحقوا بها النهوض بمدينة المدنيات".

وبعد أن رأينا مفهوم مادة (ع ر ب) نستعرض كلمة مشتقة منها وهي (المستعربون) لنجد أن العرب المستعربة (أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أما العرب العاربة فقد رسخوا في العربية من نسل إرم بن سام بن نوح) وقد قسم العرب المستعربة في حد ذاتهم إلى قحطانيون¹ وهم أبناء قحطان بن عابر بن شالخ (يعرف على أنه أول ملك باليمن لبس التاج) وقحطان ابنه يعرب أول من اتخذ العربية لسانا واشتهر بفصاحته لدي الشعراء ويشتهرون أنهم حضر اما العدنانيون (العرب المستعربة) من سلالة سيدنا إسماعيل عليه السلام حيث استقر بالجزيرة العربية واتخذ العربية لسان له بعد ان تزوج منهم لدي هو وذريته سميوا عرب مستعربة وهم بدو. ومنه نجد أيضاً المفهوم الاقتصادي (البدو الحضر أو الرعي والتجارة).

وبعد أن حددنا نوعاً ما مفهوم الأمة العربية التي نجد أنها أخذت عدة أشكال من المفاهيم فالمفهوم السائد مفهوم الأصل كما نجد مفهوم التجانس، كما نجد المفهوم الجغرافي، وبالتالي كثرت الدلالات لكلمة عرب، لذا لزم علينا أن نحدد مفهوم القاسم المشترك لهذه الأمة وهي اللغة العربية. حيث أورد غوستاف لوبان واستهل كتابه بتقديم تعريف لكلمة تعريب حيث يقول: «... التعريب هو تبني الشعب اللغة العربية وممارستها كلسان الحديث والحضارة، هو الاستعمال الكامل لهذه اللغة للتعبير عن الأمور المحسوسة وعن الأفكار المعنوية، وهو الانتماء إلى تلك الحضارة التي جعلت من العربية أداة التعبير واعتبار إنتاجها الأدبي والعلمي كتراث مجيد مشترك والنظر لأهم منجزاتهم كنماذج صالحة للتقليد، ثم هو الرغبة والدعوة العريضة للانتساب إلى العالم الذي يستعمل هذه اللغة في كلامه اليومي وفي مؤلفاته الفكرية، وهو الإحساس

1- عثمان سعدي، ص: 22، 23.

والتفكير مثل إحساس وتفكير أفراد ذلك العالم وتقليدهم في حياتهم الاجتماعية والسياسية والعقلية والعاطفية وبالتالي فالتعريب هو المؤالفة الخالصة القلبية بين وضع لغوي معين وبين مجموعة أذواق فنية وطموحات عاطفية وعادات ذهبية لا علاقة لها مطلقاً بعلم خصوصيات الشعوب والإثنوغرافيا وبعلم طبائع الإنسان أو الإنتروبولوجيا...»¹.

وعليه، اتفق معظم المؤرخين أن مفهوم التعريب² له جانبان، جانب لغوي وجانب اجتماعي سيكيولوجي حضاري، أي الهوية وشعور الانتماء. ومن ثم، فالبحث يركز بالدرجة الأولى على مضمون معين يتجاوز قضية اللغة كلغة، وإنما ليس اللغة في حد ذاتها أي بمعناها السطحي وإنما مضمون معمق أصبح رمزاً للشخصية والشعور بالانتماء إلى العرب كأمة، أمة تميزها لغة وتراث، وإرادة تأصيل هذا الانتماء بأدلة البرهان وعواطف الوجدان. ولقد مزج عبد القادر بن مصطفى المغربي بين التعريب اللفظي والتعريب الفكري، حيث أوضح أن التعريب الفكري ما هو إلا مرحلة ثانية للتعريب اللفظي وتحت عنوان نمو اللغة بالدخيل، شبه اللغة بجسم الإنسان، إذ يحتوي على قوتي التحليل والتركيب، حيث أن التحليل هو مرحلة تلاشي المواد، والتركيب مرحلة دخول وتفاعل المواد المندثرة مع مواد جديدة لتكون النتيجة نمو الجسم وبالتالي كبر حجمه³.

وبتطبيق هذه القاعدة على اللغة، فإنها تندثر منها ألفاظ ويخلفها كلمات دخيلة أعجمية وهذا ما يسمى مدلوله التعريب اللفظي، فإذا كثرت تلك الكلمات الدخيلة نمت اللغة وامتددت فروعها واتسعت دائرة التخاطب⁴، وإذا بقيت جامدة تقلصت وماتت كما تموت الأجسام من سوء التغذية، وبالتالي تنعدم عمليتي

1- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 75.

2- محمد موعده، "الوعي القومي في المغرب العربي تطور الوعي القومي في المغرب العربي"، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، إبريل 1986، ص: 89.

3- عبد القادر بن مصطفى المغربي، الانشقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، 1908م، ص: 37.

4- ومثال على ذلك ان معجم اللغة الإنكليزية في القرن 19 تضمن 20000 كلمة وهو الآن يقارب 100 ألف كلمة ومنه اندمجت اللغة الإنكليزية بعدة كلمات دخيلة إثر الحركة الاستعمارية.

التحليل والتركيب، وعليه فالألفاظ المعربة تطور اللغة ويؤدي ذلك إلى تقبل الدخيل لنجد أنفسنا في المرحلة الثانية ألا وهي **التعريب الفكري**. وبالتالي، فمفهوم التعريب اللفظي هو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية¹، حيث أن القرآن وهو المصدر الأساسي للإسلام تضمن كثيراً من تلك الكلمات الأعجمية فكان فيه من **الفارسية** أباريق وسجيل وإستبرق ومن **الرومية**، قسطاس، صراط، شيطان، إبليس، ومن **الحبشة** أرائك وكفلين، ومن **السريانية** يم وطور وربانيين ومن **الهندية** مشكاة، وهذا على سبيل الذكر لا حصر، وقد تتبعها السيوطي² فبلغت حوالي 100 كلمة. ومنه، ومع كثرة الاقتباس وجدت معجزة القرآن الجامع لأحوال البشر ومع الفتح الإسلامي واتساع دائرة الحدود الإسلامية وجدت المرحلة الثانية من التعريب المتمثلة في التعريب الفكري وامتزجت أمم عديدة بالعرب الفاتحين، الذين أخذوا منهم معظم مقومات حضارتهم ومرافق معيشتهم.

وبما أن الأمر كذلك، فمصطلح التعريب أخذ عدة مفاهيم، فالجابري مثلاً لا يستعمله وإنما يستعمل مصطلح الوعي العروبي³، أي الوعي بالانتماء إلى "الأمة العربية" مفهومه ضمن حقل ثقافي وإطار حضاري ضمن ثلاث عناصر وحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الأهداف والمصير، حيث يذكر سبب عدم استخدامه مصطلح الوعي القومي بما يلي: " ونحن عندما نعتمد هذا التمييز الذي أقمناه هنا بين المفهوم "الوعي العروبي" ومفهوم "الوعي القومي" لا نصدر عن ذلك عن دوافع إيديولوجية معينة. نعم نحن لسنا ضد التبشير الإيديولوجي بالوحدة معينة وإن كنا نريد له ان يكون تبشيراً عقلاً أكثر منه عاطفياً، لأن ما يبني على العاطفة وحدها ينهار بانتكاس العواطف وتقلباتها وإنما نريد من وراء اعتماد هذا التمييز فسخ المجال،

1- عبد القادر بن مصطفى المغربي، ص: 44.

2- نفسه ص: 48.

3- محمد عابد الجابري، " يقظة الوعي العروبي في المغرب مساهمة في نقد السيسولوجيا الاستعمارية "، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ابريل 1986، ص: 33.

منهجياً لإبراز ما هو (خاص) داخل ما هو (عام). وبالتالي، التمكن من تسليط الضوء عليه وتحليله¹، والبحث يوافقته الرأي إذ يجب على المؤرخ التخلص من الدوافع الإيديولوجية وتحليل الظاهرة وفق حقيقة التاريخية والتخلص من التراكمات الإيديولوجية التي طبعت تاريخ الأمازيغ عبر مسيرته التاريخية، أي منذ اعتناقه الإسلام إلى مسألة علاقة الإسلام بتعريبه.

ج . مفهوم اللغة العربية:

كان لزاماً علينا أن نعود إلى مفهوم اللغة العربية من خلال أصلها وتطورها، حيث أن اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية²، وبقيت أقرب تلك اللغات إلى أصلها، وذلك لبقاء العرب في الصحراء، وهي فرعان لغة الجنوب ولغة الشمال، وكانت لغة اليمن القحطانية تختلف عن لغة الحجاز العدنانية، وتمتاز اللغة العربية بأنها إعرابية اشتقاقية فيها ضروب النحت والقلب والترادف، وأنواع من المجاز والكناية وما أشبه وقد ذكر بروكلمان "تمتاز لغة الشعر العربي بثروة واسعة في الصور النحوية (الإعراب)، وتعد أرقى اللغات السامية تطوراً من حيث تركيبات الجمل ودقة التعبير، أما المفردات فهي فيها غنية غنى يسترعي الانتباه، ولا بدع فهي نهر تصب فيه الجداول من شتى القبائل³"، وعليه فاللغة العربية المنزل بها القرآن الكريم هي اللغة المثالية، وتكونت بجانب اللهجات القبلية المختلفة التي تنطق بها كل قبيلة، ولا يصعب فهمها على سائر القبائل. لغة مثالية خالية من العيوب والهفوات، لغة المجتمعات الأدبية ولغة الشعر والخطابة، انصهرت فيها جميع اللهجات واللغات العربية

1 - محمد عابد الجابري، "يقظة الوعي العروبي في المغرب مساهمة في نقد السيسولوجيا الاستعمارية" ص: 24، 25.

2 - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مكتبة البوليسن بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ص: 18.

3 - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1968، ص: 316.

ونفضت عنها جميع العيوب¹، فأبرزها القرآن في أحسن بروز وقد طغت على تلك اللغة المثالية لهجة

قريش².

إن العربية استوعبت اللهجات السامية الأخرى، فتوفر لنا ثراء المفردات، وعليه يمكن التنظير أن اللغة العربية تمثل تاريخياً اللغة اللاتينية إلا أنه في أوروبا حدث العكس ما حدث في بلاد العربية، حيث انقرضت اللغة الأم (اللاتينية) وتطورت لهجاتها (اللغات الأوروبية الحالية)، أما فيما يخص اللغة العربية فهي الجامعة واللغة الأم بالنسبة للمجموعة السامية على الأقل³، وهذا ما سيتم التطرق إليه في العوامل المساعدة على تألق اللغة العربية، وكان لزاماً علينا أن نتوقف لنركز على نقطة أن اللغة العربية⁴ ارتبطت أغلب مفرداتها بقبيلة قريش. وبالتالي، تفوقت لهجة قبيلة قريش عن باقي اللهجات، بيد أن التاريخ يثبت أن تفوق اللهجات يرتبط بالسلطة السياسية والاقتصادية وهذا ما كان من ميزة قبيلة قريش (رحلة الشتاء والصيف) وبعد ذلك درس العرب وغير العرب لغتهم كظاهرة حددها القرآن طبق نظام دقيق نحواً و صرفاً وبلاغه. ومنه، فعلاقة اللغة العربية بالدين الإسلامي كعلاقة الجسد بالروح. وبالتالي، فإن تطور التعريب اللفظي إلى تعريب فكري لم يكن ممكناً إلا بوجود الإسلام وجوهره كتاب الله جل جلاله (القرآن الكريم).

1 - حنا الفاخوري، ص: 23.

2 - نفسه، ص: 24، 25: " (قريش) كانت مكة مقام قريش يفد إليه الحجاج من جميع الآفاق فكان لقريش نصيب وافر في توحيد اللغة تمذب لهجتها بما تأخذه من لغات القبائل الوافدة على بلادها ومنذ وبما أن أهم الأسواق كانت في قريش فقد كانت لغة قريش اللغة الجامعة المهدبة في أسلوبها وهكذا كانت اللغة المشتركة المتتالية قريبة من لغة قريش".

3 - محمد المنجي الصيادي، ص: 397.

4 - نفسه، ص: 401.

*- لأن من وضع قواعد النحو والصرف فارسي أشهرهم سيبويه.

الفصل الأول

العوامل الخارجية لتعريب الأمازيغ

لقد تعددت عوامل تعريب الأمازيغ بتعدد المراجع، وتعددت بذلك إيديولوجيات مؤلفيها ومعنى ذلك أننا في الحقيقة أمام مستوى بنيوي¹ (مركب) وهو محصلة تطور متناقض، تعددت فيه العوامل التي اتصلت اتصالاً وثيقاً بنشر الإسلام، أي بمعنى آخر أن حركة تعريب الأمازيغ لا يمكن فصلها عن حركة نشر الإسلام، إذ أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية التي بلغت مكانة أصبحت معها كل ترجمة تدنيساً لقداستها ولهذا وجب على كل من اعتنق الإسلام تحصيل العربية² إذاً فنشر الإسلام في بلاد الأمازيغ يعتبر هو التعريب الأول³.

وعوامل الأسلمة تشبه إلى حد كبير عوامل التعريب. وعليه، فالأسلمة والتعريب كانتا متماشيتين جنباً إلى جنب⁴، ولمعرفة إشكالية التعريب وعلاقتها بالإسلام لزم أن نخوض في تحليل العوامل حيث يذكر مالك بن نبي "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها"⁵، ومنه فقد تعدد العوامل التي ارتبطت أساساً بالعرب، ولهذا حُصِّص فصل للعوامل الخارجية المرتبطة أساساً بالعرب الفاتحين ونذكر منها:

(I) العوامل التاريخية :

إن للعوامل التاريخية دوراً هاماً في حل الإشكالية والظاهرة المراد دراستها حيث كان لا بد من دراسة الإشكالية أن تدرس معها الفترة التمهيدية التي وجدت فيها عدة نقاط مهمة وبهذا فإن تعريب الإسلام للأمازيغ لن يفهم بمجرد بداية الفتح الإسلامي العربي أي عدم الاكتفاء بدراسة فترة الوسيط، وإنما لفهم فترة الوسيط لزم

1- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، الطبعة الثانية، 2009م، ص: 152.

2- محمد منحي الصيادي، ص: 542.

3- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، مؤسسه تاوليت للكتب الالكترونية، 2010م، ص: 19.

4- هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص: 106.

5- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، عمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1986م، ص: 99.

العودة إلى القديم والخوض في العوامل التي ارتبطت بهذا التحول في سوسيولوجية الأمازيغ ولو حاولنا الاكتفاء بالوسيط فإننا سنلاحظ أن كل شيء يتبدل في بلاد الأمازيغ اللغة الأصل والدين، وبهذا نستنتج استنتاجاً خاطئاً توصل إليها مؤرخون غربيون¹ سابقاً، وذلك لأن تاريخ بلاد الأمازيغ شديد التقطع إلى أجزاء منفصلة وبتالي لتكون الصورة مكتملة لزم دراسة الظاهرة من جميع جوانبها و ليس فقط من زاوية واحدة و يمكن تقسيم العوامل التاريخية المرتبطة بالعرب بحكم أنهم هم الذين كانوا سبب في هذا التحول السوسيولوجي إلى ما يلي:

أولاً) ضعف سلطة بيزنطة وقوة الحضارة العربية الإسلامية:

نناقش حالياً الانقلاب الجذري في البنية السوسيولوجية لبلاد الأمازيغ فقد يسر ضعف بيزنطة²، حيث يذكر معظم المؤرخين الغربيين أن الفتح العربي هو قطيعة مع الماضي³، إذ يصرح غوتيه أن "تاريخ المغرب ليس عبارة عن تاريخ منتظم مستمر بل شديد التقطع إلى حد يتغير فيه شكل البلد برمته بين الحين والآخر"⁴، إذ يأسف هؤلاء لإخفاق روما المسيحية ويتعجبون لنجاح الحضارة الإسلامية وتبعاتها من التعريب. وبالتالي، يطلقون أحكاماً الممتثلة أن الانتقال من حضارة روما إلى الحضارة العربية الإسلامية مصيبة في حد ذاتها. وبالتالي، يرون قطيعة تاريخية بين حضارتين وكأنها قفزة نوعية في حين أنه حينما تم استعراض الأحداث ببلاد لم نلاحظ تلك القطيعة التي طالما ردها المؤرخون الغربيون بل يلاحظ تغيير بطيء⁵. ومنه، لم ينتقل الأمازيغ من حضارة عظيمة إلى الانحطاط، وإنما انتقلوا من مجتمع منحط إلى مجتمع ذو قيم سامية.

1- امثال غوتيه، ص: 07.

2- لعربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 16.

3- S. Gsell, *Monuments antiques de l'algérie*, Tome 1, albert fontemoing, édition 1910. P 120

راجع أيضاً ألفرد بال، الفرق الإسلامية في شمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن البدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، ط3، 1987م، ص: 189. وايضا غوتيه، ص: 96.

4- غوتيه، ص: 07.

5- عبد الله العروي، ج 1، ص: 131.

وبالتالي، هي ظاهرة تجسدت فيها آمال الأمازيغ إلى حضارة أسمى¹. وهكذا عند تتبعنا للأحداث نجد أنهم انتقلوا من الحضارة الرومانية المسيحية الهرمة، والتي تجاوزت أمد حياتها إلى حضارة إسلامية فتية قوية. ونجد غوستان لوبان يدعم هذا الطرح إذ يذكر أن الزمن الذي ظهر فيه العرب من العوامل التمهيدية التي ساعدت على إظهار قوتهم، وبهذا فالعامل الزمن التمهيدي أهمية كبيرة في حياة الأشخاص والأمم.

حيث أن الفتح العربي وتبعاته أمر عادي من الوجهة التاريخية²، وقد يسر ضعف البيزنطيين ذلك الفتح، حيث أن فترة بيزنطة لم تشبه فترة الرومان في بلاد الأمازيغ³، إذ وجد البيزنطيون البلاد مسرحاً للفوضى التي جسدها الوندال طيلة فترة قرنين واجتمعت عدة عوامل دمرتها وأهكتها داخلياً، لتعكس على هيبتها الخارجية، فقد كانت بيزنطة منهكة من الحروب حتى بداية القرن السابع (7م)، وبسبب نقاط الضغط للفتح العربي الإسلامي في المشرق⁴.

وكانت نتيجتها هي تفويض سلطة الدولة البيزنطية وبهذا أوقفت توجهها التوسعي في ولايتها الشرقية⁵، وبالرغم من نجاح بيزنطة -نوعاً ما- في الحفاظ على وجودها إلا أنها بقيت مهددة مما سيجعلها لفترة طويلة تتحمل الضغط العربي الذي أرهاقها⁶، ونتيجة لذلك فقدت بيزنطة الثقة بالقوة الهجومية التي كانت تتمتع بها، نتيجة انتصارات العرب في الشرق، فاستعانت بتحصينات في بلاد الأمازيغ لصد الغارات المفاجئة، وهذا ما نستخلصه في استراتيجية العسكرية المستعملة من طرف القادة العسكريين للفتح الإسلامي والمتمثلة في

1- محمد المنجي الصيادي، ص: 543.

2- عبد الله العروي، ج 1، ص: 132.

3- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ص: 16.

4- هشام جعيط، ص: 14.

5- نفسه، ص: 13.

6- نفسه، ص: 14.

الحصار* المفروض على حصون بيزنطة، أما المواجهات مع السكان الأصليين (الأمازيغ) فكانت مباشرة، ولهذا فقد قامت بيزنطة في كل مناطق نفوذها بإحاطة مدنها بأسوار، وبهذا حصنتها من الهجومات المختلفة سواء من العرب الفاتحين أو الأمازيغ الناقمين على سياستها الاستقلالية التي ورثتها عن سلطة الرومان.

ومنه يمكن القول أنه كانت هناك قطعة بين سكان بيزنطة (روما) والسكان الاصليون (الأمازيغ)، والأمر الذي زاد من عدم استقرار الأوضاع لاسيما نظام الجنود والإتاوات الموظفين¹، علاوة على ذلك فإن المنازعات السياسية في إفريقية بين البيزنطيين ساعدت مهمة الفتح العربي²، والملاحظ أنه عند وفاة "هرقل" استغل والي البيزنطيين على إفريقية الوضع وهو البطريق جرجير وقد أعلن استقلاله**.

وهنا نستخلص أن ضعف السلطة المركزية هي التي تشجع على قيام حركات انفصالية وهذا ما أقامه جرجير، حيث أعلن نفسه إمبراطور وجعل عاصمته "سيبلة" "Sufetula" (في الجنوب الغربي من مدينة القيروان حالياً) بينما بعثت القسطنطينية إلى قرطاجة والياً آخر استقر بها، وما يلاحظ أن حدود بيزنطة كانت محدودة تركز أساساً في الشمال³.

*- فمثلاً حصار عبد الله بن سعد بن أبي سرح قمنوية، حيث كان يتزعمها البطريق جرجير الذي انفصل عن سلطة بيزنطة في عهد هرقل وكان ملكه يمتد بين طرابلس إلى طنجة. راجع ابن ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص: 44، وكذا المالكي عبد الله بن محمد أبو بكر، الرياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1994م، ص: 10 وأيضاً ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 215.

1- عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج 1، ص: 132، "حيث أن الحكومة البيزنطية تركز في سياستها على نهب المال".

2- ألفرد بال، ص: 77.

**- تجدر الإشارة ان لقب بطريق هو لقب ينم عن حركة انفصالية، حيث ان اول من لقب بنفسه بهذا اللقب السياسي سنة 587 م، حيث استطاع جناريوس اخماد ثورة البربر، وبذلك كان أول حاكم عام عسكري لقب بالبطريق.

3- لقد كانت حدود بيزنطة ببلاد الأمازيغ محدودة إذ لا تتعدى أن تكون جزءاً صغيراً يبدأ من حدود مصر إلى جبال الأوراس ثم تأخذ في الاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة وسبتة وقد قسمت إلى نوميديا (قسنطينة) موريتانيا سطيفية (سطيف) موريتانيا القيصرية (شرشال). راجع غوتيه، ص12

وبالتالي، كانت محدودة محصنة بأسوار ضد ثورات الأمازيغ وبهذا نستخلص أنها لم تتوسع ذلك التوسع الموجود فيما ذهب إليه المؤرخون الغربيون، أما الدولة المركزية في الشرق (الدولة الأموية) رمز الامبراطورية العربية الإسلامية، فقد كانت فتيّة توسعت خلافتها بجهات الأربعة بسرعة نادرة ومن هنا يتم استخلاص أن آليات التعريب¹ ترجع للعامل الأول المتمثل في ضعف بيزنطة التي أنهكتها عدة أسباب ساهمت في ضعف سلطتها، وهي عوامل داخلية متمثلة في وجود حركات انفصالية قادها **البطريق جرجير**، وعوامل خارجية وهي وجود ضغط مستمر على حدود ولاياتها في الشرق من طرف الدولة الأموية، فكان نتيجة ذلك فقدانها لمساحات واسعة استولت عليها الامبراطورية العربية الإسلامية ولكي نفهم سيرورة الأحداث جيداً لزم أن نستعرض علاقة بيزنطة بالعرب في بلاد الأمازيغ.

فبعد أن قتل **جرجير** استولى² من بعده على إفريقية "**جيناديوس**" وذلك بالتحالف مع البربر³، وبهذا أراد امبراطور بيزنطة في القسطنطينية "**قسطنطين الثاني**" استعادة سلطانه في إفريقية وهنا دعم **ألوتيرة "Eleuthère"** محاولة منه لعودة إفريقية لحضيرة الإمبراطورية البيزنطية، حيث أرسل معه جيشاً انطلق من صقلية بهدف استعادة بلاد الأمازيغ، وهنا اضطر **جيناديوس** الاتجاه نحو التحالف مع العرب وطلب المعونة من الخليفة عثمان بن عفان مطبقاً شعار "عدو عدوي صديقي" وبهذا أسرع العرب بالعودة إلى حاضرة إفريقية وجاءت حملة "معاوية بن حديج"⁴ 45 هـ / 665 م، هنا تهيأت الظروف ليقوم العرب بمرحلة الفتح المنظم الذي افتتحه عقبه

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 16.

2- وجدت في مرحلة السرايا، حيث أن الفتح العربي كان يقوم أساساً على فتح البلاد وعودة دون ترك دعم أي سلطة موالية.

3- جورج مارسية، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، راجعه مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991م، ص: 34.

4- قام ابن حديج بثلاث حملات أولهما سنة 34 هـ، والثانية 45 هـ، والثالثة 50 هـ. ابن عبد الحكم، الفتوح، ص: 60، ابن عذاري محمد، أبو العباس، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول، تحقيق ومراجعة ج. س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ص: 14، 15. ونلاحظ مدة طويلة بين الحملة الأولى والثانية والسبب بحمله عبد الله العروي، ج1، ص: 122: "توقفت حركة الفتح أثناء الفتنة الكبرى" أي سبب داخلي للمركزية في شرق.

بن نافع، حيث أن حملة ابن حديج كانت آخر الحملات الاستكشافية لكن اختلفت مع سابقتها، حيث أن الأوضاع في إفريقية تدهورت أثناء 18 سنة السابقة بسبب الصراعات العقائدية¹. وبالتالي، كانت فاتحة لظهور حملة عقبة بن نافع الفهري (50 هـ-55 هـ) التي أدخلت إفريقية مرحلة الفتح المنظم، واستقرار العرب وكانت بذلك بداية آليات الأسلمة وتعريب في بلاد الأمازيغ. وفيما يخص بيزنطة فيلاحظ تزايد مشاكلها السياسية التي كانت نتيجتها تفويض سلطاتها في بلاد الأمازيغ وسبب مقتل الإمبراطور قسطنطين الثاني وانشغال خليفته بوجونا² Pogonat بمحاربة منافسيه في صقلية، إذ ظهرت في القسطنطينية صراعات على السلطة وكذا حركات انفصالية، فقد اعتمد على كل قوات جيشه من أجل إخماد هذه الفتنة، وهذا سبب ترك إفريقية تقريباً خالية من جنود بيزنطة. وهذا ما يفسر سهولة فتح عقبة لأقاليم بلاد قران³، إذ لا صدام مع جيوش ولا حصار بل استسلام قلاع خالٍ من الحماية.

نتج عن هذا المسير السهل وسهولة الفتح إنشاء قاعدة الإسلام الأولى في إفريقية ونواة التعريب وهي القيروان* (53 هـ/652 م)، وهنا نستخلص أن المسير السهل لعقبة كان ضمن تطبيق استراتيجية عسكرية مدروسة ومحكمة⁴، فاخترت وسط البلاد لأن الشمال وجدت فيه مدن بيزنطة المحصنة، أما جنوباً فقبائل الأمازيغ الثائرة، والوسط هو منطقة الهضاب المرتفعة التي تشبه تضاريسها ما تعود عليه عرب شبه الجزيرة. بيد أن عقبة لم

1- عبد الله العروي، ج 1 ص: 122.

2- جورج مارسيه، ص: 35.

3- لقد اختار عقبة بن نافع وسط بلاد الأمازيغ فمن قران إلى كوار (أوخوار أو جواران) وليس صدفة أنه اختار هذا الموقع، حيث أنه لم يبدأ بالساحل شمالاً ولا بالصحراء جنوب إنما فضل التوجه وسطاً. وهذه الاستراتيجية تتم عن معرفة جيدة بالمنطقة فشمال تواجد فيه بيزنطا والجنوب الأمازيغ.

*- كلمة قيروان مشتقة من اللغة الفارسية كروان بمعنى القافلة، وعربت على هذا الشكل ولعل معناها أيضاً محط الجيش، حيث نزل بها عقبة ركن رحله قائلاً "هذا قيروانكم" ونجد مرادفات أخرى موضع اجتماع الناس والجيش أو المعسكر للجيش وكذا القافلة مع الجماعة راجع كل من عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الطبعة الأولى، دار النشر للثقافة، القاهرة، مصر، 2007، ص: 55 وأيضاً حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، بدون تاريخ. ص: 153، 154.

4- عبد الله العروي، ج 1 ص: 122.

يتسنى له أن ينهي تطبيق استراتيجية العسكرية، إذ عُفِيَ من منصبه وعين بدلاً عنه أبي مهاجر دينار الذي سيغير استراتيجية عقبة في شتى المجالات عسكرياً وسياسياً، ولكن لزم أن نذكر ملاحظة جد هامة في سياق الفتح العربي الذي أدى إلى الأسلمة التي تعتبر تاريخياً التعريب الأولى، حيث أن الدراسات التاريخية لا تذكر كيف تعامل الفاتحون العرب بلسانهم العربي مع الأمازيغ بلسانهم الأمازيغي*، وهنا نتساءل كيف يتفاهم الفاتحون العرب زمن الحملات العسكرية مع الأمازيغ؟ لا تفيدنا المصادر والإخباريون العرب عن شيء من ذلك، لكن يورد العربي دحو ثلاث فرضيات، العامل المشترك بينها وجود واسطة تقوم بالترجمة:

(1) الفرضية الأولى: أن الواسطة متمثلة في عرب الشام وفلسطين وكانوا قد اندمجوا بالروم وتعلموا لغتهم وقد كانوا هؤلاء ضمن الجيش العربي الفاتح¹.

(2) الفرضية الثانية: أن الواسطة تتمثل في أفراد من أقباط مصر**، وكان هؤلاء يحسنون اللسان اليوناني، ولا يفوتنا أن العرب أبقوا منهم في دواوين مصر وإضافة إلى ذلك، فإن مصالح الإدارة العربية في بلاد مصر استعملت رسمياً اللغة اليونانية في زمن الفتح إلى آخر أيام عبد الملك بن مروان.

(3) الفرضية الثالثة: ويمكن أن تكون الواسطة الأمازيغ أنفسهم إذ أنه يوجد ناحية*** ببلاد مصر سلالة من الأمازيغ ناحية إقليم "سيوه" وهؤلاء الأمازيغ حافظوا على تقاليدهم ولغتهم وقد فتحها العرب عند فتح مصر زمن عمرو بن العاص. وبالتالي، لا يستبعد دحو العربي أن يكون هؤلاء قد سهلوا المخابرة مع العرب الفاتحين.

*- هنا لزم أن نذكر أن المصادر تذكر فقط أن ستة نفر جاءوا إلى خليفة عمر بن الخطاب يطالبون بإسلامهم وهنا لم يفهم عمر بن الخطاب فجاءهم مترجم لكن لم نجد ما يحدد ماهية هذا المترجم وكيف ازدوجت لغته أم أنه كانت لديهم لغة تلعب دور الوسيط؟
**- ما يؤكد أن أقباط مصر كانت بجانب الجيش الفاتح أن "عبد الله ابن أبي سرح" لما كان أمام مدينة سببلة وقبل محاربتة لطريق روم جرجر كان معه رجل من قبض مصر" وكذا فان اقباط مصر لعبو دورا في تعريب حيث ان حسان عندما أسس تونس اوجد ألف عائلة فبطية راجع تأسيس تونس في الاطروحة عند عنصر العوامل الاستراتيجية.

1- العربي دحو، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، دار الشهاب، باتنة، الجزائر 1986، ص: 55، 56.

***- راجع المدخل عند تطرقنا إلى حدود بلاد الأمازيغ.

ومنه نستخلص مما سلف أن التفاهم بين الجانبين العربي والأمازيغي في كل الحالات كان بفضل وساطة متمثلة في لغة ثالثة غالباً ما تكون لغة بيزنطة التي أوجدت عامل مشترك بين المشرق والمغرب هو التوسع وإقامة إمبراطورية.

هذا فيما يخص إشكالية كيفية تفاهم العرب مع الأمازيغ ابان الفتح وللعودة إلى أوضاع بيزنطة فقد كانت النزاعات الدينية سبباً آخر للفوضى التي اتسمت بها¹، وتمثل النزاع الديني حول طبيعة المسيح، هذا الجدل العقيم حول طبيعة المسيح ادي إلى انقسمت المسيحية إلى مذاهب المعروفة (الأرثوذكسية والكاثوليكية)، وبهذا وجد اختلاف كبير وشديد بين الكنيسة الشرقية والغربية ولزم الذكر أن الاختلاف بين المذاهب المسيحية هو عقائدي، أي في جوهر الدين نفسه والمتمثل في طبيعة سيدنا عيسى عليه السلام، وكان لهذه المناقشات والانقسامات الدينية تأثير سلبي في سياسة الدولة بالنسبة لبيزنطة²، وأفضى هذا الجدل العقيم نتيجة إلى ضعف بيزنطة، وهذا ما شجع الحركات الانفصالية*، بحيث أن السلطة كانت منشغلة في مناقشات بيزنطة الدينية وبهذا وجدت عدة ثورات للبربر.

يستخلص مما سبق أن ضعف سلطة بيزنطة شجع الفاتحين العرب للتوسع غرب مصر، حيث تدهورت الأوضاع في إفريقية أثناء الثماني عشرة سنة السابقة بسبب الصراعات العقائدية³ في بيزنطة كما سبق الذكر.

يذكر معظم المؤرخين الغربيين أن "تاريخ المغرب ليس عبارة عن تاريخ منتظم مستمر بل شديد التقطع إلى حد يتغير فيه شكل البلد برمته"⁴، حيث يتأسف هؤلاء المؤرخون لاندثار الحضارة الرومانية، ويذهلون لنجاح

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 17.

2- عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج1، ص: 136.

*- وجدت حركات انفصالية للإمبراطورية البيزنطية بمساعدة قوى اجنبية فأفضى ذلك تسليم الأرمن بلادهم إلى الفرس وكذا تعاون القبط مصر مع العرب الفاتحين على رأسهم عمرو بن العاص. لمزيد من التفاصيل عبد الرحمن محمد الجليلي، ج1، ص: 136.

3- عبد الله العروي، ج1، ص: 122.

4- S. Gsell, *op. cit*, p:123.

راجع أيضا ألفرد بال، ص: 891، وكذلك غوته، ص: 96.

الأسلمة التي نتج عنها تبني الحضارة العربية أي التعريب، حيث يرون قطعة تاريخية بين الحضارتين، وكأن الأمازيغ بين ليلة وضحاها نبذوا الحضارة الرومانية وتبنوا الحضارة العربية الإسلامية، في حين أن المتتبع للأحداث الكرونولوجية لا يلاحظ تلك القطيعة التي طالما ردها المؤرخون الغربيون بل يلاحظ تغييراً بطيئاً¹، حيث أن حضارة بيزنطة جاوزها الأمد وكانت في فترة انحطاطها. ومنه، يدعم غوستاف لوبان الطرح، إذ يذكر أن "الفترة التي ظهر فيها العرب من العوامل التمهيدية التي ساعدت على إظهار قوتهم، ولعامل الزمن التمهيدي أهمية كبيرة في حياة الأشخاص والامم"²، حيث أنه منذ البداية قد جعل الأمويين العصبية العربية عماد حكمهم³، وهذا ما جعل عامل التعريب يتوازى مع عامل الأسلمة.

وكخلاصة فإن أوضاع بيزنطة الداخلية انعكست على الخارجية وكانت سبب ضعفها واندثارها، فلقد كانت بيزنطة منهكة من الحروب حتى بداية القرن السابع ميلادي ويرجع السبب في ذلك إلى انطلاقة الفتوحات الإسلامية التي حاصرتها، وبهذا حصل صدام أدى إلى توقف توسعات الإمبراطورية البيزنطية في ولايتها الشرقية⁴، وهنا تحملت لفترة طويلة الضغط العربي الإسلامي الذي أرهاقها وكان سبباً في فقدان بيزنطة الثقة بالقوة الهجومية التي كانت تتمتع بها، نتيجة انتصارات العرب في الشرق وركزت على الجانب الدفاعي وهذا ما يفسر التحصينات في بلاد الأمازيغ لصد الغارات الموجهة إليها، وبسبب هذه التحصينات وجدت قطيعة بين سكان بيزنطة والأمازيغ وهذا ما يفسر عدم اندماج الأمازيغ في حضارة بيزنطة رغم طول مدة مكوثها في بلاد الأمازيغ . وبهذا فقد أصبح واضحاً أن الإرث البيزنطي لعب دوره في الفترة أولية ثم اختفى عندما تعربت الإدارة⁵، وهذا ما سنفصله في عنصر تعريب الإدارة، حيث من عوامل المساعدة على الانقطاع المفاجئ حسب نظرة

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 131.

2- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 714، 715.

3- عبد الله العروي، ج1، ص: 143.

4- هشام جعيط، ص: 13.

5- نفسه، ص: 108.

المؤرخين الغربيين التفوق الساحق للمؤسسات العربية* على الموروث البيزنطي¹ الذي اهتم فقط بالمستوطنين دون الأمازيغ، وبهذا وجدت القطيعة بين سكان بيزنطة والسكان الأصليين (الأمازيغ) الأمر الذي سهل عملية الأسلمة والتعريب بحكم أنهما متوازيتان، وعلاوة على ذلك، عدم استقرار الأوضاع لاسيما نظام الجنود وإتاوات الموظفين² ونجد عاملاً آخر وجد في الأوضاع الداخلية لبيزنطة، هو الصراعات السياسية بين البيزنطيين³ أنفسهم في إفريقية، والجدير بالذكر أن حدود مملكة البيزنطيين بإفريقية كانت محدودة** ولم تتوسع ذلك التوسع الموجود في ذهن المؤرخين الغربيين أما الدولة المركزية في المشرق فقد كانت فتية توسعت الخلافة بجهاتها الأربعة، إذ كان المركز (دمشق) يعيش على حساب الأطراف⁴.

ولم تكن بلاد الأمازيغ تاريخياً ضمن حاضرة الإمبراطورية البيزنطية، وإنما كانت همزة وصل بين العرب والإمبراطورية البيزنطية، لتُكون هذه الأخيرة بأوضاعها الداخلية والخارجية كما سبق الذكر الجذور الأساسية للأسلمة والتعريب.

* - يقصد بها مؤسسات المالية (صك النقود)، العسكرية (تركيبة الجيش)، الإدارية (الدواوين القضائية).

1- هشام جعيط، ص: 129.

2- عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج 1 ص: 100: "حيث أن الحكومة البيزنطية تركزت في سيادتها على نهب المال وقد كان مبلغ ما تنفقه السلطة على هؤلاء الموظفين 10299737 من الفرنكات. وهذا غير ما يرسل إلى الإمبراطور نفسه من الأموال وما يجمع من القمح... وللحكومة جند ممتزج من الأهالي وال-بيزنطيون وفيهم المأجور وكلهم تحت تصرف رئاسة القائد العام المدعو أكسارك".

3- ألفرد بال، ص: 77. حيث أنه يذكر من الملاحظ عند وفاة هرقل حاكم بيزنطة كان الوالي البيزنطي على إفريقية هو البطريق جرجير وتجدر الإشارة أنه عام 587 م استطاع جناريوس (جرجير) إخماد ثورة الأمازيغ، فكان بهذا أول حاكم عسكري لقب بالبطريق هذا الأخير استغل فرصة الفراغ السياسي في القسطنطينية وأعلن نفسه إمبراطوراً وجعل عاصمته سبيطلة sufetula (تقع في جنوب الغربي من مدينة القيروان حالياً).

** - لقد كان حدود بيزنطة محدودة في بلاد الأمازيغ لا تتجاوز أن تكون جزءاً صغيراً يبدأ من حدود مصر إلى جبل الأوراس. ثم تأخذ من الاقتراب من الساحل حتى تنتهي عند طنجة وسبتة، وقد قسمت نوميديا (قسنطينة) موريتانيا سطيفية (سطيف) موريتانيا القيصرية (شمال)

4- عبد الله العروي، ج 1، ص: 141.

ثانياً: العنصر العربي والفتوحات الإسلامية.

1- مدلول مصطلح الفتح:

يمكن للملمّ بفقهاء اللغة أن يعطي لمصطلح الفتوحات عدة تأويلات أو شروح وذلك لأن اللغة العربية حمالة أوجه، حيث أنه كما ورد في لسان العرب في مادة فتح "إن الفتح هو إظهار دين الإسلام بالنصر على العدو ولم تذكر الوسيلة، حيث يفسر الأزهري الفتح أي قضينا لك قضاء فيما اختار الله لك من مهادنة أهل مكة في صلح الحديبية وقد جاء التفسير ان الفتح هو صلح الحديبية وكانت فيه آية عظيمة إذ أن هذا الفتح جاء من غير قتال"¹، غير أن تسييس التاريخ خاصة التاريخ الإسلامي، أعطى لمصطلح الفتح بُعداً متضارباً المتمثلة في الحملات المظفرة التي قادها الصحابة الكرام تحت راية الإسلام، مع العلم أننا نتساءل لما تلقب المعارك التي قادها الرسول ﷺ بالغزوات ولم ترد الكلمة في القرآن، في حين بعده لقبته بالفتوحات مع العلم أن مصطلح الفتوحات بهذا المعنى لا يفيد الاحتلال بمعناه الحربي والمادي، بل أنه يشير أولاً إلى انفتاح القلب والعقل على الإسلام، كما يشير ثانياً إلى الصلح والسلام حتى مع أعداء الإسلام، وبالتالي التغلب على العقبات والوصول إلى القلوب، ونجد الدليل على هذا المعنى في سورة الفتح²، التي تبدأ بآية تعتبر مصدر هذا الاستعمال المجازي، يقول تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^١ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^٢ ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا﴾^٣ ﴿23﴾ (سورة الفتح آية 03، ولم تنزل هذه الآيات وما تلاها بعد نصر عسكري، بل بعد عقد صلح الحديبية مع أهل مكة كما

1- ابن منظور، ص: 3338.

2- ابن الكثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن الكثير الدمشقي تفسير القرآن العظيم، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر، الجيزة القاهرة، المجلد 13، ص 84 "سورة مدنية نزلت في طريق عند الانصراف من حديبية في ذي القعدة من سنة 6هـ حين صده المشركين من الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى مصالحة والمهدنة. وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة" وما آل الأمر إليه كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال "إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح حديبية".

سبق الذكر، وهكذا ظل الجدل قائماً بين فئتين، فئة الذين ادَّعوا أن الفتح حملات عسكرية مستدلين بذلك بقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينًا حَقًّا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (سورة التوبة آية 29)، لكن الملاحظ أن الآية الكريمة لا تتضمن مصطلح الفتح، بينم الفئة الأخرى استعملت مصطلح الفتح في الدعوة والصلح والمهادنة، وتأسيساً لما سبق ذكره فإن مصطلح "فتوحات"¹ أساس في الناحية المعنوية لنشر الإسلام، أما كون تلك الفتوحات قد قامت على عمليات ذات طبيعة عسكرية، أو ترافقت معها، فهو أمر يتصل بذلك الجانب من الفتوحات العسكرية، لكن حسب رأينا مغزى الفتوحات كان يرتقي فوق تلك العمليات لأن الدنيا - بكل ما فيها من سلطة وثروات مادية لم تكن جزء من الغاية على الإطلاق - من أجل ذلك كان المسلمون الأوائل على استعداد للإبقاء على السلطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على سابق عهدهما، ولم يكن يعنيه سوى الوصول إلى قلب عدوهم وعقله، وإقناعه بحقيقة الإسلام، وإذا لم يقتنع المخاطب، فكل ما كان يطلبه المسلمون أن يتاح لهم الوصول إلى الآخرين لإقناعهم بالرؤية الإسلامية وبذلك يتم نشر الإسلام. وهنا نتساءل عن استعمال المصطلح من طرف الدول من أجل التوسع، فعلى سبيل المثال لا الحصر لم يكن هنالك بُد من استعمال مصطلح "الفتح"² من طرف الاسطوغرافيا* الموالية أي بمفهوم الغزو وإخضاع المدن والأرياف رغم إسلامهم، وقد اقترن بالجهاد المقدس في ذهن الغزاة وبهذا كان من الطبيعي أن

1- إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة رياض نور الرياض، مكتبة العبيكان المعهد العالمي للفكر الإسلامي الرياض السعودية، ط1، 1998م، ص: 293.

2- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق والتفاعل، دار توفال للنشر دار البيضاء المغرب، ط1، 1987م، ص: 32.

*- مفهوم الاسطوغرافيا: تحمل الكلمة معنيين: فهي تعني بالمعنى الضيق، مجموع نتائج الدارسين للكتابات التقليدية أي كل ما كتب وقيل في شؤون الماضي، وهذا المعنى يحيل إلى المضمون. أما بالمعنى الواسع فالكلمة تعني دراسة طرق البحث والاستقصاء، ويشير هذا المعنى إلى الشكل أو المنهج. أي إلى المظهر الخارجي. أو بعبارة أخرى الاسطوغرافيا هي مجموع الانتاج التاريخي خلال فترة معينة أو بقطر معين، أو بلغة معينة.

يصبح المناوئ "عاصياً" أو "مرتداً"، وبهذا يعامل كالكافر يحل ماله وعرضه ودمه والأمثلة كثيرة في التاريخ الإسلامي.

2- نتيجة الفتوحات الإسلامية (فضل الصحابة والتابعين في الفتوحات):

لن نخوض في مختلف مراحل الفتوحات الإسلامية من مرحلة الأولى التي تحتوي الحملات الاستكشافية (السرايا) 49-21هـ/ 642-669م. أي المحاولات الأولى في زمن ولاية عمرو بن العاص، وحملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح 28هـ، وحملة معاوية بن حديج على إفريقية 34هـ. إلى مرحلة الفتح المنظم التي تحتوي على الفترة الأولى (64-50هـ) والتي تتضمن الولاية الأولى لعقبة بن نافع (55-50هـ) وتأسيس مدينة القيروان، وولاية أبي مهاجر دينار (62-55هـ) وولاية عقبة بن نافع الثانية (64-60هـ).

الفترة الثانية (90-69هـ) التي تتضمن حملة زهير بن قيس البلوي، حيث استرجع القيروان سنة 69هـ وهزيمة كسيلة، وحملة حسان بن نعمان ومواجهته مع الكاهنة إلى ولاية موسى بن نصير 85هـ واستكمال لفتح بلاد الأمازيغ. إن مختلف هذه المراحل تضمنت عوامل التعريب، حيث أن المرحلة الأولى المتمثلة في مرحلة الحملات الاستكشافية كانت تركز على تأمين الحدود الشرقية لطرابلس، والمعلوم أن عمرو بن العاص هو أول من دخل إفريقية¹ غازياً في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث أرسل عقبة بن نافع الفهري إلى لوبيا وإفريقية فاقتحمهما ثم توجه عمرو بن العاص بنفسه إلى برقة سنة (22-21هـ/ 641-643م)² ففتحها وفرض على أهلها الجزية وكان آنذاك مقر قبيلة لواتة³. وعليه فإن آليات التعريب كانت نتيجة حتمية لإسلام قبائل الشرقية للأمازيغ، حيث أننا نلاحظ نتيجة منطقية خاصة وأننا كلما اتجهنا غرباً كثر عدد الأمازيغ، وبهذا

1- ابن عذاري المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، ج. س كولان وليفي بروفنسال، بيروت، لبنان، ج1، ص: 08.

2- البلاذري أحمد بن يحيى أبو الحسن، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983م، ص: 26.

3- ابن عبد الحكم، ص: 34.

فإنه من المنطق أن قبائل الأمازيغ شرقاً قد تعربت في فترة مبكرة موازاة مع حملات الفتح الإسلامي، وكذا بحكم موقعهم المتاخم لأقاليم الحملات الأولى، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن قبيلة لواتة عندما فتحتها عمر بن العاص عاصمتها برقة سنة 21 هـ/ 641 م، تمثلت الجزية في أخذ ابنائهم رهائن¹، هؤلاء تعربوا بعد إسلامهم، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً في العوامل العسكرية، لكن حالياً لزم معرفة أن الفاتح الذي رفع لواء الإسلام والوالي الذي عين من طرف السلطة المركزية في المشرق كان يتمتع بخاصية تاريخية هامة متمثلة في أنه إما صحابي* أو تابعي**، وهي خاصية تمثلت في احترام أصولهم العربية من حيث علاقتها بالرسول ﷺ، وهذا ما نلاحظه لحد يومنا من تقديس لشخصية عقبة وبناء ضريح عليه وتسميت المنطقة سيدي عقبة.

ومن الناحية التاريخية فعنصر فضل العرب في الفتوحات الإسلامية كانت نتيجته الأولية الأسلمة لتتبعها نتيجة حتمية هي التعريب، وعليه سنتعرض إلى نسب الوافدين العرب سواء في الحملات العسكرية أو كولاية عينوا من طرف السلطة المركزية في المشرق، سواء في عهد الخلفاء الراشدين أو عهد الدولة الأموية، فمثلاً عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري² ولقبه الحسام وهو أخ عثمان بن عفان من الرضاة³، وقد كان تابعياً*** وهو الذي نجح في تطبيق خطة تكتيكية هجومية ضد جرجير إمبراطور الروم**** في قمونية وهي موضع مدينة القيروان

1- ابن عذاري المراكشي، بيان ج1ص: 8.

*- الصحابي هو من لقي النبي صل الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام، أي هم من لازموا الرسول صل الله عليه وسلم وآزروه وناصروه.

**- التابعون لم يلقوا الرسول صل الله عليه وسلم وإنما لقوا من لقبه وهم أصحابه أو لقوه ولكن لم يؤمنوا به إلا بعد وفاته.

2- ابن عذاري، بيان، ج1، ص: 09.

3- نفسه، ص: 09.

*** رغم أنه كان يكتب الوحي للرسول صل الله عليه وسلم إلا أنه ارتد عن الإسلام وهنا سقطت عنه صفة الصحابي فلما فتحت مكة استجار بعثمان فأخذ له الأمان من النبي صلى الله عليه وسلم ومنذ ذلك الوقت حسن إسلامه. راجع ابن عذاري، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ص: 12.

****- لقب جرجير بالبطريق حيث انفصل عن حكم هرقل إمبراطور الروم وكان سلطانه يمتد من طرابلس إلى طنجة. راجع ابن عبد الحكم، الفتوح، ص: 42، أيضا ابن عذاري، بيان، ج1ص: 9.

وهذا باقتراح عبد الله بن الزبير¹. الذي أرسله الخليفة عثمان عندما لاحظ انقطاع أخبار فتح إفريقية مع اثنا عشرة (12) فارساً من قبيلة. وهنا لزم الإشارة أن هزيمة جرجير نتيجتها كانت أسر ملوك مغراوة² وسائر زناتة وهو زمار بن صفلاب (صولات)، حيث أرسل إلى عثمان رضي الله عنه في المشرق، وهناك أسلم على يديه، وهذا يدل على أن تعلم اللغة العربية واجب بحكم أنها العمود الفقري لدين الإسلام، وهذا يؤدي بنا إلى القول أن آلية التعريب وجدت في وقت مبكر، وكان سبب عودته إلى قبيلته حيث أسلمت وتعربت وجسدت المقولة: "الناس على دين ملوكهم"، وكذا دور معاوية بن حديج وقيل ابن خديج التّجيبّي أو السّكوني أو الكندي³. وتذكر المصادر أنه ليست له صحبة مع الرسول ﷺ، ولكن كان ضمن فئة التابعي، ويتمثل دوره في إرساله على رأس ثلاث⁴ حملات، وتلاه عقبة بن نافع الذي يعتبر من الصحابة⁵، حيث ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنة واحدة ويذكر الدباغ أنه ولد في عهد الرسول ﷺ⁶، ويضيف أنه "لم يرو عنه شيء"⁷ من الأحاديث النبوية الشريفة، وما يهمنا في هذا البحث ليس مسيرة عقبة بن نافع في فتح بلاد المغرب، وإنما أصول عقبة من شبه الجزيرة العربية وقبيلة **فهر**، وقد جاءها غازياً، ومن بعده تولى ولاية إفريقية (50 هـ / 670-671م) وأكبر إنجاز

1- تمثلت الخطة العسكرية التي اقترحها ابن الزبير على ابن سعد بترك جماعة من الجنود المسلمين في خيامهم متأهبين ويذهب رفاقهم لقتال العدو وعندما يرجع من قاتل يستأنف القتال من كانوا في الخيام وبهذا تكون لهم طاقة لم يعرفها جنود عدوهم جرجير، راجع بن عميرة محمد، ص: 42.

2- مغراوة هم أبناء مغراو بن يصلتين وجددهم الأكبر هو زانا ابن يحيى من فرع قبائل البتر وكان لهم ولاء لبني أمية في الأندلس، مواطنهم ضمن بلاد المغرب الأوسط من تلمسان إلى الشلف، راجع بوزيانى الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج 1 ص: 172-176.

3- ابن عذاري، بيان، ج 1، ص: 14. أيضا ابن عبد الحكم، الفتوح، ص: 56. وقد ذكروا ابن خديج لعب دورا في مساندة معاوية بن أبي سفيان إلى جانب بن مخلد الأنصاري.

4- ابن عبد الحكم، ص: 60. ابن عذاري، البيان، ص: 14، ص: 15. حملة الأولى 34 هـ / 654-655م، والحملة الثانية (41 هـ / 661-662م) وبعد الزمن بين الحملتين بسبب عثمان وأحداث المشرق. أما الحملة الثالثة 45 هـ / 665-666م.

5- ابن عذاري، ص: 19.

6- الدباغ عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج 1، إكمال وتعليق أبو الفضل التّنوخي، دار الكتب المصرية. بدون تاريخ، ص: 164.

7- نفسه، ص 164.

قامه به هو تأسيس مدينة القيروان*، ومن المعروف أن عقبة بن نافع عزل وعين مكانه ابن مهاجر دينار**، وبعد ولاية أبي مهاجر دينار عاد عقبة مرة أخرى والياً، على إفريقية وانتهت حياته بمقتله من طرف كسيلة، وأمام تسارع الأحداث في إفريقية فالنتيجة التي يمكن التوصل إليها أن العرب حملوا لواء نشر الإسلام من شبه الجزيرة العربية، حاملين معهم أفضلية لقاءهم برسول الله ﷺ¹. ومنه، لزم التمييز بين الثلاثية الفتح، الأسلمة، التعريب. فالفتح هو نقطة التلاقي بين العرب والأمازيغ، أما الأسلمة فهي تتويج للفتح وقد كانت سريعة نوعاً ما، ولم يكن التعريب تطور موازي لاعتناق الإسلام بل كانت نتيجة وتتويجاً له²، واخترقها شيئاً فشيئاً³.

لقد خرج العرب من الجزيرة العربية برسالة ساهم في حملها البدو والحضر تحت راية واحدة، وشجعت الخلافة المهجرة لعوامل التاريخية إلى الأراضي المفتوحة، وهي هجرة تكره بعدها العودة إلى البادية⁴، بمعنى استقرار المقاتلة العرب في البلاد المفتوحة مع عائلاتهم، وبهذا فلا أحد يُنكر أفضلية العنصر العربي في الفتوحات الإسلامية بحكم انطلاق الإسلام من تلك البقعة، ومعه وجد التعريب الذي اخترق شيئاً فشيئاً سسيولوجية المجتمعات،

* - سنتطرق إليها بالتفصيل في العوامل الاستراتيجية المساعدة على التعريب.

** - أبي مهاجر دينار مولى مسلمة بن مجلد الأنصاري ولي مصر وإفريقية الذي جاء مكان ابن حديج، حيث عزل هذا الأخير من طرف معاوية بن أبي سفيان.

1- محمد بن حسن، "الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي"، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت لبنان العدد 08، ط1، أبريل 1986م، ص: 118.

2- جورج مارسيه، ص: 45.

3- عبد الله العروي، ج1، ص: 45.

4- لقد ذكر عبد العزيز الدوري "إن الإسلام ظهر في مجتمع مكة التجاري وأنه اتخذ نظرة سلبية تجاه البداوة وحبذ الاستقرار وصارت المهجرة إلى الامصار شرطاً للمشاركة في الفياء إذ اقتصر العطاء على الخارجين إلى الامطار أما من بقي في الجزيرة فليس له من العطاء شيئاً واعتبرت العودة إلى البادية (أو التعريب بعد المهجرة) مكروهة بل قورنت بالردة" راجع: عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 1986، ص: 47، 48.

سواء في المشرق أو المغرب، وهذا ما جعل للفتوحات الدور الأول في تحديد الرقعة العربية¹. وبالتالي فتح المجال لهجرة العرب واستقرارهم في أراضي أخرى*.

وما يمكن استخلاصه، أن حركة التعريب جاءت في اتجاهين: اتجاه بشري² كما سبق الذكر نتيجة الفتوحات الإسلامية، واتجاه ثان ثقافي، وهو الأشمل، يتصل بانتشار العربية وبسيادة اللغة لتصبح لغة ثقافة، حيث يذكر هشام جعيط "رشح العرب أنفسهم كعنصر نشيط ومكيف عن طريق ثنائية عملهم القائم على التعريب والأسلمة"³ وهذا ما سنراه في الفصول القادمة.

لقد توحد العرب في دولة واحدة إثر حروب الردة وشكلوا نواة الأمة الإسلامية وكان خروجهم للفتوح طوعياً وبأعداد محدودة عاملاً هاماً للتعريب، فمثلاً أعداد من شارك في فتوح الشام والعراق ومصر لم يتجاوز 60 ألف⁴، أما الأعداد التي شاركت في فتح بلاد الأمازيغ فسنستعرضها بإيجاز، ولسنا هنا لسرد مراحل الفتح الإسلامي وإنما لنعطي نبذة موجزة عن أعداد المقاتلين العرب الذين خرجوا من شبه الجزيرة، حيث أنه بعد فتح مصر كان فتح برقة وزويلة وفزان، واستقرت بعض القبائل العربية هنالك⁵، وبعد وفاة عمرو بن العاص عين معاوية ابن حديج على إفريقية وجاء معه عشرة آلاف من العرب⁶.

وبالتالي فإن سياسة الفتح الإسلامي لدى المركزية في الشرق سواء فترة الخلفاء الراشدين أو الدولة الأموية هو تثبيت العرب في إفريقية للجهاد ونشر الإسلام⁷، وبهذا سنتعرض باختصار للأرقام التي وجدت في المصادر،

1- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص: 65.

*- سنتطرق إلى الهجرة بالتفصيل في العوامل الاجتماعية.

2- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية ص: 66.

3- هشام جعيط، ص: 158.

4- عبد العزيز الدوري، ص: 47.

5- ابن عذاري، بيان، ج1، ص: 2.

6- نفسه، ج1، ص: 11. ابن عبد الحكم، الفتوح، ص 260. راجع أيضاً، الدباغ، ج1، ص: 18.

7- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية ص: 72.

فحملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح* والي مصر قد خرج في غزو إفريقية على رأس عشرين ألف مقاتل¹، لكن لا يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذا الرقم لأن عبد الله بن سعد عاد إلى مصر ولم يستقر العرب بعد في إفريقية، بسبب أن مرحلة الأولى كانت مرحلة استكشاف أي مرحلة السرايا لا الاستقرار، وعندما جاءت مرحلة حملة معاوية بن حديج على إفريقية الذي عين سنة (45 هـ/665 م)، فتح عدة أقاليم لكن من أكبر وأبرز أعماله حفر الآبار في باب تونس المعروفة حالياً بآبار حديج².

وكذا تشيد مساكن ناحية القرن³. وعليه فإن هذين الإنجازين الغرض منهما تثبيت العرب الفاتحين حتى قبل مجيء مرحلة الفتح المنظم، لكن نلاحظ أن المصادر، تسكت عن إحصاءات استقرار العرب في إفريقية، وترتكز تركيزاً كلياً على المقاتلة العرب. وهنا نتساءل هل تعداد المقاتلة العرب هو نفس تعداد المستقرين في بلاد الأمازيغ؟، نشير هنا أن العدد متوافق، حيث ذكرنا سالفاً أن الخلافة أوجدت ظاهرة في فترة الفتوحات الإسلامية وهي تشجيع الهجرة إلى الأقاليم المفتوحة وهي هجرة تكره⁴ العودة بعدها إلى البادية فلا تعرب بعد الهجرة.

*- هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أخ عثمان بن عفان من الرضاة حسن إسلامه بعد أن ارتد، شارك في فتح مصر إلى جانب عمرو بن العاص.

1- ابن عبد الحكم فتوح، ص: 11. المالكي رياض نفوس ص: 14، ابن عذاري مراكشي، البيان، ج1، ص: 5. ابن خلدون العبر، الجزء السادس، ص: 19.

2- عبد الحميد حسين حمودة، ص: 47.

3- نفسه، ص: 16.

4- لقد طهر الإسلام في مجتمع مكة التجاري المبني على رحلة الشتاء والصيف وصارت الهجرة زمن الرسول حتى فتح مكة واجبة أما الهجرة إلى البلدان المفتوحة شرطاً للمشاركة في العطاء أما بقي في الجزيرة فليس له العطاء شيء واعتبرت العودة إلى البادية أو التعرب بعد الهجرة شبيهة بالردة. راجع ابن منظور، مادة (ع ر ب) ص: 1864.

ومع مجيء المرحلة الثانية من الفتوحات وهي مرحلة الفتح المنظم في فترته الأولى (50هـ/64 هـ) التي تميزت بوجود ولاية عقبة بن نافع الأولى والثانية وتخللها بينهما ولاية أبي مهاجر دينار*، والفترة الثانية (69-90 هـ) لمواصلة الحملات إلى المغرب الأوسط والأقصى بحملات زهير بن قيس البلوي وحملة حسان بن نعمان لتنتهي بولاية موسى بن نصير. وهكذا أصبحت السياسة العسكرية واضحة في تثبيت العرب في إفريقيا وكانت اللبنة الأولى للتعريب بعد الأسلمة. ولكن من الواضح أن الإسلام حمل رسالته إلى العرب وأنه جمعهم (بدواً وحضراً) في قضية واحدة، وكان الجهاد مهمة الأمة الأولى أيام الراشدين، فاتخذت الخلافة أيام الراشدين والأمويين سياسية ثابتة لتشجيع الهجرة إلى البلاد المفتوحة بهدفين: الأول هو الحاجة المتزايدة للمقاتلة باتساع الجبهات، والثاني بهدف الاستقرار في البلدان المفتوحة. فالعرب في صدر الإسلام وحملهم لرسالته، أنتج دوراً تاريخياً متميزاً، هذا الناتج ولّد لهم الاعتزاز بالنسب العربي**، والشعور بالتفوق على الشعوب الأخرى، وكان لانتشار العرب وهجرتهم من الجزيرة حتى وإن كان عددهم قليل مقارنة بشعوب البلاد المفتوحة سبب في تأكيد الشعور بالرابطة والاستعلاء¹.

3- نسب الرسول ﷺ:

لقد كان لرسول الله ﷺ سلطتين، سلطة روحية مصدرها الوحي والسلطة دنيوية خاصة عند هجرته إلى المدينة المنورة (يثرب سابقاً) وتأسيس الدولة المحمدية. وبالتالي فنسب الرسول العربي القرشي جعل من النسب العربي هالة مقدسة إن صح هذا التعبير، حيث أن الرسول ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن

*- يذكر حسين مؤنس. فتح العرب للمغرب، ص: 191. أن "مسلمة" هو من أمر "أبو مهاجر دينار" بالإساءة لعقبة بسبب منافسة السياسية أما عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الأغالبة، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1990م، ص: 16. فيذكر حيرته في الخلاف الحاصل بينهما.

**- هناك إشارات عديدة إلى عشائر مختلفة من العرب في كتب الطبقات.

1- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص: 50.

هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. بن أد بن أدد بن اليسع بن المهيميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام¹، (راجع الملحق رقم 8 -أ نسب الرسول الله محمد ﷺ).

وقد توقفنا عن عدنان بحكم أن المصادر تذكر أن العرب والأمازيغ يشتركون في جد واحد هو مضر، حيث ذكر ابن خلدون إن كلمة بربر ترجع إلى الجد الأكبر "بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار"².. ومنه، فإن الجد المشترك نجده في الشخص مضر ونسجت حوله الروايات التي مفاد إحداها أن "بر" تزوج ابنة عمه "بهاء" وقر بسبب عداوة إخوته له خاصة أخوه "عمرو بن قيس" وانتقل إلى شمال إفريقيا هو وزوجته. ومنه، تناقل الناس كلمة بربر أي خرج بر إلى البراري. وبهذا فان نسب الرسول ﷺ اكتسب هالة قدسية جعلت كل الشعوب التي اعتنقت الإسلام تسعي إلى ربط نفسها بالعرب، وتحديدًا بقبيلة قريش ومنه التأثير بسيرته العطرة، وحب الناس لشخص سيدنا محمد رسول الله ﷺ أدت بهم إلى نكران الذات واختراع شجرة عائلة تصلهم بالعرب وتحديدًا بقريش وسواء المؤرخين العرب أو الأمازيغ أنفسهم وحتى ابن خلدون قد تبني أصلهم العربي فذكر "أن البرانس من أصل نسل مازيغ بن كنعان والبترو بنو بر بن قيس"³، ومنه تبني فرضية الأصل العربي للأمازيغ، وأوجد أن للبرانس أصل حميري متحضر، والبترو أصل مضري بدوي.

1- الناصري، ج1، ص: 62.

2- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 176.

3- نفسه، ص: 179.

ومن هنا نشأ علم الأنساب*، الذي حاول إدماج القبائل الأمازيغية في إطار الانتساب إلى العرب، لكن لزم الذكر أن هذا الانتساب إلى العرب لم يكن عنوة، وإنما بتشجيع من الأمازيغ أنفسهم¹، ودليل على أن محاولات الإمبراطورية الرومانية رومنة الأمازيغ طيلة قرون، إلا أن هؤلاء رفضوا بشدة وتمسكوا بهويتهم، في حين أن محبة الأمازيغ لرسول الله ﷺ جعلتهم يريدون أن ينتسبوا إليه، وسنخصص الفصل الرابع لمزيد من التفصيل في علم الانساب وظاهرة الأشراف.

II- العوامل السياسية :

أولاً: تعريب الدواوين:

لقد نشأت الدواوين أول الأمر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث برزت الحاجة إلى تنظيم جديد في الدولة، ولاسيما في مجال العطاء، فتم استحداث ديوان الجيش (العطاء)، وسجل فيه أسماء الذين يحق لهم العطاء بمعنى الرزق، وقد أفرزت هذه العملية الاهتمام بالكتابة²، وبهذا بدأت عملية تدوين الدواوين في العهد الخلفاء الراشدين، واستمر الوضع إلى الخلافة الأموية.

وقبل التطرق إلى آلية تعريب الدواوين لزم استعراض النظام الإداري لبلاد المغرب في عصر الولاة، حيث أن الإمارة في إفريقية في عصر الولاة إمارة عامة³، فقد احتفظ الوالي بكل السلطات في فترة الفتوحات الإسلامية، واستمر الوضع هكذا إلى ما بعد موسى بن نصير⁴، حيث كان الوالي يعين من طرف الخلافة، والجدير بالذكر في فترة فتوحات إفريقية كانت مرتبطة بالولاية مصر، وبالتالي فوالي مصر هو من يعين من يكون

*- علم الأنساب "أنه سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعرف والتمايز"، وهي من منظور آخر أشجار أنساب تنسج حول بعض الشخصيات التاريخية بهدف حفظ تكوينها الذي أسس لعلم الأنساب الإسلامي. أنطوان خليل ضوامط، العصور الوسطى الإسلامية، دراسة نقدية في المناهج، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص: 25.

1- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 121.

2- أنطوان خليل ضوامط، ص: 33.

3- عبد الحميد حسين حمودة، ص: 183.

4- حسين مؤنس، ص: 272.

على رأس إفريقية، يذكر حسين مؤنس سيطرة عمال مصر في شؤون المغرب أدى إلى إصابة المغرب بضرر كبير¹، سيكون له الأثر الكبير في **الأسلمة والتعريب**، حيث دفع أهل المغرب إلى أحضان الدعاة مذهب الخوارج* (وهم من عوامل التعريب). وفي عهد حسان أصبحت المغرب لها شروط أساسية لتصبح ولاية قائمة بنفسها مستقلة بإدارتها لا تعتمد على مصر في شأن من شؤونها²، وهكذا استقلت الدواوين**، فقد جمعت الإداري والمالي ومن أهمها ديوان الخراج***.

لقد كان لسياسة التعريب التي اتخذها الأمويون منهاجاً لهم أثر بالغ في نشر العربية، حيث أن أول من بدأ هذه السياسة الخليفة عبد الملك بن مروان فشملت تعريب الدواوين³. وقد قُسمت حسب المجالات، والملاحظ في هذا الصدد اندثار اللغة الرومانية الذي لم يكن بين عشية وضحاها، وإنما وقع بطريقة تدريجية، إذ استمر التعامل بها حتى أواخر القرن الأول هجري سواء في الإدارة أو في صك النقود، ولم تتعرب⁴ الإدارة والسكة نهائياً إلا بعد قرار التعريب في فترة عبد الملك بن مروان (86-56 هـ) - (705-685 م)، وتجلي القرار في اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية، وأول من طبق هذه السياسة بأوامر الخليفة عبد الملك بن مروان هو لحسان بن نعمان، حيث اعتبر حسان "أرض المغرب المفتوحة صلحاً لا عنوة"، هذا القرار السياسي ذو انعكاسات

1- حسين مؤنس، ص: 273.

* - سنتطرق إلى دور مذهب الخوارج في التعريب لاحقاً.

2- محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط2002، ص: 146.

** - الدواوين جمع ديوان. والديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال وما يقوم بها من جيوش والعمال محمد شيب الخطاب، قادة الفتح الإسلامي، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2002م، ص: 114.

*** - ديوان الخراج بيت المال المختص بالدخل ويضيف محمود شاكر، ص146، أن كلمة دواوين جمع ديوان هي كلمة فارسية الأصل ويقصد بها الكتاب أو أماكن عملهم أو سجلات. راجع ولمزيد من المعلومات حول نشأة الدواوين راجع عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، الأعمال كاملة لعبد العزيز الدوري رقم 06، ط1، فبراير 2008م، ص: 161-172.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص: 56.

4- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 117.

- **المرحلة الأولى:** تجسدت بأن العرب اختاروا في البداية من الموظفين الذين اشتغلوا مع البيزنطيين¹، إلا أنهم كانوا يُصنفون من الموظفين الصغار، حيث أن كبار الموظفين البيزنطيين رحلوا من بلاد الأمازيغ، عندما صنفت أن أراضيهم فتحت عنوة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك

- **المرحلة الثانية:** فقد استعمل العرب مواليهم*، وأول من استعملهم في الإدارة والجيش موسى بن نصير. وبهذا تقدمت عملية التعريب الإداري التي جسدت مع بداية 100هـ/718م.

- **المرحلة الثالثة:** هي مجيء العنصر العربي الخالص، الذي اشتغل في الدواوين ليخلف بذلك الموالي. وبهذا فإن مشكلة التواصل بين النظام القديم البيزنطي والنظام الجديد العربي تمت على مراحل في نظام الدواوين، وبهذا فإنه من الواضح أن الإرث البيزنطي لعب دوره في المرحلة الأولى، لكن اختفى تدريجياً وليس دفعة واحدة عندما تعربت الإدارة، فحصل تعاون وتكامل بين العرب الكتاب والموالي المعربين على خدمة الإدارة، وقد توازى تعريب الموظفين الكتاب مع تعريب الإدارة أي الأداة اللغوية²، حيث كان كل من ديوان الرسائل وديوان الجند معرباً أصلاً لارتكازه على مركزية الدولة فمسألة تعريب الإدارة تعني قبل كل شيء اكتساب الرقابة على مراكز حساسة في سياسة الدولة، وبالتالي محاولة الإمساك بزمام الأمور ضمن السلطة المركزية على مستوى الإمبراطورية، وكذا على مستوى الولاية التابعة لها. ومنه، فإن سياسة تعريب الدواوين التي اتخذها الأمويون أثراً بارزاً في نشر العربية³، حيث أن عبد المالك بن مروان - كما سلف الذكر - هو الذي ابتداءً هذه السياسة، وطبقها حسان ومن بعده موسى الذي بذل مجهوداً في تدعيم العلاقة مع العرب في إفريقية.

1- هشام جعيط، ص: 103.

*- سنتطرق إلى دور الولاء وانعكاسه على تعريب الموالي في العوامل اللاحقة.

2- هشام جعيط، ص: 105.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص: 56.

ومن هنا لزم العودة إلى نقطة جد هامه وهي استقلال ولاية المغرب عن مصر ودور عمال مصر في المغرب حيث نجد حسين مؤنس¹ يتعرض إلى هذه المسألة، و يذكر أن الكثير من مؤرخي بلاد الأمازيغ أخطأوا، حيث أن ولاية المغرب كانت جزءاً تابعاً لمصر حتى نهاية حسان بن نعمان، وأنها لم تصبح ولاية مستقلة إلا في بداية ولاية موسى بن نصير، والحقيقة أن الخلفاء اعتبروها ولاية مستقلة، إلا أن ولاية مصر أنكروا ذلك ومنه، خضع الخلفاء لإرادة ولاية مصر مكرهين²، ومع كل هذا لم يكن المغرب ولاية تابعة لمصر رسمياً إلا لفترة قصيرة انتهت بتعيين معاوية ابن أبي سفيان لمعاوية بن حديج قيادة الفتح، ولكن ومع نهاية الفتح في عهد موسى بن نصير، اخضعت بلاد الأمازيغ رسمياً كلها من برقة إلى محيط، وبهذا يعتبر محمد بن يزيد الذي خلف موسى بن نصير أول ولاية المغرب الإسلامي بحدوده المعروفة حالياً، وهنا بدأ التنظيم الإداري كولاية ضمن النسخ الأموي آنذاك، ولزمت الإشارة هنا أنه لا يوجد نصوص في المصادر المعروفة لدى الإخباريين العرب لتتبع مسار تعريب الدواوين والإدارة، كما حدث في المشرق³، لكن يمكن إقامة قياس لما حدث في المشرق*. حيث وكما سلف الذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي أصدر أمراً بتعريب الدواوين، حيث كانت لغة الدواوين

1- حسين مؤنس، ص: 171.

2- نفسه، ص: 172. ويذكر مكرهين إما بسبب لقرهم منهم كمسلمة بن مخلد أو لقرابة تجمعهم مع الخليفة مثل ما هو حال بين عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز.

3- نفسه، ص: 274.

*- حيث يضيف أن رئيس ديوان الخراج بدمشق هو سرجون بن منصور الرومي، وقد نصّب من طرف معاوية بن أبي سفيان، فأمر عبد الملك رجلاً عربياً هو سليمان بن سعد الخثبي أن يقوم بتحويل الديوان من الرومية إلى العربية فأخى سليمان العمل بتحويل بعد سنة أي 81 هـ إلى 82 هـ، وعندما حول الديوان إلى اللغة العربية عزل سرجون أما في العراق فقد كان رئيس ديوان يسمى زادات فروخ وهو فارسي، لكنه قتل أيام ثورة عبد الرحمن بن الأشعب فعين والي العراق الحجاج بن يوسف القفي صالح بن عبد الرحمن فحول الديوان من الفارسية إلى العربية، حيث أن صالح كان يثقف اللغتين معا. وهنا نستخلص أن كتاب الدواوين إما كانوا عند التعريب يستعينون بالموظفين الأجانب لإتمام التعريب وإما أنهم كانوا يتقنون اللغات الأخرى. راجع محمود شيب الخطاب، ص: 116، 117. وكذا عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص: 167.

في الطرق الفارسية، وفي الشام اليونانية وفي مصر القبطية، وفي بلاد الأمازيغ اللاتينية، وهنا استبدلت لغة الدواوين باللغة العربية وقد كانت لهذه الحركة أسباب تمثلت فيما يلي:

1- وجد صراع بين اللغة العربية واللغات الأخرى بسبب توسيع دائرة الفتوحات، وكان الهدف من التعريب الدواوين الحرص على سلامة اللغة العربية من شيوع اللحن¹ نتيجة تعدد اللهجات*.

2- لقد كان يهدف الخليفة الملك بن مروان من وراء التعريب إلى مركزية الدولة الإسلامية ووحدها. ومنه، تماسكها. وبالتالي، سيادة الدولة على البلاد المفتوحة. ومن نتائج حركة تعريب الدواوين:

- أصبحت اللغة العربية هي لغة جميع الدواوين واندثرت اللغات الأخرى².

- أصبح تعريب الدواوين سبيلاً إلى تعريب البلدان المفتوحة.

- لقد كان تعريب الدواوين من أكبر العوامل في انتشار اللغة العربية كما أن أجزاء كثيرة من العالم

الإسلامي ما زالت إلى وقتنا الحاضر عربية بفضل جهود عبد الملك بن مروان³.

- ظهور حركة الترجمة، حيث كانت حركة تعريب الدواوين أول عملية ترجمة.

- تمكنت الدولة الأموية من تمتين مركزية حكمها.

- الإشراف التام على النواحي الإدارية والمالية**

وبهذا أصبحت لدولة الأموية السيطرة السياسية التامة العصبية العربية وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر

التالي.

1- علي محمود الصلابي، خلافة مالك بن مروان ودوره في الفتوحات الإسلامية، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية 2013، ص: 166. إن اللحن الذي وجد عند تعلم الوالي اللغة العربية كان عاملاً مساعداً في ظهور علماء اللغة من موالي لتخلص من اللحن بعد أن دعاهم الحجاج لمعالجة المشكلة فحدثت بذلك نهضة لغوية واسعة بظهور علماء اللغة من موالي.

*- سنتطرق إلى نشوء اللهجات المغاربية التي تعتبر انعكاس لعوائق لتعريب بثنائيتها الأمازيغية العربية.

2- محمود شيب الخطاب، ص: 117. راجع أيضاً على محمود الصلابي، ص: 169

3- نفسه، ص: 169.

**- سنتطرق لاحقاً إلى النواحي المالية وعلاقتها بالجباية الإسلامية في العوامل الاقتصادية المساعدة على التعريب الأمازيغ.

ثانياً: السيطرة السياسية للدولة الأموية:

مع مجيء الدولة الأموية تغير النظام السياسي من فترة الخلفاء الراشدين إلى فترة الدولة الأموية، أي من نظام الشورى إلى النظام الوراثي¹، وهذا بمجىء معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وما يهمننا هو علاقة الدولة الأموية سياسياً بإقليم المغرب الذي يمثل بلاد الأمازيغ، حيث وصف المؤرخون النظام الأموي بأنه نظام حكم محلي²، وهذا بمنح خلفاء الدولة الأموية للولاة الأقاليم الحرية في إدارة ولايتهم، واقتصر تدخلهم في حالة الحد من استبداد ولايتهم، وهذا يدل على أن الدولة الأموية كانت تسيطر سيطرة كاملة على شؤون أقاليمها.

وبالتالي، فقد كانت قائمة على اللامركزية الإدارية وفي نفس الوقت على المركزية السياسية³، ومن المعروف أن الدولة الأموية أساسها العصبية العربية، حيث أن المجتمع العربي تحكمه طباع القبلية واحترام الأنساب والتعصب لها⁴، لكن لزم التوضيح أن الخلافة بعهد الراشدين والدولة الأموية قد اتصلت بالدين، فقد حرص معاوية رضي الله عنه أن تكون خلافته شرعية ولا تكون هذه الشرعية إلا بالبيعة على كتاب الله تعالى، حيث ما زال الدين هو غطاء للسياسة وموجب شرعيتها⁵، وبهذا فقط كان العرب يطمعون في إقامة دولتهم على أساس وحدة عرقية ثقافية يحكمها العرب بالنسب⁶، وبهذا تكون النتيجة هيمنة ثقافة العرب ولغتهم، حيث تعتمد على شرعيتها وبالتالي هيمنتها على النصوص الدينية (المصاغة باللغة العربية)، وبالتالي، تشكل بذلك غطاء لسلطة

1- محمود عكاشة، تاريخ الحكم في الإسلام دراسة في مفهوم الحكم وتطوره، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة 02، 2002م، ص: 253.

2- مسعود أحمد مصطفى، أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص: 173.

3- نفسه، ص: 173.

4- محمود عكاشة، ص: 248.

5- نفسه، ص: 254.

6- أحمد عصيد، الأمازيغية في خطاب الإسلام السياسي حوار حول المرجعية الدينية والعلمانية والمسألة اللغوية، مؤسسة تاوالت للنشر الكتب الالكترونية، 2010 ص: 44.

العرب¹. وبهذا فإن سلطة الدولة الأموية قد بُنيت على أساس هالة تقديس النسب العربي عامة والنسب القريشي خاصة. وتتويجاً لما سبق ذكره فإن الممارسة السياسية للدولة الأموية استوجبت أن يكون المرشح للإمامة أي السلطة قرشياً²، حيث كانت قريش أشرفهم نسباً لما لها من منزلة دينية في نفوس العرب وقد ذكرت عدة أحاديث نبوية استغلت سياسياً. ومنه، وظف الدين لخدمة العصبية التي حذر منها الرسول ﷺ ولقد حارب الإسلام العصبية التي تقوم على الأنساب* ضد مصالح الناس العامة ومصلحة الدين، حيث جاء رجل يسأل النبي ﷺ: "يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: لا ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم"³ ومنه جاء التخويف النبوي لعصبية الأنساب حيث ذكر "من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتله جاهلية"⁴، وهنا تذكر حادثة في حقبة الخلافة الأموية التي اشتهرت بعصبية خلفاءها ما عدا عمر بن عبد العزيز، فقد بلغ مسامع الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ثورات البربر، فأقسم قائلاً مقلته المشهورة " **والله لأغضب غيبة عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي**"⁵، فالسلطة الأموية كانت مؤسسة على العنصرية العربية والنصرة الجاهلية"⁶، ولكي تربط عنصر الفتوحات الإسلامية بعنصر سيادة الدولة الأموية، فقد سادت اللغة العربية بحكم أن العرب كانوا هم الحكام الغالبين، ولغة الحاكم دائماً تسود

1- أحمد عصيد، ص 44

2- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 102.

* - سنتطرق إلى هذا العامل في نسب الأشراف، حيث اضطر الأمازيغ إلى تبني النسب القريشي وفرضت على كل من له طموح سياسي أن يثبت قريشية فوجدت أشجار العائلة للأمازيغيين متبنيين النسب العربي وكمثال المهدي بن تومرت مؤسس دولة موحدين ويضيف الجابري، "يقظة الوعي العروبي في المغرب: مساهمة في نقد السيسولوجيا الاستعمارية" ص: 57. " وهكذا نجد جميع مؤسسي الدول في المغرب ينسبون إلى أصل العربي مع أن اصولهم البربرية واضحة".

3- محمود عكاشة، ص: 248.

4- نفسه، ص: 248.

5- فرج عبد العزيز نجم، القبيلة الإسلام والدولة، مؤسسة تاواليت للنشر الالكتروني، 2010م، ص: 64.

6- عبد الله العروي، ج 1، ص: 143.

وتطغى على لغة البلاد المحكومة¹، حيث أن ابن خلدون ذكر " اعلم أن لغة أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالين عليها، والمختطين لها ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية، وإن كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير أعرابه، والسبب في ذلك ما وقع للدول الإسلامية من الغلب على الأمم، والدين إنما يستفاد من الشريعة، وهي بلسان العرب بما أن النبي ﷺ عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها... وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لأن الناس تتبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب وهجر الأمم لغاتهم"².

ومن خلال تحليل ما ذكره ابن خلدون نستخلص أن الفتوحات الإسلامية التي جاءت عن طريق المجال العسكري، وهي التي اجبرت السكان على تعلم لغة المنتصر العربية بحكم الغلبة السياسية³ على حد تعبير ابن خلدون، ويضيف "المغلوب يشتهب ابدأ بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه وفي اتخاذها واشكالها بل وفي سائر أحواله"⁴، وهذا ما يفسر التعريب اللغوي ثم تعريب الهوية في غلبة السياسة للدولة الأموية.

ثالثا: تأسيس كيانات سياسية عربية:

إن الكيانات السياسية العربية بالأساس مثل الأدارسة والأغالبة وبنو صالح (ناكور) والحماديين والفاطميين، كان لها الأثر الكبير في تنشيط حركة التعريب بجذب جماعات عربية وتنشيط الثقافة العربية

1- محمود الجومرد، لولا الإسلام ما استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة الحضارة الإنسانية، مجلة لسان العرب، عدد السادس، فاس المغرب 1986م، ص: 210.

2- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، فصل في لغات أهل الأمصار، دار العودة، بيروت، لبنان، ص: 301

3- محمد عبد المالك الكتاني، اللغة العربية مرآة تنعكس عليها قيم الإسلام، مجلة لسان العرب، عدد السادس، فاس، 1986م، ص: 281.

4- ابن خلدون، المقدمة، ص: 117.

الإسلامية¹، وبهذا فإن الأحداث والهزات السياسية التي حدثت في المشرق انعكست على بلاد الأمازيغ، إذ أننا لاحظنا أن الفترة التي صادفت عهد العباسيين الأوائل شهدت هيكلية² تاريخية لبلاد المغرب، وهي ترسخ الحضور العربي في إفريقية، وهنا لزم فقط الإشارة أنه قد وجدت دول أمازيغية خالصة، فقد قامت هذه الدول الأمازيغية بنزع القناع الديني للسلطة السياسية من أيدي العرب³.

وتمثلت هذه الدول التي استقلت عن السلطة العربية في دولة بني مدرار، والبرغواطية والرسومية*، لكن أيضاً وجدت كيانات عربية خالصة ساعدت على التعريب وتذكر منها، الأدارسة والأغالبة وبني صالح وبالتالي، فسلطة العربية⁴ لعبت دوراً بارزاً في التعريب بصفقتها لغة الحكم السياسي الإسلامي⁵، وتفوقت العربية بحيث أنها كانت مقترنة بسلطة الدولة الأموية كما سبق الذكر، لكن بزوال السلطة بحكم ثورات الأمازيغ بسبب جور الولاة وجدت إمارات عربية ساهمت أيضاً بتوطيد التعريب، حيث أن العامل السياسي يُوَطر ويؤسس للوجود الإنساني الجماعي⁶.

إن فترة ظهور الإمارات المستقلة عن المركزية في المشرق سواء الدولة الأموية أو الدولة العباسية ببلاد الأمازيغ، وظهور عدة عوامل خارجية وامتثلة في الاضطرابات السياسية بسقوط الدولة الأموية وظهور الدولة العباسية. كل هذا انعكس على بلاد المغرب وفشل العرب في التوحيد السياسي لبلاد الأمازيغ لتظهر فترة الإمارات سواء الأمازيغية البحتة، أو إمارات ذات سلطة عربية، ونحن هنا بصدد إلقاء الضوء على الإمارات ذات

1- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 77.

2- هشام جعيط، ص: 189.

3- أحمد عصيد، ص: 38.

*- سنتطرق إلى هذه الإمارات الأمازيغية في فصل الثالث العوائق التعريب.

4- غوردو، عبد العزيز، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، جدلية التمدين والسلطة، تقديم عبد الرحمن تمردى، دار ناشري لنشر الإلكتروني، الطبعة الثانية، الكويت، 2010م، ص: 31.

5- نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، يوليو 1986م، ص: 18.

6- هشام جعيط، ص: 189.

السلطة العربية من فترة دولة الأدارسة ودولة الأغالبة، وتعريب الأرياف في فترة الدولة الفاطمية أين تخللتها الدولة الزيرية والحمادية ولهذا فإن في هذه الفترة ستجد مصطلح المغرب الإسلامي¹ حيث الإسلام نجح في توحيد قلوب الأمازيغ أما مغرب متعرب² فإنه يستلزم وقتاً أطول ولن يكون كلي لحد يومنا هذا.

(1) إمارة الأدارسة (311-172 هـ / 788-923 م):

بينما كانوا بنو العباس يستعدون لبناء دولتهم على أنقاض دولة بني أمية³، شهد المغرب الإسلامي في نفس الوقت تطورات ناجحة عن انعكاس ما يحدث في المشرق، فقد حاول الخوارج كما سلف الذكر تأسيس دولة تندد وتبذ العصبة العربية ولكن في نفس الوقت تحتفظ بالمرجعية الدينية. لكن وجدت دول ذات سلطة عربية فقد حاولت المركزية في الشرق بزعامة الدولة العباسية أن تستعيد المغرب بعد فترة الفتور التي شهدتها العلاقات، وكذا بسبب انشغالها في توطيد حكم بني العباس وكما سلف الذكر سالفاً، فالمغرب الإسلامي كان مكاناً للجوء المعارضة ومسرحةً للجوء المنافسة ضد سلطة بني العباس أيضاً.

فالمعارضة سبقنا أن ذكرناها، والمتمثلة في الخوارج، أما المنافسة فتمثلت في كل من بني أمية الذين سينجحون في تأسيس إمارتهم في الأندلس، وآل علي (العلويون) فهم أيضاً سيضطهدون من طرف بني العباس الذين رأوا فيهم منافس لسלטتهم، ومن هنا جاء تأسيس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى. حيث أن لجوء "إدريس" إلى المغرب الأقصى أدى إلى أسلمة البربر وقد كانت مهمته الأولى تتفق مع رسالة آل البيت⁴، وهي العمل على نشر الإسلام والجهاد في سبيل الله ودخلت قبائل الأمازيغ التي كانت على الوثنية وأسلمت ولكن

1- هشام جعيط، ص: 189.

2- نفسه، ص: 190.

3- مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص: 93.

4- سعد زغلول، عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الجزء الثاني، تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1990م، ص: 430.

سطحياً وهي زناتة، زواغة¹ ولماية² ومكناسة³ وغمارة⁴. كما قصد إليه الناس من كل مكان. وعند وفاة إدريس ولي ابنه "إدريس الثاني" عند مولده بالخلافة ولما حكم البلاد منحها إدارة حسنة⁵، وما يعتبر المهم في بحثنا هذا ليست المراحل السياسية للدولة الأدارسة وإنما علاقة دولة الأدارسة بتعريب أمازيغ المغرب الأقصى.

يعتبر تولى "إدريس بن إدريس" الإمامة سنة 188هـ/804م نقطة تحول، إذ والده إدريس لم يكن في الحقيقة إلا لاجئ لدى القبائل الأمازيغية، وبهذا بث دعوته العلوية وكان داعية للإسلام لدى هذه القبائل في المغرب الأقصى، ومع ابنه إدريس بدأت المرحلة الثانية، هذا الأخير بدأ يحيط نفسه بحاشية عربية⁶ بمعنى هجرة العرب من الحجاز إلى المغرب الأقصى واستقرارهم في المغرب الأقصى، ويعني هذا العمل في نفس الوقت على نشر العروبة في الدولة الناشئة إلى جانب نشر الإسلام⁷. إذ نلاحظ أنه قد توافقت الأسلمة مع التعريب في المغرب الأقصى.

بناء على ما سبق، نستنتج أن هجرة قبائل العرب إلى المغرب الأقصى بدأت بعد أن تولى إدريس ابن إدريس الحكم، وهذه الهجرة مميّزاتها تختلف عن مميزات الهجرات التي ذكرت سالفاً، حيث أن السلطة الممثلة في حكم إدريس إين إدريس هي التي شجعت القبائل العربية، فجعلهم حاشيته وبطانته، حيث يذكر الناصري في

1- زواغة: قبائل بترية (زناتية) هم بطن من بطون سمكن أي أبناء زواغ بن سمكن بن يحيى مواطنهم ينسب إليهم بسيط زواغة الممتد بين فاس وبين صفرو وجبل كندر. راجع بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية ج1، ص: 224، 225.

2- لماية بترية هم أكبر قبائل ضريسة مواطنها يضع ابن خلدون لماية في عداد قبائل الرحل، حيث تنتقل عبر إفريقية والمغرب الأقصى طلباً للكلاؤ المواشي (البدو الرحل). نفسه، ص: 115، 118.

3- مكناسة: هم أبناء مكناس بن ورضطف بن يحيى، وقد تشعبت بطونها بكثرة ومن بينها بني حوات وقنصارة وبني ورفلاس وورنيفة وبني ورسدوس وغيرهم مواطنها تمتد على طول وادي ملوية شمالاً عند سجلماسة وحتى مصبة عند البحر المتوسط مشتملة نواحي تازا وقد سميت مدينة مكناس نسبتاً إلى تمرّكهم هناك. نفسه، ص: 140، 153.

4- غمارة: بطن من بطون زناتة نسبة التي غمرت بن ورتنيص مواطنهم كان في بداية الأمر جنوب بلاد صنهاجة لكن ارتحلوا إلى الجنوب جبال مدينة مسيلة. نفسه، ص: 182، 183.

5- محمد شيت خطاب، ج1، ص: 177.

6- سعد زغلول، ج2، ص: 441.

7- نفسه، ص445: "سنة 198هـ وفد على إدريس الأصغر جماعات من عرب إفريقية والأندلس من القيسية، الأزدي، مدلج وبني يحصب وغيرهم... فرحب بهم الإمام الشاب وجعلهم بطانتهم".

الأستقصا "لما استقدم أمر المغرب لإدريس بن إدريس وتوطيد ملكه وعظم سلطانه وكثرت جيوشه واتباعه. ووفدت عليه الوفود من البلدان، وقصد الناس خضرته من كل مكان. فاستمر بقية سنة ثمان وثمانين يصل الوفود ويبدل الاموال... ولما دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وفدت عليه وفود العرب من إفريقية والأندلس نازعين إليه وملتفين عليه، فاجتمع لديه منهم نحو خمسمائة فارس من قيس والأزد ومندج ويحصب وغيرهم"¹. وعليه، فإن من شجع على مثل هذه الهجرة وجود كيان سياسي ذو سلطة عربية ورغم أن الأمازيغ هم الذين بايعوا أباه سنة 188هـ² ومن بعده ابنه إدريس بن إدريس.

وهنا نتوقف لحظة لمناقشة إشكالية مبايعة الأمازيغ لإدريس ومن بعده ابنه إدريس بن إدريس ومعروف أن الأمازيغ عبر تاريخهم الطويل متشبثون بخصوصيتهم غيورين على لاستقلالهم متحفزين كثيرا إزاء الأجنبي ولاسيما قد كانوا في ذلك الوقت لا يفقهون إلا لغتهم الأمازيغية ويقل بينهم من يتكلم العربية. وبالتالي، يحلل محمد زبير الأحداث التمهيدية قبيل المبايعة التي يري أنها كانت ضرورية لإجماع الأمازيغ على شخصية إدريس بن عبد الله "أن الأحداث لم تكن متسارعة، حيث ان بيعة إدريس بن عبد الله لم تأت كحادث أو مصادفة... بل نرى إدريس الأول ما إن وطئت قدماه أرض المغرب يتجه إلى طنجة التي كانت حاضرة المغرب وكانت إقامته بها مرحلة ضرورية ليتعرف على البلاد وتمكن إدريس من ربط صلة صداقة مع زعيم قبيلة أوربة هو إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي وهكذا سار مشروع تكوين الدولة في مراحل متلاحقة..."³ ولعل أهم عنصر كان له الوزن الكبير في أعين المجتمعين هو نسب* إدريس. مما سبق نستنتج أن أسباب مبايعة الأمازيغ لإدريس ما يلي:

1- الناصري، ج2، ص: 219.

2- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2000م، ص: 98. راجع أيضا عبد الوهاب المنصور، ج1، ص: 115.

3- محمد زبير، المغرب في العصر الوسيط الدولة - المدينة - الاقتصاد، تنسيق محمد مغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء المغرب، ط1، 1999م، ص: 58

*- لقد ذكرنا سالفاً أهمية نسب الرسول ﷺ في التعريب.

1- مواجهة الضغوط العسكرية الآتية من جهة العباسيين وهذا بتأسيس دولة زعيمها من آل البيت، أي شخصية لها ثقلها السياسي والديني من حيث النسب الشريف والأحقية بالإمامة، ولزم الإشارة أن أوربة كانت أول قبيلة تباع إدريس وقد شجعت باقي القبائل مختلف التي حرصت على مبايعته وهي قبائل زناتة وزواعة وزواوة وملاية وسدراته وغياته ونفره وكناسة وعمازة.

2- قبولهم لعرض إدريس بمبايعته معناه إقامة دولة ذات وزن اتجاه العباسيين بالمشرق واتجاه الأمويين بالأندلس.

ونعود إلى نفسية الأمازيغ الاستقلالية وهي رفض أي تبعية واختيار التمسك بالاستقلال، لكن في مبايعة إدريس كان الاستثناء، فلم يتوان الأمازيغ في مبايعة إدريس وهو أجنبي عنهم إلا أننا نلاحظ تناقضاً في الجهة الأخرى، جهة إدريس الذي فضل أن يستميل إلى جانبه القبائل العربية المهاجرة إليه، وهذا ما يعيدنا إلى أن العصبية لعبت دوراً هاماً وقد ساهمت هذه الهجرات كما سبق الذكر إلى استكمال أسلمة وتعريب أقصى منطقة لبلاد الأمازيغ وفي سنة 192هـ ليكون حدث تأسيس مدينة فاس التي سيأتي الكلام عليها في فصل العوامل الاستراتيجية، وما يهمنا ليس المراحل السياسية لدولة الأدارسة، وإنما انعكاس وجود سلطة عربية في تعريب قبائل الأمازيغ في أقصى منطقة، إذ يذكر أن دولة الأدارسة كانت مترامية الأطراف امتدت من المحيط الأطلسي إلى نهر شلف¹، وبهذا نستخلص أنها شملت المغرب الأقصى والنصف الغربي من الجزائر حالياً ونستثني منها أربعة إمارات مستقلة في تلك الفترة :-

1- محمد الهادي لعروق، سمير بوريمة، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 43 "نهر ينبع من الجزائر قرب جبال الونشريس ومجراه شمالاً حتى يصب في البحر المتوسط قرب مستغانم وهو أطول أنهار الجزائر." "

إمارة بني عاصم بسببته¹ وبني صالح بناكور² بني مدرار بسجلماسة³ وبني رستم بتيهرت⁴ وبرغواطة⁵.

وكخلاصة، فإن دولة الأدارسة⁶ ساهمت بشكل كبير في تعريب الأمازيغ بحكم أنها دولة مستقلة عن المركزية، لكن بسلطة عربية وقد ساهم كيانها السياسي في تعريب الأمازيغ بعاملين: أولهما هجرة القبائل العربية لمساندة إدريس بن إدريس، وثانيهما شرف نسب أسرة الأدارسة وقربها من رسول الله ﷺ يعتبر عاملاً قوياً⁷ في الأسلمة والتعريب، وبهذا نعود إلى العامل الذي ذكرته الأطروحة في أن التعريب كان حياً في سيد الخلق ﷺ⁸. وبهذا فقد سارت البلاد المغربية بلاد أقصى الأمازيغ في عهد الأدارسة في طريق التعريب⁹ وذلك من خلال العوامل التالية:

- هجرة القبائل العربية الى المغرب سواء للإقامة أو للعبور إلى الأندلس وتنظيم الحكومة على أساس عربي
- إنشاء مدن ذات طابع عربي وبناء المساجد أشهرها جامع القرويين.

-
- 1- بنو عاصم أسرة أمازيغية استقلت بحكم سببته سنة 741 م (123 هـ) ظل حكمها حتى استولى عليها الناصر الأموي بعد قرنين ونصف. دبور، ج2، ص53
 - 2- بنو صالح بن منصور أسرة حكمت بعض القبائل الأمازيغية الواقعة على البحر المتوسط أسسها صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن وقد أسس مدينة ناكور بالريف المغربي ولقد استمر حكمهم حتى قضى عليهم الفاطميون في بداية القرن 4 هـ نفسه ص70
 - 3- مؤسسها عيسى بن يزيد المكناسي مدينة سنجلماسة إمارة ذات مذهب ضفري خواجه سنة 757م، (140هـ) ثم انتقل الملك إلى أبي قاسم سمعون بن يزلان الزناتي الملقب بالمدارار الذي توفي سنة 813 م (ذي القعدة 197 هـ فتواتر الحكم عشر ابنائه آخرهم محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله وسقطت الإمارة عندما أرسل إليه معد بن اسماعيل العبيدي قائده جوهر فحاصره بسجلماسة سنة 960 م (349 هـ) مدة ثلاث أشهر
 - 4- الدولة الرستمية: إمارة ذات مذهب إباضي مؤسسها عبد الرحمان بن رستم 776 م (160 هـ).
 - 5- إمارة برغواطة إقليم مغربي يمتد من نهر أبي رقراق أعلى وادي أم الربيع، محمد الهادي لعروق، سيمر بوريمة، أطلس الجزائر والعالم ص 57 حيث سنتطرق إليه في الفصل الرابع انعكاسات عوائق التعريب.
 - 6- لقد واكبت فترة دولة الأدارسة عدة دويلات، برغواطة (إمارة أمازيغية) بنو صالح (مملكة ناكور)، سلطة عربية، بنو عاصم في سببته (إمارة أمازيغية) 123 هـ. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص: 103.
 - 7- عبد الوهاب بن منصور، ج1، ص: 117.
 - 8- محمد زنيبر، المغرب في العصر الوسيط، ص: 18. " ان الدولة ارتبطت بنموذج النبوي من حيث النسب".
 - 9- عبد الوهاب بن منصور، ص: 118.

ومن هنا فالتاريخ يسجل لنا في هذا العصر الشعر والخطب والمراسلات فكان ذلك بداية لنشوء أدب عربي مغربي¹، نتيجة للتعريب الذي مس أقصى بلاد الأمازيغ.

مما سبق يمكن القول أن الإمارات المستقلة بعضها ذو سلطة عربية ساهمت في التعريب، وبالتالي، تندرج ضمن العوامل، وبعضها ذو سلطة خارجية أو أمازيغية تندرج ضمن العوائق وهكذا نشأت² دولة بني رستم بتاهرت ودولة بني مدرار بسلمجاسة، فالأولى إباضية والثانية صفرية ودولة الأدارسة ودولة الأغالبة بسلمجاسة.

(2) دولة الأغالبة (184-177 هـ) (800-793 م):

ارتبطت دولة الأغالبة* ارتباطاً وثيقاً بالدولة العباسية**، وسنلخص ماهيتها لمعرفة علاقة التعريب بالدولة، فقد كانت إمارة إفريقية أواخر القرن الثاني هجري تحت حكم محمد بن مقاتل العيكي***، وبسبب سوء تسييره ثارت عليه الرعية سنة (183هـ-799م)³ بزعامة عامل تونس تمام بن تميم واستنجد ابن مقاتل بعامل مدينة طنبنة**** إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي، واستطاع إخماد الثورة، ثم استطاع بعد ذلك أخذ الإمارة من ابن مقاتل الذي كان مغضوباً عليه من الرعية العباسية، وبذلك تأسست إمارة الأغالبة بزعامة إبراهيم بن الأغلب أواسط جمادى الثانية (184 هـ - 800 م) أين عزل محمد بن مقاتل وعين إبراهيم بن الأغلب بأمر من الخليفة هارون الرشيد .

1- عبد الوهاب بن منصور، ص: 118.

2- محمد زنيبر، ص: 57.

*- تعريف دولة الأغالبة سلالة عربية أسسها ابن سليم الاغلبى بين عامي 800م 910م عاصمتها القيروان وفي أيام العباسيين حكمت هذه الاسرة المغرب الادبي تونس حالياً وغزت صقلية راجع عبد القادر جغلول، مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1997. ص 91 راجع أيضاً مبارك بن محمد المليي، ج2، ص: 118.

**- تختلف دولة الاغالبة عن الادارسة من حيث أن الأولى مرتبطة بالدولة العباسية في حين أن الأدارسة كما سلف الذكر دولة مستقلة

***- والي إفريقية في عهد العباسيين وكان أخو الخليفة هارون رشيد بالرضاعة.

3- عبد الرحمن محمد الجيلالي، ج1، ص: 259.

****- طنبنة عاصمة الزاب الجزائري (موجودة بشرق) راجع محمد الهادي لعروق، سمير بوريمة، أطلس الجزائر والعالم ص52

وما يهمنا هنا أن دولة الأغالبة جغرافياً كانت بأرض الأمازيغ لكن دولة عربية بكل ما تحملها الكلمة من معنى، حيث أن العنصر العربي الذي دخل مطلع الفتوحات الإسلامية لبلاد الأمازيغ قد استقر جنوده في النواحي الشرقية لبلاد الأمازيغ، متخذاً بذلك سير خط الفتوحات، ومع استمرار الفتح لحقت بهم جماعات أخرى من الجند والمهاجرين العرب، وكان نتيجة ذلك قيام مجتمعات عربية صغيرة مقارنة بالأعداد الكبيرة للأمازيغ، وقد استقرت بالمدن، وهؤلاء سموهم **العرب البلدين**¹، أي عرب إفريقية الذين استقروا فيها واعتبروها وطناً لهم دون أن يتخلوا عن عروبتهم فكانوا يتمسكون بأصولهم القبلية، وبهذا فقد شكلوا قوة إقليمية واعتبروا أن لهم الأفضلية في توسيع نطاق الدولة الأموية، حيث لقبوا بجند الشام، لا لأنهم منحدرين من الشام ولكن لأن منطلقهم وأوامرهم كانت من المركزية في الدولة الأموية²، ويستخلص أن هؤلاء الجند العرب الذين تحولوا إلى عرب بلدين نتيجة للاستقرار ومخالطة الأمازيغ كانوا اللبنة الأولى للتعريب، ومع قيام الخلافة العباسية لم يجد العنصر العربي سواء القيسي أو اليميني³ في إفريقية سنداً من الدولة العباسية التي تأسس على أساس الشعوبية* عكس تماماً العصبية العربية للدولة الأموية و كذا تعطل حركية الفتوح إثر المشاكل التي صاحبت سقوط الدولة الأموية و نشوء الدولة العباسية، وبهذا فان دولة الأغالبة تأسست إثر ثورة الجند العرب والخراسانيين الذي دخلوا البلاد في العهدين الأموي والعباسي ومن البديهي أنه لا يمكن لهذا العدد الهائل من الجيش أن يبقى عاطلاً عن نشاط دون أن يشكل خطراً على السلطة⁴.

1- ابن عبد الحكم، الفتوح، ص: 18.

2- ابن وردان، تاريخ مملكة الاغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1988م، ص: 22.

3- نفسه، ص: 28.

*- الشعوبية هي الاعتماد على عنصر الأعاجم فالدولة العباسية رغم أن السلطة كانت عربية إلا أنها كانت عكس الدولة الأموية أين اعتمد على عنصر الأعاجم في تأسيسها، وخير دليل على ذلك دور أبو مسلم الخراساني في مرحلة تأسيس الدولة العباسية.

4- هشام جعيط، ص: 190

بناء على ما سبق، فإنه وبتجمع الأحداث والأسباب والظروف استطاع إبراهيم بن الأغلب أن يظفر بتنصيب هارون الرشيد له على رأس إفريقية¹ وفي الحقيقة إمارة الأغالبة كانت إمارة شبه مستقلة²، وبهذا استطاع إبراهيم بن الأغلب أن يحقق التزاماته نحو الخلافة العباسية، فكون قوة عسكرية كبيرة من البربر المستعربة³، فدولة الأغالبة كانت متحالفة مع سلطة الدولة العباسية، أين اعتبرت حاجز إمام الإمارات المستقلة في بلاد الأمازيغ الرستمية والأدارسة ولا ننسي الأموية في الأندلس، فكان لا بد على الدولة العباسية أن تجد من يكون لها سنداً في بلاد الأمازيغ، ولولا هذا لتوسعت رقعة الإمارات المستقلة وربما هددت الدولة العباسية في عقر دارها. ولنتوقف هنا لنسجل أن الدولة العباسية كان لا بد لها أن تكون قوة تتحالف معها وجدتها في الأمازيغ المستعربين، وبهذا فإننا نستخلص أن دولة الأغالبة هي سلطة عربية في المغرب الأدنى تعتبر سداً لتواجد خطرين في بلاد الأمازيغ، خطر الخوارج المخاذي لهم في الدولة الرستمية وفي مغرب الأوسط، وكذا استفحال خطر دولة الأدارسة. فكانت الدولة العباسية في تلك الفترة مشدودة بين قوى الانقسام وإرادة التوحيد المستمرة⁴، وهي جدلية عُرفت طوال فترة التاريخ الإسلامي، ويذكر عبد العزيز الثعالبي كخلاصة للدور الحضاري لدولة الأغالبة "كانت الدولة الأغلبية دولة عربية مسلمة بأوسع معاني الكلمة... وكان منهجها في الحكم إدماج البربر في العرب وتحويل نشاطهم إلى الخارج. والتعالي عن مناورة البلاد المنفصلة عنها كالمغرب الأقصى (الأدارسة) والأندلس (الدولة الأموية)"⁵.

1- هشام جعيط، ص: 191.

2- نفسه، ص: 191.

3- ابن وردان، ص: 33.

4- هشام جعيط، ص: 194.

5- عبد العزيز الثعالبي، ص: 203.

(3) إمارة بني صالح (ناكور):

ويذكر ابن عذاري المراكشي "...وذلك أن صالح بن منصور المعروف بالعبد الصالح كان دخل أرض المغرب في الافتتاح الأول زمن الوليد بن عبد الملك، فنزل في بني تمسامان وعلى يديه أسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة، ثم ارتد أكثرهم لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام وقدموا على أنفسهم رجلاً يسمى داوود ويعرف بالمزديدي، وكان من نفزة وأخرجوا صالحاً من بينهم. ثم أفاء الله بالإسلام عليهم وتابوا من شركهم، وقتلوا داوود المزديدي وردوا صالحاً، وبقي ذلك إلى أن مات بتمسامان، وكان له من الولد ثلاثة المعتصم وإدريس أمهما صنهاجية (أمازيغية) وعبد الصمد، فولوا المعتصم ومكث فيهم يسيراً ومات، فولوا على أنفسهم إدريس ثم مات وولي سعيد بن إدريس وهو الذي بنى مدينة ناكور"¹، كما نجد أن ابن خلدون يورد لنا أخباراً عن مدينة "ناكور" وهي مدينة في الريف المغربي ببلاد غمارة، حيث يذكر ابن خلدون "لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاته واقتسموه وأمدهم الخلفاء بالبعوث إلى جهاد البربر وكان فيهم من كل القبائل من العرب وكان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول. وكان يعرف بالعبد الصالح. فاستخلص ناكور لنفسه، وأقطعها إيها الوليد بن عبد الملك في أعوام إحدى وتسعين للهجرة... فأقام صالح هنالك لما اقتطع أرضها وكثر نسله. واجتمع إليه قبائل غمارة وصنهاجة وأسلموا على يده وقاموا بأمره وانتشر الإسلام فيهم، ثم ثقلت عليهم الشعائر الإسلام. ونتيجة ذلك ارتدوا وأخرجوا صالحاً. وولوا عليهم رجلاً من نفزة يعرف بالرندي، ثم تابوا ورجعوا إلى الإسلام وأرجعوا صالحاً، فأقام فيهم إلى أن هلك سنة اثنين وثلاثين ومئة هجري (132هـ)"². ويستخلص من كلام ابن خلدون أن نواة تأسيس "ناكور" كانت بهجرة القبائل العربية اليمنية (قبائل حمير).

1- ابن عذاري، ص: 176.

2- ابن خلدون، العبر، ج6 ص 218

وعليه، فالهدف هو استقرار هؤلاء القبائل بأرض الأمازيغ ودعوة إلى اعتناق الإسلام. أي بناء محور إسلامي أصلي تُوكل له مهام نشر الإسلام (بناء حواضر إسلامية مؤسسوها من عرب المشرق) وبعد وفاة صالح وُكل ابنه بمهام والده في إدارة نواة "ناكور" وهو ابنه "المعتصم بن صالح" وكانت أمه أمازيغية من قبيلة صنهاجة ثم توفي وولى من بعده أخوه "إدريس". فأسس مدينة "ناكور" على ضفاف الوادي¹ ولم يكمل بناء المدينة. وهنا يستنتج أن المدن والمحاور الإسلامية كانت تشيد أساساً بالقرب من منابع المياه بحيث أنها مناطق من ناحية الجغرافية جاذبة للسكان لتكون مصدر هجرة للسكان الأصليين الأمازيغ، وهذا ما سيتم دراسته في العوامل الاستراتيجية*، وأكمل البناء بعد ذلك ابنه "سعيد بن إدريس بن صالح" وقد لعبت مدينة "ناكور" دوراً أساسياً في أسلمة وتعريب بلاد الأمازيغ من ناحية المغرب الأقصى، حيث أنها أصبحت عاصمة للإسلام² في تلك النواحي.

ونستنتج من المصدرين أن صالح بن منصور الحميري استخلص (ناكور) لنفسه أيام الوليد بن عبد الملك سنة 91 هـ فاقتطعه إياها. وبالتالي فإن الجماعات العربية توزعت بين القبائل الأمازيغية التي أسلمت ثم صارت الرئاسة لبعضهم³، ليتم تعريبهم بعد ذلك. ومنها مملكة "ناكور" التي نحن بصدد ذكرها، هذه الأخيرة لم تكن إلا تطور لسياسة حسان بن نعمان الذي وزع الأراضي على الأمازيغ مع العرب، وبهذا تملك العرب الأراضي وهذا ما يفسر سبب اقتطاع صالح بن منصور "ناكور" لنفسه أين ستؤسس مملكة "ناكور" وتخضع قبائل غمارة وصنهاجة⁴.

1- ألفرد بال، ص: 95.

*- سنتطرق لاحقاً إلى العوامل الاستراتيجية وسنلاحظ أن القيروان وتونس فالأولى بنيت لها صهاريج المياه العذبة والثانية كانت ساحلية. ومنه، توفرت على مصبات أنهار. والمياه عامل مهم في الاستقرار وبناء الحضارات فاشهر الحضارات كانت على ضفاف الأنهار

2- ألفرد بال، ص: 96.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 76.

4- نفسه، ص: 76.

4) سلطة الدولة الرستمية:

تلزم الإشارة أن الدولة الرستمية لعبت دوراً مزدوجاً حيث نجدها في عنصر عامل التعريب وكذا نجدها في عامل عنصر عوائق التعريب، وهذا ليس بتناقض إنما مرّد ذلك أن حكام الدولة الرستمية قد لعبوا دوراً هاماً في الأسلمة أولاً، ثم التعريب، إلا إن القوى المعارضة للسلطة الرستمية والتي انشقت عنها قد لعبت دوراً هاماً في إعاقه سيرورة التعريب، وهذا ما سنفصل فيه في فصل العوائق لكن فيما يخص سلطة الدولة الرستمية فقد أسهم حكام بني رستم في أسلمة مجتمع المغرب الأوسط وكذا تعريبه، وقد كانت القاعدة الأساسية في أسلمة وتعريب المغرب الأوسط هو إنشاء مدينة تاهرت¹، هذه الأخيرة لا تقل أهمية عن مدينة القيروان، وبالتالي فتداخل العوامل سيجعل السلطة تثبت المذهب الإباضي وتأسس سلطة سياسية تكون مرجعيتها منه، فتخطيط تاهرت قد جرى على النحو الذي أتبع في بناء المدن الإسلامية الكبرى، بحيث تساعد على انصهار أفراد المجتمع وامتزاجهم وعدم التفرقة بينهم²، لذلك يعتبر تأسيس مدينة تاهرت عاملاً مهماً في الأسلمة والتعريب، فكما هو معروف أن المجتمع الإسلامي تحكمه ذهنية التكتل والجوار من أجل تنمية المصالح المشتركة، وبالتالي التواجد ضمن فضاءات اجتماعية وأخرى دينية ثقافية³، أو ما يسمى في علم الاجتماع الفضاء العمومي الذي يؤثر على سوسيولوجيا الجماعة، هذا الأخير ستكون له انعكاسات في تعريب ساكنيه*.

1- يذكر محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية 160هـ 296هـ، دار القلم لنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، "اختلف المؤرخون في تاريخ بناء تاهرت فابن خلدون يجعل تأسيسها سنة 144هـ 761م، أما ابن عذاري ص: 98 فقد روي ان بناءها 140هـ 757م ويضيف ان السنة التي ذكرها ابن خلدون هي بعيدة من الصواب بحكم تتبع الاحداث".

2- نفسه، ص: 98.

3- بلهوارى فاطمة، إسهام حكام بني رستم في أسلمة مجتمع المغرب الأوسط وتعريبه، الملتقى الدولي السابع حول الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط، منشورات وزارة التعليم العالي، تونس 2015م، ص: 70.

*- إن الدولة الرستمية عربت المركز، أما الأطراف فقد وجدت بما معارضة سواء في الأرياف أو الجبال لهذا ستكون عائقاً أمام التعريب، وهذا ما سنفصل فيه في الفصل الثالث العوائق التعريب.

وبهذا فإن تاهرت ستلعب دوراً أساسياً في تعريب المغرب الأوسط¹، بحيث حملت في طيات أسوارها نفس المؤسسات التي ساعدت على التعريب، والنابعة من الدين الإسلامي، فعند تخطيط المدينة أعطت الأولوية لموقع المسجد الجامع "فاختط الإباضية المسجد الجامع من أربعة بلاطات... وانتشرت الدور والقصور والبيوت والأسواق و الحمامات والفنادق"²، كما لعب أئمة الدولة الرستمية دوراً هاماً في التعريب خاصة حيث حرص أئمة بنو رستم على تأسيس مكتبة ضخمة سميت "المعصومة" وقد حوت على ثلاثمائة ألف مجلد³، وبما أن مبادئ مذهب الخوارج بشقه الإباضي تحبذ اختيار الإمام بشرطين:

1- الشرط الأول: يُختار من قبل عامة الناس وترفض شرط الأصل القرشي الذي أقامه الفقه السلطاني في

مركزية الدولة الأموية.

3- والشرط الثاني: التقوى ووجوب الخروج على الإمام متى انحرف عن التقوى.

ولهذا نجد أئمة الدولة الرستمية كرسوا حياتهم لطلب العلم وتشجيع العلماء من جميع المذاهب وبهذا ازدهرت الحياة الفكرية وتعددت عوامل التعريب في فترتهم، و بما أنهم كانوا في طليعة العلماء حيث كان التفقه في العلم شرطاً أساسياً لتولي الإمامة⁴، فقد كانوا يدرسون في جامع تاهرت، وبهذا فإن حلقات الدرس كانت عاملاً مساعداً في تعريب اللسان الأمازيغي بين فزان وقابس وبين جبل نفوسة وتيهرت⁵، ولكي نقدم دليلاً على مدي إسهام حكام الدولة الرستمية في تعريب الأمازيغ فقد كانوا ضليعين في اللغة العربية حيث ألفوا كتباً، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر عبد الرحمن بن رستم (144هـ-168هـ) ديوان الخطب النفيس وألف عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (168هـ-188هـ) كتاب مسائل نفوسة يحوي فتاوى مشهورة في كتب الفقه الإباضي،

1- بلهوارى فاطمة، ص: 70.

2- محمد عيسى الحريري، ص: 98.

3- نفسه، ص: 237.

4- نفسه، ص: 237.

5- بلهوارى فاطمة، ص: 73.

وأفصح بن عبد الوهاب (188هـ - 238هـ) الذي كان أديباً وشاعراً وملماً بالحساب وعلم التنجيم، ومن خلال ما ذكر سالفاً أن أهم الأعمال التي أنجزت في ظل حكام بني رستم لبلاد المغرب الأوسط لصالح¹ مشروع التعريب ثلاث عوامل:

1- اهتمامهم ببناء مؤسسات سواء دينية مثل المساجد أو ثقافية مثل مكتبة المعصومة الضخمة.

2- تشجيع العلم وكثرة جلب الكتب من مشرق الإسلام وبهذا وجدت تفاعل ثقافي نشيط بين المشرق ومغرب أدى إلى سرعة التعريب.

3- اهتمام أئمة بني رستم أنفسهم بالعلم والتدريس.

ومن خلال ما سلف، نلاحظ أن الكيانات السياسية ذات السلطة العربية أو بأحرى ذات السلطة المعربة*، مثلما هو الحال في الدولة الرستمية ساهمت بشكل كبير في تعريب الأمازيغ سواء كانت هذه الإمارات مستقلة كلياً عن سلطة المركزية في مشرق مثل ما هو الحال للدولة الأدارسة ودولة الرستمية أو شبه مستقلة مثل دولة الأغالبة أو إمارة فردية مثل مملكة الناكور. ولاحقاً سوف نستعرض الإمارات ذات سلطة أمازيغية، والتي حافظت نوعاً ما على ذاتية الأمازيغ في فصل العوائق.

III- العوامل الاجتماعية :

إن للعوامل الاجتماعية أهمية في أسلمة وتعريب الأمازيغ، حيث وجدت عدة عناصر شجعت

الأمازيغ على التعريب وهذا من خلال تحاليل المؤرخين القدامى ومحدثين ونذكر من العوامل الاجتماعية ما يلي:

1- بلهاري فاطمة، ص: 74.

*- ينسب عبد الرحمان بن رستم إلى الأصل الفارسي بإجماع جل المصادر لكن مع وجود اختلاف في طبيعة هذا الأصل الفارسي ورغم أن هذا العنصر لا يهمننا في أطروحتنا، وإنما يهمننا علاقة الفرس ببلاد الأمازيغ مفادها أن حركة الفتح الإسلامي أسفرت عن انتقال أعداد من الفرس إلى أنحاء الجزيرة العربية ليندمجوا مع المجتمع الإسلامي بصفة موالى وقد استقر رستم في المدينة بصفته مولي لعثمان بن عفان رضي الله عنه، أما علاقة الرستميين ببلاد المغرب فيسردنا ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 246، "بمجيء عبد الرحمان بن رستم إلى إفريقية مع طوابع الفتح" و هنا لزم معرفة التاريخ ويحدد بالطوالع و يقصد بما المرحلة الأخيرة للفتح الإسلامي أي الحملات التي قادها موسى بن نصير لإتمام فتح بلاد الأمازيغ راجع محمد عيسى الحريري، ص: 76.

أولاً: الهجرة ودورها في تعريب الأمازيغ:

لقد لعبت الهجرة دوراً هاماً في تعريب الأمازيغ، هذا الحراك الاجتماعي سيغير الجانب السوسيوولوجي للبلاد، وقد قُسم إلى:

1) القبائل العربية المهاجرة إبان الفتح الإسلامي:

نجد في صفوف الفاتحين كثيراً من المهاجرين والأنصار من الأوس والخزرج، وكذلك من الغساسنة وبني دملج وعرب اليمن من أزد ولجم وجدام وصدف وكذلك مهرة وعنت ومبدعان وبني فزارة وبني ربيعة وغطفان وجشم وبني هون¹، هؤلاء القبائل العربية أتت مع عائلتهم للاستقرار في مناطق الرباط بعد فتحها وضمها إلى دار الخلافة مكونين بذلك نواة المجتمع الإسلامي "العربي الأمازيغي"²، فمثلاً يقول أحمد مختار عمر: "استقرت قبيلة بني قرة وقبيلة هيب، وهم بطون من قبيلة بني سليم في برقة وامتزجوا بأهلها امتزاجاً يجعل من الصعب علينا الآن أن نميز بين ذريتهم وذرية أهل البلاد الأصليين"³. وقد ثبتت تاريخياً كذلك أن سبب الهجرة إلى الشمال الإفريقي لم تنقطع طوال عدة قرون، وقد استقر كثير من العرب المهاجرين أو المهَّجرين*، قد آثروا الاستيطان في ليبيا دون سائر الشمال الإفريقي، نظراً لطبيعتها الصحراوية الملائمة⁴، حيث يذكر الأستاذ إبراهيم حركات أن انتشار اللغة العربية نتيجة حتمية للفتوحات الإسلامية، لكن يضيف أنه ينبغي تأخذ بعين الاعتبار أن الفتوحات الإسلامية

1- فرج نجم، ص: 58.

2- نفسه، ص: 58.

3- أحمد مختار عمر، ص: 66.

*- هناك فرق بين التهجير والهجرة، حيث أننا سنتطرق إلى العرب الفارين وهم المعارضة للحكم المركزي سواء الأموي أو العباسي. أي ان التهجير يكون قسراً والهجرة طوعاً.

4- أحمد مختار عمر، ص: 66.

أدت إلى المرحلة الأولى من التعريب كلغة كتابة وقراءة القرآن، أما فيما بعد فتأتي المرحلة الثانية التي تبعد عن مرحلة الفتوحات الإسلامية بانتشار العربية كلغة علم وثقافة¹.

ومنه، فإن تعرب* العرب في شبه الجزيرة العربية مكروه كما سبق ذكر ذلك في المدخل من الأطروحة ذلك أنه قد بدأت هجرة القبائل العربية للجهاد ابتداء من مرحلة الفتح المنظم. وبهذا ازدادت أعدادهم مع تأسيس القيروان، والمصادر في هذا الشأن ليس دقيقة ولا تذكر الأرقام².

وبعد أن ولي عبد الملك بن مروان الخلافة، توجه زهير بن قيس البلوي من برقة سنة 69هـ بهدف استرداد القيروان، وتطوع عدد كبير من أهل الشام وقبائل العرب³. ولما استشهد⁴ زهير في معركة ضد كسيلة، اختار عبد الملك بن مروان حسان بن نعمان⁵، وكان حسان من القادة المشهورين في بلاد الشام، ومقرباً من خلفاء بني أمية، يتمتع بثقة كبيرة في الأوساط السياسية بدمشق، حيث لقب بـ "الشيخ الأمين"⁶، وهنا لزم الإشارة أن زعماء الفتح كانوا جلهم من أهل الحجاز وأهل مصر، حيث أن أمر إفريقية كان يستهوي ولاية مصر أساساً

1- إبراهيم حركات، "انتشار اللغة العربية كان نتيجة حتمية للفتوح الإسلامية"، مجلة اللسان العربي، دار المعارف الإسلامية، العدد السادس، ص: 277.

*-التعرب يقصد به التعرب بعد الهجرة وهو أن يعود إلى البادية في شبه الجزيرة العربية ويقوم هناك بعد أن كان مهاجر في الامصار المفتوحة ومنه رجع إلى موضعه من غير عذر يعتبر ويعدونه كالمترد راجع ابن منظور، مادة ع رب، ص: 2864

2- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 72.

3- القيرواني، إبراهيم بن القاسم، أبو إسحاق، تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرحاني للنشر والتوزيع، ط1، 1994م، ص: 38، راجع أيضاً ابن عداري ص: 31، وأيضاً، المالكي، الرياض التّفوس ص29

4- تشير أغلب المصادر التاريخية أن سنة استرجاع القيروان وعودة زهير إلى برقة واستشهاده في نفس السنة (69 هـ/ 688-689م).

5- هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو مزقيايا بن عامر بن الأزدي. راجع د. موسى لقبال، المغرب الإسلامي ص: 91. لقد ركز حسان العرب بإفريقية وأقام قاعدة بحرية في تونس، وأنشأ دار الصناعة السفن ليجهاد في جبهتين البرية والبحرية وتأسست تونس لتنافس القيروان. راجع عبد العزيز الدوري، ص: 72 وهذا ما سنتطرق له بالتفصيل في عنصر العوامل الاستراتيجية.

6- ابن عداري، البيان، ص: 31.

بحكم قرب المسافة، وهنا سار "حسان" وتحت إمرته جيش تعداده أربعون ألف جندي¹، ويشير ابن الأثير إلى ضخامة هذا الجيش بقوله "فلم يدخل إفريقية جيش مثله"².

وهنا نتوقف عند نقطة مهمة، وهي أنه إنظم في إفريقية عدداً آخر من مسلمي الأمازيغ يقودهم "هلال بن تروان اللواتي"³. وهذا دليل أن الفاتحين العرب كسبوا أعواناً جدداً من أهل البلاد⁴ (الأمازيغ) ولا تخمنا هنا العمليات العسكرية التي خاضها الجيش الفاتح بقدر ما يهمننا احتكاك الأمازيغ بقيادة هلال بن تروان اللواتي مع العرب الفاتحين، وهو ما شكل اللبنة الأولى في التعريب، ويستخلص حسين مؤنس أن هلال بن تروان كونه من قبيلة اللواتة يعزز الرأي الذي مفاده أن أنصار العرب في بلاد الأمازيغ كانوا من بربر البدو، ومنه لبنة التعريب وافق عليها قبائل البتر الذين يتميزون بالبداءة⁵، وهذا ما سوف نفضله في العوامل الاجتماعية.

ولمواصلة الحديث حول إحصائيات القبائل الفاتحة وهجرتها إلى بلاد، فإن المصادر لم تذكر شيئاً دقيقاً حول الموضوع، إلا أن المتفق عليه أن الجيوش الآتية من المشرق كانت ضخمة، ولم تذكر المصادر شيئاً أيضاً عن دخول الأمازيغ إلى الجيش الذي أصبح يلعب دوراً معادياً، وهي مسألة سوف نفضل فيها عند عنصر العوامل العسكرية.

وبهذا فإن اتخاذ الدولة الأموية العصبية العربية عماد حكمهم كان عاملاً من عوامل التعريب، فالدولة الأموية كانت مؤسسة على العنصرية العربية واتخذت النعرة الجاهلية⁶، وشجعت هجرة القبائل العربية إلى البلدان المفتوحة، وبذلك كانت هذه الأخيرة سبباً في اندماج الأمازيغ وتعريبهم، ودليل ذلك، تصريح هشام بن عبد

1- ابن عذاري، البيان، ص: 34.

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الرابع، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، لبنان، ص: 31.

3- ابن عبد الحكم، الفتوح، ص: 269، 270.

4- حسين مؤنس، ص: 238. إذ يذكر أن المصدر الوحيد الذي ذكره هو ابن عبد الحكم. في فتوح مصر والمغرب.

5- بوزباني الدراجي، القبائل الامازيغية، ج 1، ص: 90.

6- عبد الله العروي، ج1 ص: 143.

الملك بداية سنة 122 هـ بعد ثورة ميسرة المطغري، وخسائر الخلافة في غزوة الأشراف بقوله "والله لأغضب لهم غضبة عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي"¹، وبالفعل بعث كلثوم بن عياض سنة 124 هـ بقوات تعدادها أربعين ألف جندي، وانتصر في معركة قرن الأصنام². وما يهمنا هنا ليس النتائج العسكرية، وإنما نقطتان: أولهما تصريحه أغضب عضبة عربية، والثانية إرسال جيش عربي واستقراره في بلاد البربر.

وخلاصة الأمر أن الأرقام التي قدمت من طرف المصادر لا يمكن أن تعطي فكرة دقيقة عن الأعداد المرسله وهذا لوجود ثغرات واضحة فيها³، ولكن ومع ذلك فإنها تفيدنا في إعطاء فكرة أولية عن الأعداد الكبيرة التي جاءت إلى بلاد الأمازيغ وكانت اللبنة الأولى للتعريب.

(2) هجرة العرب إلى الأندلس:

قد عرفت بلاد الأمازيغ عدة هجرات، وحسب التسلسل الكرونولوجي فإن هناك الهجرتين اللتين كانتا عاملاً من عوامل التعريب، هجرة المرحلة الأولى، وهي هجرة القبائل العربية في فترة الفتوحات، والمرحلة الثانية هجرة الخوارج*.

وهجرة المرحلة الثالثة⁴، حيث جاءت بعد فتح الأندلس**، فقد شارك في فتحها قلة من العرب وكثرة من الأمازيغ***، وهذا بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك، وبهذا فتحت الأندلس لتضم إلى مركزية الحكم في دمشق، ومع مواصلة فتح الأقاليم الأندلسية والوصول إلى إشبيلية وطليطية، تواصلت وكثرت هجرة القبائل العربية

1- ابن عذاري، البيان ص: 36.

2- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص: 115، راجع أيضاً ابن عذاري، البيان، ص: 37.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 73.

*- هجرة الخوارج الآتون من المشرق سوف نتطرق إليها في الفصل الثاني: الأمازيغ يعربون أنفسهم، حيث لعب الوافدون من المشرق العربي والذين اعتبروا معارضة للسلطة الاموية دوراً أساسياً في الأسلمة والتعريب.

4- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2005م، ص: 177.

**- حيث استمرت عدة قرون لهذا وصفت في المرحلة الثالثة، ولم تقتصر فقط على فترة فتح الأندلس.

***- تعدادها 12 ألف أمازيغي مسلم، و27 ألف عربي.

من المركز إلى الأندلس، وهذا لأهداف اقتصادية وسياسية، فالأهداف الاقتصادية هي غنى المنطقة بأراضي الزراعة، أما السياسية هو بعد المنطقة عن المشاكل السياسية التي كانت تتخبط فيها الدولة المركزية، ومما لا شك فيه أن بلاد الأمازيغ لم تكن معبراً فقط للأندلس، وإنما أيضاً كان مستقراً. فالذين هاجروا إلى الأندلس توقف الكثير منهم بها. وهذا دليل على استقرار القبائل العربية ومساهمتها في تعريب الأمازيغ، خاصة أنهم كانوا حديثي العهد بالإسلام، ولهذا فإن فتح الأندلس كان من أسباب هجرة القبائل العربية حيث يذكر حسين مؤنس: "لقد كانت المنازعات السياسية على أشدها طول العصر الأموي، فكثر الاضطهاد وتعددت الخصومات، وبهذا وجدت هجرة القبائل العربية العريقة من المضربة والقيسية ومنهم أعرفهم بالدين واللغة، ومما أن المغرب كان الطريق الذي يسلكه هؤلاء إلى الأندلس، فكثر مرورهم بين القبائل البربرية، فأخذت القبائل عنهم الدين واللغة"¹، فهجرة هذه العائلات العربية تتمثل في ثلاث أسباب هي:

- الهجرة للأندلس للجهاد وتوطيد الحكم الإسلامي.
- للإقامة بها بسبب الأزمة الاقتصادية التي مرت بها الدولة الأموية.
- بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية وكثرة الأزمات التي وجدت في الدولة الأموية، آخرها أدى إلى اندثارها، وظهور الدولة العباسية، أو الصراع السياسي بين الأسرة نفسها، وعلى سبيل المثال فتنة الأمين والمأمون.

هذه الهجرات أدت نتيجتها إلى احتكاك هذه القبائل العربية بالقبائل الأمازيغية وبالتالي تعميق التعريب. كما لا ننسى أن هجرة العرب إلى الأندلس جاءت من الشرق إلى الغرب، لكن سنتظر عدة قرون لتساهم هجرة عكسية، وهي الهجرة من الأندلس إلى المغرب أي الهجرة من الشمال إلى الجنوب، وهذا إثر

1- حسين مؤنس، ص: 292. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفترة اتسمت بالاستقرار، حيث انتهت فترة الحملات العسكرية. واعتنق جل الأمازيغ الإسلام واندمجوا مع العرب، وعليه كان التعريب في هذه الفترة طواعية نتيجة اسلمتهم

سقوط غرناطة 1492م، فتذكر المصادر التاريخية عدة أمثلة، حيث أنه كلما سقطت إمارة من إمارات الأندلس إلا كان يهاجر مع الملك جميع شعبه، وهذه الهجرة ساهمت في تعريب الجزء الغربي من بلاد الأمازيغ، فمثلاً سكان ألمرية هاجروا إلى تلمسان، وسكان الجزيرة¹ هاجروا إلى طنجة، وأهل رندة هاجروا إلى تطوان، أما عند سقوط غرناطة فقد هاجرت أعداد كبيرة إلى بجاية ووهران وقابس وصفاقس وسوسة، ويلاحظ أن المهاجرين لم يختاروا المدن بل منهم من استقر في القرى، لذلك فالتعريب مس القرى أيضاً. أما من ناحية مستويات الثقافة فالمهاجرين كانوا بمستويات مختلفة، فمن الطبيعي أن يؤثر المثقفون². والتعريب اللغوي قد عززه تدفق الأندلسيون الهاربين من إسبانيا³، ولهذا يؤثر تركيبة الثقافة العربية والإسلامية، وكذا نجد أن طبقة الحرفيين الأندلسيين المهاجرين ساهموا بدورهم في التعريب.

فالجانب الغربي من بلاد الأمازيغ عامل التعريب فيه كان بالدرجة الأولى الهجرة إلى الأندلس من عرب شبه الجزيرة العربية حيث يذكر هشام يعيط "إن كثافة الحضور العربي لم توجد من الأول بل كان العنصر البربري هو الغالب عددياً على أن موجات الهجرة من إفريقية إلى الأندلس للجهاد والاستقرار تتالت لمدة جيل من 93 هـ إلى 123 هـ وكانوا يأتون مع كل والٍ جديد"⁴، أو الهجرة من الأندلس عند سقوط غرناطة. وعليه فالجهة الغربية لبلاد الأمازيغ كان عامل التقارب الجغرافي بينها وبين الأندلس هو ما ساهم بالدرجة الأولى في تعريب عناصر الأمازيغ، ويحلل محمد بن حسن موضوع الهجرة في الجانب الغربي "تعتبر فاس* المركز الأساسي الذي انطلقت منه هذه الحركة، وكانت بقعة عربية انفردت فيها كل مجموعة قبلية بخطة مستقلة، وقد

1- عبد الكريم غلاب، ج1، ص: 185.

2- نفسه، ص: 185.

3- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014م، ص: 230.

4- هشام يعيط، ص: 204.

*- سنتطرق إلى دور المدن المستحدثة من طرف العرب في تعريب الأمازيغ في العوامل الاستراتيجية.

ذكرت ضمن القبائل العربية المستقرة هنالك قيس وزاد وبجصب ومدحج وصدف¹ وذلك علاوة على المجموعات العربية القادمة من القيروان إلى الأندلس، بل هجرة نحو ثلاثمئة عائلة قيروانية* إثر الاضطرابات السياسية إلى فاس، وكذلك هجرة مجموعة العرب الأندلسيين الذي طردهم الحكم بن هاشم إلى مدينة المستحدثة وهذه الهجرة قد ساعدت كثيراً على نشر اللغة العربية في هذه الربوع².

وكخلاصة لما سبق ذكره فإن الهجرة الأندلسية سواء إليها أو منها ساهمت في مختلف فترات تاريخها في تعريب الأمازيغ، أي منذ فتحها وإلى سقوطها وبهذا كانت عاملاً هاماً في تعريب الجهة الغربية³ من بلاد الأمازيغ.

(3)- هجرة قبائل بني هلال إبان الدولتين: الزيرية والحمادية.

أ - تأسيس الدولة الفاطمية ببلاد الأمازيغ:

لقد سبق وأن تطرقنا إلى قضية القبائل العربية، وهذا في فترة الفتوحات الإسلامية أي القرنين الأول والثاني، حيث يعتبر تاريخ الهجرة حاسماً لأنه يشكل خرقاً للنظام الاجتماعي القائم على صلة القرى ونشوء نوع آخر من النظام الاجتماعي⁴، ومهما يكن فإن الهجرات من شبه الجزيرة العربية في فترة الفتوحات الإسلامية لم يكن لها أي تأثير قوي بحكم أن الأغلبية الديمغرافية كانت للأمازيغ، وكدليل على ذلك الجيش الفاتح للأندلس بقيادة طارق بن زياد تعداده 12 ألف أمازيغي مسلم و27 عربي فقط⁵، حيث يذكر بن عميرة محمد "ترك طارق بن زياد عليهم 27 رجلاً من العرب و12 ألف فارس، وهي العدة التي جعلها عليهم "حسان بن

1- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 127.

*- هنا نذكر أن التعريب مَس الأمازيغ الجهة الغربية عن طريق إما القبائل العربية التي استوطنت القيروان في وقت سابق عندما أسسها عقبه بن نافع رضي الله عنه، أو من طرف الأمازيغ أنفسهم المستعربون في الجهة الشرقية.

2- محمد حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 126، 127.

3- نفسه، ص: 126.

4- عبد القادر جغلول، ص: 29.

5- نفسه، ص: 37.

النعمان" وكانوا قد دخلوا الإسلام وحسن إسلامهم وأمر العرب السبعة والعشرين أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوهم في الدين. وعليه فإن جيشاً كثيفاً جلهم من البربر جعل منهم من يعلمهم القرآن والفرائض¹. وهنا نتوقف لنلاحظ أن هؤلاء الأمازيغ كانوا مسلمين بحكم أنهم كانوا ضمن الجيش الفاتح للأندلس، وبهذا تم تعريبهم أثناء الحملة من طرف 27 فرد عربي، وما نتصوره أنهم كانوا ضمن حلقات دينية ليتعلموا اللغة العربية، فهجرات القبائل العربية رغم تأثيرها في أسلمة الأمازيغ إلا أن تأثيرها في التعريب كان محصوراً نوعاً ما. ومنه، فمعظم المؤرخين أجمعوا أن الهجرة الهلالية في القرن الخامس هجري أثرت على البنية الاجتماعية لمنطقة الأمازيغ. وبالتالي، الوضع الديمغرافي².

وهنا لزم التفريق بين هجرة القبائل العربية في فترة الفتوحات الإسلامية ما بين القرن 1 هـ و2 هـ، والتي لعبت دوراً في تعريب المدن وبين دور هجرة القبائل الهلالية وبني سليم ومعقل التي ساهمت في نشر العربية في الأرياف وخاصة في المناطق الجنوبية القريبة من الصحراء في الجهة الغربية من بلاد الأمازيغ، أي المناطق الداخلية، وهكذا فقد لخص عبد العزيز الدوري سير التعريب بين المناطق الساحلية (المدن) والمناطق الداخلية (الأرياف): "وهكذا ظهر مساران لانتشار العربية في الشمال الإفريقي - الأول مسار موروث من عرب المدن ويرجع للفترة بين القرنين الأول والثالث للهجرة والثاني مسار انتشار العربية في ريف والسهوب ويرجع إلى العربية التي حملها معظمهم الغزاة البدو (بنو هلال وسليم) في القرن الخامس الهجري"³.

ويضيف العربي عقون أن المسح الجغرافي لتعريب التي أقامته قبائل بني هلال وبني سليم غير دقيقة، لكن على العموم فالاستعراب مسَّ المناطق الداخلية الممتدة من الجنوب التونسي إلى الصحراء الغربية وإلى سهول الجزائر الوسطى والمنطقة الوهرانية إلى المغرب، هذه المناطق شهدت التعريب البدوي الهلالي بالقبائل الزناتية في

1- بن عميرة محمد، ص: 16.

2- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 79.

3- نفسه، ص: 79.

القرن 11م (5هـ)¹، وكانت نتيجته تعريب قسم كبير من الأمازيغ، ولكي نفهم كيف تم التعريب عن طريق هذه القبائل لزم العودة إلى الأحداث التاريخية خلال العهد الفاطمي (القرن 10 م - 11 م).

وعليه نستعرض بإيجاز أسباب الزحف الهلالي لبلاد الأمازيغ، فقد تم هذا الزحف خلال فترة الدولة الحمادية² 1007 م-1153 م (398 هـ-547 هـ)، حيث أن أمازيغ قبائل زناتة* قد توسعوا في سهول واضطر قبائل صنهاجة** اللجوء إلى المناطق الجبلية الساحلية في كل من الجزائر الوسطى والشرقية³.

أما قبائل كتامة*** التي استقرت في الجبال**** فقد استقبلت داعياً شيعياً (أبو عبد الله الصنهاجي) أرسل من طرف عبيد الله المهدي الذي اضطهد من طرف العباسيين في المشرق. ومنه، تمركزت دعوة أو عبيد الله الصنهاجي في تازورت (ميلة)⁴. وهنا، بدأت الدعوة الفاطمية في كل من سطيف باجة وقسنطينة. وبهذا مهد عبد الله الصنهاجي الطريق لبيعه عبيد الله المهدي فبايعته قبيلة كتامة.

-
- 1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 21.
 - 2- لمزيد من المعلومات راجع صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر (من العهد الفينيقي إلى خروج الفرنسيين 814 ق م-1962م، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002م، ص: 66.
 - *- تعريف قبائل زناتة: هي من القبائل البترية من أبناء ورسطف حيث يعودون إلى نسل زانا أو (جانا أو شانا) بن يحيى بن ضري وبهذا يعرفون باسم زناتة وتكاثروا حي لقبوا بلقب الشعوب لدي المصادر خاصة لدي ابن خلدون حيث أن الجزء السابع من العبر مخصص لقبيلة زناتة ويرجع السبب حسب قوته إلى أن فترة كتابة ابن خلدون كانت السلطة بيد زناتة في دولة بني عبد الواد وكذا المرينية وبالتالي الهيمنة سياسية وليست ديموغرافية حيث نجد يتكلم عن زناتة كأنها كل الأمازيغ، راجع بوزياني الدراجي، ج1، ص: 154-157.
 - **- يذكر ابن خلدون، العبر، ج6 ص: 201، 242: "هم من قبائل بربر البرانس أصلهم إلى صنهاج بن بر بن صوكان بن منصور، أما بطونهم بلكانة، أنحفة وشرطة وملتونة ومسوقة وجدالة. ومندلسة وبنووارت وبنويتين وكان الملك في صنهاجة في طبقتين الطبقة الأولى لمكانته بين ملوك إفريقية والأندلس، والثانية مسوفة وملتونة من الملمثين ملوك المغرب المسمون المرابطين...وهؤلاء مواطنهم ببلاد الصحراء...وكان إسلامهم بعد فتح الأندلس وكانوا على دين المجوسية".
 - 3- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 22.
 - ***- كتامة هم أبناء كتم أو كتام بن برنس من البرانس ويطونها غرسن ويسودة، وتمتد مواطنهم من تخوم بجاية غرباً إلى بونة شرقاً ومن سواحل البحر المتوسط شمالاً إلى جبال الأوراس جنوباً، راجع بوزياني الدراجي، ج2، ص: 142-173.
 - ****- تعتبر الجبال من عوائق التعريب، حيث غالباً ما تحتفظ قبيلة كتامة بمهويتها الأمازيغية بحكم تحصنها في الجبال.
 - 4- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 22.

ونعود لتتوقف مرة أخرى عند إشكالية مبايعة الأمازيغ للعرب، وقد رأينا سالفاً في مبايعة إدريس مؤسس دولة الأدارسة، وهذه الظاهرة لم تكن موجودة سابقاً في الوجود الفينيقي أو الروماني أو الوندالي أو البيزنطي، وقد أطلقنا عليها مصطلح **الظاهرة** لأنها ستكون حدثاً انفرد به العرب مع الأمازيغ ومنه يعتبر عاملاً في تعريبهم.

ب - الجذور التاريخية لدولة الزيرية والحمادية:

لقد تأسست أولاً الدولة الزيرية من طرف زيري بن مناد الصنهاجي زعيم قبيلة صنهاجة في أثير بجبل تيطري . شرق قصر البخاري حالياً . وكانت هذه القبيلة مرغمة على الخضوع للخلافة العباسية، ولكن عندما استتب الأمر لدولة بني عبيد العلوية، انقلبت على السلطة العباسية وتحالفت مع الفاطميين، هؤلاء الذين استعانوا بها لمحاربة زناتة حلفاء الأمويين، ووجدت حروب طويلة الأمد بين صنهاجة وزناتة¹. ولما عزم المعز بن المنصور العبيدي على الانتقال إلى مصر عهد أمر إفريقية إلى بلكين زيري الصنهاجي.

وتصريحه عند توليه أمر إفريقية مثير للجدل، حيث ذكر "يا مولانا أنت وأبائك الأئمة من ولد الرسول ﷺ ما صفا لكم المغرب فكيف يصفوا لي وأنا صنهاجي بربري"^{*}، وقد ذكرنا أنه مثير للجدل بحكم أن الأمازيغ كانوا دائماً معترزين بأصولهم لكن اختلف الأمر مع الوجود العربي.

وبعد أن أقنعه المعز تأسست الولاية الزيرية²، ومن أهم مميزات هذه الولاية في عهد الفاطميين أنها دخلت في صراع مع زناتة وكتامة. فنزاتة بسبب الاختلاف التحالف، حيث تحالفت مع الأمويين في الأندلس، أما كتامة فرغم أن لها الفضل في تأسيس الدولة العبيدية (الفاطمية)، إلا أن الزعامة لإفريقيا أعطيت لصنهاجة، وبهذا كانت كتامة مستقلة عن صنهاجة، وواصل منصور بن بلكين محاربة القبيلتين، وفي عهد ولده باديس حاولت زناتة افتكاك أراضي من الزيريين، وبهذا أوزع باديس إلى عمه حماد بن بلكين أمر القضاء على قبيلة زناتة. هذا

1- عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج1، ص: 321.

*- إشكالية النسب من أجل شرعية السلطة وهو انعكاس للعوامل التعريب التي سنتطرق إليه في الفصل الرابع من الأطروحة.

2- لمزيد من المعلومات حول الدولة الزيرية، راجع عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج1، ص: 320-385.

الأخير سوف يؤسس نواة الدولة الحمادية عاصمة القلعة التي ستذكر فيما يأتي، وبهذا ظهرت دولتين: الزيرية بزعامه باديس بن منصور بن بلكين والدولة الحمادية بزعامه "حماد بن بلكين"¹، وظهر الخلاف بينهما، الدولة الزيرية متحالفة مع دولة الفاطمية تحت لواء المذهب الشيعي، والدولة حمادية التي رفضت المذهب وأعلنت استقلالها عن الدولة الفاطمية، واستمر العداء بعد وفاة باديس ليرث الخلافة ابنه المعز بن باديس، لكن وجدت فترة مهادنة عندما أعلن المعز تبني المذهب السني وإعلانه الانفصال عن الدولة الفاطمية.

ج - الزحف الهلالي:

تعتبر هجرة قبائل بني هلال وبني سليم ومعقل* المرحلة الثالثة** من مراحل الصراع اللغوي أما من ناحية مراحل هجرة القبائل العربية فتعتبر المرحلة الخامسة***، وتشمل هذه المرحلة القرنين 5 هـ / 6 هـ وأهم ما يميزهما هو

1- من مميزاتهما أنها أول دولة أمازيغية إسلامية راجع: مبارك بن ميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون تاريخ، ص: 236.

*- قبائل بني هلال: هم جموع هلال بن عامر إحدى أهم القبائل العربية الداخلة إلى المغرب، وتميزوا بكثرة أعدادهم مقارنة بقبائل معقل وبناو سليم. أصلها من معد بن عدنان ويمكن حصر بطونها فيما يلي (الأثيج، جشم، رياح، زغبي، عوف). راجع: عبد الوهاب بن منصور، ص: 417. كذلك راجع أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص: 129، 130.

قبائل بني سليم: هم قبائل سليم بن منصور، وقد استقروا أولا بإقليم برقة وطرابلس لم يدخلوا المغرب إلا بعد هجرة من سبقوهم هلال ومعقل وتمثلت بطوئهم فيما يلي: (دباب، زعب، عوف، هيب) راجع: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، ص 428، 431.

قبائل معقل: لا نجد بعض المؤرخين يركزون عليهم لأنهم اعتبرهم البعض من بطون بني هلال ورجح ابن خلدون أن يكونوا من ولد معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث ويزعم المعقلون أنفسهم أنهم هاشميون من ذرية جعفر بن أبي طالب ويطوئهم (الثعالبة، ذوي حسان، ذوي منصور، ذوي عبيد الله، الرقيات، الشبانات)، راجع: عبد الوهاب بن منصور، ص: 424-427.

** - المرحلة الثالثة بحكم مراحل الصراع اللغوي في بلاد الأمازيغ فقد اعتبر أحمد مختار عمر أن الصراع اللغوي في المنطقة ينقسم إلى ثلاث مراحل: -

المرحلة الأولى: مرحلة التعادل بين اللغتين (من الفتح الإسلامي - نهاية القرن 1هـ / 8، 7م)، المرحلة الثانية مرحلة اختلال ميزان القوى لصالح اللغة العربية القرن 2 هـ - ق هـ، أما المرحلة الثالثة مرحلة الاستقرار القرن 5 هـ - 6 هـ راجع: أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، ص: 69-79.

*** - المرحلة الخامسة نسبة إلى هجرة القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الأمازيغ. فالمرحلة الأولى هجرة الفاتحين، المرحلة الثانية، هجرة العرب المعارضين للدولة المركزية في الشرق (هجرة الخوارج) وقد تعرضنا إليها سابقا، مرحلة الثالثة: هجرة جاءت بعد فتح الأندلس، والمرحلة الرابعة هي مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية سواء الرستمية، الأغالبة أو الأدارسة. أما المرحلة الخامسة فهي المرحلة التي نحن بصدد دراستها هجرة قبائل بني هلال وبني سليم. راجع بهذا الصدد عبد الكريم غلاب، ج1، ص: 172-180.

الهجرتان العربيتان اللتان تمت إحداهما في القرن 5 هـ وأخرى في القرن 6 هـ، وقد أجمع معظم المؤرخين أن هاتان الهجرتان هما اللذان أكسبتا بلاد الأمازيغ صفة المغرب العربي وبهما تم تعريب البلاد نهائياً، وبهذا ظهرت الغلبة للعنصر العربي ولغتهم، أي الانتقال من التعريب اللغوي إلى التعريب الجينيولوجي* (العرقى) بمصاهرة كاملة وامتزاج تام بين الأمازيغ والعرب وقبل أن نفصل في الهجرتين لزم ذكر الميزة هاتان الهجرتين عن ما سبقهما من الهجرات التي ذكرت سالفاً¹:

-أنهما تمنا بطريق القصد والعمد بهدف الاستيطان وشملت أعداد كبيرة من العرب لم يسبق لمثلها أن دخلت بلاد الأمازيغ، حيث يذكر ألفرد بال: "ما أعظم الفارق بين هؤلاء الغزاة العرب في القرن 11م، وبين أولئك الفاتحين العرب الذين فتحوا المغرب ابتداء من القرن السابع ميلادي. إن هؤلاء الأخيرين عرب الفتح الأول كانوا جيوشاً حقيقية مؤلفة من المحاربين العرب. صحيح أن غالبيتهم كانوا من البدو الفقراء من جزيرة العرب، لكن زعماءهم كانوا من أهل المدن، وكانوا في الغالب مسلمين صحيحي الإيمان قادرين على تنظيم البلاد التي يفتحونها فأسسوا مدناً وأقاموا حكومات وفرضوا على البربر شريعة الإسلام وعقائده"².

ومنه، يمكن أن نحدد أن هجرة الفتح وهجرة قبائل بني هلال وبني سليم تشتركان³ في أن كلاهما أعطى لبلاد الأمازيغ تأثير وفعالية، فهجرة الفتح أمدت الأمازيغ بالعقيدة والإيمان والثانية، أي هجرة قبائل بني هلال وبني سليم أي أمدتهم باللغة والقومية (التعريب).

لن نخوض في متاهات الأحداث التاريخية التي أدت نتيجتها إلى هجرة بني هلال وبني سليم، لكن سنختصر الأحداث لنستطيع تتبع الهجرة ومنه نتيجتها في تعريب بلاد الأمازيغ.

* - Genealogy هي كلمة لاتينية يقصد بها **genea** المنشأ و **logy** علم بمعنى علم أصول المنشأ

1- أحمد مختار عمر، ص: 79.

2- ألفرد بال، ص: 213.

3- عبد الوهاب منصور، ص: 411.

- لمحة تاريخية لأسباب الهجرة:

لمعرفة جذور و أسباب التاريخية لهجرة قبائل بني هلال نعود إلى العلاقة بين المعز و الدولة الفاطمية، حيث إن المعز بن باديس الصنهاجي¹ من نسل الأمير بلكين بن زيري أول حاكم صنهاجي للمغرب من طرف الدولة العبيدية لكن مع مجيء المعز بن باديس (453-406هـ) تغيرت العلاقة بين الدولة الفاطمية وبلاد الأمازيغ بزعامة قبائل صنهاجة، حيث أعلن عداؤه الصريح للفاطميين وغير مذهبه إلى المذهب السني (مذهب مالك بن أنس) سنة 443 هـ، وخلع بذلك الطاعة للفاطميين² ليحولها لبني العباس، فأرسل بيعته إلى أبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله العباسي ببغداد سنة 1048 (440 هـ)، وأمر بالدعاء له والرضا عن الخلفاء الأربعة والعباس ولعن بني عُبيد فوق المنابر، وفي نفس السنة بعث إليه أمير برقة جبارة بن مختار العربي سنة 1051 (443 هـ) يبايعه³، وهنا كان لابد لمركزية الدولة الفاطمية في القاهرة بمصر أن تنتقم من هذا التمرد المعلن من طرف المعز بن باديس الصنهاجي، وحركت هذه الأحداث المستنصر للانتقام فأشار عليه وزرائه* بتسريح قبائل بني هلال وبني سليم إلى بلاد الأمازيغ أين كانوا يتواجدون في صعيد مصر**، فاستجاب المستنصر للفكرة التي

1- صنهاجة: من قبائل الأمازيغ فرع البرنس من ولد برنس بن بر. وتعتبر قبائل صنهاجة من أكثر القبائل عددا في الأمازيغ ويذكر ابن خلدون في هذا السياق " لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسط يعني سهل" وبتوهم أكثر من سبعين بطن اختصرهم ابن خلدون في أنجفه وتلكاتة وشرطة وجدالة وملتونة، مسفونة، ومنذلة، وبنو وارث، وبنو بيتسن. لمزيد من التفصيل راجع ابن خلدون العبر، ج6، ص: 309، 310.

2- عبد الوهاب بن منصور، ص: 389.

3- نفسه، ص: 389. أحمد مختار عمر، ص: 80.

*- الفكرة جاءت من الوزير المجراني الاقطع، لكن توفي قبل تنفيذها فنقلها بدل عنه اليازوري حسن بن علي وقد تولى الوزارة بعده.

**- كانت قبائل بني هلال وبتوهمها من أتيج، جشم، ربيعة، رياح، زغبة، وعدي تقيم بصعيد مصر وكانوا الاعراب يصيبون لدولة الفاطمية متاعب حمة حيث لزم الذكر انه قبل تواجدهم بصعيد مصر كانت القبائل العربية الثلاث بني هلال، بني سليم، وبني معقل كانوا يسكنون القفار بمعنى الصحاري التي تفصل الحجاز ونجد بعضهم نرح إلى مصر إثر فتحها لكن أغلبيتهم تمركزوا بين الحجاز ونجد و عندما ظهرت في جزيرة العرب دعوة القرامطة الذين ينتسبون إلى الشيعة الاسماعيلية وقوى أمرها وانظم إليها القبائل العربية واستطاعت بذلك احتلال مكة سنة 925م، لكن عندما استتب الأمر لخلفاء بني العباس هزمهم وأعادوهم إلى ديارهم بين الحجاز ونجد وجلوهم عن حملة شديدة ضد هذه القبائل قصد إخماد شوكتها، فلما هزمها أجبرها على ترك الجزيرة العربية والهجرة إلى مصر، حيث أسكنها الصعيد وتحديداً جنوب

ستصيب هدفين بسهم واحد، أولهما الانتقام من صنهاجة لأنها فكت عصى الطاعة للدولة الفاطمية، وثانيهما التخلص من هؤلاء الأعراب التي كانت إقامتهم بصعيد مصر تسبب للدولة الفاطمية كثيراً من المتاعب، ولترغيبهم بالهجرة والاستيطان ببلاد الأمازيغ أعطى لكل واحد منهم بغيراً وديناراً، وصرح لهم "قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس فلا تفتقون" وكتب إلى أهل إفريقية يقول: "أما بعد فقد أنفدنا إليكم خيولاً فحولاً وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"¹. ومنه، جاز العرب النيل وساروا إلى برقة فنزلوا بها واستباحوها لكن مع الموجة الثانية من الهجرة اشترط المستنصر أن لا يهاجر القبائل إلا بعد أن يدفعوا دينارين لكل رأس* وكان شرق بلاد الأمازيغ من حظ قبائل سليم²، وغرب بلاد الأمازيغ من حظ بني هلال، فأقامت قبيلة هيب، رواحة وناصره وغمرة من بطون قبائل سليم في برقة، وسارت قبائل بني هلال من ذياب وعوف وزغبة إلى إفريقية والمغرب، ولقد كان مني الممكن أن يقف الأمر عند هذا الحد، لكن قام المعز بن باديس بفكرة استبدال** ابناء عمه الصنهاجيين في الجهاز العسكري بالعرب الآتون من مصر، وهنا قرب إليه مؤنس بن يحيى الصنبري أمير بطون رباح من العرب، واستقدم أمير رباح ما بقي من الأعراب بغرض تجنيدهم في جيش المعز، لكن ما كادوا يشاهدون أول قرية حتى استفزهم الطمع وتنادوا هذه القيروان ونهبوها³، فحاول المعز تدارك الأمر بالسياسة فأرسل الفقهاء إلى الأعراب يعظونهم، فكتبوا العهود بالسلم لكن ما لبثوا أن نكثوا العهود وأفسدوا الأرض والديار.

شرق النيل عام 980م. راجع: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص: 138. وكذا عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، ج1، ص: 390.

1- ابن خلدون العبر، ج6، ص: 315.

* - نلاحظ أن المستنصر قد عوض ما صرفه بأمره في الدفعة الأولى من الهجرة وقد كان هذا ذكاء منه.

2- عبد الوهاب بن منصور، ص: 391.

** - هذه إشكالية في حد ذاتها وهي الصراع الدائم بين الأمازيغ وعدم وحدتهم، وهذا ما ساعد على التعريب وسنفصل فيها لاحقاً.

3- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص: 323.

وهنا ما كان على المعز إلا أن يغير استراتيجية من المهادنة إلى الميدان العسكري فأقام تحالفاً يضم بني جلدته من الأمازيغ، ويتألف التحالف من (ابن عمه القائد بن حماد امير قلعة، حيث أمده بألف من الفرسان والمستنصر بن خزرون أمير مغراوة هو الآخر أمده بألف من الفرسان واستنصر جميع القبائل صنهاجة وزناتة، يوم 10 ذي الحجة 443 هـ-13 أبريل 1025م)، إضافة إلى هذا التحالف الأمازيغي وجد فيه أيضاً أحفاد عرب الفتح وسار الحشد المعز بن باديس لملاقاة جيش العرب الهلاليون، الذي كان تعدادهم ثلاثة آلاف فقط، أما جيش المعز تعداده ثلاثين ألفاً، لكن رغم هذا التعداد الكبير إلا أن جيش المعز انهزم، وخذلت كل من صنهاجة وزناتة و تعود أسباب الانهزام إلى ما يلي:

- 1) أسباب استراتيجية: فقد كان بالدرجة الأولى سبب الانهزام إذ سبق فرسان عرب الهلال جيش المعز إلى المنطقة الاستراتيجية في سفح وأودية قرب جبل حيدران ومنه أولوية المراقبة.
- 2) أسباب عسكرية: تعود إلى انشقاق عرب الفتح عن جيش المعز، حيث انحاز في نهاية المطاف عرب الفتح لأخوتهم عرب هلال. وبالتالي، تعرض جيش المعز إلى خديعة بانشقاق جيش عرب الفتح، وهنا نفتح قوسين حول تحالف العرب فيما بينهم إذ أنه رغم بيئتهم المختلفة إلا أن العصبية العربية استفاقت في ضمير عرب الفتح رغم مولدهم في بلاد الأمازيغ، وتحالفوا مع إخوانهم عرب الهلال والملاحظ هنا تكتل العرب وانقسام الأمازيغ. بفكرة المعز باستبدال بني جلدته المعز لبني جلدته بالعرب في المجال العسكري، ويعتبر التحالف العربي بين عرب الفتح وعرب بني هلال أحد العوامل المساعدة على التعريب، حيث يذكر غوستاف لوبان حول الإشكالية¹ "ولم يلبت ذلك الاستقلال البربري أن صار شؤماً على إفريقية، فقد انقسم البربر إلى زمر لا تحصى تبعاً لغريزتهم التي تمنعهم من تأليف أمة كبيرة".

1- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 267. وهذه من العوامل المساعدة للتعريب أي عدم وحدتهم وتشتتهم.

ثم سار العرب إلى القيروان وحاصروها وخرّبوا القرى من حولها فاضطر المعز بعد سنتين من الحصار إلى مفاوضة شيوخ العرب وصاهر* ثلاثاً من أمرائهم بناته، وأثناء الحصار كان العرب يوسعون رقعة نفوذهم، فملكوا جميع الساحل فاقتسموا المغرب الأدنى فكانت طرابلس وما يليها من حظ بطون زغبة، وباجة وما يليها من حظ بطون قبائل مرداس، وتوزعت بلاد الأمازيغ، فكانت بلاد تونس إلى الغرب لبطون قبائل هلال، وهم (رياح وزغبة)، أما قبائل المعقل وهم (جشم وقرّة والأثيج والخلط وسفيان)، وفي يوم السبت أول رمضان 449 هـ الموافق لأول نوفمبر 1057م، استولى الأعراب على القيروان فخرّبوها وطمسوا معالم عمرانها، واستولوا على قصور آل بلكين، وكان المعز قد انسحب إلى المهديّة وتبعه العرب وحاصروها وواصلوا التضييق على صنهاجة وزناتة، وانهمز أيضاً جيش أمير تلمسان بقيادة وزيره أبي سعدي خليفة اليفريقي، وبهذا ملك العرب جميع بلاد إفريقية وجنوب المغرب الأوسط، وانتقل المعز مع أهله إلى المهديّة، وعاش بها بقية حياته حتى توفي سنة 453 هـ. هذا ما يهمننا بالنسبة لهجرة بني هلال وبني سليم، وما يمكن أن نستعرضه من نتائج ترتبت عنها:

- نتائج الهجرة:

1- سيطرة عرب بني هلال وبني سليم على إفريقية حيث يذكر غوستاف لوبان¹ وتدفق العرب كالسيل على إفريقية في أواسط القرن 11م¹، أما تعداد المهاجرين فلا يوجد أرقام دقيقة لكن غوستاف لوبان يحددهم بمليون.

2- يتفق معظم المؤرخين أن النتيجة التي ترتبت عنها هذه الهجرة هي تعريب البلاد²،

*- المصاهرة عامل من عوامل التعريب الاجتماعية، وسيتم التطرق إليها لاحقاً.

1- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 268.

2- أحمد مختار عمر، ص: 82.

حيث يذكر غوستاف لوبان: "بيد أنه كان للغارة العظيمة الجديدة التي شنها العرب شأن لآخر. فلما حشر العرب جموعاً كثيرة في إفريقية حولوا فريقاً كبيراً من البربر إلى عرب وكان الأمر غارة أمة لا غارة عسكرية"¹.

ومهما يكن من أمر، فإن التعريب لم يكن بين ليلة وضحاها، حيث أن عملية التعريب كانت بطيئة وتمت على مدى سنين وسنين ويدعم هذا الطرح غوستاف لوبان، حيث يقول: "وقمت تلك الهجرة ببطء، ولم يملا العرب شمال إفريقية إلا بتدرج، فقد جاوز العرب طرابلس الغرب بعد أن مكثوا بها سنتين، وزحفوا خطوة خطوة ووجلوا في الأودية جماعات على مهل، واختلطوا بالسكان رويداً رويداً وزاد عددهم شيء فشيء، وفرضوا بفضل كثرتهم، على البربر عاداتهم ودينهم ولغتهم بعد بضعة اجيال، ولم يتركوا لأمرء البربر سوى سلطة وهمية. ولم يفلت من نفوذهم غير القبائل التي استقرت في جبال التل وبعض البقاع الجنوبية"². لكن النتيجة في الأخير هو اندماج العنصر الأمازيغي مع العربي، حتى أصبح من العسير فيما بعد تمييز الأمازيغي من العربي، وقد صار الجميع عرباً باللسان فيما عدا قلة من الأمازيغ نجحوا في الاحتفاظ بنقاوة جنسهم لسكنهم المرتفعات³.

وما يهمننا الآن من هذا الجانب التاريخي هو الأثر الجينيولوجي الذي تركته هجرة عشرات الآلاف من العرب إلى المغرب، وما نتج عنه من تعريب الإنسان ولسان، فقد كانت هذه الهجرة استطانية ورغم ما كانوا يثرونه من رعب بين سكان الأمازيغ، فقد انتهت الاختلاط وبالتالي المصاهرة⁴، فقد سبقت الإشارة أن رجال دولة بني الزيري، أي أمراءها كانوا يزوجون بناتهم من سادة هؤلاء العرب الوافدين، إذ أن المعز بن باديس أثناء

1- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 268.

2- نفسه، ص: 269.

3- أحمد مختار عمر، ص: 86.

4- عبد الكريم غلاب، ج1، ص: 183.

حصار القيروان صاهر ثلاثة من أمراء القبائل العرب بيناته، وهؤلاء اقتسموا بلاد الأمازيغ، فعلى سبيل المثال لا الحصر عائد بن أبي الغيث المرديسي¹ حكم مدينة تونس 1054، وبهذا الاختلاط والانصهار أوجد جيل جديد ضمن مجتمع واحد أمازيغي عربي أو عربي أمازيغي.² وهكذا صار المغرب مملوءاً من أدناه إلى أقصاه بالعرب النازحين من بني هلال وبني سليم وعرب الفتح، وصارت علامة التمايز بين القبائل الأصلية والأخرى الطارئة، كلمة (بني) وكلمة (أولاد) فكل قبيلة يتدأ اسمها ببني مثل بني ورياغل هي من القبائل الأمازيغية المستعربة وكل قبيلة يتدأ اسمها بأولاد مثل أولاد جامع هي عربية الأصل³، ويذكر ألفرد بال "وهكذا بدأ هؤلاء العرب الذين كانوا منذ القرن 11م عنصراً جديداً من سكان المغرب وسيكونون هم وذريتهم على علاقات مستمرة مع البربر يسكنونهم ويمتزجون بهم شيء فشيء صحيح أن من الممكن أن نجد حتى اليوم قبائل عربية شبه خالصة في بلاد المغرب، وصحيح أن فيه قبائل بربرية واضحة البربرية لم يمتزج بها إلا القليل من الدم العربي ومع ذلك، فإن الغالبية العظمى من السكان الأصليين في إفريقيا الشمالية هم مزيج من العرب والبربر أنهم ثمرة امتزاج وثيق في عصور مختلفة بين عناصر بربرية وعناصر عربية من بطون بني هلال وبني سليم... وكانت نتيجة هذا الاتصال المستمر منذ القرن الحادي عشر ميلادي، وهذا المزيج بين عرب بني هلال وبني سليم من ناحية وبين البربر من ناحية أخرى نتيجته لغوية هي تعريب البربر وانتشار اللغة العربية بين أرياف المغرب"⁴، وهنا يستوقفنا تصريح ألفرد بال في موضعين:

1- عبد الوهاب بن منصور، ج1، ص: 394.

2- ألفرد بال، ص: 214.

3- عبد الوهاب بن منصور، ج1، ص: 409.

4- ألفرد بال، ص: 214، 215.

الموضع الأول: ذكره امتزاج وثيق بين الأمازيغ و العرب، حيث نتساءل لماذا الأمازيغ لم يمتزجوا بالوندال* سابقاً مثلما حدث مع قبائل بني هلال وبني سليم وما الفرق بين هجرتين** : قبائل بني هلال وبني سليم وهجرة الوندال بحكم أن العنصر المشترك بينهما هو أن كلاهما لم يكن أهل حضارة، وكان كلاهما لا يقدران القيم الحضارية، حيث يذكر عقون "من الغريب حقاً، بل من العجيب أن يحدث تحول أثنوسوسيولوجي في شعب يعد بالملايين من قبل بضعة آلاف من البدو- فإن عدد الوندال كان ثمانون ألفاً(80000) وهو يساوي تقريباً لعدد الأعراب الذين اكتسحوا إفريقيا في القرن 11م، فماذا بقي من الوندال في إفريقيا بعد قرنين من غزوهم لها؟ لقد محا الاحتلال البيزنطي الوجود الوندالي نهائياً.. أما آثار اكتساح الأعراب للمغرب في القرن 11 م فهي قوية وبادية للعيان استعراب القسم الأكبر من الشمال الإفريقي واعتباره دولة عربية"¹. ومنه، ينفي العربي عقون العاملان²: "ليس تراجع الأمازيغ من السهول نحو الجبال ولا خصوبة الأعراب هي التي تُنتج الاستعراب"^{***} وبالتالي، فالإشكالية تفسر بمعرفة التاريخ القديم لنستطيع تحليل الفروقات بين الوندال والأعراب، ويذكر عبد الله العروي "كان الوندال بالفعل يعتبرون أنفسهم

*- الوندال: أحد الشعوب الجرمانية استوطنوا سواحل البلطيق شمالي نهر الدانوب حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، وخلال القرن الخامس ميلادي بدأوا ينتشرون في جنوب ألمانيا ثم تقدموا إلى بلاد الغال (فرنسا) واحتلوا أيضاً جبال ألبيري في إسبانيا، ثم تقدموا إلى مضيق جبل طارق إلى إفريقيا عام 429 ميلادي في جموع كثيرة تقدر بنحو 80 ألف شخص (رجال نساء شيوخ أطفال) يقودهم ملكهم جزريك GAISERIC (419-477 م) وسيطروا على الجزء الغربي من الشمال الإفريقي. راجع بهذا الصدد يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2009م، ص: 54.

** - لقد عرفت البشرية هجرات متعددة فمنها الفاعلة ومنها المدمرة، وهذه الظاهرة قد مرت بها حضارات قديمة بموجات من الزحف والهجرة والاختلاط تحكمت في ذلك عدة عوامل أبرزها العامل الاقتصادي والعامل الجغرافي ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر هجرات مثل الإمبراطورية الرومانية وقضاؤها على الإمبراطورية القرطاجية. هجرة التتار والمغول المدمرة. راجع: عبد الكريم غلاب، ص: 165-173.

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 23. راجع أيضاً غابرييل كامب، ص: 321.

2- نفسه، ص: 23.

*** - الاستعراب حسب مفهوم العربي عقون هو التحول الشعبي الإرادي إلى العربية الشفوية بمعنى اللهجة متميزة عن التعريب الذي يعني اللغة العربية الفصحى أو الرسمية، راجع العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، هامش رقم 44 ص: 31، لكن لقد رأينا سابقاً في المدخل أن الازهري ومن ناحية اللغوية وحد بين مفهوم التعريب والاستعراب.

ورثة الروم في كل شيء، لم يتفطنوا إلى حدود إفريقيا الرومانية ولم يغيروا شيء من تنظيماتها... لكن جيزريك جرد أولئك من عقاراتهم بسبب نزعته الأريوسية* ويضيف "واجه الوندال باستمرار خطرين: الأول خارجي متمثل في إمبراطور الشرق، والثاني داخلي متمثل في الكنيسة الكاثوليكية، لذا اكتسبت كل الأزمات داخل إفريقيا صبغة دينية"¹.

وبناء على ما سبق، فإن الفرق بين الاجتياحان ديني بالدرجة الأولى، فقبائل بني هلال وبني سليم مع الأمازيغ كانوا يشكلون بوتقة واحدة في الديانة الإسلامية، ورغم همجية هؤلاء إلا أن التمازج حصل بحكم اعتناق الإسلام منذ قرون بنسبة للأمازيغ، فالأسلمة سبقت التعريب. وبالتالي، فالأمازيغ رغم كل ما حصل من اضطرابات في دولة بني الزييري كانوا ينظرون إلى الآتين من الشرق نظرة تقديس خاصة قبائل الفتح الإسلامي، إن معظم القادة الذين فتحوا بلاد الأمازيغ كانوا من الصحابة والتابعين، وبالتالي وُظف مخيال تقديس الشخصيات التي كانت لها علاقة بسيدنا محمد ﷺ ليساعد على الامتزاج، وبالتالي اندماج المجتمعان الأمازيغي والعربي.

أما الوضع الثاني: ذكره مناطق التعريب فقبائل بني هلال وبني سليم واصلت مسيرة التعريب وأكملتتها بالأرياف بعدما تعربت المدن سابقاً من طرف عرب الفتح، حيث أن ألفرد بال يصرح بصدد تعريب الأقاليم الجغرافية بما يلي: "وقد لاحظنا من قبل أن العرب والمشاركة المسلمين الذين حكموا الشمال الإفريقي في

* - مذهب أريوس ينسب إلى القس أريوس الذي انشق عن الكنيسة الرومانية وعاش بالإسكندرية القرن 4 م. راجع عبد الله العروي، ج 1 ص: 106. ومن الناحية اللاهوتية فإن مذهب أريوس يقر أن الذات الإلهية أصلها واحد بمعنى أنه مذهب أقرب إلى التوحيد منه إلى التثليث. وبالتالي، جل جلاله هو الأب وأن المسيح كلمه الله في الأرض وابنه الذي يجسد الانسانية عن طريق الاصطفاء وهو مخلوق لا إله وإن روح القدس أيضاً مخلوق أي أثر إلهي منتشر في الكون وهو الوسيط بين الاب (الله) والابن (عيسى عليه سلام) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. راجع: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح، الملل والنحل، تحقيق أمير على مهني، على حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، ج1، 1993م، ص: 272.

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 106، 107.

القرن الثامن ميلادي إلى القرن الحادي عشر ميلادي لم يعربوا غير المدن وضواحيها. لكن ابتداء من القرن الحادي عشر ميلادي تعريب الأرياف بفضل نفوذ العرب البدو مع الغزو الهلالية¹.

وخلاصة القول أن الهجرة الهلالية أكملت التعريب بتعريب الأرياف التي كانت محصنة وباجتياح تلك القبائل اكتمل التعريب بين المدن والأرياف.

وبعد أن وضحنا مدي تأثير قبائل بني هلال في التعريب، لزم أن نطرح إشكالية الأسئلة، هل هؤلاء كانوا يمثلون الإسلام مثل أسلافهم الذين سبقوهم في فترة الفتوح؟

الإشكالية يجب عليها ألفرد بال «فينبغي ألا نظن من هذا أنهم كانوا دعاة للإسلام عقيدة وشريعة (يقصد قبائل بني هلال) لقد كانوا بطبعهم غير صالحى الإسلام إلى حد كبير جدا»²، ويُلوّح أن الأمازيغ المسلمين خصوصاً هم الذين بثوا روح الإسلام في هؤلاء، وبالتالي نستنتج أن التأثير كان متبادلاً، فالقبائل العربية جددت إيمانها بتأثير من القبائل الأمازيغية، وهذه الأخيرة عربت بتأثير من القبائل العربية، وبهذا التأثير كان من الجهتين لكن اختلف، فالأول كان أساسه ديني والثاني سوسولوجي، وبهذا نستخلص أن الإسلام له علاقة وطيدة بتعريب الأمازيغ، حيث أن هؤلاء العرب الغازين على خلاف أسلافهم³ الفاتحين العرب أهدافهم اختلفت جملة وتفصيلاً، فلم يأتوا لضم بلاد جديدة إلى دار الإسلام، ولم يكن لهم أي ميل لنشر الدعوة الإسلامية ولا للاستشهاد في سبيل الله، ولم يكن هدفهم إعادة المذهب الشيعي كان هدفهم الاستيطان في مناطق خصبة في بلاد الأمازيغ. وبالتالي، فإن الهجرات العرب في القرن الحادي عشر ميلادي كان عامل خراب اقتصادي وسياسي في المغرب ولم تكن له أهداف دينية.

1- ألفرد بال، ص. 214، 215.

2- نفسه، ص: 215.

3- نفسه، ص: 219.

لكن نتائجها تمثلت في أن دخول هؤلاء العرب البدو إلى بلاد الأمازيغ سهل انتشار اللغة العربية بين أرياف بلاد الأمازيغ، واستطاع الأمازيغ بفضلهم تحصيل اللغة العربية من القبائل العربية الغازية، وأن يتعمقوا في الثقافة الإسلامية التي أساسها اللغة العربية. وبالتالي، فإنه من الخطأ الاعتقاد أن قبائل بني هلال وبني معقل وبني سليم هم الذين عرفوا وعمقوا الحضارة الإسلامية، وإنما الأسلمة كانت بفضل العرب الفاتحين أما تحصيل اللغة العربية كان من خلال قبائل بني هلال، والمثير للاهتمام أن تعميق دراسة الحضارة الإسلامية كان بأيدي الأمازيغ أنفسهم، أي أن تعلم اللغة العربية كان وسيلة لتحصيل الثقافة الإسلامية التي يستحيل أن يطورها وهم يجهلون اللغة العربية¹.

وخلاصة القول أن، العنصر الأمازيغي عمق إسلام العنصر العربي الذي اجتاحت بلاده في القرن 11م، بينما هذا الأخير (أي العنصر العربي) نقل إلى الآخر (الأمازيغ) لغته العربية التي كانت نتيجتها تحصيل الثقافة الإسلامية وهذا عن طريق وسيلة الامتزاج*، ولكن السؤال المطروح كيف تم انتشار اللغة العربية في الأرياف، فالانتشار تم شيء فشيء بمعنى ببطء. أي مر بمراحل نتج عنها في النهاية ظاهرة اجتماعية هي التعريب وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر المقبل.

- مراحل امتزاج القبائل العربية بالقبائل الأمازيغية وآثارها:

(1) المراحل:

1- ألفرد بال، ص: 220.

*- سنتطرق إلى امتزاج واندماج القبائل العربية مع القبائل الأمازيغية عن طريق تصاهر في العوامل الاجتماعية.

إن ربط التغيير السوسولوجي في منطقة بلاد الأمازيغ بالهجرة الهلالية ونتيجة السياسية المتمثلة في انحطاط بلاد المغرب¹، والنتيجة الاجتماعية السوسولوجية المتمثلة في التعريب، ترتبط أساساً بالإنسان نفسه، حيث مرت بعدة مراحل مختلفة حسب مجالات متنوعة:

1) المراحل السياسية: إن مراحل التعريب الأمازيغ عبر هجرة الهلالية تلخص كالاتي:

المرحلة الأولى: تتجلى هذه المرحلة في مرور الموجة الهلالية الأولى نهر النيل سنة 442هـ/1050م في نحو الأربعة مائة ألف شخص²، حيث أنه سابقاً كان ممنوعاً عليهم تجاوز نهر النيل غرباً، يذكر ابن عذاري المراكشي "وكان قبل ذلك ممنوعاً لآي يجوزه أحد من العرب"³. ويذكر ابن خلدون أن بطون قبائل بني هلال كانت على خلاف بينها وهي "زغبة ورياح" وكانت بينهم حروب وحقوق⁴، فأصلح بينهم اليازوري استعداداً لدفعهم إلى الهجرة ووعدهم "بالمدد والعدد"⁵. نستخلص مما سبق ذكره أن سياسة الدولة الفاطمية في مصر مع القبائل بني هلال المهادنة لحثهم إلى الهجرة نحو بلاد الأمازيغ تمثلت في المرحلة الأولى بالترغيب من ناحية السياسة والإغراءات من الناحية المادية، ففي المرحلة الأولى السلطة الفاطمية هي التي أعطت بغيراً وديناراً لكل واحد منهم⁶ تشجيعاً منهم على الهجرة واجتياز نهر النيل.

1- علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي، الوسيط قراءة في نقاش تاريخي مجلة دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص: 29.

2- بوخالفة عزى، تغريبه بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، 2002-2003م، ص: 80.

3- ابن عذاري، البيان، ص: 288.

4- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 36، 37.

5- نفسه، ص: 40.

6- نفسه، ص: 41.

المرحلة الثانية: لقد كانت هجرة قبائل العرب من مصر إلى بلاد الأمازيغ على مراحل، فبعد المرحلة الأولى التي تميزت بتشجيع السلطة الفاطمية للقبائل العربية تبعثها هجرات أخرى¹ وتميزت المرحلة الثانية بتغير السلطة الفاطمية سياستها تجاه القبائل العربية التي حاولت اجتياز نهر النيل بعدم السماح لهم إلا بعد أن "يعطوا لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه"².

بناء على ما سبق، فإن سياسة الدولة الفاطمية كانت ذكية فقد ضربت عصفورين بحجر واحد وهي التخلص من هؤلاء القبائل العربية التي كانت تثير الفتن وخطر على الوضع الداخلي للدولة الفاطمية (في مصر)، وكذا أوجدت مصدر اقتصادي في المرحلة الثانية من هجرة هؤلاء خاصة أن الدولة الفاطمية كانت تعيش أزمة اقتصادية خانقة في تلك الفترة*، وقد كانت هذه الهجرة نادرة في التاريخ العربي الإسلامي³، ولا بد أن نذكر أن معظم المؤرخين اعتبروا أن تخريب بلاد الأمازيغ كان بسبب هؤلاء الأعراب النازحين**، ومهما يكن، فإن التاريخ الأمازيغي كان يمكن أن يأخذ منحى آخر غير الذي حدث، إذ أن حكام المغرب لم يحسنوا استغلال هجرة القبائل العربية لصالحهم، وهذا بسبب التنافس السياسي بين الزييين والحماديين أثناء حركة الهلاليين التي أضرت ببلاد الأمازيغ⁴. وما يهمنا هنا أن استقرار القبائل العربية النازحة من المشرق لم يتم إلا بعد عناء طويل وحروب ومؤامرات سياسية كثيرة استغلوا فيها واستغلوها، وتحول النزاع من عربي/أمازيغي في البداية إلى تحالف بين العرب

1- بوخالفة عزي، ص: 80.

2- ابن خلدون، العرب، ج6، ص: 31.

*- لقد تحلل في فترة المستنصر بالله مجاعات أشدها مجاعة 444هـ/1052م، وهي التي واكبت الهجرة الهلالية وامتدت هذه المجاعة لسنوات، فضلاً على الغلاء حتى قيل إنه بيع رغيف بخمسين ديناراً وانخفض بذلك الدينار الفاطمي في عهد المستنصر بالله إلى أدنى قيمته. راجع بوخالفة عزي، ص: 76.

3- نفسه، ص: 74.

**- لمزيد من الاطلاع على رأي المؤرخين بمختلف مدارسهم طالع: علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي، ص: 36.

4- بوخالفة عزي، ص: 76.

والأمازيغ ليصبح الصراع بين حلف عربي أمازيغي ضد حلف عربي أمازيغي آخر¹، وكانت معايير هذا التحالف تحكمها المصالح في أغلب الأحيان، ومن ناحية الجغرافية فقد تقدم الهلاليون وأحلافهم نحو المغرب الأوسط واستقروا في البداية ببرقة²، وتقدموا في ثلاث جهات³.

(1) الصحراء: حيث تكثر قبائل زناتة الخاضعة لبني حماد، فانتشروا جنوب الأوراس وفي قرى الزاب وانتشروا أيام الموحدين إلى ميزاب وجبل راشد⁴.

(2) الهضاب: ما بين الأطلس التلي والصحراوي، حيث الحكومة الحمادية.

(3) السواحل: حيث تقطن قبائل كتامة ويضعف نفوذ صنهاجة وتقدموا إليها ناحية باجة فانتشروا ضواحي القالة عنابة وقسنطينة إلى القل وحتى إلى جبال بابور⁵.

ومن خلال هذا التقدم في الجانب الجغرافي لقيت القبائل العربية مقاومة عنيفة من ناحية الصحراء والهضاب. أما من ناحية السهول فلم تبدي كتامة أي مقاومة تذكر وهذا ما يفسر تعرب السهول.

ففي ناحية الصحراء وجدت مقاومة من قبائل زناتة وصلت إلى تأسيس الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، وبني مرين في المغرب الأقصى اجتاحت الدولتان إلى الغرب لتعزيز سيادتهما. وبالتالي، صدام في مرحلة أولى تم تحالف في مرحلة ثانية ثم اندماج في الأخير.

أما ناحية الهضاب فقد وجدت مقاومة من طرف صنهاجة.

1- بوخالفة عزي، ص: 76.

2- ابن عذاري، البيان، ص: 288.

3- مبارك بن محمد الميلي، ج2، ص: 182.

4- نفسه، ص: 183.

5- نفسه، ص: 182.

وفي ناحية السواحل فقد تقدمت القبائل العربية (الهلاليون) ولم تكن هناك أي مقاومة لقبائل كتامة¹ ويرجع سبب ذلك إلى أمرين:

- الأمر الأول، أن بنو عبيد قد تحالفوا معهم سياسياً.

- والأمر الثاني، أن كتامة تقربت من بني هلال بسبب عدواتها لصنهاجة مطبقة شعار عدو عدوي صديقي.

ومن خلال ما سبق نستخلص أن الأمازيغ والهجرة الهلالية اختلفت نتائجها باختلاف الظروف السياسية والجغرافية والقبلية. فانعدام المقاومة في الساحل نتج عنه تعريب سريع، أما من ناحية الهضاب والصحراء*، فالتعريب كان جزئياً. وكما يذكر مبارك بن محمد المليي "البربر يعلمون أن ما نتج عن هجوم الهلاليين ليس ناشئاً عن عداوة جنسية أو قسوة حربية ولذلك اختلطوا بهم وأخذوا عنهم عوائد اجتماعية... واستعرب كثير منهم لما وجدوا في العربية ثروة لفظية... وإعانة على فهم الدين".²

وبالتالي، فإن نفوذ الهلاليين في بلاد الأمازيغ نتائجه كانت اجتماعية لغوية وكذا جنسية كما لنفوذ أسلافهم الفاتحين دينياً وسياسياً. وعليه، فقد أثر العرب في الأمازيغ في المجالات التالية كروлонجيا:

- دينياً (الأسلمة) أي باعتراف الأمازيغ بالإسلام
- سياسياً (سلطة الدولة المركزية) أي بتوسع السلطة المركزية في الشرق في بلاد الأمازيغ.
- اجتماعياً (التأثير بالقبائل العربية).
- لغوياً (استبدال اللغة الأمازيغية بالعربية).

1- بوخالفة عزي، ص: 77. ايضاً، مبارك بن محمد المليي، ج2، ص: 182.

*- تدخل ضمن عنصر العوائق الجغرافية أين سنتطرق إليها في الفصل الثالث من الأطروحة.

2- مبارك بن محمد المليي، ج2، ص: 187.

- جنسية (تبديل الهوية والأنساب من الأمازيغية إلى العربية)، لتنتقل بلاد المغرب من بلاد المغرب الإسلامي إلى بلاد المغرب العربي¹.

أ) المراحل العسكرية:

بعد أن تتبعنا باختصار المراحل السياسية، سنشير الآن إلى علاقة الأمازيغ بمختلف القبائل العربية عسكرياً، أي منذ الاتصال الأول، ففي الفترة الأولى من الفتح وجد صدام عنيف بين القبائل العربية الفاتحة** وبين الأمازيغ، ودليله طول مدة الفتح والمقاومات العنيفة لزعماء الأمازيغ كسيلة والكاهنة، ولم يختلف الأمر بالنسبة للقبائل العربية النازحة (وأشهرها بني هلال) فقد تجدد الصراع بينها وبين الأمازيغ منذ الزحف الذي تجاوز نهر النيل إلى برقة كمحطة أولى²، ثم إفريقية كمحطة ثانية، ثم توسعت كما سبق الذكر لطموحاتهم للانتشار في المغرب الأوسط، فالهدف إذاً من هذه الحركة هو معاقبة صنهاجة والمعز من جهة، ومن جهة أخرى التخلص من خطر الهلاليين في المشرق. وعليه، أدرك هؤلاء عند عبورهم نهر النيل أن مصر ستكون مغلقة أمامهم منذ الآن فصاعداً³. ومنذ الوهلة الأولى كانت حركة استيطانية بدرجة عالية وبهذا فصداهم مع الأمازيغ في البداية اتخذ الشكل التالي:

أ) إن الأمازيغ رفضوا هذه الهجرة المتمثلة في الغزو الجماعي وكذا الأسلوب الذي لجأ إليه العبيديون للانتقام منهم، والذي سيقضي على استقلالهم السياسي وهويتهم الأمازيغية، حيث أنهم قبل الهجرة الهلالية كانوا

¹ - مصطلح المغرب العربي فهو مصطلح جديد ظهر بعد سنة 1936م، فقط بعد تأثر الحركات الوطنية بالجزائر والمغرب بأفكار القومية العربية لميشال عفلق وشكيب أرسلان الذين نظرا لفكرة إنشاء وطن عربي قومي بإيعاز من فرنسا وبريطانيا كخطوة للقضاء على رابطة الدين التي كانت توحد الشعوب العربية والإسلامية، واستخدام هذه القومية اللغوية (القومية العربية) لإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية، وهو ما حدث بعد إعلان عن ما سمي بالحرب العربية الكبرى ضد التواجد العثمانية في الحجاز والشام، ومنه فإن المصطلح في حد ذاته مصطلح اقضائي إذ يقضي فئة من السكان الأصليين ألا وهم الأمازيغ، حيث لزم أن يكون الإقليم جامعاً لا مفرقاً، ويستحسن أن يعوض بالمغرب الكبير لأنه مصطلح جامع لكل فئات الشمال الإفريقي.

² - بوخالفة عزي، ص: 82.

³ - ألفرد بال، ص: 219.

قد رفضوا السلطة العربية، وأقاموا ثورات سياسية ضد مركزية الدولة الأموية في المشرق. وبالتالي، من الخطأ أن ندرك أن الاندماج مع القبائل الهلالية كان سهلاً، وإنما كان صعباً وبطيئاً مثلما حدث في فترة الفتوحات وفترة الولاة. ومنه، فإن الأمازيغ كانت لهم عدة طرق في الدفاع عن ذاتيتهم واستقلالهم ليس فقط كما سبق الذكر سياسياً، وإنما دينياً عن طريق الردة¹ والدليل ما رواه ابن خلدون "أن البربر ارتدوا عن الإسلام، اثنتي عشرة مرة، من طرابلس إلى طنجة ولم يستقر الإسلام بينهم... حتى أجاز موسى معه كثيراً من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد، فاستقروا هناك فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة"².

أو ثقافياً اجتماعياً الالتجاء إلى البدع للمحافظة على التقاليد الأمازيغية*، وبالتالي، انتحال نحل³ ذات طابع قومي، ولم ترسخ العقيدة الإسلامية رسوخاً ذو أسس صحيحة إلا بعد انتصار الموحدين في القرن 12م⁴، وبهذا نستطيع أن نفسر انحياز عرب الفتح إلى بني هلال في حربهم ضد المعز، إضافة إلى استيقاظ العصبية العربية لدى هؤلاء قبائل الفتح استطاعت أن توحد نفسها رغم اختلاف المعاش الاقتصادي، لكن الأمازيغ كانوا عاجزين عن لم شملهم من خلال الصراع بين الصنهاجيين الزيانيين وعدم توحدهم وتحالفهم كان عاملاً في تعريبهم وهذا ما سنفصل فيه في العنصر التالي.

1- تجدر الإشارة ان موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 90، أوجد طرحا اخر فيما يخص الردة فيفسر أنه لا يقصد بالردة بمعناها الديني، وإنما يقصد بها الثورة السياسية والاشترك في الفتن وإثارة الاضطراب ضد القادة والولاة. فالردة كانت بإشارة من المصادر العربية التي كانت تكتب بأمر من السلطة المركزية سواء الأموية أو العباسية ومنه فالموضوعية لم تتوفر في تلك المصادر.

2- ابن خلدون، العبر، ج 6 ص: 110.

*- ديانة برغوطة، وسنفصل فيها في الفصل الرابع انعكاسات العوائق.

3- بوخالفة عزي، ص: 83.

4- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ج 2، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر 1983م، ص: 07.

ب) بسبب الصراع الأمازيغي الأمازيغي سيلجأ حكام الأمازيغ (المعز) بتحالف مع القبائل العربية وسيأخذ التحالف سياسي منحى التحالف الاجتماعي، حيث ستتزوج بنات المعز من أمراء قبائل بني هلال لضرب بني عمومته، وهو خطأ استراتيجي وقعت فيه السلطة الأمازيغية. والصدام العنيف الذي وجد في بادئ الأمر سيُتوج بتحالف الهلاليين مع القبائل العربية الفاتحة، إضافة إلى السلطة الأمازيغية، وهذا ما سينتج عنه حرب مستعجلة بين الفريقين: التحالف الهلالي والأمازيغ التي شتتت أطرافها. وظهر جلياً عجز الأمازيغ على صد نزوح بني هلال بحكم إشكالية عدم توحدهم، حيث أن هذه القبائل لا يوحدتها إلا خطر خارجي¹، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فبمجرد أن تحالفت الأتيج مع الناصر (الدولة الحمادية) وزغبة إلى تميم بن المعز (الدولة الزييرية) في موقعة سببية، حيث خرج الناصر سنة (457هـ - 1065م) في تحالف (صنهاجة، زناتة وعدي والأتيج) وبحكم عداوة الدولتين، هذا ما جعل بني الزييري يقنعون الهلاليين بأن الناصر إنما جمع تلك الجموع لمحاربتهم. وهنا تحالفت (القبائل العربية) عدي، الأتيج وزغبة وسليم التي استشعرت الخطر الحمادي.

وهذه إشكالية في حد ذاتها، حيث أن القبائل العربية تتحد عند استشعار الخطر الخارجي الموحد أما القبائل الأمازيغية فإن استراتيجيتها لم تتغير طوال عدة قرون من تاريخها، وهي الاستعانة بالوفاد الأجنبي*، بدل الاتحاد ضد الخطر الخارجي. وهنا لعب الصراع الزييري الحمادي أي الأمازيغي الأمازيغي دوراً إيجابياً لصالح بني هلال. أي الوافد العربي.

وعليه، فإن دخول قبائل بني هلال إلى المغرب الإسلامي من الحوادث الفاصلة في تاريخها فقد قضوا على

1- بوخالفة عزي، ص: 83.

*- عبر سيرورة التاريخ البربر كانوا يستعينون بسيطرة أجنبية لإخراج أخرى وبهذا لم يتغير الأمر عند الفتح الإسلامي. ودليل استنجد البربر بالوندال لتخلص من الرومان.

دولة بني زيري¹ الصنهاجيين في المغرب الأدنى، وعلى دولة أبناء عمومتهم بني حماد² في المغرب الأوسط. ومن ثم، انقطعت -نتيجة لحركتهم الاستيطانية- الصلات السياسية بين المغرب والمشرق³، واتجهت بذلك بلاد الأمازيغ إلى خط منفصل على باقي الأقطار الإسلامية التي فتحت على شاكلتها، ويقصد هنا بلاد فارس التي لم تتعرب وإنما اسلمت لعدم وجود هجرة مشابحة في تاريخها.

وما يهمنا في هذا المقام أن القبائل العربية الزاحفة إلى بلاد الأمازيغ تعرضت في بادئ الأمر إلى صد ومقاومة من طرف القبائل الأمازيغية، التي اندمجت مع قبائل بني هلال وهي زناتة، ويرجع الأمر في ذلك إلى أن قبائل العرب وقبائل الأمازيغ يتشابهون في الجانب الاجتماعي*، خاصة زناتة كانت تسعى إلى تحقيق مكاسب سياسية، وصراعها مع الدولة الصنهاجية (الزيرية) لم يكن كما سلف الذكر إلا لأسباب ومصالح سياسية، ولقد طردوا من برقة من طرف المعز قبل حلول الهلاليين بها. وعليه، استمرت زناتة في صراعها مع الصنهاجيين (المعز) بمحاولة منها لإطاحة سلطته ما بين (420-428 هـ)، لكن كل المحاولات باءت بالفشل وكسرت من طرف المعز⁴. ولهذا تعتبر زناتة العدو التقليدي لصنهاجة قبل انتقال الفاطميين إلى مصر⁵، فعندما ولي المعز لدين الله

1- الدولة الزيرية (الصنهاجية) 361-405 هـ (972-1014 م) تنسب إلى زيري بن مناد الصنهاجي من قبيلة صنهاجة هذه الأخيرة مرغمة على الخضوع للخلافة العباسية، وذلك لكونها علوية بالولاء فلما استتب الأمر لدولة بني عبید العلوية بهذه البلاد انقلبت على العباسيين، فكانت بجانب الفاطميين فاستعان بها هؤلاء على محاربة أعدائهم... زناتة أحلاف الأمويين، فكانت حروب بين القبيلتين، والسبب الرئيسي هو الاختلاف السياسي والتزاحم على رئاسة الأمازيغ. راجع: عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج 1، ص: 320، 321.

2- الدولة الحمادية (405-547 هـ) (1014-1153): هي ثاني دولة مسلمة جزائرية نظامية، مؤسس القلعة حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي، كانت متقدمة عن الدولة الزيرية في رفض التشيع والدعوة العباسية في بغداد وكانت سبباً في حروب حماد وباديس ثم حماد والمعز. تم العداوة بين ناصر بن حماد وتميم بن المعز، نفسه، ص: 363.

3- نفسه، ص: 344.

*- وهو عامل من عوامل التعريب، سنفصل فيه لاحقاً.

4- ابن عذاري، ص: 274، 275.

5- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص: 317.

بلكين بن زيري على كل من إفريقية والمغرب كان بلكين بن زيري في حرب مع زناتة، حيث طاردهم في كل من تلمسان¹، وهذا ما يجعلنا نقف عند بعض النقاط المهمة والمتمثلة فيما يلي:

1- إن كلاً من الهلاليين وزناتة متشابهون² في صفات وهي: الهلاليون مهاجرون بلا وطن منبوذين من السلطة الفاطمية، بينما نجد زناتة أيضاً قبيلة مطاردة ومطرودة* من السلطة الزيرية (صنهاجة).

2- لقد أضحى المغرب الإسلامي مسرحاً لصراع سياسي بين الأمويين بالأندلس والفاطميين وبهذا سيُستمال الأمازيغ حيث يذكر موسى لقبال "ويظهر لي أن قصة ولاء زناتة للأمويين من صنع دعاة وإخبار بني أمة بالأندلس، للتأثير على زناتة وكسبها إلى صفها ضد كتامة وصنهاجة المتشعبتين، وكان المغرب مسرحاً لنضال هذه القبائل على أساس موالاتة الأمويين أو أعدائهم الفاطميين، وفي غمرة النضال تألف أغلب البتر وأضحى هواهم مع الأمويين"³

3- رغم الصدام الذي وجد بين الهلاليين والزياتيين بسبب استيطان الهلاليين أراضي زناتة، إلا أن هؤلاء كان لهم عدو مشترك. وبالتالي، "لم يزل دأب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وقهروا ما بها من البربر"⁴، وبهذا نستخلص أن قبائل زناتة هي التي اندمجت مع الهلاليين، وهكذا "تم للعرب استيطان الجزائر بالرهبة من سيوفهم أولاً وبالرعبة فيها خيراً... وأضيفت إفريقية الشمالية إلى جزيرة العرب جنسياً بعدما تبعتها دينياً وسياسياً"⁵.

وبهذا أدرك الأمازيغ وبعد حروب طويلة مع العرب شيئين:

1- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص: 317

2- بوخالفة عزي، ص: 83.

*- إن صنهاجة التي كانت متحالفة في البداية مع العبيدية وضمن سلطتها قدرت خطر زناتة عليها وجاء إنشاء مدينة الحمادية (المسيلة) لمراقبة تحركاتهم.

3- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 130.

4- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص: 317.

5- مبارك بن محمد المليي، ج 2، ص: 184

1) لم يعد بمقدور الأمازيغ إخراج العرب من أراضيهم، وهذا بعد محاولات دامت قرون وقرون ابتداء من وجود ثورات على عرب الفتح، إلى وجود معارك طاحنة ضد العرب النازحين من النيل وعلى رأسهم عرب بني هلال.

2) كان لا بد من البحث عن صيغة جديدة للتعامل معهم وهي التعايش معهم.

ومن خلال ما ذكر سالفاً، نرى أن القبائل الأمازيغية التي لعبت دوراً أساسياً في مسألة زحف القبائل العربية (وعلى رأسهم بني هلال) هم زناتة، صنهاجة وكتامة، ولكي نستوعب مسألة التعريب نلخص ما سلف ذكره من ناحية القبائل لا الدول، ففي القرن العاشر ميلادي خلال العهد الفاطمي كانت قبائل زناتة قد وسعت نفوذها في السهول الساحلية على قبائل صنهاجة، وهذا ما أدى إلى عداوة بين القبيلتين. وكان نتيجته أن نزحت صنهاجة (الدولة الزيرية) إلى السهول الجبلية (السفوح)، وقد سبق الذكر أن صنهاجة المتمثلة في الدولة الزيرية قد نقضت ولاءها للدولة الفاطمية كتامة التي كانت متمركزة في المناطق الجبلية (الجبال) الداخلية، فهي التي كانت نواة الدولة الفاطمية*، حيث استقبلت داعية شيعياً هو أبو عبد الله الصنعاني، وعند توسع الدولة العبيدية في شمال إفريقيا دخلت في صراع مع قبيلة زناتة التي كانت معتنقة للمذهب الإباضي بزعامة مخلد بن كيداد¹ (أبو يزيد). وهنا تدخلت صنهاجة ضد زناتة وتحالفت مع دولة العبيدية واعتنقت في البداية المذهب الشيعي، وبهذا عندما توسعت الدولة الفاطمية لمصر كافأت صنهاجة بقيادة زيري بن مناد وتركوا حكم شمال إفريقيا لزعيمها بلكين بن الزيري²، ومما سلف الذكر فإنه وبعد ثلاثة أجيال تخلى الزيريون عن مذهب الشيعي وأعلنوا انفصالهم

* - إن تأسيس الدولة العبيدية (الفاطمية) كان بمؤازرة قبيلة كتامة، وبهذا تأسست الدولة العبيدية بزعامة المهدي عبيد الله.

1- سمي في معظم المصادر العربية بصاحب الحمار بحكم أنه كان يستعمل في تنقلاته الحمار.

2- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 22.

عن الدولة الفاطمية، وبدأت الهجرة الهلالية. وبالتالي، فالحقيقة التي نستخلصها أن الأمازيغ أرادوا استغلال هذه القوة الجارفة الآتية من المشرق سياسياً ضد بعضهم البعض*.

وهكذا اتضح للأمازيغ أنه يلزمهم التحالف مع القبائل العربية بسبب العداوة التي وجدت بينهم (زناتة، صنهاجة، كتامة)، والتي تحكمها مصالح بالدرجة الأولى، كما سبق الذكر، وهذا ما جعل قبائل عربية بربرية تتحالف ضد قبائل عربية بربرية (أتيج كانت ضد رياح، أما الحماديون ف ضد الزييين)، وما يثير ملاحظتنا هو أنه على طول تاريخ الأمازيغ بداية من الدولة الزييرية، الحمادية، الموحدية وحتى المرينيين والزيانيين فقد ارتبطت الثغرات السياسية بمصير التحالفات مع القبائل العربية.

وعلى سبيل المثال، أدى انتصار الهلاليين على زناتة في المغرب الأوسط إلى استقرار بني هلال في الزاب وهذا باتفاق مع الحماديين الذين استقروا في المدن، بينما استقر الهلاليون في الأرياف¹. وبهذا الاستقرار التاريخي وجد التعايش لتكون نتيجته التعريب وبدأ اسم الهلاليين يحتفي شيء فشيء من التداول، لتحل محله أسماء أخرى لبطونه كزغبة والأتيج ورياح أو بكل بساطة حلت محل اسم الهلاليين اسم عرب، وتأثر الأمازيغ بالعرب خاصة زناتة، وأهم عامل هو العامل الاجتماعي**، ونجد أيضاً الاندماج كان بين كتامة والهلاليين، وهذا بحكم أن كتامة² كانت الحليف التقليدي للدولة الفاطمية، وبهذا فإن الهلاليين لم يتجاوزوا في تقدمهم نحو الغرب نواحي بوسعادة³، لتصبح صحراء الناحية الغربية معقل الأمازيغ المحافظين على هويتهم - راجع خريطتي الملحق رقم 2/ج، خريطتين للجهات الناطقة باللغة الأمازيغية - .

* - إن عداوة الأمازيغ فيما بينهم قد أفقدتهم فرصة تكوين دولة إسلامية موحدة مع الاحتفاظ بهويتهم.

1- بوخالفة عزي، ص: 89. العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 22.

** - تشابه النمط القبلي للهلاليين وزناتة. عامل من عوامل التعريب المرتبطة بالجانب الاجتماعي.

2- كتامة كانت قليلة العدد بسبب الصراع التي تداخلت فيه بين صنهاجة في أواخر ولائها للدولة الفاطمية وكما ذكر ابن خلدون، العبر ج6 ص: 318. "ما بقي من مخلف كتامة"

3- لمزيد من التفاصيل حول مناطق الهلاليين في الجزائر راجع: مبارك بن الملي، ج2، ص: 192-202. أما عن تفاصيل القبائل في ليبيا راجع أيضاً: أحمد مختار عمر، ص: 88-90.

ومع مجيء سلطة الموحدين* جُرد الهلاليون من الامتيازات التي مُنحت لهم أيام الدولة الحمادية، ودخلوا في صراع ضد عبد مؤمن بن علي، هذا الأخير الذي هجرهم إلى الغرب¹ بسبب تحالفهم مع صنهاجة، وقتلهم صهره عبد الله بن وانودين²، وما يستخلص من هذه الواقعة أن الزحف الهلالي ورغم توالي الدول الأمازيغية، لم يستطع أن يغير إثنية الأمازيغ. وبهذا فالتعريب أو الاستعراب كان بطيئاً جداً، إذ حتى وصول الموحدين إلى السلطة (529هـ / 668هـ / 1145م / 1229م)³، لم تكن القبائل الأمازيغية والعربية قد اكتسبت بعد عادة العيش معاً⁴، على الرغم من وجود فترات صلح وتحالف نتيجة المصالح السياسية لا غير. وقد حاول عبد المؤمن بن علي بعد قرن من وصول القبائل العربية من صعيد مصر القضاء عليهم. وبالفعل انتصر عليهم في عدة معارك، وتوسع في بجاية وأسقط حكم الدولة الحمادية حليفة الأعراب. ونتيجة لهذا الانتصار قامت بتوزيعهم في عدة جهات من بلاد الأمازيغ ظناً منها أنها تشتت قوتهم لكن كان هذا خطأ استراتيجياً منها**، إذ لم تستطع السيطرة عليهم ومراقبتهم عند توزيعهم في الشمال الإفريقي. ومن هنا استطاعوا أن يعقدوا القبائل الأمازيغية⁵ وعلى سبيل المثال لا الحصر قبيلة هواة التي احتضنت الكثير من أعراب بني هلال⁶ عند صراعها مع دولة

*- أسست دولة الموحدين من طرف قبيلة مصمودة، وهي من قبائل البرانس، نسبها يكتنفه الغموض لكن مع وجود شك في جدهم إلا أنهم ينسبون إلى مصمود بن يونس بن بربر، ومن أهم بطونها برغواطة وغمارة وأهل جبل درن ودكالة، مواطنهم تمتد من منطقة الريف شرقاً إلى المحيط الأطلسي ومن بحر المتوسط إلى تخوم تامسنا، راجع بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج2، ص: 182-224.

1- بوخالفة عزي، الأطروحة السابقة الذكر، ص: 92.

2- مبارك بن الملي، ج2، ص: 322.

3- نفسه، ص: 322.

4- عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج1، ص: 289.

**- إن كبر مساحة بلاد الأمازيغ التي تمتد من إقليم سيوة في مصر إلى المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى قد أدى على طول مدة زحف القبائل العربية (بني هلال وبني سليم ومعل)، وعلى عدم التحكم فيهم وبالتالي لم تستطعت دولة الموحدين مراقبتهم.

5- بوخالفة عزي، الأطروحة السابقة الذكر، ص: 92. راجع أيضاً العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 23.

6- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية هامش رقم 42، ص: 31.

الموحدين، وكل سلطة كل من الدويلات الثلاث تحالفت مع الأعراب لدعم سلطتهم (الحفصيون في تونس والزيانيون في تلمسان الجزائر والمريينيون في المغرب الأقصى).

وتأسيساً لما سبق ذكره فإن حركة التعريب لم تكن أثناء الزحف الهلالي، وإنما جاءت بعد قرون منه، خاصة عندما شتتت دولة الموحدين جموعهم، وبهذا استطاعوا أن يتوزعوا على قبائل الأمازيغ ليتم الاندماج، وبالتالي التعريب¹، هذا الأخير تخلله حركة الاستعراب، حيث أن التعريب هي الأخذ باللغة الرسمية الفصحى لغة الإسلام، أما الاستعراب فإن اللهجة قد تتخللها، فلهجة شمال إفريقيا وشرق مصر تختلف تماماً عن بلاد المشرق، ولكل منطقة ظروفها وخصوصيتها، وهكذا نكون قد سلطنا الضوء على بعض الأحداث التي وجدت في بلاد الأمازيغ.

(2) آثارها:

يمكن تلخيص اثار هجرة بني هلال بما صرح به غوستاف لوبان "... ولا يمكننا أن نقدر طبيعة تأثير العرب في إفريقية إلا إذا تذكرنا أن لفتوحهم دورين مختلفين كل الاختلاف، وأن لهذين الدورين نتائج إثنوغرافية* مختلفة كثيرة ... الدور الأول هو دور الفتوح التي تمت في القرن 7م، ولم يخرج من كونه فتحاً محدوداً طالت مدته**، واقتصر على بعض المناطق المفتوحة من السهول والهضاب، ولم يشمل كل بلاد الأمازيغ، لكن الاجتياح

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، هامش رقم 44، ص: 31.

*- إثنوغرافيا **ethnography** كلمة لاتينية **graphy** تعني وصف **ethno** الأجناس البشرية أو الأعراق وبهذا فإنه علم يهتم بوصف أجناس البشرية

**- لاحظ المؤرخون سهولة قصر المدة في المشرق حيث تطلب الامر 4 سنوات لفتح العراق و7 سنوات لضم كل البلاد الإيرانية و7 سنوات لضم كل من سوريا وفلسطين و3 سنوات لكل من مصر والاندلس على حدي أما بلاد البربر فتطلب الامر من (647م 710م) (27هـ. 97هـ) أي لزم الامر أكثر من 53 سنة للحصول على نتيجة غير أكيدة راجع جورج مارسيه، ص: 30 و يرجع عبد القادر جغلول، ص: 30 و31 أن سرعة انتشار الإسلام في المشرق العربي إلى الاسباب التالية:

- كانت فارس وبيزنطية في طور الانحطاط يوم قدمت إليها جيوش العربية

- ازدواجية تكوين "الأمة" بوجود الوحدتين الدينية والقبلية المكونة للجيش العربي في حين جيوش البيزنطيين مكونين من المرتزقة لا دافع

لهم في الحروب سوي الاجور

الذي شنه العرب في القرن 11م كان له شأن آخر، فلما حشر العرب جمعاً كثيرة في إفريقية حولوا فريقاً كبيراً من البربر إلى عرب¹. وبالتالي، فإن نشر الإسلام يعتبر عملية التعريب الأولى ذات طابع حضاري². وعليه، فإن ما ذكره غوستاف لوبان يحتاج إلى تحليل، حيث أن معظم المؤرخين يتفقون أن الزحف الهلالي هو سبب رئيسي لتعريب الأمازيغ، لكن لم يكن يحصل التعريب لولا أسلمة الأمازيغ إثر الفتح الأول في القرن 7م. وبهذا، فإن كلاً من القرنين 7م و11م متكاملان ومرتبطان من ناحية الأسلمة التي تمت في القرن 7م والتعريب الذي تم في القرن 11م، لكن مع وجود تفصيلات لزم ذكرها.

حيث يذكر غوستاف لوبان " أن الهجرة تمت ببطء ولم يملأ العرب شمال إفريقية إلا بالتدريج، فقد جاوز العرب طرابلس الغرب بعد أن مكثوا بها سنين وزحفوا خطوة خطوة، وولجوا في الأودية جماعات على مهل واختلطوا بالسكان رويداً رويداً... ولم يتركوا الأمراء البربر وهمية ولم يفلت من نفوذهم غير القبائل التي دحرت إلى جبال التل وبعض البقاع الجنوبية"³. وبهذا نستخلص أن هجرة قبائل بني هلال كانت لها فاعلية تعريب الأمازيغ بنسبة 80%، أما 20% فقط هم الذين حافظوا على هويتهم مع احتفاظهم بدينهم الإسلام، وهذا ما سنتطرق إليه في عوائق التعريب.

ثانياً: التمازج البشري.

(1) المصاهرة والزواج:

- ظهور الفتح العربي الاسلامي في المناطق التي احتلها الفرس والبيزنطيين على أنه تحرير للشعوب، حيث أبدى العرب تساهلاً كبيراً يتناقض من التصرفات التعسفية الاستعبادية لدى حكام الفرس والروم. التي كانت مناطق نفوذهم أوسع بكثير من بلاد البربر حيث كان نفوذ الروم (البيزنطيون) محدود كما سلف الذكر سابقه

1- غوستاف لوبان، حضارة العرب ص: 627، 628.

2- غابرييل كامب، ص: 227.

3- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 269.

لقد كان من نتائج الأسلمة وحدة الحقوق، سواء الاجتماعية أو الاقتصادية بين الموالي والعرب، وهذا ما ساعد على انتشار رابطة¹ المصاهرة والزواج التي قربت بين العرب والقبائل الأمازيغية، واعتبرت عاملاً من عوامل التعريب. فعامل المصاهرة بين الأمازيغ والعرب المهاجرين كان عاملاً مباشراً، بفضل الوحدة الدينية التي أقرها الإسلام، وسوف نتحدث لاحقاً عن النظام المشترك بينهم وهو النظام القبلي المبني غالباً على أساس صلة القرى والعلاقات بين القبائل العربية والأمازيغ، ومنه نستنتج أن العلاقات في بادئ الأمر كانت علاقات قتال، لكن سرعان ما تحولت إلى علاقات اتحاد وتبادل² وبالتالي، يضاف إلى العوامل الاجتماعية روابط المصاهرة³. ونلاحظ أن هذا العامل هام جداً بحكم أنه ظاهرة لم يسبق أن وجدت في المجتمع الأمازيغي الذي كان معتزلاً بهويته ونقاء دمه، وعليه لزم التطرق إلى حيثيات هذا الانصهار العام بين الأمازيغ والعرب⁴. والمصاهرة التي حدثت بينهم هو أمر لم يتم مع قدوم الرومان والوندال أو البيزنطيين⁵، والسبب يعود إلى عنصر تشابه النمط القبلي لكل من العرب والأمازيغ، والذي أدى إلى المصاهرة. فبعد علاقات العداء بسبب الغلبة السياسية وجدت علاقات سلمية بين القبائل، لأن العادة جرت بأن يتزوج سادة القبائل وبعض الأمراء والسلطين لأغراض اجتماعية وسياسية، وبهدف إضفاء قوة سياسية على القبيلة تتعزز عصبيتهم، وبهذا يعتبر مبدأ المصاهرة من أهم

1- بوخالفة نور الهدى، الإسلام والتعريب في الشمال الإفريقي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، إشراف عبد العزيز الدوري، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم التاريخ كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1986م، ص: 434.

2- عبد القادر جغلول، ص: 40.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية ص: 49.

4- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 11: "أنه لزم أن تكون هناك أبحاث أنثروبولوجيا فملاصم العرقية هي الهدف الأسمى ولهذا لزم أن نفهم بان العنصر الاصلي ظل يدمج على امتداد التاريخ عدد من الاعراق الأنواع" ونحن سنركز في بحثنا عن العنصر العربي. وبالتالي يضيف " معرفة أن الإنسان كان في جسمه قابلاً لتغير جسمياً". وبالتالي فمميزات الأمازيغ التي كانت معروفة وشبه ثابتة من الناحية الجسدية وبوجود المصاهرة تغيرت فيزيولوجياً وأوجدت تنوع الصفات الجسمية الأمازيغ.

5- فرج عبد العزيز نجم، ص: 87.

العوامل الاجتماعية التي ساعدت على إدماج وانصهار العرب والأمازيغ¹، وهي بذلك عامل من عوامل التعريب.

إن ما يستوقفنا هنا هو إشكالية تتمثل في انصهار الأمازيغ في العرب، وليس العكس وكان يمكن أن يحدث العكس بحكم التعداد الديمغرافي، حيث أكدت المصادر أن تعداد الأمازيغ كان يفوق بكثير الجيوش العربية الفاتحة في القرن 1 هـ و2 هـ، وكذا قبائل بني هلال في القرن 11م، ويزخر التاريخ الوسيط لبلاد الأمازيغ بالأمثلة التي تؤكد مدى فعالية المصاهرة في تعريبهم. ومن هنا يمكن تفسير الظاهرة بتداخل عدة عوامل وهي:

1) الغلبة السياسية قد أجبرت السلطة الأمازيغية على توظيف آليات عسكرية* أو سياسية أو اجتماعية لتحافظ على هيمنتها وهيبتها، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر المعز ملك مملكة بني زيري ومصاهرته بيناته الثلاث من أمراء بني هلال، فارس بني أبي الغيث، عائد بن الغيث والفضل بني علي المرادي، حيث يقول ابن عذاري: "... وفي أثناء ذلك أعطاهم الدنية وناشدهم التقية واشترط المهديّة وزق إلى أحد زعمائهم فأصبحوا له أصهاراً"². وعليه، فالمصاهرة حددت بين العرب والأمازيغ، ووجدت منذ السنوات الأولى للفتح، فمثلاً عقبة تزوج أمازيغية من قبيلة لواته، ورزق منها بأولاده أبي عبيدة، وموسى وعياض³، حيث مع دخول الأمازيغ الإسلام أصبحوا يحترمون كثيراً المجموعات العربية التي عاشت بينهم ويصاهروهم، وأكثر من ذلك ينتسبون إلى قبائلهم، فالقيسيون واليمنيون وأسماء القبائل العربية مازالت متواجدة لحد يومنا هذا في بلاد الأمازيغ بألقاب سكانها، وقد رأينا سبب توافد هذه القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد الأمازيغ، وكان أكثر الأسباب انتشار

1- بوزاني دراجي، الملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 2013م، ص: 256.

*- يتبادر إلى الأذهان ما قامت به الكاهنة من أجل المحافظة على هيمنة قبيلتها السياسية رغم انخراطها أمام حسان، فقد استعملت آليات عسكرية بتوصية ابنها في الانخراط في الجيش العربي بقولها "اذهبا فبكما سيحافظ البربر على بعض القدرة" والقدرة هنا تعني زعامة قبيلة "جراوة".

2- ابن عذاري المراكشي، ص: 297.

3- موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي، دار هومة، الجزائر، 2002 ص:

النزاعات العربية والقبلية والسياسية في المشرق، سواء تزامناً مع عهد بني أمية أو عهد بني العباس، هذا الأخير لم يكن في جوهره حكماً عربياً، وعوضت العصية العربية بالشعوبية. وبالتالي، استلاء الموالي¹ شيئاً فشيئاً على المراكز الحساسة في السلطة، لهذا فقد كانت المجموعات العربية تتعد عن هذه الخلافات مفضلة الهجرة إلى بلاد الأمازيغ. وفي عهد الدولة العباسية أصبحت بلاد الأمازيغ منفذاً للعرب، بينما المشرق للفرس والأترك، وانتقلت بلاد الأمازيغ من مرحلة صراع في عصر الولاة بين الأمازيغ والعرب بسبب جور ولائها²، إلى مرحلة التعايش السلمي بين الأمازيغ والعرب، بحكم أن في المرحلة الأولى الغلبة السياسية والسلطة كانت بيد العرب، أما المرحلة الثانية في عهد العباسيين السلطة الفعلية بيد موالي المشرق، وبهذا لجأ أكثر العرب إلى بلاد الأمازيغ كلاجئين ومعارضين لسلطة العباسيين، لهذا اختلفت ردود الأفعال بين المرحلتين، وقد توجت في النهاية بالاستقرار ومصاهرة العرب للمغاربة الأمازيغيين³، وتكوّن بذلك جيل جديد من الانسان المغربي، وهم المولدون، فبعد أن حافظ الأمازيغ على نقاء سلالتهم قروناً وقروناً برغم توافد المحتلين عليهم، إلا أنه وبمجيء العرب تغيرت الوضعية.

(2) ظاهرة السبي وعلاقتها بالتعريب:

لقد وجدت ظاهرة السبي في الفترة الأولى للفتح العربي*، حيث يذكر العربي دحو أنه "يمثل التعريب الجنسي، وهذا ما يواكب التعريب اللغوي الذي هيأت له العوامل المذكورة، ويتمثل هذا الطرف من القضية في حالتين، أو مظهرين: هما استقرار القبائل العربية والسبي والرقيق"⁴، وأما عن السبي والرقيق، فإن ما حدثنا به المصادر من الهجرات العديدة التي تمت إلى دار الخلافة في المشرق، ومن تهجير الولاة لآلاف المؤلف من

1- عبد الكرم غلاب، ص: 173.

2- نفسه، ص: 174.

3- نفسه، ص: 174.

*- تحديداً القرون الثلاثة الأولى للهجرة وانتهت زمن الخليفة المنصور، خليفة الدولة العباسية.

4- العربي دحو، ص: 62، 63.

السكان الأمازيغ إلى المشرق، وعودة هؤلاء المهاجرين أو المهَّجرين وهم يتقنون اللغة العربية، وهذا العامل من العوامل المهمة إذا لم نقل أساسي في إشكالية التعريب، حيث أن السبي الموجه إلى المشرق يبدو لونا من الهجرة القسرية من بلاد الأمازيغ إلى البلاد العربية في المشرق. وإذ نلاحظ أن الذي تعاون على تعريب الأمازيغ نوعان من الهجرة: هجرة القبائل العربية إلى بلاد الأمازيغ بمختلف أقسامها كما سلف الذكر، وهجرة مضادة وهي هجرة هذه الأعداد الهائلة من السبي الأمازيغ إلى بلاد المشرق وتوزيعهم على قصور الخلافة أو البيوتات العربية فهي عامل مهم في التعريب¹. فقضية سبي الأمازيغيات قضية متشعبة، حيث أنه كان لعدة شخصيات تاريخية إسلامية أمهات أمازيغيات من صنف أم الولد²، أي من نتاج السبي مثلاً عبد الرحمن الداخل كانت والدته من الأمازيغ وكذا أبو جعفر المنصور² إذ اعتبرتا أم ولد، حيث يذكر الناس آنذاك عبارة "تملكا ابنا بربريتين الدنيا".

وما نلاحظه فقد فتح السبي مجالاً واسعاً في اتصال الأمازيغيات بالبيوت العربية وأنجن بذلك شخصيات سياسة بارزة في التاريخ الإسلامي، وهذا الدليل على اندماج العرب مع الأمازيغ، سواء عن طريق الزواج أو السبي، ومهما يكن من أمر علينا التوقف برهة والإشارة إلى نقطة هامة وهي مسألة أعداد السبي التي ذكرت كثيراً في المصادر، حيث يخللها بن عميرة محمد³ ويتساءل حول مسألة المبالغة^{**} في أرقام السبي في كتب

1- بوخالفة نور الهدى، ص 413

* - مفهوم أم الولد: هي الأم التي تلد من سيدها، حيث تكون جارية ويعترف بولده منها وتعنتق بعد موته إذا لم يتزوجها، ولا يجوز بيعها بعد موته، أما في السنة فبمجرد انجابها فهي حرة والدليل: لما ولدت مايا القبطية إبراهيم لرسول ﷺ قيل له ألا تعتقها قال "لقد أعتقها ولدها" نفسه، ص: 415.

2- تعتبر أم ولد وهي سلامة البربرية من قبيلة نفزة، وقيل أيضاً من صنهاجة، بوخالفة نور الهدى، ص: 419.

3- بن عميرة محمد، ص: 165.

** هذه الأرقام من السبي قد لا تخلو من المبالغة لأسباب سياسة تنطرق إليها في الاطروحة ولهذا فإننا لزم أن نأخذ المعلومة من المصادر بحذر شديد خاصة، من الاخباريين العرب، لكن مهما يكن فإن هذه الأرقام تشعرنا بأهمية السبي في التعريب.

المصادر خاصة في عهد موسى بن نصير والمقدرة بمئات الآلاف¹، حيث يذكر البكري أن موسى بن نصير كاتب إلى الخليفة الوليد بعد فتح سجومة "ان صار إليك يا أمير المؤمنين من سبي سقوما (يقصد سجومة) مائة ألف رأس، فكتب إليه الوليد، ويحك أظنها من بعض كذباتك، فإن كنب صادقاً فمحشر الأمم"². وبالتالي، فهذه المبالغة مرجعها إلى رد فعل لمؤيدي تعيين موسى بن نصير على رأس ولاية إفريقية، كأهم يرجعون كثرة السبايا إلى نجاح موسى بن نصير في تسيير ولاية إفريقية، بحكم أنه كانت هناك حساسيات سياسية بين حسان وموسى بن نصير، انعكست على مجرى تاريخ المغرب الإسلامي، وقد ابتدأت بين عقبة وأبي مهاجر وتكررت بين حسان وموسى.

ومنه، ومهما كان عدد السبي فانه من العوامل الأساسية لامتزاج العرب بالأمازيغ. أي الامتزاج القائم بين الغالب والمغلوب وقد ظهرت نتيجته في ان الكثير من أبناء السبي أتقنوا اللغة وتفقهوا في الحديث ودراسة القرآن والتطبع بطبائع العرب³. ومنه، فإن عامل امتزاج العرب بالأمازيغ سواء عن طريق الزواج (بمعنى بالتراضي) أو السبي (بمعنى القائم بين الغالب والمغلوب)، هو عامل من عوامل التعريب، حيث يذكر هشام جعيط أنه "...وفضلا من ذلك لا يجب أن نضع موضع شك الخصوبة الطبيعية للعرب. وإذا ما وقع اعتبار ظهور أجيال من المولدين والهجناء (ابناء العرب من نساء البلد) بيولوجيا لصالح شكل من أشكال الانصهار، فإن هذا يعني تمديد العنصر العربي اجتماعياً وذهنياً"⁴.

1- معظم المصادر التي عالجت موضوع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم يكن من عاداتها تقديم إحصائيات عن أعداد السبي إلا نادرا فمثلا تعرض البكري إلى السبي عقبة في حملته على طنجة لنسائها وذريتها دون إعطاء أرقاماً لذلك. راجع البكري، أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ص: 107، 108. رجع أيضا في نفس الصدد المالكي، رياض النفوس، ص: 24: "وسبوا النساء وغنموا الاموال فبلغت الجارية بالمشرق ألف دينار". أما في عهد موسى بن نصير فقد قدمت أرقام يتجلى أنه مبالغ فيها.

2- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص: 118.

3- محمد بديع لشريف، الصراع بين الموالي والعرب، دار الكتاب العربي، مصر، 1953م، ص: 06.

4- هشام جعيط، ص: 153.

ويظهر أن عامل السبي قد انقطع في فترة صدر الدولة العباسية وهذا من خلال رسالة عبد الرحمن بن الحبيب إلى المنصور الخليفة العباسي "ان إفريقية اليوم إسلامية كلها وقد انقطع السبي منها فلا تسألني ما ليس قبلي"¹ ومع أن تصريح عبد الرحمن بن الحبيب هو تصريح سياسي الغرض منه الاستتار بإفريقية من طرف دولة الفهريين*، ولكن مهما يكن فقد كان السبي القاعدة الأساسية للتعريب في السنوات الأولى للفتح العربي.

IV- العوامل العسكرية :

أولاً: حروب الفتوحات الإسلامية:

لقد لعبت حروب الفتوحات الإسلامية دوراً هاماً في تعريب الأمازيغ خاصة فتح الأندلس²، حيث دفع جموع الأمازيغ إلى تسريع أسلمتهم مدفوعين بإعجابهم بالنصر السريع الحاسم الذي أحرزه الفاتحون من العرب وكذا من أهلهم في جيش طارق بن زياد (الأمازيغي) وبهذا عجل فتح الأندلس بإسلام الأمازيغ وهياً بوتقة جمعت العرب المسلمين بجند الأمازيغ، الأمر الذي كانت نتيجته إسلام الأمازيغ وتعلمهم اللغة العربية³. وما يقال عن فتح الأندلس في جهة أقصى بلاد الأمازيغ يقال عن فتح صقلية⁴ في عهد الأغالبة في جهة الأدنى لبلاد الأمازيغ ولزم أن نذكر أن بلاد الأمازيغ في المغرب الأدنى (تونس) قد شهدت فترة حكم

1- ابن عذاري، البيان، ج، 1 ص: 67.

*- عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيد بن عقبة بن نافع الفهري هو مؤسس دولة الفهريين في بلاد المغرب، حيث بايعه أهل تونس وخلع حنظلة بن صفوان والي الشرعي للدولة الأموية في عهد الخليفة "هشام بن عبد الملك" سنة 127 هـ / 744 م. ومنذ ذلك الحين انقطعت صلة إفريقية بالخلافة الأموية في دمشق وامتدت دولة الفهريين (127هـ/140م) ولقد عبر عبد الرحمن عن أفكاره الجديد بعدم استغلال بلاد البربر اقتصادياً من خلال رسالة أرسلها إلى أبي جعفر المنصور العباسي نصها "إن إفريقية اليوم إسلامية وقد انقطع السبي منها" وهنا بدت القطيعة الثانية بين مؤسس نظام الفهريين والخليفة أبي جعفر المنصور العباسي وأدى سقوط الدول إلى صراعات داخلية بين الأخوة عبد الرحمن وإلياس. راجع موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين، ص: 103-123.

2- محمد زايد، تعريب شمال الإفريقي، مجلة المستقبل العربي، لبنان، العدد 2، 1978م، ص: 28.

3- نفسه، ص: 28.

4- نفسه، ص: 28.

الأغلبية سياسة عربية واضحة* تنفذت باتّزان واضح¹، حيث كانت دولة الأغلبية ضمن فلك الدولة العباسية، ومن منجزات العسكرية التي نتج عنها التعريب² حملاتها في جزيرة صقلية وشرق وجنوب إيطاليا، ومنه صارت صقلية كالأندلس بوتقة توحد وتذيب الاختلافات فأنتجت جيلاً عربياً إسلامياً في ثقافته³، وهذا برغم من تعثرهم في السيطرة والحفاظ على صقلية وما حولها، لكن طبعوا هذه البلاد بطابع الثقافة العربية ودليل أننا نجد ليومنا هذا عدة مصطلحات عربية⁴ وبسقوط كل من صقلية والاندلس فإن هذا الجيل ذو الثقافة العربية الإسلامية هاجر إلى كل من المغرب الأدنى والمغرب الأقصى لتلعب الهجرة دوراً أساسياً وهي تعتبر عامل من عوامل التعريب كما سلف الذكر.

ثانياً: دور الرباطات في تعريب الأمازيغ.

إن تعريف الرباط نجده في مادة ربط قول ابن منظور في كتابه قاموس لسان العرب⁵ "والرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوماً الثغر رباطاً. والرباط: المواظبة على الأمر. قال الفارسي: هو ثان من لزوم الثغر، ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل. وقوله عز وجل: "وصابروا وربطوا"، قيل: معناه حافظوا، وقيل: واظبوا على مواقيت الصلاة. وفي الحديث عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، أي المواظبة على الطهارة والصلاة كالجهد في سبيل الله، فيكون الرباط مصدر رابطت أي

*- ذكرت سالفاً عند التطرق للعوامل السياسية في التطرق إلى الدولة الأغلبية.

1- أحمد علي، مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى، مجلة التعريب العدد 42، سوريا، سنة 2011م، ص: 88.

2- نفسه، ص: 88.

3- محمد زايد، تعريب الشمال الإفريقي، ص: 28.

4- أحمد علي، ص: 89.

5- ابن منظور، ص: 1561.

لازمت... وقوله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا"، وجاء في تفسيره: اصبروا على دينكم، وصابروا عدوكم. ورابطوا، أي أقيموا على جهاده بالحرب. قال الله تعالى: "ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" قال: الرباط مرابطة العدو وملازمة الثغر

وأخيراً يستخلص أن كلمة "رباط" تعني ملازمة ثغر العدو¹، والمحافظة على أوقات الصلاة، ومن أهم صفات المرابطة الجهاد في سبيل الله خاصة في الثغور، حيث ترابط خيل المقاتلين لحماية أرض المسلمين والآية 002 من سورة آل عمران توضح هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾²⁰⁰، ولقد اتخذ المسلمون المرابطة كنوع من أنواع الجهاد بشقيه جهاد العدو وجهاد النفس. ومن ثم، فالرباط دوره ازدواجي، الجهاد في سبيل الله وكذا لتلقي العلم أيضاً، حيث أصبح يدرس في الرباط الفقه، الحديث وأصول الدين. وعليه، فهو من المنشآت الدينية والعسكرية²، حيث أنه في القرن الأول هجري ذكر رباط شاكر، كان فقيهاً ووصف أنه صاحب "عقبة بن نافع" جاء من شبه الجزيرة العربية وبهذا أقام رباط وعلم قبائل "مصامدة" القرآن والإسلام. "...وقد كان عقبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والإسلام منهم شاكر صاحب الرباط... ولم يعرف مصامدة غير وقيل إن أكثرهم أسلموا طوعاً على يديه"³.

وقد أقيمت معظم الرباطات على السواحل بهدف مراقبة تحركات الأعداء وراء البحر، الذين يكون هدفهم غزو بلاد الإسلام، وقد تطلب موقع الشمال الإفريقي إنشاء الرباطات التي كانت تقوم على الحدود

1- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (515-430هـ/ 1038-1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص: 69.

2- عبد الحميد حسين حمودة، ص: 175.

3- ابن عذاري، البيان، ج1، ص: 42.

المتاخمة لأعداء المسلمين، فكثرت بذلك الرباطات على الشواطئ الإفريقية منذ عهد مبكر، وصارت من العوامل الأساسية لنشر الإسلام والعربية بين الأمازيغ¹

وقد كان الرباط يجتمع مختلف فئات المجتمع، المجاهدين والزهاد والعباد والعلماء، وهو بذلك بمثابة منشأة اجتماعية بحكم إيوائها لمجموعات كثيرة من الناس²، حيث يعيشون حياة جماعية. فيستشف أن الرباط لعب دوراً هاماً شأنه شأن المسجد، بل والمدن الإسلامية نفسها حيث كان نواة لنشر الإسلام وبالتالي تعريب الأمازيغ³.

أن أسلمة الأمازيغ وتعريبهم كانت على يد دعاة العرب في الرباط⁴ أمثال رباط شاکر كما سلف الذكر، وأقدم هذه الرباطات رباط طرابلس ورباط منستير⁵، وقد شيدها الولي العباسي هرثمة بن أعين سنة 179هـ⁶، وبالتالي معظم هذه الرباطات ساحلية الهدف منها حشد الأمازيغ (بأسلوب التطوع) ضد غارات النصارى، خاصة منهم الإسبان والبرتغاليين، وقد بلغت حركة إنشاء الرباطات أو الجهاد في عهد الأغالبة، ومن أشهرها رباط سوسة الذي شيده إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ، وجدد بناءه الأمير زيادة الله بن الأغلب سنة 206هـ⁷، وقد رباط فيه على سبيل المثال لا الحصر الفقيه الزاهد أبو الأحوص أحمد بن عبد الله المغربي 284هـ وأخذ الناس منه الفقه والحديث⁸، ويصفها ابن حوقل "وأما سوسة فمدينة بين الجزيرة والمهدية طيبة رفة خصبة على نحر البحر ولها سور حصين وماءها معين... وبها ضياع جمه ووجوه من الجباية غزيرة وغللات

1- بوخالفة نور الهدى، ص: 341.

2- موسى لقبال، تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه، مجلة الجزائر في التاريخ، العدد 03، بدون سنة ص: 32.

3- ألفرد بال، ص: 100.

4- نفسه، ص: 100: "منذ القرنين 9-10هـ سبصر من الصعب التمييز بين الرباط والزواية التي صارت مركزاً لانتشار الإسلام والتصوف والمرابطة". كما يذكر العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 20 "الزوايا هي وريثة للأربطة القديمة واختلطت هذه الحركة أحياناً بالتصوف الشعبي".

5- هشام جعيط، ص: 164، أيضاً موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 33.

6- ابن عذاري، ص: 89، الرقيق القيرواني، ص: 204.

7- ابن عذاري، ص: 106، المالكي، ص: 308.

8- المالكي، رياض النفوس، ج 1، ص: 390، 391.

واسعة ورباطات كثيرة وبين المهديّة وسوسة رباط يسكنه أمة من الناس على مر الأيام والساعات، يعرف بالمنستير ويقصده أهل إفريقية لوقت من السنه فيقيمون به أياما معلومة، ويحضر بمفاخر الأطعمة ونفيس المآكل ويقيم جمعهم به مدة تم يتفرقون إلى أوطانهم وهو على نحر البحر وبينه وبين المهديّة أيضاً قصر الرباط يعرف بشقانص دونه عنده في المنزلة، وهو حصين منيع وبه أيضاً أمة مقيمة على صيد السمك¹.

إلا أننا نلاحظ وجود تطور في مفهوم الرباط منذ منتصف القرن (03) الثالث هجري، حيث أن المفهوم الذي كان سائداً في القرن الأول من الهجرة يختلف عن مفهوم الرباط في القرن الثاني من الهجرة، ويختلف كما سبق ذكره عن المفهوم في القرن التاسع والعاشر هجري، فقد تطور على هذا النحو:

- الدولة الأموية (القرن الأول هجري): الرباط ملازمة ثغر العدو، وهذا ما فعله "شاكر" صاحب "عقبة

بن نافع" مع بناء تقليدي، بمعنى جمع الجانب العسكري والجانب الديني.

- العهد العباسي في عهد الوالي "هرثة بن أعين"، تحول الرباط إلى مبنى بطوابق على الساحل لمراقبة

تحركات العدو، علاوة على ذلك وجود حجرات لغرض التعبد.

- القرن 9 و10 هـ تحول الرباط إلى مقامات إسلامية، ومن ثم، التخلي عن المجال العسكري للتركيز على

المجال الروحي الديني.

والملاحظ أن كلاً من المالكي وابن عذاري والدباغ يحدد أن الرباط بسكني الأهل²، بمعنى يمكن للمرابط

أن يستقر هو وأهله في موضع المرابطة، في حين أن الفقهاء يذكرون أن الرباط إنما يحصل لمن خرج عن أهله

وسكن السواحل، وأما من استوطن فلا يحصل له فضل الرباط، وبالتالي نلاحظ اختلافاً في مفهوم الرباط بين

1- ابن حوقل، محمد بن علي، أبو قاسم التصبي، كتاب صورة الأرض، الجزء الأول، دار صابر للطباعة والنشر. ص 71، 72.

2- المالكي، ص: 06، ابن عذاري، ص: 19، الدباغ، معالم الايمان ص: 09.

المؤرخ والفقهاء. أما "هشام جعيط" فينتقل إلى مفهوم آخر للرباط وهو الزوايا*، حينما ذكر أن في القرن التاسع والعاشر يصعب التفريق بين الرباط والزوايا. هذه الأخيرة التي ستستعيد دورها العسكري مع الحركة الاستعمارية في العصر الحديث.

وبهذا لم يقتصر دور الرباطات على الدفاع عن السواحل والعبادة، بل كانوا يلقون على ناس دروساً في الفقه والحديث، وهذا ما ساعد على التعريب، وكثرة الرباطات وتطورها من القرن الأول هجري إلى القرن الثالث هجري إلى القرن 12 هـ يعطي فكرة عن أثر هذه الرباطات في حركة التعريب الثقافي ببلاد الأمازيغ¹.

أما "الزوايا" التي تعتبر تطوراً² للرباط العسكري حيث سيتم التعرض إليه لاحقاً، فقد أكملت أسلمة المناطق النائية في بلاد الأمازيغ "كتامة" و"مصمودة"³، وهنا لزمنا الإشارة أن الزوايا لعبت دوراً هاماً في الأسلمة، لكن دورها كان مزدوجاً فقد ساهمت بنشر العربية وفي نفس الوقت أيضاً ضيقت** التعريب (وهنا نذكر مصطلح منتشر في الجزائر وهذا بتلقيب الأمازيغ المحافظين على هويتهم بمصطلح زواوة، وكثرت النظريات فيذكر أنها قبيلة من القبائل الأمازيغية ويذكر بوزياني الدراجي⁴ أنها "تنسب إلى قبائل البتر إلى سمكن بن يحي بن ضري، ونجد أنها تنسب إلى كتامة حيث يعلل ابن خلدون أن القبيلتين متجاورتين، ويضيف في مواطنهم:

*- تعتبر الزوايا تطوراً للرباط مع سيرورة التاريخ حيث نجد ان مفهومها لغويا هو الزوايا: جمع زاوية وهي لغويا مأخوذة من فعل زوي وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وطلبوا للسكون والهدوء اللذين يساعدان على التأمل وينسبان وبذلك يوفرون جوا للذكر والعبادة. أما معنى الاصطلاح فيراد منه مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد غير جامع ليس فيه منبر. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة 2009م، ص: 203.

1- بوخالفة نور الهدى، ص: 349.

2- صلاح مؤيد العقبي، ص: 217، 218 حيث يذكر: "قد اكتنظت الرباطات بالنخبة من أبناء الإسلام وأصبحت ابتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحولا... وبعد انقضاء زمن الجهاد تحولت الرباطات إلى زوايا والهدف من إنشائها رغبة الشيخ الصوفي الاجتماع بمريديه وتلامذته".

3- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ص: 20.

**- الدليل كثرة الزوايا في المناطق التي يطلق عليها حالياً القبائل المحتفظة بهويتها الأمازيغية.

4- بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج 1 ص: 225.

"ومواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، أوطنوا منها جبلاً شاهقة متوعرة تذر منها الابصار"¹، وبهذا نلاحظ أنهم من بقي فيهم في الجبال احتفظوا بهويتهم الأمازيغية لحد يومنا هذا، والسبب يعود إلى تحصنهم في الجبال، وبالتالي تشبعوا بهويتهم وقل اندماجهم مع القبائل العربية، إلا أنهم اعتنقوا الإسلام لأنه دين كوني وليس قومياً، وقد أرسل سيدنا محمد ﷺ إلى كافة الناس وحيماً، فإن القبائل يطلق عليها لقب زواوة ولا تعود إلى بطون قبيلة كتامة، وإنما لكثرة الزوايا بها التي ستلعب دوراً هاماً في التاريخ الحديث والمعاصر ضد التدخل الأجنبي الصليبي.

وخلاصة القول فإن الرباطات كانت ذات أهمية في الأسلمة التي تعتبر تعريباً في مرحلته الأولى بتعلم اللغة العربية، وعمق التعريب تطوير الجانب العسكري إلى الجانب الروحي لتتحول الرباطات إلى زوايا. وبالتالي، فإن التطور الذي حصل من الرباط إلى الزوايا هو تطور من الأسلمة إلى التعريب، وبالتالي، الزوايا كانت عبر تاريخها الطويل قواعد روحية² استطاعت بما لها من قوة ونفوذ أن تلعب دوراً هاماً في أخرج فترات التاريخ حفاظاً على أهم مقومات الشخصية اللغة العربية والإسلام، لكنها سوف تلعب دوراً في الأسلمة دون التعريب في المناطق النائية كما سلف الذكر.

ثالثاً: دور الجيش في عملية التعريب.

1) تفكيك القبائل الأمازيغية باندماجها في الجيش:

يذكر العربي عقون أن "هناك عامل آخر للاستعراب أهمله مؤرخو الشمال الافريقي وهو تفكيك القبائل التي كانت قد لعبت أدواراً هامة، فقد تلاشت فاعليتها واندجمت في الحركات العسكرية وفي الحملات التي

1- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 262، 263.

2- صلاح مؤيد العقي، ص: 220.

أرسلت بعيداً عن مواطنها"¹، فمثلاً يمكن أن نجزم أن أبناء الكاهنة*، عندما اندمجوا في جيش حسان حيث أسند "حسان" قيادة الجيش إلى كل واحد من أبناء الكاهنة، بعد أن دخلوا في الإسلام بقيادة ستة آلاف فارس من الأمازيغ، وقد صحح الدكتور بن عميرة محمد في كتابه الفتح الإسلامي لبلاد المغرب²، نص الرقيق القيرواني "كان مع حسان جماعة من البربر البتر ولى عليهم الأكبر من ابني الكاهنة، بعدما أمنهما، وقبل وقوع المعركة مع أمهما، أما بعد هزيمة هذه الأخيرة وقتلها فقد استأمن إليه البربر ولم يقبل أمهما إلا بشروط، هي أن يعطوه من جميع قبائلهم اثني عشر ألفاً" أو اثني عشر ألف فارس ينضمون إلى صفوفه ويجاهدون معه، فوافقوه على ذلك وأسلموا على يديه (يقصد حسان)، ووضع تحت تصرف كل واحد من ابني الكاهنة، بعد إسلامهما ستة آلاف من هؤلاء وأخرجهم مع العرب، يجولون في إفريقية لقتال الروم ومن كفر من البربر". ومن هذا الوقت أصبحت مهمة نشر الإسلام وتعليم العربية في المغرب ليست مقصورة على العرب فقط، وإنما أصبحت فيها عناصر قومية أخرى³.

ومنه نستخلص أن قبيلة جراوة قد تلاشت بسبب اندماجها في الجيش العربي رغم أن الذي طلب من أبناء الكاهنة باعتراف الإسلام هي والدتهما نفسها (الكاهنة)، حيث تتمثل وصيتها لأبنائها بالإسلام والتحالف مع العرب المسلمين، مع عدم تراجعها وإصرارها على المقاتلة إلى آخر رمق في معارك مع الفاتحين العرب. وعليه، وبعد مقتل الكاهنة تمت الأمور على أحسن حال بين الغالب والمغلوب⁴ وقد قدم "غوتيه"⁵ تحليلاً بسيكولوجياً

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ص: 24.

*- "الكاهنة": أغلب الظن أن العرب هم من لقبوها بذلك اللقب بسبب ما اشتهرت به السحر والشعوذة والتنبؤ بالغيب، أما اسمها الحقيقي فقد اختلفت المصادر التاريخية في ضبطه. فيقر ابن خلدون أن اسمها هو "دهيا بنت ماتيه بن تيفان"، حيث كان لها ولدان إحداهما يسمى "قويدر" والآخر "بمين" واحد بربري والآخر يوناني. ومعروف أن "الكاهنة" كانت على رأس قبيلة "جراوة".

2- بن عميرة محمد، ص: 151.

3- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 67. تجدر الإشارة إلى أنه يقصد بعناصر قومية عنصر الأمازيغ.

4- علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص: 138.

5- غوتيه، ص: 58، 60.

نفسياً للظاهرة حين ذكره يمكننا أن نفهم الأمر، إذ أن الأمازيغي لا يعرف شيئاً عن الوطن كرقعة جغرافية بالمفهوم المتعارف عليه حالياً، في حين أنه مستعد لبذل حياته في سبيل عائلته وجماعته وقبيلته، وقد ذكر سالفاً كيف أن الأمازيغي يلجأ إلى آليات مختلفة (سياسية، اجتماعية، عسكرية) للحفاظ على سلطته*.

والسؤال المطروح كيف يمكن الحفاظ على سلامة هذه الجماعة أو العائلة أو القبيلة؟ إن كل منتصر مستعد للاستعانة بأبناء البلاد إذ هم أبدوا استعداداً للتعاون معه. فحين قالت الكاهنة لولديها "أذهباً فبكما سيحافظ البربر على بعض القدرة"، والقدرة هنا تعني زعامة قبيلة "جراوة". وهنا يورد فرقاً بين المفهوم الغربي والمفهوم الشرقي للوطن** . فالغرب ينظر إلى الوطن على أنه رقعة جغرافية نشعر بالغيرة إذا ابتعدنا عنها، أما لدى الأمازيغ فالوطن هو مجموعة بشرية جاءت نتاج أجيال متعاقبة لا تحتاج إلى الإطار الإقليمي لتحقيق وجودها(القبيلة) أي أن مفهوم الوطن لدى الأمازيغي هو الفرد (الانسان الأمازيغي). ومن الواضح أن "الأنساب" هي أساس الروح القبلية والوطنية لدى شعوب الأمازيغ، والأمر الذي يستهوي الاهتمام هو اندماج أبناء الكاهنة في سلك الجنديّة وإسلامهم مما انجر عليه إسلام شعوب "جراوة"، وبالتالي تعريبهم بحكم أن الإسلام والتعريب توازيا في الفترة الأولى من الفتح العربي الإسلامي، ومنه وصية الكاهنة بإسلام أولادها مرده هو الحفاظ على الزعامة، وإن لبست هذه الزعامة غطاء آخر، وهذه المرة كان غطاء الإسلام وبالتالي توظيف آلية الدين مع الآلية العسكرية، أي بمفهوم آخر الأسلمة مع الانخراط في الجيش العربي اين ستكون نتيجته ذوبان الأمازيغ ضمن الجموع العربية.

*- يمكننا العودة إلى عنصر المصاهرة والزواج حيث استعمل الأمازيغ آلية في مجال الاجتماعي، وهي المصاهرة مع أمراء قبيلة رياح العربية عند هزيمة المعز، أما هنا فقد استعملوا آلية الانخراط في الجيش أي آلية عسكرية عند هزيمة الكاهنة.

**- يلاحظ أن المفهوم الغربي للوطن كرقعة جغرافية تطور في العصر الوسيط، أما في العصور القديمة فالهجرة كانت سمات قبائل الأوروبية، الوندال، الإفرنج.. إلخ. أما الشرق فمفهوم تطور في العصر الحديث. مع وجود الحركة الاستعمارية الأوروبية.

ومثال وصية الكاهنة كان في الفترة الأولى للفتح العربي أي أثناء الفتح الإسلامي، لكن وُجد على طول التاريخ الإسلامي في فترة العصر الوسيط ببلاد الأمازيغ أمثلة على تلاشي بعض القبائل الأمازيغية في الحملات العسكرية، فيذكر العربي عقون أن كتامة قد ساهمت في تأسيس الدولة الفاطمية، حيث جُند أبنائها في فيالق بغرض توسع الدولة الفاطمية، وكذا بغرض نشر الإسلام في صقلية، وبهذا توزع أبنائها في كل الحاميات العسكرية، فكان مصيرهم أن أُدججوا في الجيش العربي فتعربوا، وبالتالي تقلص حجم القبيلة وبقيت أقلية معزولة في إقليمها الجبلي ما بين القل وجيجل¹، ويؤيد الطرح عبد الله العروي حيث يؤكد أن للعامل العسكري أهمية في التعريب إذ يذكر "الجيش الذي وفر للبربر وسيلة للارتقاء والانتماء إلى العنصر العربي"². ومنه نستخلص أن الجيش الفاتح وكان وسيلة جبارة لأسلمة وكذا تعريب الأمازيغ، وهذا بتفكيك نواة المجتمع الأمازيغي ألا وهي القبيلة*.

(2) آلية الجيش الاستيطاني:

يُعرف هشام جعيط جيش الفاتح لبلاد الأمازيغ على أنه جيش استيطاني³، حيث أن الدولة الأموية تمثلت تركيبة جيشها باعتبار كل عربي مستقر على الأراضي المفتوحة على أنه جندي، وبالتالي يمكننا إحصاء تعداد الجنود بتعداد المهاجرين إلى إفريقية، إذ أن جُل العرب الأجناد قدموا دون نية العودة إلى أوطانهم**، وأسسوا بذلك بيوتاً في أوطانهم الجديدة وكانوا وسيلة فعالة في تعريب الأمازيغ حيث أن مؤسسة الجيش كانت وسيلة فعالة للأسلمة والتعريب⁴، فشرط الأساسي لتطوع في الجيش هو اعتناق الإسلام (الأسلمة) ومنه

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ص: 24.

2- عبد الله العروي، ج 1، ص: 143.

*- سنتطرق إلى ماهية القبيلة في العوامل الاجتماعية.

3- هشام جعيط، ص 69

**- راجع مفهوم التعرب في المدخل.

4- هشام جعيط، ص: 72.

احتكاك مع العرب الفاتحين ومنه الانتقال من مستوى الأول للتعريب إلى مستوى ثانٍ لتعلم العربية، وهكذا كانت بنية الاستيطان إفريقية تدفقات الجيوش من المشرق، وهؤلاء سيكون لهم دور هام في آلية تعريب الأمازيغ.

(3) ظاهرة التجمير:

هذه الظاهرة وجدت تحديداً قبل تأسيس دولة الأغالبة، حيث أننا لاحظنا في فترة الخلفاء الراشدين وأثناء فتح إفريقية كان الجندي العربي الآتي من شبه الجزيرة العربية يدرك إدراكاً تاماً أنه عند تطوعه في الجيش الفاتح فهذا يعني استيطانه في البلاد المراد فتحها*، أما فترة الدولة الأموية فقد واجهت أزمة اقتصادية تمثلت في نقص موارد الدولة، بحكم أسلمة سكان البلاد المفتوحة وبالتالي نقص مورد الجزية، وكان الخطر المحدق بها هو صرف أعطيات جند الشام، وهنا لا نقصد الجند الآتون من الشام، وإنما الجند بمختلف أجناسهم، وقد سمي جند الشام بحكم مركزية الدولة الأموية التي وجدت في بلاد الشام (دمشق)، ونعود إلى إفريقية أين ساهمت ظاهرة التجمير في تعريب الأمازيغ، ونقصد بالتجمير أي بقاء الجندي في أرض الجهاد أكثر من اللزوم¹، وبالتالي عدم وجود عمليات عسكرية التي تعتبر من مهامه الأساسية، فيضطر إما إلى الاندماج مع السكان المحليين وبهذا يساهم في التعريب، أو بالتمرد مثلما فعل جند إفريقية ضد ابن الأشعب بحكم مطالبته بالأعطيات، وهذا ما سينجر عنه تمرد الجند ضد السلطة التي كادت تفقد سيطرتها على الأقاليم المتواجد فيها بسبب هذا نوع من الجند، حيث أنهم لم يرضوا بالبقاء طويلاً في أرض نائية²، وكان سبب غضب جند الشام هو عدم ارتياحهم لابتعادهم عن ديارهم في المشرق، وكذا نقص العطاء، ولهذا أجبر والي إفريقية آنذاك ابن الأشعب سنة 148هـ

*- راجع المدخل لمفهوم مادة ع ر ب، وكذا عنصر الفتوحات الإسلامية في الفصل الأول.

1- هشام جعيط، ص: 184.

2- نفسه، ص: 184.

أن يعزل عن ولايته لتؤسس إمارة متحالفة مع العباسيين تحت قيادة إبراهيم بن الأغلّب، التي ساهمت بقسط كبير في تعريب الأمازيغ وهذا ما سلف ذكره في إمارة الأغالبة.

V- العوامل الاستراتيجية :

أولاً: دور المدن في تعريب الأمازيغ.

لقد لعبت المدن دوراً هاماً في تعريب الأمازيغ¹، ولتحقيق هذا التغيير لزم تعريفها أولاً من الناحية السياسية، إذ تعتبر مراكز لاحتضان السلطة السياسية، وكذا تعريفها ثانياً ديموغرافياً أنها مناطق مؤهلة بالسكان أكثر من الأرياف للتعبير عن الثقافة الجديدة (الثقافة العربية الإسلامية)، وبالتالي، فإننا نلاحظ نوعان من المدن: مدن قديمة أسسها البيزنطيون، وأخرى حديثة أسسها العرب أو الأمازيغ، مثل القيروان وتاهرت وناكور وسجلماسة، فاس وهي مدن تأسست على أكتاف الأمازيغ تحت السلطة العربية، ولهذا سنطلق على هذه المدن، مصطلح المدن العربية /الأمازيغية بحكم أنه منذ 93هـ/711م، أصبحت بلاد الأمازيغ جزء من الإمبراطورية الإسلامية العربية، وهذه الأخيرة مؤسسة على أساس الديانة واللغة. ومنه، كان لا بد أن يحصل التأثير، وتمثل التأثير في الأسلمة أولاً ثم التعريب. ولهذا سنأخذ نماذج من هذه المدن لنرى مدي التأثير الذي ألحقته بالأمازيغ، أو بعبارة أخرى مدي تعريب الأمازيغ بواسطتها.

1- غوردو، عبد العزيز، ص: 56.

(1) القيروان:

يعود الفضل لتأسيس القيروان إلى "معاوية بن حديج" ومعسكره بقواته قرب قرية "الجهتين" بجوار مرتفع القرن أو مطور في إقليم قمونية*. ومن هذا الإقليم أرسل معاوية بن حديج سرايا¹. وقد وجدت جوانب عمرانية مهدت لقيام القيروان تمثلت:

- حفر معاوية عند معسكر القرن، موضع القيروان، لآبار سميت باسمه.

- بنى عند جبل القرن وحول معسكره مساكن بالطوب أطلق عليها القيروان.

- وجدت قبور للصحابة والتابعين بجوار معسكر القرن وأصبحت فيما بعد أضرحة².

ومنه، أصبحت قاعدة القيروان³ التي أسست من طرف "معاوية بن حديج" ذات أهمية بالغة، حيث

يذكر ابن الأثير "فسكن الناس، وأطاعوا وعادوا إلى مصر، ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان

وأسمعهم إلى زمن هشام حتى دب إليهم أهل العراق"⁴. ويقصد ابن الأثير أن نتائج تأسيس نواة القيروان من

طرف "معاوية بن حديج" هو استقرار الأمازيغ وانقيادهم طواعية للسلطة الأموية حتى فترة الخليفة هشام الذي

ظهرت في عصره حركة الخوارج الآتية من المشرق تحديداً من العراق.

*- مصطلح القرن أو المطور مرتفع يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة القيروان ويعرف حالياً باسم جبل الباطن. راجع موسى لقبال، المغرب الاسلامي، ص: 26.

1- وجدت أربعة سرايا: سرية بزعامة عبد الله بن زبير إلى منطقة سوسة على ساحل تونس وسرية قادها عبد الملك بن مروان ضد حصن جلولاء ومنطقة بنزرت وسرية بزعامة رويفع (ويضع بن ثابت إلى جزيرة جربة. وسرية إلى جزيرة صقلية بزعامة عبد الله بن قيس الغزاوي فافتتح سرقوسة كبرى مدن الجزيرة. راجع المالكي، ص: 19.

2- من الصحابي الذين استشهدوا أبو زمعة البلوي الذي استشهد في حصار جلولاء وكذا فاطمة بنت عبد الله بن عمر حقيدة عمر بن الخطاب التي دفنت في مقبرة سلم بالقيروان.

3- يبدو أن الإخباريين العرب لدى استخدام مصطلح القيروان في معسكر القرن الذي أسسه "معاوية بن حديج" بسبب أنهم كانوا على دراية بالقيروان الذي أسسها "عقبة". وبالتالي، يستخلص أن الذي استعمل هذا المصطلح لأول مرة هو "عقبة بن نافع الفهري" وليس "معاوية بن حديج" وتوظيف المصطلح في وقت "معاوية" من طرف المصادر يعود لسبب معرفتهم بنتائج تأسيس القيروان، وبعد فترة بين الأحداث وتدوين النتائج لدى الإخباريين. وبهذا مدينة القيروان التي أسسها "معاوية بن حديج" تختلف عن القيروان التي أسسها عقبة.

4- ابن الأثير، ج4، ص: 230.

ويظهر جلياً أن تأسيس نواة القيروان من طرف "معاوية بن حديج" هدفه عسكري بالدرجة الأولى

وهو:

- جمع شتات الجنود ويكون استراحة لهم لتجديد سلاحهم وتضميد جروحهم.

أما "عقبة بن نافع" فسيواصل خطى سلفه بإنجازه وتأسيسه الرسمي للقيروان. حيث أن عقبة كان على معرفة بالمنطقة قبل أن يتولاها. بحكم الحملات التي قام بها في الطريق الصحراوي*.

وعندما تولى إفريقية** رجع إلى إقليم الهضبة الوسطى في منطقة قمونية، ووقف على جهود سلفه "معاوية بن حديج" في بناء معسكر القرن، حيث يذكر عبد الله العروي بأنه "التحق بجنوب إفريقية سنة 50هـ/670م، ولكي يعطى للوجود ضفة دائمة طبق نصيحة عمر بن الخطاب عند تخطيط الكوفة فاختر وسط البلاد وخط فيها مدينة القيروان تم ذلك على الأرجح سنة 53هـ/652م، لم يتجه شمالاً ليحاصر المدن البيزنطية الحصينة بل اتجه شرقاً وإخترق منطقة الهضاب المرتفعة التي تشبه تضاريسها ما ألفه عرب الجزيرة"¹. وتذكر المصادر² أن أصحاب "عقبة" اقترحوا أن تكون القاعدة الجديدة قريبة من الساحل، وبما أن "عقبة" كان خبيراً بالمنطقة رفض الاقتراح، لأن هناك خطر الروم المتفوقين بحرياً، وكذلك رفض اقتراح أن تكون القاعدة في جوف الصحراء خشية تحركات قبائل الأمازيغ، واستقر الأمر على منطقة الوسط أي بين الساحل والداخل، وأن تكون قريبة من المراعي بهدف تمكين إبل المسلمين من الرعي.

* - لقد سلك عقبة في حملاته طريق الصحراء غير الواحات في الرمال وعرفت لدى ابن عبد الحكم بالطريق الأعظم.

** - هناك تضارب واضح بين المصادر فيما يخص ولاية "عقبة" الأولى، ولكن تتفق على سنة تأسيس القيروان.

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 122.

2- ابن عذاري، ص: 37. راجع أيضاً ابن عبد الحكم، ص: 265.

وحول موضع القيروان اتفق أغلب المؤرخين أنها كانت في بادئ الأمر عبارة عن غابات بها حيوانات. وبالتالي، أرض بكر لم تكن ذات تجهيزات. غير أن المالكي ذكر أنه "كان في موضع القيروان حصن للروم فيه كنيسة وفيها الساريتان الحمراءوان"¹. وعليه، يتوجب ذكر الكرامات التي أحيطت بأخبار "عقبة" حين خشي أصحابه من حيوانات الغابة من الأسود والأفاعي عند الشروع في عمليات بناء القيروان، وكانت دعوة عقبة رضي الله عنه فيما يلي: "أيتها الحيات والسباع إنا أصحاب رسول الله ارحلوا عنا، فإننا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه"²، وبعد دعائه أخذت الحيوانات بمختلف أنواعها في الخروج، ويذكر ابن الأثير "ورأي هذا المشهد عدد كثير من البربر فأسلموا"³.

وبالتالي، فالمصادر ترجع إسلام الأمازيغ إلى رؤية كرامات عقبة رضي الله عنه تتحقق وقد اتفق جل الإخباريين العرب* أن "عقبة" رضي الله عنه كان مستجاب الدعاء، حيث انقرضت هذه الحيوانات تماماً من القيروان أربعين سنة حسب جل مصادر الإخباريين العرب، وهنا لزم أن نتوقف برهة في إسلام الأمازيغ برؤية كرامات عقبة، فواضح أن الأسلمة أثناء بناء القيروان صاحبها التعريب بحكم احتكاك الأمازيغ بالعرب، ومهما يكن فإن المشهد الذي شاهده العديد منهم حسب المصادر وهو خروج حيوانات الغابة طواعية إثر دعوة عقبة رضي الله عنه يشوبه كثير من المغالطات فمنطقياً نجد عدة أسئلة تطرح نفسها:

(1) ماذا كان يفعل الأمازيغ مع العرب وهم مازالوا لم يسلموا؟

(2) كيف تفاهم الأمازيغ مع العرب؟

1- المالكي، ص: 51.

2- ابن الأثير، ج4، ص: 320.

3- نفسه، ص: 320.

*- ركزت المصادر على ما يعرف بكرامات "عقبة" وقد استجيب لدعوته العديد من المرات، مرة دعوته في خروج الحيوانات من موضع تأسيس القيروان ومرة حين انتهى من بناءها وجعلها منارة الإسلام، والرؤية التي رآها لموضع القبلة، ومرة حين دعا ضد "أبي مهاجر دينار". ومهما يكن فإن موضوع الكرامات لزم أن يدرس في محله أن نجد إجابات منطقية، حيث أنه لا يختلف اثنين أن المصادر العربية لم تكن تتسم بالموضوعية، ولم تكن تعتمد البحث العلمي الجاد.

ومهما يكن فمن الواضح أنه لا يمكن أن يتم بناء القيروان دفعة واحدة، حيث أن عمليات البناء الأولى استغرقت نحو أربع سنوات (55-51هـ)¹، ثم تجددت في عهد "حسان بن نعمان"، حيث جدد مسجدها وأقر فيها الدواوين وأيضاً في عهد "موسى بن نصير" حيث اهتم بتوسيعها وأنشأ فيها داراً لضرب وسك النقود، وهو أول من سك العملة في إفريقية. وعند مطلع القرن الثاني الهجري أصبحت القيروان حاضرة مدن إفريقية الإسلامية، وتمثلت نتائجها في إقبال الكثير من الأمازيغ² على اعتناق الإسلام، وبالتالي تعريبهم، بحيث جاؤوا المدينة واطمأنت نفوس المسلمين، وزالت عنهم العزلة (باحثكاكهم أي الأمازيغ بالمسلمين العرب)، حيث يذكر ابن الأثير "ودخل كثير من البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين، وقوي جنان من هناك من الجنود، بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فتبث الإسلام فيها"³. وما يستخلص أن القيروان كانت مركزاً لهجرة عائلات جنود العرب الآتون من شبه الجزيرة العربية، ويبدو أنه كان لكل قبيلة موقعها في القيروان وبذلك اختطت منازلها في حي خاص بها مثل رحبة القرشيين⁴ ورحبة الأنصار⁵، وحتى الأحياء سميت على اسم أحد الأعيان العرب النازلة بالقيروان، مثل درب المغيرة ودرب أزهرودرب أم أيوب ودرب عابد بن سواده وزقاق ابن غانم الرعيني⁶، أما الأمازيغ فقد استوطنوا حول القيروان بمعنى أن القيروان اعتبرت مدينة وما حولها ريف، وبالتالي فقد وجد الاحتكاك بينهم وبين العرب فتم تعريبهم. وعليه، فإنه يرجح أن الاحتكاك والتأثر جاء من العائلات العربية

1- لقد حدد ابن عذاري، ص: 16. مساحة القيروان عند تأسيسها بثلاثة عشر ألفاً وستمائة ذراع. أما ابن الأثير، ص: 234، فجعل المساحة المدينة القيروان ثلاثة آلاف وستمائة باع، وتشمل هذه المساحة المسجد ودار الإمارة ومعسكر الجند وخطط القبائل. وهنا، يذكر أن خطط القبائل هي سنة أوجدها العرب في بناء مدائنهم على غرار الكوفة والبصرة والفسطاط، حيث ينفرد كل قبيلة أو بطن من بطون القبائل الفاتحين بناحية معينة من مساحة المدينة. تسمى خطة لإنشاء مساكنهم وأحيائهم فمثلاً نزل الفهريون من الجهة الشمالية من الجامع وبنوا منازلهم واتخذوا حولها البساتين وعرف هذا المكان تاريخياً منازل الفهريين وهم قبيلة "عقبة".

2- موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين، ص: 34.

3- ابن الأثير، ج4 ص: 235.

4- الدباغ، ج2، ص: 08.

5- نفسه، ص: 18.

6- انفسه، ج1، ص: 245.

المهاجرة، وتردُّ إشارات إلى عشائر مختلفة تعود إلى قريش مثل بني مخزوم¹ وبني عبد الدار² وكذا بني فهر، كما وفد إلى القيروان عدة عشائر من عدة قبائل في شبه الجزيرة العربية*.

وبهذا فإننا نلاحظ أن أسلمة الأمازيغ كانت بسبب الجنود المقاتلة في الفتح العربي، أما التعريب فكان بسبب العائلات العربية المستقرة في المدن، وكأنها عملية تكاملية بين الجنود وعائلاتهم، وبالتالي فالاستراتيجية العسكرية في بناء القيروان هي الاستقرار في منطقة بكر، وتأسيس مدن هناك لتكون بمثابة قاعدة عسكرية، الهدف منها الاستلاء التدريجي على المدن والحصون البيزنطية³، وهذا ما تمثله القيروان من الناحية العسكرية، غير أن الجانب الثقافي يحظى بأهمية أكبر، إذ تمثلت في كونها همزة وصل بين المشرق والمغرب، حيث يذكر الفقيه أبو مهدي عيسى الصميلي بن مرزوق الذي سافر إلى المشرق وحج إحدى عشرة حجة فبعث إلى أصحابه بالقيروان وهو يقول: "ما زلت أبحث في الآثار والخبار إلى أن وجدت أن القيروان رابعة الثلاثة"⁴ بمعنى أهميتها لا تقل عن المدن الثلاث المدينة المنورة، مكة وبيت المقدس، وتتمثل أهميتها فيما يلي:

1- أول قبلة للمسلمين وضعت بأرض الأمازيغ.

2- أول جامع في بلاد الأمازيغ وجد بأرض القيروان.

1- ابن عبد الحكم، ص: 213.

2 - نفسه، ص: 215.

*- خولان وغفار وبلبي ومعاقر وتجييب وجذام ويحصب وحضرموت ومراد ولخم وأسلم وضمرة وهذيل ورعين وسياً وتنوخ هذه عشائر من قبائل العرب المختلفة، لمزيد من الأمثلة راجع كل من المالكي، ص: 85، ابن عذاري، ص: 53-55، الدباغ، ج1، ص: 97-100.

3 - علاوة عمارة، من القائد العسكري الي القائد الأسطوري "صورة عقبة في الدراسات الغربية"، دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص: 57.

4- الدباغ، ج2، ص: 06.

3- كانت حاضرة ومستقراً للفقهاء والعلماء والزهاد والصالحين*، ولكل هؤلاء كتب وآثار¹ معروفة ككتاب أبي محمد بن عفيف، وكتاب بن زيادة الله الصيني وغيرهما.

وبالتالي، فإنه منذ أن تم بناء القيروان، أصبحت من الحواضر الإسلامية الرائدة في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، مثلها مثل الكوفة، القاهرة، دمشق، وبغداد وأسلمة الأمازيغ، ليتم فيما بعد تعريبهم، وجاءت نتيجة احتكاك هؤلاء عندما استوطنوا بجوار العائلات العربية المهاجرة من المشرق من القبائل المضرية والقيسية. ومنها آثارها الثقافية الدينية تجاوزت آثارها العسكرية، حيث يذكر "أن الريح تنفث طابع الشرق² على هذا التدفق المدني من القيروان تاهرت وفاس". ويذكر جورج مارسيه "فمن المعلوم أن التطور الديني هو الذي قضي على اللاتينية لأن التعريب ملازم لتحول للإسلام كما أن اللاتينية والمسيحية كانتا مرتبطتين في هذه الكنيسة الإفريقية... فاللغة العربية كانت مرتبطة بمصير الإسلام.. فاللغة العربية ابرزت مدن مثل القيروان"³، وعن أهمية القيروان في أسلمة الأمازيغ وتعريبهم، فخير ما وجدناه ما ذكره الدباغ "أما القيروان فهي البلد الأعظم، والمصر المخصوص بالشرف الأقدم، قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب، وقطره الأوفر الذي أصبح لسان الدهر عن فضلها يعرب ويشرفه يغرب، قراره الدين والإيمان، والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان، قبلتها أول قبلة رسمت في البلاد المغربية، ناهيك بأرضها كانت منازل أصحاب نبينا ﷺ ومحط رحلهم، ومعتقلهم للإسلام والبقعة التي تخيروها مقراً للإسلام والمسلمين، مصراً مؤسساً على تقوي الله

*- سيتطرق إلى دورهم الفعال في العوامل الدينية.

1- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ص: 20.

2- آثار "عبد العزيز غوردو، ص: 71، تساؤلاً: "لماذا اختفت اللهجة القبطية من مصر في حين ما زالت الديانة المسيحية حاضرة بها وفي المقابل لماذا اختفت الديانة المسيحية من المغرب أي بلاد الأمازيغ وظلت الأمازيغية حاضرة إلى اليوم" والسبب حسب رأينا جغرافي بحث إذ أن جزء من الأمازيغ تحصنوا في الجبال وحافظوا على لغتهم، أما الأقباط فلا توجد ببلادهم جبال للتحصن بها.

3- جورج مارسيه، ص: 47.

إلى يوم الدين ودار هجرة"¹، ويضيف عن فضل القيروان "وفضل القيروان معلوم على تعاقب الزمان، متداول بين الأمم لا يختلف فيه اثنان، ناهيك من قوم سلفهم الأول أفاضل الصحابة والتابعين الذين فتح الله بهم أقطار المغرب وجالت في أرجائه منهم أفضل الجيوش والكتائب وعلي أيديهم أسلم سائرته"²، وبالتالي أضحت القيروان مركز إشعاع ثقافي ساهم بشكل كبير في أسلمة وتعريب الأمازيغ، وهذا بحكم احتكاك الأمازيغ بالعرب القاطنين بالقيروان والأمازيغ المتجاورين معهم، واختلف الأمر في هذه الفترة فلا وجود لليمس (الرومان) ولا وجود للتحصينات (بيزنطة)، أي وجود احتكاك مباشر بين الأمازيغ و العرب. كما أن التبادل الدوري للأسواق أجبر سكان النواحي (الأمازيغ) على تكلم اللغة العربية³.

ومنه نستخلص أن اسلمة الأمازيغ كان بسبب المقاتلة في جند الجيش العربي الفاتح بقيادة عقبة رضي الله عنه كما لاحظنا سالفاً، وكذا بمشاركتهم في بناء القيروان بداية، أما المرحلة الثانية فقد تمت باستقرار العائلات العربية في مدينة القيروان وهكذا تعرب الأمازيغ الذين استقروا في الحواضر.

(2) تونس:

تختلف تونس عن القيروان، حيث أن القيروان هي مركز إشعاع ثقافي، وقبله مركز عسكري أدى إلى استقرار الفتح الإسلامي، ومنه غاية بناء القيروان هي غاية عسكرية ونتيجتها ثقافية، أما تونس التي أسسها "حسان بن نعمان" سنة 84هـ - 703م، هي مدينة ساحلية مكملية لمدينة القيروان الداخلية، كما أنها مدينة قديمة ستتحول إلى مدينة إسلامية، وتمثلت استراتيجية ولاية إفريقية ابتداء من "حسان" ببناء مدينة حديثة إسلامية بجانب المدينة القديمة لتصبح مكملتين لبعضهما⁴، فنجد القيروان مدينة حديثة عربية أي تأسيسها وُجد

1- الدباغ، ج2، ص: 06.

2- نفسه، ص: 24.

3- جورج مارسيه، ص: 47.

4- علاوة عمارة، "النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر (ق 2- 6هـ / 8م-12م)" دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر ص: 139.

على أرض بكر (غابة)، أما تونس مدينة قديمة أسسها البيزنطيون، إذ يذكر المالكي "أن حسان بعد انتصاره على الكاهنة، عاد إلى القيروان، فدانت له إفريقية ودون الدواوين* ووجد بناء مسجدها الجامع، ثم رحل إلى قرطاجنة فهزم أهلها، وهرب الروم منها إلى صقلية والأندلس، فحط بها وسيطر عليها وعلى فحص تونس"¹. ومن ثم، يستخلص أن إنجازات "حسان بن نعمان" تمثلت في تجديد القيروان مركز الإشعاع الثقافي الإسلامي الجديد*، إذ هدم المسجد القديم ما عدا المحراب وإعادة بناءه وأقبل الناس على البناء والتعمير². وبالتالي، فقد اتضح لـ "حسان" خاصة بعد أن استردت بيزنطة قرطاجنة من خلال إغارة مفاجئة أن لا سبيل لاستقرار المسلمين، إلا بتخريب قرطاجنة المدينة البيزنطية** وإنشاء مدينة جديدة تخلفها، حيث تجمع خصائص المدن الداخلية من حيث الحماية من الغزو، وميزات المدن الساحلية من حيث القرب من البحر، وكتب إلى الخليفة "عبد الملك بن مروان" يخبره بأمر إغارة الروم على قرطاجنة، وهنا كلف الخليفة أخاه ووالي مصر "عبد العزيز بن مروان" أن يرسل إلى معسكر إفريقية ألف أسرة قبطية (مصرية) إلى "ترشيش"³، وهي قرية كانت بجوار تونس وأرسل إلى "حسان" يأمره ببناء دار لصناعة السفن وكذا بناء ميناء.

*- تدوين الدواوين من طرف حسان كان سبباً في إسلام المتعلمين من الأمازيغ، وبالتالي تعريب النخبة من الأمازيغ، وقد ذكرته سابقاً في عنصر تعريب الدواوين.

1- المالكي، ص: 48.

**- حيث يستخلص مما سبق ذكره أن قبل تأسيس القيروان كانت عبارة عن غابات بها الحيات والسباع ولم تكن بها ولاية بيزنطية، إذ بيزنطة كانت تركز أساساً مدتها في الشمال.

2- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 71.

***- يذكر استراتيجية الرومان. البيزنطيون هي عدم الامتزاج والاختلاط مع الأمازيغ إلا بما يوافق الاستغلال الاقتصادي، حيث يذكر راجع علاوة عمارة، دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص: 52. "ولهذا نجد المدن الرومانية القديمة أشبه بالقلاع والحصون الضخمة منها إلى المدن... وكذا ينظر إلى المدن الرومانية على أنها مراكز قمع أكثر من كونها مراكز تمدن وحضارة رومانية. وهكذا ظلت المدن معسكرات... ومع الفتح فتحت أبواب المدن في وجه السكان المحليين وبدأت تتحول تدريجياً من معسكرات إلى المدن".

3- يغلب الظن أن "ترشيش" الاسم القديم لـ «تونس» الاسم العربي، أما اسم تونس فيذكر أنها نسبة لراهب كان يوجد في الكنيسة في قرية "ترشيش"، وكان يطلق ترانيم الرهبان من صومعة فتؤنسهم وتطربهم فأطلقوا تونس على هذا الاسم.

وتتوقف هنا لنناقش سبب استقدام ألف أسرة قبطية، فنستنتج أن هؤلاء كان لهم دور كبير في تعريب الأمازيغ، وقد سبق أن أثرنا تساؤلاً حول ما هي الوساطة التي قامت بالترجمة بين العرب الفاتحين والأمازيغ، وأثير حول الموضوع عدة فرضيات* وبهذا لا نستبعد أن من لعب دور الوساطة هم الأسر القبطية التي كانت تتقن اللاتينية، ومن خلال ما سلف نستخلص أن الأمازيغ الذين ساهموا في بناء تونس كانوا مسلمين أصلاً، وبالتالي لم يتأثروا بمسيحية أقباط مصر لكنهم اخذوا منهم العربية أي أخذوا الديانة من سلطه واخذوا التعريب من الأقباط الذين ساهموا في بناء الميناء .

وقد كان الهدف من بناء دار السفن في كونه قاعدة هجوم ضد الروم في البحر، ونقطة حراسة في آن واحد، حيث يذكر الرقيق القيرواني "وأن يصنع بها المراكب ويجهد الروم في البر والبحر، وأن يغار منها على ساحل الروم فيشغلوا عن القيروان، نظراً للمسلمين وتحصينا لشأنهم"¹، ولما وصلت أسر الأقباط إلى موضع رباط "حسان" قام هذا الأخير بإنجاز قناة تصل القرية الداخلية "ترشيش" بالساحل، لتتمكن السفن من الإرساء فيها. ومن ثم، أصبحت هذه القرية ميناء بحرياً، وبهذا كثف المسلمون الغزو البحري ضد الروم، وأصبحت مهمتها دفاعية هجومية². وهكذا عمرت تونس وكثر سكانها، واهتم الولاة المسلمون بها خاصة "عبيد الله بن الحبحاب" بكونها قاعدة بحرية، وبها دار صناعة فأسس "حسان" مسجد الزيتونة وأتم بناءه "عبيد الله بن الحبحاب" وهكذا تأسست مدينة تونس الإسلامية وريثة قرطاجنة البيزنطية، فكانت مكتملة لإشعاع القيروان الثقافي الديني. وهنا لزمنا الإشارة أن بناء ميناء تونس في عهد "حسان" كان بمساهمة الأمازيغ، التي

تمثلت في قطع الأخشاب من الغابات الداخلية، وجرها إلى دار الصناعة، وهذا دليل على حسن إسلامهم،

*- يمكن الرجوع الي عنصر ضعف سلطة بيزنطة وقوة الحضارة العربية فقد فصلنا في ثلاث نظريات حول موضوع الوساطة أي من لعب دور المترجم بين الأمازيغ والعرب

1- الرقيق القيرواني، ص: 66.

2- لقد انطلق المسلمون من قاعدة تونس نحو صقلية وجنوبي إيطاليا. وبالتالي، انحسر نفوذ الروم البيزنطي ابتداء من القرن الثاني هجري.

فأدى احتكاكهم بالعرب وأقباط مصر إلى تعريبهم، وبهذا فإن سياسة "حسان" كانت ذات ثمار طيبة ونتائجها تمثلت في أسلمة الأمازيغ بسبب المساواة بينهم وبين جند العرب، وكذا أسلوب آخر أقامه حسان هو خطط القبيلة، أي جعل لكل قبيلة قطعة أرض في أرض تونس بين المسلمين العرب والأمازيغ بالتساوي، وبالتالي فآلية التعريب في تونس كانت أسرع منها في القيروان، بحيث أن خطط القبيلة في القيروان ركزت تركيزاً كلياً على القبائل العربية المهاجرة من المشرق، أما الأمازيغ فنجدهم قد استوطنوا بجوار القيروان والاحتكاك كان عاملاً اعتناق، أما في تونس فجعل الخطط القبائل بين الأمازيغ والعرب يتساوى يؤكد أن الاحتكاك كان مباشراً لهذا فآلية التعريب كانت أسرع في تونس منها في القيروان.

حيث يذكر المالكي "...ومن ذلك صارت الخطط للبربر في إفريقية فكان يقسم الفيء بينهم، والأرض، وحسنت طاعتهم فدانت له إفريقية ودون الدواوين، ثم قدم إلى القيروان فأمر بتجديد بناء "المسجد الجامع" فبناه بناء حسنا وجدده في شهر رمضان سنة 84هـ" ويضيف قائلاً: "واستقامت إفريقية كلها وأمن أهلها وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر منها وصارت دار إسلام إلى وقتنا هذا وإلى آخر الدهر إن شاء الله"¹.

ويستخلص أن الاستراتيجية التي اعتمد عليها العرب الفاتحون هي تأسيس مراكز استقرار عسكرية، تحولت فيما بعد إلى مراكز إشعاع ثقافي. وبالتالي، الانتقال إلى مرحلة تاريخية لعمران دار الإسلام، كما حدث في المشرق العربي، فبعد سلسلة الحملات العسكرية التي قضت على الاستراتيجية العسكرية البيزنطية، هذه الأخيرة حاولت الحفاظ على ممتلكاتها بإفريقية خاصة في المنطقة الشمالية، إما بالتحصينات وإما بالتحالف مع سكان الأمازيغ، وبهذا اتجهت السياسة العمرانية العربية إلى تأسيس مدن واقعة ما بين الأطلسين التلي والصحراوي، وهذا ضمن استراتيجية تضمن الابتعاد عن الغارات المفاجئة القادمة من بحر الروم، ومراقبة تحركات

1- المالكي، ص: 56.

قبائل الأمازيغ الرعوية، ومن هنا جاء تأسيس تونس وهي مرحلة التحولات الكبرى، أي تحول مركز الثقل¹ الحياة الإسلامية ببلاد الأمازيغ نحو الساحل.

ثانياً: دور البيوتات العربية في تعريب الأمازيغ:

لقد اقامت جماعات من البيوتات العربية* في بلاد المغرب وقد كان الهدف من إقامتها بين جموع الأمازيغ هدف ديني تعليمي، أي تعليم الأمازيغ أصول الدين.

فقد ذكر سالفاً أن صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن²، استخلص ناكور لنفسه وأقطعه إياها الوليد بن عبد الملك عام 91هـ وبالتالي فإن العرب الفاتحين أقاموا استراتيجية الاستيطان، فقد تقاسموا الأراضي واعتبروها ناحيتهم³ أي ملكهم، ونجد أن ابن عذاري يذكر أن الذي بنى وهران محمد بن عون⁴، و مدينة جراوة بناها أبو العيش عيسي بن إدريس بن محمد بن سليمان⁵، وبالتالي نلاحظ أن بناء المدن على يد البيوتات العربية النازلة في مواطن الأمازيغ، كان استراتيجية السلطة العربية خاصة منها الأموية، حيث جعلت على رأس كل قبيلة أمازيغية اسلمت بيتاً عربياً ليكون مرجعاً لها في الدين⁶، مع العلم أن رئاسة هؤلاء الأسر من البيوتات العربية

1- علاوة عمارة، قلعة بني حماد نشأة وافول حاضرة إسلامية، دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي، ص: 83.
* - يقصد بالبيوتات العربية هي بيوت الشرف العريقة تمركزت في حجاز دمشق وكوفة وقد هاجرت الأسر العربية من المشرق إلى المغرب وكذا الأندلس حيث انفصلت عن قبيلتها الأم راجع محمد بن زين العابدين رستم، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 06.

2- ابن خلدون، العبر، ج6، ص220.

3- بوخالفة نور الهدى، ص: 241.

4- ابن عذاري، البيان ج1، ص: 136.

5- نفسه، ص: 175.

6- بوخالفة نور الهدى، ص: 245.

كانت تواجهها تمرد للأمازيغ*، وهناك عدة أمثلة حول سيادة البيوتات العربية، حيث يستعرضها لنا اليعقوبي فيذكر عند كلامه عن إقليم الزاب "...و من الموضع البلد الذي تغلب عليه الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسن بن علي بن ابي طالب واول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز سكانها قوم من البربر القدم يقال لهم بنو برنيان من زناتة أيضاً ثم مدن بعض سكانها صنهاجة وزواوة يعرفون بالبرانس وهم أصحاب عمارة وزرع وضرع، وإلى هاز ينسب البلد"¹، ونستخلص من كلام اليعقوبي أن الحسن بن سليمان اقتطع لنفسه مدينة هاز التي أصبحت إمارة للحسن بن سليمان 199هـ ومن بعده حمزة بن الحسين².

ويضيف اليعقوبي عن سيادة البيوتات العربية "والمدينة الخضراء وما يتصل بها من مدن كثيرة وحصون وقرى ومزارع، يتغلب على هذا البلد ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كل رجل منهم مقيم متحصن في المدينة وناحية، وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف بهم وينسب إليهم"³.

*- ذكر سالفاً تمرد قبيلتي صنهاجة وعمارة على صالح صاحب ناكور عندما كثرت عليهم الشعائر الدينية، ابن عذاري ج1، ض: 176. نتوقف عند هذه النقطة، فأغلب المصادر ذكرت أن تمرد الأمازيغ على صالح كان بسبب أن الشعائر الدينية كثرت عليهم، وبالتالي نستبعد هذا الطرح، حيث أنه عند اعتناق الإسلام تعلم الشعائر دفعة واحدة أو على الأقل تقدم للمسلم الجديد فكرة عنها، وعليه فمن المستحيل أن كثرة الشعائر أدت إلى التمرد، ومنه فتورة قبيلتي صنهاجة وعمارة لم تكن إلا لسبب التحول العربي من زعامة الدينية إلى الزعامة السياسية وهذا ما لم يقبلوه فطردوه رغم ورعه وصلاحه.

1- أحمد بن ابي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الشهير باليعقوبي البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 191.

2- نفسه، ص: 192، وقد استمرت هذه الإمارة العلوية حتى ظهور الدعوة الفاطمية فتوسعت الدولة الفاطمية على حسابها أيام زيري بن مناد وخربت أيام المعز.

3- نفسه، ص: 192، ويقصد بالمدينة الخضراء هو سهل متيجة.

ويذكر أيضاً "ومدينة يقال لها سطيف بها قوم من بني أسد بن خزيمه عمال من قبل ابن الأغلب، ومدينة يقال لها بلزمة، أهلها قوم من بني تميم وموالي* بني تميم"¹.

يذكر الدباغ وجود قرية زرود المنسوبة إلى أحد المقاتلة من القرن 02هـ، وهو ميسرة الزرودي الذي سكن القيروان²، وهناك عدة أمثلة حول سيادة البيوتات العربية التي اقتطعت أراضي لها في بلاد الأمازيغ، وأنشأت بعد ذلك مدن ليجتمع حولها قبائل الأمازيغ بهدف تعلم أصول الدين، وبهذا تنسب إليهم، ولكن سرعان ما تتحول تلك الزعامة الدينية إلى زعامة سياسية للبيوتات العربية وتكون نتيجتها تعريب قبائل الأمازيغ المجتمعة في ذاك الإقليم. وهذا نستخلص أن استراتيجية الدولة الأموية هي تغليب العنصر العربي في الأقاليم البعيدة، وحتى المعارضة التي وجدت في عهدها فقد سلكت نفس الأسلوب، والدليل على ذلك دولة الأدارسة وقد سبق التطرق إليها.

VI - العوامل الاقتصادية :

إن الفتح الإسلامي كان حدثاً هاماً، حيث حول بلاد الأمازيغ من مصير تاريخي إلى مصير تاريخي آخر، فقد تحولت جل المفاهيم المتعلقة باللغة، الدين، فالأمازيغ قارنوا بين مراحل التدخل الأجنبي والتي يقصد بها الرومان، الوندال، البيزنطيون. وبين الذين استعبدوا من طرف مؤسسات الاحتلال الاستغلالية الاقتصادية، وهكذا يتضح أن دراسة المؤسسات خاصة منها الاقتصادية تكتسي أهمية بالغة، ذلك أنها شكلت عاملاً هاماً للأسلمة والتعريب، ونتيجة لذلك، فإنه سيتم تقسيم العوامل الاقتصادية إلى عنصرين، العنصر الأول: دور الطرق التجارية في تعريب الأمازيغ، أما العنصر الثاني فسيعالج تعريب الأمازيغ بسبب آلية الجباية الإسلامية.

* - غالباً إن موالي قبيلة تميم كانوا من الأمازيغ، وبالتالي استعربوا لسيادة هذه الأسرة في ذلك الإقليم.

1-اليعقوبي، ص: 190.

2- الدباغ، معالم، ج1، ص: 219. تعرف هذه القرية حالياً بقلشانة قرب القيروان.

أولاً: دور الطرق التجارية في تعريب الأمازيغ:

تجدر الإشارة إلى أن هناك طريقتين تجارين، إذ اتصل التجار بديار الملثمين وبلاد السودان عن طريق ساحل المحيط وطريق الصحراء¹، وأصبحت القوافل التجارية ترتاد طريق الصحراء، خاصة بعد أن أكمل عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيد بن عقبة بن نافع الفهري² أن يعبر الصحراء وجنوده لأول مرة 127هـ/ 744م، وبذلك نشر الإسلام في ربوع صنهاجة جنوباً وفي جنوب الصحراء.

وأقام إنجازاً ذو انعكاسات جمّة، منها إقامة سلسلة من الآبار³ تصل بين واحات إفريقيا مراكش وأودغشت* بصحراء المغرب الأقصى، حيث يذكر ابن حوقل المدينة "ومدينة اودغشت مدينة لطيفة أشبه بلاد الله بمكة ومدينة الجرزان في بلد الجوزجان من بلاد خراسان لأنها بين جبلين ذات شعاب ومن اودغشت إلى غانة بضعة عشر يوماً"⁴، و يضيف البكري عن مدينة أودغشت "وكان لموقعها الممتاز كمحطة تجارية هامة لقوافل الصحراء، أثر كبير في نشر الأفكار والثقافات التي يحملها التجار والمسافرون من العلماء والطلاب عبر الصحراء"⁵، وبهذا استطاع فك العزلة التي ميزت هذه المنطقة وانعكست إيجاباً على التجار العرب الذين اغتنوا بأرض السودان كمصدر للذهب والعبيد، ويذكر ابن عبد الحكم "وعزا عبيد الله بن أبي عبيدة الفهري السوس الأقصى وأرض السودان فظفروا بهم ظفراً لم ير مثله وأصاب ما شاء من الذهب وكان فيما أصاب

1- عصمت عبد اللطيف دندش، ص: 40.

2- عبد الرحمن هو مؤسس دولة الفهريين في بلاد المغرب، حيث تعرضنا إلى تعريفها في عنصر عامل المصاهرة والسيي بحكم تصريحه للخليفة أبي جعفر المنصور، راجع موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين، ص: 103-123.

3- عصمت عبد اللطيف دندش، ص: 40.

*- أودغشت: مدينة في الصحراء كانت كبيرة تتحكم في الطرق التجارية بين الشمال والجنوب. ويذكر ابن الحوقل، ص: 92، ومن سجلماسة إلى اودغشت شهران على سمت المغرب فتقع منحرفة محاذة عن السوس الأقصى كأنهما مع سجلماسة مثلت طويل الساقين أقصر اضلاعه من سوس إلى اودغشت "

4- ابن حوقل، ص: 92.

5- البكري، ص: 158.

جارية أو جارتين من جنس بربر أجان"¹، كما استطاع التجار شق طريق في الصحراء، وأصبحت القوافل التجارية أكثر مروراً عن هذه الطريق*، بفضل وجود آبار المياه الجوفية، وانعكست بانتشار الإسلام في جوف الصحراء (القبائل الأمازيغ) ثم وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا، ومنه فاتصال التجار المسافرين عبر الخطوط التجارية ساهم بقدر وإن كان ضئيلاً في إسلام قبائل الأمازيغ الضاربة في الصحراء، رغم أن الاعتناقات كانت فردية أكثر منها جماعية. فعملية حفر الآبار تذكرنا بالآثار الإسلامية منذ الفتح الإسلامي المتمثلة في عيون أبي مهاجر دينار بتلمسان²، وحفر آبار حديد بالقرن ونبع الفرس بصحراء فزان، هذه الآثار المرتبطة بالمياه تدعونا إلى استخلاص إرادة الفاتحين في الاستقرار بحكم أن الماء هو الحياة، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 30)، وبالتالي فإن الاحتكاك بالسكان الأصليين (أمازيغ الصحراء)، هذا الاحتكاك سيؤدي إلى تعريب الأمازيغ، ومع انقطاع السبي من إفريقية كما أخبر عبد الرحمن بن الحبيب الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور أصبحت السودان وطريقها مصدر قوافل التجار العرب متصلة مباشرة بباقي المراكز كتيهت وسجلماسة، وقد كان للتجارة شأن كبير في مدينة أودغشت وضواحيها من طرف المرابطين أيضاً، وتحدثت المصادر عن غناها المادي والبشري، فيذكر عن ثراء المدينة أنها تحتوي على أناس أثرياء أخلاط من العرب والأمازيغ من قبائل نفوسة ولواتة ونفزاوة، وعلى الأرجح أن تعريب الأمازيغ عامله الأساسي في هذه المدينة هو التجارة والتجار العرب، حيث أن التجار كانوا يقدون إليها، فكانت مركزاً تجارياً يجلب إليها جاليات عربية من كل مكان مما كانت نتيجته الاحتكاك بالعرب وبالتالي التعريب .

1- ابن عبد الحكم، ص: 217.

*- إن خطوط القوافل التجارية المارة بالصحراء تبدأ من أودغشت وأوليل ونهايتها سجلماسة.

2- موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين، ص: 49.

ويذكر أيضاً أن قوة المغرب الإسلامي تأتي من قوة الشبكة التجارية للعالم الإسلامي¹، والمعروف أن العرب كانوا منذ أيام الجاهلية تجاراً وما رحلة الشتاء والصيف إلا نموذج لذلك، وقد لعبت التجارة وطرقها دوراً هاماً في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وانتقلت هذه الأهمية عند فتح بلاد الأمازيغ، ولكي نبرز دور التجارة ووسيلتها وهي الطرق التجارية في تغيير البنية السسيولوجية للأمازيغ، لزم ربطها بالمجال السياسي، حيث أن التاريخ السياسي للمغرب الإسلامي لم يكن إلا تعاقب طويل لصراعات غامضة بين القبائل سواء العربية فيما بينها أو الأمازيغية، وبذلك أعاققت إقامة حكم سياسي تابع للدولة²، وبهذا وجد تكوينات حكومية في بلاد الأمازيغ قائم على ترابط عناصر ثلاثة³:

- العصبية القبلية المسيطرة⁴.

- القوة المالية.

- الإشعاع الديني (التجديد الديني).

هذا الترابط بين العصبية القبلية والتجديد الديني والقوة المالية يظهر واضحاً على طول تاريخ المغرب الإسلامي، ويبرز بذلك أهمية التجارة لتأمين القوة المالية، هذه الأخيرة وسيلة تحققها الطرق التجارية، وعلى سبيل المثال لا الحصر الدولة الرستمية فالتجديد الديني فيها جاء على شكل تبني مذهب الخوارج، والدولة

1- عبد القادر جغلول، ص: 83.

2- نفسه، ص: 70، ويضيف في تحليل القبيلة «إذا حللنا تاريخ المغرب معتمدين المعايير الحالية كإقليم ضمن أرض وحدود مستقرة وعاصمة ثابتة ذات مركزية تدير كافة نواحي الإقليم إذا اعتمدنا على هذه القاعدة لوجدنا ان تاريخ المغرب معقد فعلاً حيث الحدود لم تكن لها معنى في العصور الوسطى للمغرب الإسلامي" ص: 71. وهكذا فإن القبيلة تعتبر عاملاً وعائقاً في نفس الوقت للتعريب وهذا ما سنفصل فيه في فصل العوائق لاحقاً.

3- نفسه، ص: 73.

4- إن مفهوم الدولة في المغرب الإسلامي أقرب الي مفهوم الدولة القبلية إلى مفهوم الدولة المدنية حسب المفهوم الأوروبي الغربي، ومن هنا الفارق بين المفهوم الغربي حيث أن الغرب ينظر إلى الوطن على أنه رقعة جغرافية ذات حدود، رقعة ثابتة نشعر بالغرابة عند الابتعاد عنها والتعلق بالأرض شعور حضري اما ناحية الشرق فالقبيلة هي أساس الوطن وهي نتاج أجيال متعاقبة لا تحتاج الي إطار إقليمي في تحقيق وجودها وانما هي عرق وفتة بيولوجية راجع إميل. ف. غوتيه، ص: 58.

الفاطمية تجديدها الديني مذهب الشيعة، والمرابطين السنة المالكية، والموحدون المذهب التومارقي، هذه الحركات للتجديد الديني احتاجت إلى عصبية قبيلة والتي مثلت دور المحرك في بناء مؤسسات حكومة الدولة القبيلة، فتأسس الدولة الرستمية حركاتها القبائل الثائرة على حكم ولاية الدولة الأموية، والدولة الفاطمية حركتها قبيلة كتامة، ودولة المرابطين قبيلة لمتونة، ودولة الموحدون قبائل الأطلس المغربي، ولكي يتفاعل هذان العنصران، التجديد الديني وعصبية القبيلة، لزم المال الذي يعد وسيلة تمويل، ويتحقق ذلك بالسيطرة على طرق التجارة خاصة طريق الذهب¹، حيث أن الدولة الرستمية بتيهت كانت تراقب طريق السودان بواسطة إمارات والقبائل المدعمة لمذهب الخوارج في الصحراء، خاصة سجلماسة، حيث أنه ليس صدفة أن تؤسس الدولة الفاطمية على أشلاء الدولة الرستمية، وكذا سجلماسة وهذا دليل على أن الفاطميين كانوا يراقبون هذا المركز الرئيسي لتجارة القوافل، ونجد نفس الاستراتيجية في تأسيس دولة المرابطين، فقد استولوا على اوداغشت²، وتوسعوا نحو غانا مراقبين بذلك قسماً كبيراً من تجارة الذهب. وبهذا فإن الطرق التجارية التي كان هدفها المال أدت دوراً أساسياً في **الأسلمة والتعريب**، بحيث أولت لها الدول المتعاقبة على حكم بلاد الأمازيغ أهمية، فقد لعب التجار العرب دوراً أساسياً في تعريب أمازيغ الصحراء، ولا سيما مسار طريق الذهب³.

ثانياً: تعريب الأمازيغ بسبب آلية الجباية الإسلامية.

إن النظم المالية التي طبقت في إفريقية كانت نوعاً ما متشابهة لما طبق في الأقاليم المفتوحة في المشرق. مع بعض الاستثناءات التي ساهمت في تعريب الأمازيغ كاشتراط "عمرو بن العاص" رضي الله عنه على أهل برقة أن يبيعوا في جزيتهم أبناءهم (حيث أننا فصلنا سابقاً آلية الرهائن في الجيش العربي الفاتح)، إذ اعتبرت آلية جباية في الأسلمة والتعريب، وتندرج ضمن العوامل العسكرية، لكن أدرجناها في العوامل الاقتصادية بحكم ارتباطها

1- عبد القادر جغلول، ص: 74.

2- نفسه، ص: 74.

3- بوخالفة نور الهدي، ص: 451.

بمصطلح الجزية، ولم يكن الفتح الإسلامي هدفه جمع الغنائم والأموال بقدر ما كان النجاح في إسلام وتعريب السكان الأصليين)، ويذكر موسى لقبال أن هؤلاء الأبناء لم يكونوا عبيداً ولا مجالاً لتشبيه الأبناء بالعبيد¹. هؤلاء كانوا عاملاً من عوامل اعتناق الأمازيغ للإسلام وكذا تعريبهم، حيث أننا نتوقف عند مصطلح الأبناء وكان معظمهم فتية صغار السن، أي أنهم سينشؤون في بيئة مغايرة لبيئتهم، وسيتكفل بهم من طرف العرب الفاتحين، وتطبيقاً لعبارة "ومن شب على شيء شاب عليه"، فإن البيئة التي نشأوا فيها هي بيئة عربية إسلامية، وبهذا عند عودتهم لذويهم (الأمازيغ) يكونون دافعاً قوياً لاعتناق بقية أسرهم وقبائلهم الإسلام كذا تعريبهم، بحكم أنهم سيتقنون اللغة العربية، وسيصبحون دعاة، فنشر الإسلام لا ترعاه مؤسسة دينية تبشيرية كما هو الحال في المسيحية، وإنما عامل الدعوة إلى الإسلام يكون على عاتق الأفراد أكثر من المؤسسات الدينية كالكنيسة. ويبدو من البديهي بأن عادة بيع الأبناء كانت موجودة بين أمازيغ لواتة²، أي أنها عادة أمازيغية ولم تُستحدث من طرف العرب، وأن "عمرو بن العاص" رضي الله عنه لم يحاول تغييرها*، وإنما كل ما عمله هو أن سهل على أهل برقة الاختيار بين أبنائهم ومعاملته السلسلة اللينة، التي تفسر إرسال الجزية³ من طرف الأمازيغ نقداً كل سنة إلى

1- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 140.

2- نفسه، ص: 140.

*- لقد طبق حسان بن نعمان نفس الطريقة لكن بأسلوب عسكري أكثر منه اقتصادي أي بدل الأبناء ظهر في المصادر مصطلح الرهائن التسمية اختلفت لكن النتيجة تشابهت، وهي اعتناق الأمازيغ للإسلام. ويذكر حسين مؤنس: "أن حسان انتهج سياسة المساواة بين العرب والبربر في الإدارة المالية والعسكرية، فقد حجب الإسلام إلى نفوس البربر فاعتنقوه على اقتناع بسماحته... تقسيم الأرض إلى خطط معينة وتوزيعها بين البربر وإلى سياسة التسوية مع العرب في الفيء" حسين مؤنس، ص: 74، 75. وبهذا فالمساواة بين الأمازيغ والعرب أدت إلى إسلامهم ثم اندماجهم أي تعريبهم.

3- الجزية: مال يؤخذ من أهل الذمة في مقابل الزكاة التي تؤخذ من المسلمين وهي ضريبة رؤوس. راجع موس لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، ص: 139. وهذا حسب الآية 29 من سورة التوبة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (29). ويذكر محمد ضيف الله بطانية، الحياة الاقتصادية في العصور الأولى للإسلام، دار كندي للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ص: 22، "أمر رسول الله ﷺ لا جزية على من لم يبلغ من الرجال ولا على امرأة وكذلك لا جزية على مغلوب على عقله وكذلك لا جزية على مملوك لأن لا مال له يعطى الجزية". وذكر أيضاً أن: "الجزية لا تؤخذ من أعمى ولا من مقعد ولا مترهب".

والي مصر دون إرسال جباة. وحينما توطد الفتح الإسلامي كان لابد من إرساء دواوين مالية للجباية، من بينها ديوان الجند¹ وديوان الخراج² حيث أسسها "عمر بن الخطاب" استمرت في عهد خلفاء بني أمية ابتداء من "معاوية بن أبي سفيان" الهدف الأساسي للجباية هو تقديم الأعطيات للجنود في بلاد الأمازيغ، وبالتالي إبقاء على قوة عسكرية ضاربة مستعدة للجهاد في بلاد الأمازيغ وبهذا لعبت الدولة دور الوسيط بين الجند والأعطيات هذه الأخيرة التي كانت سبباً في كثير من الأحيان لتمرد الجيوش فكان الحل لإخماد التمردات هو الاغراءات المادية للجنود في الأعطيات، يعتبر ديوان الخراج مؤسسة مالية معيار النهضة والازدهار للإمبراطورية الإسلامية العربية، لأن الهدف منها تجميع المال من البلاد المفتوحة بصفة مستمرة عكس تماما الغنيمة³ التي تكون مفاجئة ومرتبطة بنجاح الحملات العسكرية.

مما سبق نستخلص الدور التكاملي بين مؤسسات الدولة العسكرية والاقتصادية، وهنا يذكر هشام جعيط أن نظام الجباية في إفريقية فيه نوع من الضباية وأثار جدل واسع بين المؤرخين⁴، حيث حدثت صدمات عنيفة

وتجدر الإشارة أن "محمد ضيف الله بطانية" أكد أن أغلبية المؤرخين يؤكدون أن كلمتي "جزية" و"الخراج" لبثتا تطلقان على مفهوم واحد لمدة قرن وربع ويجمع أغلبهم أن "نصار بن سيار" حاكم خراسان كان أول ما فرق بين مدلول جزية ولفظ خراج سنة 121هـ. لمزيد من التفصيل راجع أيضاً محمد كامل حسن المحامي، الجزية في الإسلام، ضريبة الرؤوس وضريبة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ص: 17.

1- ديوان الجند: يهتم بإحصاء الجند في الجيش الإسلامي. وبالتالي، توزيع الأعطيات عليهم. راجع أيضاً عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص: 138.

2- الخراج: وهو مقدار معين من النقد أو من المحاصيل يفرض على الأراضي التي فتحت عنوة. إذ لم تقسم بين الفاتحين وتركت بيد أهلها. راجع موسى لقبال، المغرب الإسلامي ص: 139. راجع أيضاً عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص: 158.

وفي نفس الصدد يذكر محمد كامل حسن المحامي، ص: 14: "لفظ الخراج يطلق على الضرائب التي تفرض على ملاك الأراضي وذلك بنسبة معينة من محصول تلك الأراضي سواء أكان هذا المحصول حبوباً أو تمرًا أم فصة، والفصة نوع من البرسيم تتغذى عليه المواشي".

3- الغنيمة: جمعها الغنائم وهي أموال الكفار التي يفوز بها المسلمون في دار الحرب على وجه الغلبة وتكون أسرى من المحاربين وسبياً من النساء والأطفال وأموالاً منقولة وأراضي وحكمها أن تقسم مناصفة بين المحاربين. راجع موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 139. وأول غنيمة كان على حساب قبيلة نفوسة.

4 - هشام جعيط، ص: 91.

ذكرت سالفاً وهذا بسبب الأسلمة السريعة¹ لقبائل الأمازيغ وتوجت بتبني مذهب الخوارج، ومما أضفى هذه الضبابية وجود نظام جبائي يختلف في وضعيتين متنافرتين وهما أرض عنوة* وأرض صلح**. فالجباية تتنوع حسب الطبقات الاجتماعية، فهناك قبائل الأمازيغ الممتدة على كل أرض المغرب من برانس وبتر (مستقرون ورحل)، فقد فرضت عليهم عهود صلح في أولى فترات الفتح الإسلامي، تلزمهم بدفع الجزية المتمثلة في أبناءهم كما سلف الذكر، وقد كان عاملاً قوياً في الأسلمة والتعريب خاصة. وزادت الجباية خاصة بعد أن انتهت المقاومة الأمازيغية، أي منذ هزيمة الكاهنة رمز المقاومة البربرية، وهنا بدأت تعتنق القبائل الأمازيغية الإسلام من برقة إلى طنجة لأسباب جبائية² واقتصادية بالدرجة الأولى، وبما أن حسان بن نعمان مثلاً أقر للأمازيغ على ما بيدهم من الأرض³ وبذلك ظهر للبربر أن العرب لم يسلبهم أراضيهم ولا ميزاتهم المادية. فديوان الجند أعطى الأمازيغ امتيازات اقتصادية بسبب إسلامهم واشتراكهم في الفتوحات التي اتجهت صوب الأندلس وكذا صوب المغرب الأقصى. ويذكر حسين مؤنس أن إسلام لواتة ونفزاوة ونفوسة وهي من القبائل البدو الذين اتخذوا دين الوثنية دينا لهم عداً لببزنطة (الروم). وعليه، تأثير المسيحية كان طفيفاً لديهم، وهذا ما يفسر إسلامهم السريع. ونجد في المصادر التاريخية عمرو بن العاص رضي الله عنه حين أرسل كتاباً للخليفة عمر رضي الله عنه يعلمه "أن

1 - هشام جعيط، ص: 91، "أن أسلمة السريعة لقبائل الأمازيغ الشرقية، وكذا فيما بعد أسلمة أغلبية الأمازيغ أدت إلى بروز مشاكل مالية في قلب الحكم الخلافة العربية (الأموية) مفادها ابتزاز واعتبار الأمازيغ أهل الذمة رغم إسلامهم وهذا بهدف توفير إمدادات نقدية لبيت مال المسلمين في مركز الخلافة (دمشق)، حيث أن هذه الظاهرة لم تحدث في البلاد المفتوحة في المشرق العربي. فلم يسلم الفرس ولا النبطيون من أهل السواد ولا القبط في العهد الأموي. ولا حتى في العهد العباسي وبقية الأقلية لحد يومنا هذا تتمتع باعتراف الديانة المسيحية". ما يفهم من كلام هشام جعيط أن أسلمة جل الأمازيغ أدخل الدولة الأموية في أزمة اقتصادية انعكست سلباً على مواردها وعلى المجال الاقتصادي في الشرق، وبهذا يفسر استبداد الولاة الأمويون في حق الأمازيغ رغم إسلام هؤلاء.

*- تختلف الضريبة على البلد المفتوح إذ استسلم عنوة أو صلحاً، ففي حالة استسلام، معناه أن ذلك البلد قاوم جيش المسلمين وقتل وجرح. وبالتالي وجود غنائم، محمد كامل حسن المحامي، ص: 17.

** - اعتبر حسان بن نعمان أرض المغرب (البربر) مفتوحة صلحاً وليس عنوة. محمد شيب الخطاب، ص: 171. في حين ذكر هشام جعيط، ص 96: "أن الواقع يظهر أن إفريقية كلها أرض عنوة وهي الفكرة الغالبة. وبالتالي، تعتبر أرض خراج وجزية".

2- هشام جعيط، ص: 97.

3- حسين مؤنس، ص: 288.

ما بين زويلة وبرقة أسلم كلهم وحسنت طاعتهم. فقد أدى مسلميهم الصدقة، وأقر معاهدهم بالجزية، وأنه قد وضع على أهل زويلة، ومن بينه وبينها، ما رأى أنهم يطبقونه وأمر عماله جميعاً أن يأخذوا الجزية من أهل الذمة فتحمل إليه بمصر، وأن يؤخذ من المسلمين العشر، ونصف العشر ومن أهل الصلح صلحهم¹. وقد حلل موسى لقبال النص، حيث استخلص أن المسلمين لا تؤخذ من أموالهم غير الزكاة بنسبة العشر. ولا تفرض عليهم الجزية ولا يوظف عليهم الخراج²، وهذه هي روح الإسلام النقية التي طبقت في الفتوحات الراشدية، ويتفق معه حسين مؤنس³ أن سرعة إسلامهم وتعريبهم لم يكن بدافع الاقتناع بالإسلام بقدر ما هو بدافع اقتصادي متمثل فيما يلي:

- اقتسام الغنيمة بالتساوي بين الفاتحين العرب والأمازيغ.

- الفرار من الجباية (الجزية والخراج وهي من خصائص أهل الذمة).

- بدافع نبذ استغلال الكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع السلطة والملاكين الكبار حيث يذكر في هذا الخصوص عبد الله العروي⁴ "أسلم المغاربة كلهم فيما بعد... هذا صحيح لكن بعد قرون ولدوافع ليست كلها جديدة منها عدم وجود كنيسة مستغلة" فيلاحظ من خلال المصادر أن قبائل الأمازيغ في الحملات الاستطلاعية قد أسلمت وحسن إسلامهم "ما بين زويلة وبرقة أسلم كلهم، وحسن إسلامهم"⁵.

وعليه، يستخلص أن هؤلاء كان إسلامهم بالدرجة الأولى بسبب المقارنة ما بين الأجنبي السابق بالأجنبي الوافد، وبما أن بيزنطة وريثة روما، فقد استعبدت الأمازيغ ومن ثم، ظهر الفتح الإسلامي على أنه تحرير

1- البلاذري، ص: 226. راجع أيضاً ابن عبد الحكم، ص: 36.

2- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 144.

3- حسين مؤنس، ص: 288.

4- عبد الله العروي، ج1، ص: 132.

5- ابن الحكم، ص: 36.

للشعوب، وقد أبدى المسلمون العرب سواء على الصعيد الديني أو المالي تساهلاً كبيراً¹ يتناقض مع التصرفات التعسفية لدى حكام بيزنطة وقبلهم الوندال والرومان، الذين لم يختلفوا كثيراً في استبعاد القبائل الأمازيغ وهذا ما يفسر فشل رومنة روما ونجاح تعريب العرب للأمازيغ بحكم تطبيق مبادئ الإسلام في الجباية*.

VII - العوامل الدينية :

أولاً: دور علماء الدين العرب في تعريب الأمازيغ.

يذكر مالك بن نبي "كيف يتاح للفكرة الدينية أن تبني الإنسان حتى يقوم بدوره في بناء الحضارة، وبالتالي كيف يتاح لهذه الفكرة ذاتها أن تمدنا بتفسير عقلي لدور إحدى الديانات في توجيه التاريخ"². ويضيف³ "ومن المؤكد أنه عندما نتناول الحضارة الإسلامية فلا بد من أن يدخل في أطرافها بالضرورة عاملان هما: الفكرة الإسلامية التي من أصل الاطراد نفسه والإنسان المسلم الذي هو السند المحسوس لهذه الفكرة". فمن خلال ما تقدم من تصريح لمالك بن نبي فإن الإنسان المسلم يلعب دوراً هاماً في إيصال الفكرة الدينية التي تؤثر في الآخر لتبني الحضارة، أي بعبارة أخرى دور العلماء في أسلمة وتعريب الأمازيغ، ويمكننا تقسيمها إلى:

أ- التعريب من طرف العلماء الدين العرب.

1- عبد القادر جغلول، ص: 31.

*- تذكرنا بحادثة توضح مبادئ الإسلام الحنيفة فيما يخص الجباية "أن الأقباط كانوا يحتلون كثير من الوظائف الكتابية فقد اضطروا إلى تعلم اللغة العربية، وفي الوقت ذاته أخذوا يدخلون إلى الإسلام، فلم يكذب ينسلخ القرن الأول للهجرة حتى أحسن أيوب بن شردبيل عامل الخليفة عمر بن عبد العزيز بتناقض الجزية نتيجة لإسلام عدد كبير من الأقباط فكتب إلى الخليفة يشكو من ذلك ويستأذنه في فرض الجزية على من أسلم، فرد عليه الخليفة بعبارة المشهورة: "قبح الله رأيك، إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً، فضع الجزية عمن أسلم" وبالتالي نستخلص أن تعريب الدواوين في مصر ساعد الأقباط على التعريب، ومع الاحتفاظ بديانتهم برغم أن اللغة العربية صارت لغة دينهم أيضاً، فالأقباط وأيضاً كالأرمن الكاتوليك صاروا يتلون الإنجيل باللغة العربية ويتهلون إلى الله باللغة العربية.

2- مالك بن نبي، ص: 61-62.

3- نفسه، ص: 66.

ب- التعريب من طرف علماء الأمازيغ أنفسهم وهذا العنصر سنتطرق إليه في الفصل الثاني.

1) دور علماء العرب في تعريب الأمازيغ:

هي المرحلة الأولى التي توازت مع مرحلة الأسلمة، حيث فُرِضت الثقافة الإسلامية في الميدان الديني والثقافة العربية في الميدان الدنيوي¹، وبهذا عاشت إفريقية مرحلة إدخال المشاركة للمشروع الأدبي العربي². ومن خلال تمحيص المصادر يتجلى لنا أن دور الدعاة* والفقهاء** مر بعدة مراحل، ونلخصها فيما يلي:

-المرحلة الأولى: وجدت في أن قادة الحملات العسكرية هم أنفسهم كانوا دعاة من خلال الدعوة إلى الدين، وعلى سبيل المثال نذكر "أبي مهاجر دينار" الذي انتهج سياسة اللين لدعوة قبائل البربر إلى الإسلام، خاصة قبيلة "أورية" و"عقبة بن نافع" رضي الله عنه ودعوته وبنائه للقبروان وحسان وغيرهم من قادة الفتح العربي الإسلامي.

-المرحلة الثانية: تزامنت مع المرحلة الأولى وجد دعاة مرابطين كـ "شاكر" صاحب "عقبة" وكذا صالح الذي رابط في ناكور وبعد ذلك اقتطعها لنفسه وقد لعبوا دوراً هاماً في إيصال الفكرة الدينية أي الأسلمة.

-المرحلة الثالثة: تمثلت زمنياً عند انتهاء الحملات العسكرية، وقد ركزت هذه المرحلة على **الدعاة الفقهاء**، وكانت من أنجح المراحل في استمالة قبائل الأمازيغ واعتناقهم طواعية الإسلام، وهذا ما أكده "ألفرد

1- هشام جعيط، ص: 166.

2- نفسه، ص: 167.

*- الداعي هو القائم بالدعوة، وهو المبلغ للإسلام والمعلم له وساعي إلى تطبيقه والداعي الأول هو النبي محمد ﷺ، حيث قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿45﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿46﴾، الآيتين: 45 و46 من سورة الأحزاب.

والملاحظ أن الأمة شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله تعالى. وعليه، فالمكلف بدعوة كل مسلم ومسلمة ولا يختص العلماء بأصل هذا الواجب. لأن واجب الجميع كل بحسبه. وإنما يكلف أهل العلم بتبليغ تفاصيل الإسلام وأحكامه ومعانيه الدقيقة". راجع مفيد خالد أحمد عيد، العلاقة بين الفقه والدعوة، مكتبة دار البيان، دار ابن حزم، ص: 57، 58.

** - الفقهاء مفرد فقيه على وزن فعيل بمعنى فاعل، والفقيه صيغة مبالغة من الفقه، والفقيه هو العالم بأحكام الشريعة الذي حصل على العلم الذي يقتدر به على استنباط الأحكام من أدلتها، نفسه، ص: 60.

بال" بقوله: "ومهما يكن من شيء فقد قدم منذ وقت مبكر، بعد القادة والولاة، كثير من أهل الدعوة ورجال الدين اللذين كانوا أقدر على نشر الدعوة منهم على الغزو والحرب وقد بدأت هذه الطريقة على نشر الإسلام على أيدي الدعاة الأتقياء منذ العصر الأموي"¹، ويضيف "ألفرد بال" في نفس الصدد نقلاً عن "فون درهايدن" "Vonderheyden" أن "البدء الفعلي في تعلم علوم الدين كان في الوقت الذي قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز (720-717م) (99هـ-101هـ) بحملة علمية في كل الدولة الإسلامية لنشر الدعوة. فأرسل إلى إفريقية جماعة من الدعاة والمعلمين"²، حيث نجد أنه في فترة ولاية "عمر بن عبد العزيز" ولي "إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر" على بلاد الأمازيغ سنة 100هـ وكان "إسماعيل" حسن السيرة³، وإضافة إلى توفيق الخليفة عمر عبد العزيز في اختيار وإل عادلٍ يمثل الإسلام أحسن تمثيل، قام بإرسال عشرة من الفقهاء التابعين من أهل العلم، وانطلاقاً مما سبق ذكره فإن السبيل الوحيد لنشر الإسلام في أوساط قبائل الأمازيغ هو إرسال فقهاء ومعلمين، حيث أن الفقه في الدين من الوسائل التي يحتاج إليها الداعي في دعوته، حيث تمكنه من مخاطبة الناس على قدر عقولهم⁴، واختيار الأسلوب السامع للوصول إلى القلوب وتوقف عند كلمة مخاطبة، فالأسلمة ستؤدي إلى التعريب، وليمكن الأمازيغ من فهم أصول الدين على يد هؤلاء الفقهاء العشر، كان لزاماً أن يعلموهم أولاً لغة القرآن، وبالتالي تعريبهم وهم "أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع"⁵، و"أبو مسعود سعد بن مسعود التجيني"⁶، "أبو عبد الرحمن الحبلي"⁷،

1- ألفرد بال، ص: 96، 97.

2- نفسه، ص: 97.

3- محمد شيت الخطاب، ج1، ص: 166.

4- مفيد خالد أحمد عيد، ص 135.

5- المالكي، ص: 110: "عبد الرحمن بن رافع التنوحي توفي بالقيروان سنة 113هـ".

6- نفسه، ص: 102.

7- نفسه، ص: 99. أبو عبد الرحمن الحبلي واسمه عبد الله بن يزيد المعافري، كان رجلاً صالحاً فاضلاً يروي عن جماعة من الصحابة منهم أبو أيوب الأنصاري.

- "إسماعيل بن عبيد الأنصاري"¹، "موهب بن يحيى المعافري"²، "حيان ابن أبي جبلة القريشي"³، و"أبو تمامة بكر بن سودة الجذامي"⁴، "أبو سعيد جعثل بن عاهان بن عمير"⁵ و"إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر"⁶.

و"طلق بن جابان"⁷ وأقرت معظم المصادر أن إسلام الأمازيغ بفضل هؤلاء الفقهاء التابعين. وبالتالي، فإنه يلاحظ أنه من المبالغ⁸ التسليم أن عشرة فقهاء استطاعوا بفضل علمهم استمالة كل الأمازيغ لاعتناق الإسلام وإن حدث ذلك فإنه واضح أن حلقات تدريس علوم الدين كانت جد مكتظة بالأمازيغ، ويرى "محمد شيت خطاب"⁹ أن سبب هذا النجاح راجع إلى الاستقرار السياسي الذي شهدته منطقة الأمازيغ بعد الفتح الإسلامي، وامتداده عبر البحر إلى الأندلس وجنوب فرنسا، علاوة على ذلك فإن "المالكي" أكد على الدور المهم الذي لعبه الدعاة والفقهاء في أسلمة الأمازيغ، وبالتالي تعليمهم لغة القرآن أي تعريبهم من خلال تعرضه لمختلف المراحل في (الفقرة الطبقات)¹⁰، فيلاحظ من خلال تتبع التراجم ما يلي:

- 1- المالكي، ص: 106. اسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله لأنه جعل ثلث كسبه لله تعالى وينسب إليه بناء جامع الزيتونة توفي سنة 107هـ. إلا أن بعد المصادر ترجع بناءه إلى حسان بن نعمان
- 2- نفسه، ص: 110.
- 3- نفسه، ص: 111، حيان بن أبي جبلة القريشي هو قرشي بولاء سكن القيروان ونفع أهلها بعلمه توفي سنة 125هـ.
- 4- نفسه، ص: 112. بكر بن سودة جذامي كان فقيها مفتيا سكن القيروان وبها توفي 128هـ.
- 5- نفسه، ص: 114. أبو سعيد جعثل بن هاعان هو فقيه تولى قضاء الجند بإفريقية على أيام هشام بن عبد الملك.
- 6- نفسه، ص: 115. ذكر أنه أسلم على يده عدد كبير من الأمازيغ تأثراً ببعده وإحسانه في ولاية إفريقية، وقد ذكر أبو جعفر الطبري "كان خير وال وخير أمير سار فيهم بالعدل والحق، وكان حريصاً على دعاء البربر إلى الإسلام" ووصف أنه أهل دين وزهد وكانت قد وافته المنية سنة 132هـ بالقيروان".
- 7- نفسه، ص: 117.
- 8- حسين مؤنس، ص: 298: "ليس من المعقول أن يكون البربر كلهم قد أسلموا على يد اسماعيل بن عبيد الله وإنما لا خطأ في القول بأن معظم الأمازيغ كان قد أسلم حتى ذلك الحين، بل لا مبالغة في القول بأن المغرب الإسلامي يبدأ إذ ذاك وإن كانت أقلية قد بقيت أقلية لم تدخل الإسلام بعد فستدخله على مر الأعوام". وبهذا تكون مرحلة أولية للتعريب.
- 9- محمد شيت خطاب، ص: 128.
- 10- قام المالكي في كتابه رياض النفوس بتراجم هؤلاء الدعاة وتبع دورهم في الأسلمة وتعريب.

(1) المرحلة الأولى تمثل دور الدعاة العسكريين - إن صح التعبير - في أسلمة وتعريب الأمازيغ، حيث أن الدعاة كانوا أنفسهم قادة للحملات كـ "عقبة بن نافع".

(2) ثم المرحلة الثانية الانتقال إلى مرحلة الاستقرار النسبي أي في عهد "عمر بن عبد العزيز"، وأظهر تأثير الأمازيغ بالدعاة الفقهاء العشر الوافدين من المشرق إلى منطقة الأمازيغ الذين وافتهم المنية بها¹.

(3) وبعد ذلك استعرض نفس المصدر التاريخي السالف الذكر فترة الدعاة الذين دخلوا القيروان ولكن رجعوا إلى المشرق²، ومن ثم استعرض "المالكي" فقهاء مدينة "القيروان" أنفسهم الذين تلقوا العلوم الدينية من دعاة المشرق.

يُستخلص مما سبق ذكره أن الأسلمة والتعريب في بلاد الأمازيغ يعود فضل فيهما في بادئ الأمر إلى الدعاة المسلمين العرب المرابطين³، ثم كمرحلة ثانية إرسال أو هجرة* الدعاة الفقهاء إلى الأمصار، أي المدن خاصة القيروان في فترة الاستقرار النسبي للعرب الفاتحين في بلاد الأمازيغ⁴، وقد كانت البداية بإرسال عمر بن عبد العزيز عشرة فقهاء، أما المرحلة الثالثة فتتجسد في ظهور دعاة من الأمازيغ أنفسهم، إذ تدرسوا في المشرق أو تدرسوا على يد دعاة العرب الوافدين من المشرق، ليصبحوا فيما بعد دعاة صادقين ناشطين نشروا العقيدة الإسلامية بين أهلهم من الأمازيغ، وبالتالي كان لهم الفضل في تعريب بني جلدتهم وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني.

1- معظم قبورهم أصبحت أضرحة وبهذا فان فقد وجد في بلاد الأمازيغ التراث الأمازيغي الإسلامي كنوع من اندماج الثقافتين.
2- تجب الإشارة إلى عدد الدعاة الوافدين من المشرق بعد فترة الفقهاء العشر، فقد بلغ ثمانية عشرة فقيهاً، من بين هؤلاء "علي بن رباح اللخمي" كأول وافد و"أبو معمر عباد بن عبد الصمد" كأخر وافد. راجع المالكي، من ص: 119-138.

3- أمثال "شاكر" صاحب "عقبة بن نافع". إذ لم نجد ترجمة له في المصادر.

*- لقد تم التطرق آنفاً إلى العوامل السياسية عند عنصر الخوارج وهجرة دعاة المذاهب المضطهدة في الشرق خاصة الخوارج ودورهم في أسلمة وتعريب الأمازيغ.

4- ألفرد بال، ص: 103.

(2) المذهب المالكي وعلاقته بتعريب:

يذكر نجم الدين الهنتاتي أن العامل العرقي لعب دوراً هاماً في انتشار المذهب المالكي، فنجاح المذهب ببلاد الأمازيغ يرجع إلى العنصر العربي خاصة ذو الأصل اليمني، بحكم أن أصول الإمام أنس بن مالك رحمه الله ترجع إلى عرب اليمن¹، وقد ذكر فيما سبق أن تعداد الوافدين العرب في إفريقية كان أكثر بكثير منه في الأندلس، وإذا حاولنا التعرف على إثنية هؤلاء العرب الوافدين إلى بلاد الأمازيغ، فإننا نلاحظ أنهم كانوا خاصة من اليمن في العهد الأموي، أما العهد العباسي الأول فقد كانوا خاصة من مضر من تميم²، ومع تغيير السلطة المركزية في الشرق من الأمويين إلى العباسيين، أدى ذلك إلى فقدان التوازن لصالح المضربين* على حساب اليمنيين، وهنا يتساءل نجم الدين الهنتاتي: إذا كان اتباع المذهب المالكي من طرف الأمازيغ كشكل من أشكال المعارضة بحكم التضامن الضمني لليمنية، فيجب من الناحية المنطقية أن يكون هذا العامل غير وارد بحكم مضامين مذهب مالك الفقهية السلمية المحافظة، التي لا تحتوي على أمور تشجع على خلع عصا الطاعة من الإمام كمذهب الخوارج مثلاً، وعموماً فالألتجاه السني يناصر فكرة تمييز العنصر العربي على بقية العناصر³، ومع تسلسل الأحداث رأينا سالفاً أن الأمازيغ اعتنقوا مذهب الخوارج كرد فعل للعصبية العربية التي وظفتها الدولة الأموية، وبهذا الشأن يذكر ألفرد بال " .. لأن البربر لم ينعموا بسمعة طيبة في مصر وفي الشرق الإسلامي... وأمثلة هذه الكراهية من جانب أهل السنة نحو البربر في القرنين الثاني والثالث الهجري يمكن تفسيرها، إلى حد كبير،

1- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي الي منتصف القرن 5هـ 11م، منشورات تير الزمان، تونس، 2004م، ص: 85.

2- نفسه، ص: 86.

*- لقد قدمت أعداد كبيرة من المضربين سنة 144هـ -761م مع حملة ابن الأشعب، وتزايدت الأعداد خاصة عند دخول يزيد بن حاتم سنة 155هـ -771م حيث كان مصحوباً بأعداد ضخمة من الخرسيين وكذا عرب تميم. علاوة عمارة، " انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط، قراءة سوسيو-تاريخية"، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص 128

3- نجم الدين الهنتاتي، ص: 88.

بكون البربر قد انتشرت بينهم الخارجية (مذهب الخوارج)¹، ومن خلال التنظير لقول ألفرد بال نستشف أن الأمازيغ أسلموا ولكن اختبروا تقريباً جل المذاهب كرد فعل على سياسة الدولة المركزية، ومهما يكن فإن سيادة المذهب المالكي جاءت مع حلول دولة المرابطين، لكن تواجهه على أرض الأمازيغ كان منذ القرن الثاني الهجري ومن المرجح أن نظام الولاء² الذي سوف نتعرض إليه بالتفصيل في الفصل الثاني لم يساعد على أسلمة الأمازيغ فقط، وإنما ساعدهم في تقليد العرب في انتماءهم المذهبي أي باتباع المذهب المالكي³، وبهذا تداخلت العوامل التي ساعدت على الأسلمة والتعريب في الوقت ذاته.

1- الفرد بال، ص: 96.

2- نجم الدين الهنتاتي، ص: 89.

3- نفسه، ص: 89.

الفصل الثاني

التعريب الذاتي للأمازيغ

لقد لاحظنا في الفصل الأول العوامل التي ارتبط بها التعريب، وخاصة بالعنصر العربي، بمعنى آخر، تلك العوامل التي كانت خارج إرادة الأمازيغ أنفسهم، حيث أن تلك العوامل جُلُّها كان مُصاحِباً لعمليات الفتح الإسلامي في القرنين الأول والثاني الهجريين، ومن النتائج البارزة التي صاحبت انتشار الإسلام في بلاد الأمازيغ تبنى¹ جزء كبير من الأمازيغيين للغة القرآن، وتخليهم جزئياً مع مرور الحقب عن لغتهم الأمازيغية، وحتى أنهم تخلوا عن هويتهم الذاتية، وما لاحظناه في الفصل الأول أن التعريب في القرون الخمسة الأولى كان قليلاً² بحكم أن عدد العرب كان قليلاً مقارنة بالسكان الأصليين الذين ينتشرون على رقعة جغرافية واسعة، وبهذا استخلصنا أن عمليات التعريب لم تكن نتيجة لعمليات الفتح بقدر ما كانت ثمرة **مجهودات الأمازيغيين أنفسهم**³، وقد تميزت بتلقائية في التعريب⁴، ولزم الإشارة أن العامل الأول والأقوى في استعراب من استعرب من الأمازيغ⁵ في القرون الأولى من الفتح هو صدق العقيدة الإسلامية، وتقديس اللغة العربية بحكم أنها وسيلة ممارسة الشعائر الدينية، وكذا الاحتكاك بمن استوطن بلاد الأمازيغ من العرب، وقد لعب المخيال الإسلامي دوراً هاماً في حب الأمازيغ للعرب، فمثلاً فشخصية "عقبة بن نافع" رضي الله عنه، ويليه "زهير بن قيس" التي اتسمت بالورع والتقوى وفق المصادر التاريخية، حيث رفض الإقامة في بلاد الأمازيغ قائلاً: **"إني ما قدمت إلا للجهاد، وأخاف أن تميل بي الدنيا فأهلك، ولست أرضى بملكها ورغد عيشها"**⁶. وما لزم أن نشير إليه من خلال تحليل إشكالية تعريب الأمازيغ، أنها اتصلت بقطين من الترغيب والترهيب، بمعنى العوامل والعوائق، حيث أن عوامل التعريب رغبت

1- صدقي على أزايكو، الإسلام والأمازيغ، مطبعة دار أبي رراق للطباعة والنشر الرباط المغرب 2002م، ص: 18، 19.

2- نفسه، ص: 19.

3- نفسه، ص: 19.

4- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين ص: 94.

5- نفسه، ص: 102.

6- ابن عذاري، ص: 32.

الأمازيغ في تبني التعرب عن طيب خاطر، وقد احتل الإسلام فيه مكانة رئيسية في تيسير التعريب¹، وبالتالي وجد التعريب لاعتبارات دينية وهو ما تتناوله إشكالية الأطروحة.

I - العوامل التاريخية :

أولاً: تأثير الحضارة الفينيقية.

لزم أن نلقي نظرة على التاريخ القديم، وهذا ليتضح لنا بعض معالم بلاد الأمازيغ في الفترات الموالية، خاصة الوسيط. وليس الهدف أن نسرد التاريخ القديم، وإنما لنستنبط منه ما خفي من أحداث مست بلاد الأمازيغ في العصر الوسيط، هذا الأخير اعتبر فترة هامة، حيث وجد فيه الأسلمة التي اعتبرناها التعريب الأول، ولكي نفهم هذه الفترة (العصر الوسيط) لزم أن نربطها بالحقب التي سبقتها². ومنه، سنتوغل في بحثنا هذا لنبلغ الماضي القديم زمن قرطاجة* التي استمر نفوذها في شمال إفريقيا نحو ألف عام، وذلك في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثاني عشر قبل المسيح وسنة 146م، السنة التي دمرت فيها قرطاجة، وواضح أن هذه الفترة الطويلة (10 قرون تقريباً) قد تركت أثراً في معالم بلاد الأمازيغ³، إذ يذكر غوتيه أن "قرطاجة اعتنقت الإسلام بكل ما فيها من استعداد شرقي تبلور من جديد"⁴.

1- فرج نجم، ص: 19.

2- غوتيه، ص: 65.

* - إن حضارة القرطاجية (146-880 ق.م) متشعبة من الحضارة الفينيقية الآتية من المشرق وكلمة "فينيقية" أصلها يوناني "فينيكس" ولها معنات النخيل واللون الأحمر وذلك لكثرة استعمال هذا اللون في ملابسهم ورسوماتهم، أما النخيل فقد وجد منحوتاً على نقودهم ولقد تم اتصال الفينيقيين بشمال إفريقيا عن طريق التجارة، أما فيما يخص تأسيس قرطاجنة فنجد الرواة حسب الشاعر اللاتيني "فيرجل" ففي 814 ق.م يروي قصة في ذلك: خرجت الأميرة "جونو" أرملة "أسرياس" رئيس كهنة مدينة صور الفينيقية الهاربة من ظلم أخيها "بيغماليون"، وهنا استقر بها المقام بشمال إفريقيا تحديداً بساحل تونس واشترت من مالك بربري "أيارباس" قطعة أرض وشرعت في تأسيس المدينة المسماة "كرت جونو"، وأصبحت تلقب فيما بعد بقرطاجنة أي قرية جونو أو يرجع اللفظ إلى كلمة فينيقية "كرت هدشت" والتي تعني القرية الحديثة. راجع: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 1، ص: 69، 70.

3- غوتيه، ص: 66.

4- نفسه، ص: 75.

ومن خلال هذا التصريح نستخلص أن الانعكاسات الدينية والثقافية ظلت متواجدة رغم أن روما قامت بتدمير قرطاجة كلياً في الحروب البونيقية* من الناحية المادية، أما الناحية المعنوية فلم تستطع، إذ أن الأمازيغ قد احتضنت تحت الرماد طابعها البوني¹. ويضيف «لقد اختلفت إفريقية عن بلاد الغال لأنها حافظت على نواتها البونية، تلك النواة التي بذرتها أقدم حضارة في الأرض»²، ومنه وحسب نظرية غوتيه فإن الفتح العربي لم يكن إلا حافزاً ليعيد بلاد الأمازيغ إلى حضارتها المتناسية منذ التاريخ القديم، وبالتالي فمحفز التعريب لدى الأمازيغ يرجع إلى العامل التاريخي الذي انكشف عنه الغبار عندما جاء الفاتحون العرب، ووجد بذلك قابلية الأسلمة والتعريب لدى فئة الأمازيغ، إذ يذكر أغسال "Gsell": "هذا القطر الذي تقاتل عليه الشرق والغرب، والذي ترك كل طابعه، والذي اختلط فيه الرومان والبيزنطيون ليغرسوا به المسيحية، أصبح منذ الفتح الإسلامي كله شرقياً"³.

وما يلاحظ في طرح جل المؤرخين الغربيين أمثال: أغسال، غوتيه، جورج مارسسي، أنهم مجلهم تبناوا نظرية تأثير الفينيقيين في الأمازيغ، وتجلى هذا التأثير في أسلمتهم وتعريبهم. إلا أن مبارك محمد الميللي رغم أنه يذكر أن الأسلمة تماشت مع التعريب حيث يذكر: "ولما جاء العرب إلى المغرب كان انتشار لغتهم به مسائراً لجنودهم.

*- لقد دارت ثلاث حروب بين روما وقرطاجة وهي الحرب البونيقية الأولى، أما الثانية والثالثة هذه الأخيرة وجدت فيها ثلاث حملات الحملة الأولى 264-241 ق.م (استلاء روما على صقلية وجزر البحر المتوسط) الحملة الثانية (202-219 ق.م) خسرت فيها قرطاجة جميع مستعمراتها في إسبانيا وجزر البحر المتوسط، والحملة الثالثة 149-146 ق.م القضاء نهائياً على قرطاجة بهدف الحد من نفوذ الملك البربري ماسينيسا. راجع عبد الرحمن الجيلالي، ج1، ص: 73.

1- غوتيه، ص: 75. تجدر الإشارة إلى أن البونيقية هي اللغة البونيقية والتي تعتبر مزيج من اللغة الفينيقية واللغة اللوبية، وتجدر الإشارة أن اللغة اللوبية هي لغة الأمازيغ الخاصة بهم. راجع عثمان عكاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 23.

2- غوتيه، ص: 79.

3- S. Gsell, *op. cit.*, p.143.

فما فتحت قطعة منه حربياً إلا انتشرت بها لغتهم"¹، ويضيف أيضاً نقلاً عن يبروني: "احتار كل المؤرخين عن سرعة تأثير العرب على البربر في حياتهم وعاداتهم وأخلاقهم. ومرد ذلك بأن العرب والفينيقيين متقاربون في اللغة ومتحدون في الأصل الذي ينشأ عنه التقارب في الطباع"²، لكن مبارك بن محمد الميلبي يُفند ولا يتفق مع كل من أغسال وبروني وغوتيه وجورج مارسلي في التأثير الكلي للفينيقيين في طبائع الأمازيغ، ولكن مع هذا يعترف أن التأثير كان جزئياً وليس كلياً ومتمثلاً في اللغة، وهذا ما يهمننا، أي التعريب الأولي، وهو إتقان اللغة العربية، حيث يذكر³: "إن بقاء الفينيقية بألسنة البربر سهل عليهم تعلم العربية". وهنا تطرح الإشكالية المتمثلة فيما مدى علاقة الدين باللغة؟⁴.

إن إسلام الأمازيغ كان كلياً، في حين أنه إذا وجدت هذه العلاقة، فإنه من المنطقي تعرب جُل الأمازيغ بحكم إسلامهم، وهذا ما لا نجده رغم مرور أكثر من 14 قرون. حيث أننا سنفسر ذلك ضمن عنصر العوامل والعوائق اللغوية.

وعليه سنلاحظ أن هناك عملية تأثر للأمازيغ بالحضارة الفينيقية التي امتد نفوذها ألف سنة، سهلت لهم الاحتفاظ بروح الشرق لديهم، رغم تدمير روما لجوانب حضارة قرطاجة المادية، لكن الجانب الحضاري المعنوي بقي متجذراً في روح الأمازيغ، وهو ما تُرجم بتعريبهم، إذ لزم التمييز بين إثنية العرب والأمازيغ⁵، حيث أنه من انتسب إلى الأمازيغ وتكلم بلغتهم فلا شك أنه أمازيغي، ومن انتسب إلى العرب أو تكلم بلغتهم فلا يجزم أنه عربي. وبالتالي، فإن أثر قرطاجة بقي في نفوس الأمازيغ وسهل لهم تعلم العربية، وتبقى أن إرادة الهدم* لا تكفي

1- مبارك بن محمد ميلبي، ج2، ص: 40.

2- نفسه، ص: 42.

3- نفسه، ص: 42.

4- تجدر الإشارة إلى أن الأديان مهما اختلفت أنواعها فهي مجموعة القواعد الطابطة لسلوك الفرد مع نفسه ومع الجماعة، أحمد بن النعمان، فرنسا والاطروحة البربرية في الجزائر، منشورات دحلبي، حسين داي، الجزائر، 1991. ص. 29.

5- مبارك بن محمد ميلبي، ص: 41.

*- ويقصد بها هدم روما لمعالم الحضارة القرطاجية في الحرب البونيقية الثالثة وقد دمرت قرطاجة كلياً سنة 146 ق.م من ناحية المادية.

لمحو الشعوب، ويبدو من غير معقول مبدئياً أن يكون أثر قرطاجة قد زال نهائياً بعد الاحتلال الروماني، لنجده قد ارتسم عند الفتح الإسلامي بسرعة تعلم الأمازيغ العربية، وهذا ما سنفصله في العوامل الثقافية وعلاقة اللغة البونيقية باللغة العربية.

ثانياً: العلاقات بين بيزنطا والأمازيغ والعرب.

لقد كانت بلاد الأمازيغ قبل الفتح العربي الإسلامي تابعة لبيزنطة، ولهذا لزم علينا تتبع أحداث المغرب وعلاقتها بالمشرق خلال العصور الوسطى، بهدف معرفة حيثيات العلاقات بين بيزنطة والأمازيغ والعرب. فمما سلف ذكره في عنصر ضعف سلطة بيزنطة، تعرفنا أن هذه الأخيرة تعرضت إلى حركات انفصالية وهذا بقيادة جرجير الذي استولى على إفريقية.

لكن عند قتل جرجير استولى من بعده على إفريقية جيناديوس وذلك بمناصرة الأمازيغ*، وهنا أراد الإمبراطور قسطنطين الثاني المتمركز في القسطنطينية استعادة سلطانه في إفريقية. فدعم وناصر منافس جيناديوس وهو إلوثيرة *Eleuthère*، هذا الأخير أبدى استعداده لعودة إفريقية لحدود الإمبراطورية البيزنطية. وبالتالي، شكل الإمبراطور قسطنطين الثاني جيشاً أرسله إلى صقلية لاستعادة البلاد، فاضطر جيناديوس التحالف مع العرب، وطلب المساعدة من الخليفة معاوية مطبقاً شعار "عدو عدوي صديقي"، فأسرع العرب بالعودة إلى إفريقية وكانت مرحلة حملة معاوية بن حديج¹ على إفريقية 45 هـ، وكان من نتائجها أسلمة الكثير من الأمازيغ وتعريبهم، فكان ذلك اللبنة الأولى للتعريب.

*- عبر سيرورة تاريخ الأمازيغ كانوا يستعينون بسيطرة أجنبية لإخراج أخرى. ومنه، لم يتغير الأمر عند الفتح الإسلامي ودليل استنجد الأمازيغ بالوندال لتخلص من الرومان.

1- تسجل بعض المصادر قيام معاوية بن حديج بحملة على المغرب سنة 34 هـ (654-655م) وكانت أول غزواته قبل اشتعال الفتنة في المشرق وعندما تولى القيادة كان عارفاً بشؤون إفريقية وطبيعة أرضها بسبب خبرته مع أبي سرح وسهل له الكثير في بلاد المغرب أن لابن حديج ثلاث غزوات استكشافية 34هـ، 40هـ، 50هـ، وهنا توقف الفتح الإسلامي بسبب اللااستقرار السياسي في مركز الخلافة، والصراع بين الأمويين والعلويين، حيث انتهت باستشهاد الخليفة عثمان بن عفان، وتولى الخلافة من بعده على بن أبي طالب الذي

لكن لزم الذكر أن كل المراحل السابقة هي مرحلة الحملات الاستكشافية (السرايا) (49-21 هـ) (642-669 م) ولم يستقر الأمر إلا بظهور حملة عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه 50-55 هـ بداية مرحلة المنظم أين ستستقر الأمور لتعطي منحى جديد لأسلمة وتعريب الأمازيغ.

وللعودة إلى بيزنطة يلاحظ ازدياد مشاكلها السياسية الداخلية والخارجية، مما نتج عنه تفويض سلطتها في بلاد الأمازيغ، إذ بعد قتل الإمبراطور قسطنطين الثاني وانشغال خليفته بوجانا *Pogonat* بمحاربة منافسيه في صقلية معتمداً على كل قوات جيشه، مما جعله يترك إفريقية خالية تقريباً من القوات وسهل بذلك مهمة عقبة رضي الله عنه¹، إلا أن حركة الفتح توقفت أثناء الفتنة الكبرى، فلما استتب الأمر لمعاوية رضي الله عنه قرر سنة (45 هـ/665 م) أن يغزو غزوة استطلاع، وكانت الأوضاع في إفريقيا -المنطقة الخاضعة لحكم البيزنطيين- قد تدهورت أثناء 18 سنة بسبب الصراعات العقائدية التي ذكرت سالفاً. وبذلك لم تتجاوز مملكة البيزنطيين بإفريقية عن أن تكون جزءاً صغيراً يبدأ من حدود مصر إلى جبل الأوراس، ثم تأخذ في الاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة وسبتة، وقد قسمت إلى نوميديا (قسطنطينية) موريطانيا سطيفية (سطيف)، موريطانيا القيصرية (شرشال). ومنه حدود بيزنطة كانت محدودة ببلاد الأمازيغ ولم تتوسع ذلك التوسع الموجود في ذهن المؤرخين الغربيين حيث نجد نجاح عقبة في فتوحاته بسبب خط سير فتوحاته من جانب الجغرافي و هذا ما يذكره عبد الله العروي: "أن خطة عقبة بن نافع تمثلت في عدم الاتجاه شمالاً بسبب تواجد المدن البيزنطية الحصينة، بل اتجه

استشهد هو الآخر حتى آل الحكم إلى الأمويين بزعماء معاوية بن أبي سفيان. ومنه، عين الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان على إفريقية معاوية بن حديج الكندي وأمره بمواصلة الفتح وسار ابن حديج بقواته عبر برقة وطرابلس، حيث انضم إلى حملة عقبة في برقة، وقام معاوية بن حديج بفتح بنزرت وبعث رويغ بن ثابت الأنصاري لفتح جزيرة جربة ففتحها عنوة سنة (60هـ)، وهذا من أجل حماية سواحل البلاد من الغارات الروم مما سهل على المسلمين مراقبة تحركات الروم في البحر مراقبة صارمة، ومن أبرز أعمال معاوية بن حديج حفر الآبار في باب تونس المعروفة بآبار حديج وكذا تشييد مساكن ناحية القرن كما لم ينسى معاوية بن حديج نشر الإسلام بين الأمازيغ كما ينسب بعض المؤرخين فتح "جالولاء" إلى معاوية بن حديج ابن عبد الحكم، ص: 60. راجع أيضاً، ابن عذاري، ص: 14، 15.

1- جورج مارسيه، ص: 35.

شرقاً واخترق منطقة الهضاب المرتفعة التي تشبه تضاريسها ما ألفه عرب الجزيرة¹، وبالتالي فإننا نلاحظ أن علاقة الأمازيغ كانت سيئة مع بيزنطة التي أكثرت تحصيناتها² خوفاً من السكان الأصليين، في حين أن العرب لم يستعملوا تلك التحصينات لهذا ارتأى الأمازيغ أن يندمجوا معهم وبالتالي يتعربوا.

II- العوامل السياسية

أولاً: دور الخوارج في تعريب الأمازيغ.

لقد لعبت فرقة الخوارج دوراً كبيراً في أسلمة الأمازيغ، وكذا تعريبهم ويعتبر مجيئ الخوارج³ من المشرق إلى بلاد الأمازيغ المرحلة الثانية⁴ من هجرة القبائل العربية، بينما تعرفنا على المرحلة الأولى التي واكبت الفتح العربي، إلا أن أسباب الهجرة هذه المرة اختلفت، فقد كان سبب لجوء مذهب الخوارج للمغرب فراراً من مركز الدولة في المشرق (الدولة الأموية)، وقد حققت هذه الهجرة نوعاً من التعايش بين العناصر الأمازيغية والعربية مما ادي إلى تعريب الأمازيغ من تلقاء انفسهم⁵.

عكس تماما الهجرة الأولى التي تميزت في بادئ الأمر باصطدام*، حيث أن الخوارج** لم يأتوا إلى بلاد الأمازيغ بدافع نشر المذهب، وإنما كهدف أول الفرار من الاضطهاد الذي لجأت إليه الدولة الأموية. أما الهدف

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 122، 123.

2- لقد نوقشت مسألة التحصينات سابقا في عنصر ضعف سلطة بيزنطة، راجع الفصل الأول.

3 -- الخوارج: جمع الخارجة وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين. راجع الشهرستاني، ص: 131.

4- عبد الكريم غلاب، ص: 175.

5- نفسه، ص: 175.

*- المقاومات التي اصطدمت بالفاتحين العرب أمثال كسيلة أمير قبيلة أوربة، والكاهنة زعيمة قبيلة جراوة.

**- نلاحظ أن معظم الباحثين يصنفون الإباضية ضمن الخوارج لكن المتمعن جيدا في الفريقتين يجد أن الإباضية تنسب إلى الخوارج من الناحية الاصطلاحية فقط، حيث نجد الفرق في النقاط التالية:

- أن الخوارج غالون والإباضيون معتدلون.

- هناك فروق بينهما في الاعتقاد والمسائل الجوهرية والسلوك.

- الإباضية لا يحكمون بكفر مرتكب الكبيرة ولكن يرونه عاصياً.

الثاني فتمثل في نشر مذهب الخوارج خارج مركزية الدولة الأموية، بهدف التضييق على الدولة المركزية في دمشق من الخارج بعدما فشلوا في تضييقها من الداخل، ولهذا لجأوا إلى بلاد الأمازيغ، وهنا لزم الإشارة أن الإخباريين العرب لا يذكرون أن جماعات كبيرة من خوارج الصفرية¹ والإباضية² انتقلت إلى بلاد الأمازيغ، وإنما يذكرون أفراداً على شكل دعاة يرتحلون من البصرة، فمثلاً يذكرون أن جبل نفوسة أصبح دار الهجرة للمذهب الإباضي، وهنا حلل المؤرخ عبد الكريم غلاب أنه من المستحيل أن هجرة أفراد سيكون لها الأثر في تحويل الأمازيغ وأرضهم إلى منطقة ثائرة وبهذا يفسر أنه لزم أن تكون الهجرة منظمة وسرية³ وهذا بسبب اضطهاد الدولة المركزية لهم. ومع مرور الوقت أصبحت هجرة الخوارج لها أثر كبير في تعريب الإنسان المغربي، حيث يعود الفضل إلى نشر الإسلام وتوسيع رقعة البلاد العربية بتعريب الأمازيغ إلى فقهاء المذهب الخوارج⁴.

لقد ذكرنا سابقاً أن نمط عيش الأمازيغ ينقسم إلى قسمين: رعاة رحل غير مستقرون (البتير) والبرانس (المستقرون الذين يعيشون على الزراعة)، وأن نطاق مواطنهم يختلف جغرافياً بين الساحل والداخل، حيث أن أمازيغ البرنس مستقرون في الشمال وقد كانوا أول من اعتنق الإسلام بفعل احتكاكهم الأول بالفاطحيين العرب، وهذا بسبب نمط حياتهم القائم على الاستقرار، لأنه إذا كان قد داهمهم أي خطر خارجي سواء (الفينيقيون، أو

- الإباضية لا يقاتلون إلا دفاعاً عن النفس أو الدين، بخلاف الخوارج. ومنه، المسألة المتفق أنه كلاهما تاريخياً أنكر التحكيم. راجع أحمد المختار، النشاط الثقافي في ليبيا، ص: 53، 54.

1- الصفرية : أصحاب زياد بن الأصفر هم الأكثر اعتدالاً من الأزارقة، وأكثر تطرفاً من الإباضية، حيث أنها أكثر الفرق تشدداً، وترجم أن صاحب كل ذنب مشترك. راجع الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 160. وبالتالي، فالشرك شركان شرك بطاعة الشيطان وشرك بعبادة الأوثان، والكفر كفران كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة، وبراءة من أهل الجحود فريضة. الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 160.

2- الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباض من قبيلة بني تميم قتل بأمر من مروان بن محمد (الخليفة الأموي) في تبالة (اليمن) وهم أكثر اعتدالاً، يخالفون الصفرية في : "أن مرتكبي الكبائر هم موحدون لا مؤمنون". وبالتالي، لا يكفروهم وقد انقسمت الإباضية نفسها إلى الحفصية (أصحاب حفص بن أبي المقدم) والحارثية (أصحاب حارث الإباضي) واليزيدية (أصحاب يزيد بن أنيس). نفسه، ص: 156-158.

3- عبد الكريم غلاب، ص: 175-176.

4- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية دراسة في الهوية والوعي، ص: 75.

الرومان، أو الوندال أو حتى البيزنطيون) فليس أمامهم سوى الخضوع والاستسلام، إلا أن الأمازيغ البرانس تختلف وضعيتهم بحكم أنهم غير مستقرون، وبالتالي، فالمناطق الداخلية التي استقر بها الأمازيغ كانت أبداً من الأول في مسألة التعريب.

وتلزم الإشارة أن مذهب الخوارج كان له الفضل في أسلمة الأمازيغ، أما مسألة التعريب فيعود التنافس فيها بين المذاهب التي وجدت في أرض الأمازيغ المذهب المالكي (السنة) والإسماعيلية (الشيعة) والخوارج (الصفوية والإباضية) هذا التنافس جعل كل فرقة تتحصن بالعلوم الإسلامية¹، وبالتالي يتسلحون باللغة العربية بهدف تقوية حججهم حتى يتمكنوا من تحصين القواعد الشعبية، وبالتالي كسبها وبهذا فإن تعريب الخوارج للأمازيغ لم يكن بطريقة مباشرة مثلما كان الحال للعرب، بحكم أن هؤلاء دعاة وفقهاء الخوارج الآتون من المشرق هم في حد ذاتهم كانوا ناقمون على الخلافة الأموية بسبب نعرتها وعنصريتها القائمة على العصبية العربية، ومنه فالتعريب جاء نتيجة اختلاطهم واحتكاكهم بالأمازيغ، وكذا المثالية الدينية التي تحلى بها هؤلاء الدعاة أدت إلى أسلمة تحت راية الخوارج²، هذا المذهب المشرقي قدم إسلاماً صارماً في عدالته، وكان محققاً لمطالب الكادحين من اليد العاملة (البروليتاريا)³.

وفي نفس الصدد، يلاحظ أنه قد تعرف الأمازيغ المتواجدون في الداخل (الهضاب) على الإسلام، وعليه التعريب في لبنته الأولى من خلال مذهب الخوارج بسبب هجرة العرب خاصة منهم الفقهاء الذين تبناوا المذهب⁴. ومن ثم، فإن طبيعة الفتوحات الراشدية اختلفت عن طبيعة الفتوحات الأموية، فالأولى كانت تعتمد على مراقبة الخلفاء عن كثب لسير الفتوحات مع التعامل الأخلاقي مع السكان، وكذا أخلاقيات المطالبة بالجزية مع مراعاة أحوال الناس الاجتماعية. أما الثانية فمرجعيتها الدولة الأموية التي أخذت الحكم بالقوة وجعلته وراثياً،

1- فرج النجم، ص: 97.

2- ألفرد بال، ص: 142.

3- جورج مارسيه، ص: 48.

4- موسي لقبال، المغرب الاسلامي، ص: 31.

على خلاف الشورى التي أوصى بها الرسول ﷺ. وبالتالي، جعل الأمويون العصبية العربية عماد حكمهم، فالنخبة المسيطرة على الدولة الأموية كانت مؤسسة على العنصرية العربية والنصرة الجاهلية¹، وحتى الجيش الذي اعتبرناه عاملاً قوياً في الأسلمة والتعريب، وبالتالي وفر للأمازيغ وسيلة سهلة للارتقاء، حيث لم يعد يلعب ذلك الدور² إثر توقف الفتوحات الإسلامية، ولم تذكر المصادر شيئاً عن دخول البربر إلى الجيش مع بداية سنة 122هـ، إذ أصبح هذا العنصر معادياً³. فقد نجم عن سياسة الأمويين الأواخر موجة من السخط عمت كافة الولايات الإسلامية ضد الحكم الأموي، فبينما اتجه الهاشميون بدعوتهم نحو المشرق (الفرس وخرسان)، عمد الخوارج إلى بث دعواتهم في بلاد المغرب التي كانت آنذاك ميداناً خصباً لتقبل مبادئهم، وذلك إما لعدم اعتناقهم بعد للإسلام أو لسطحية تدينهم، ومنه فنشر دعوة الخوارج أدت إلى أسلمة وتعريب الأمازيغ في نفس الوقت، ونجاحها يعود إلى الظروف التي وجدت في بلاد الأمازيغ آنذاك، لذا لزم علينا أن نفصل الظروف التي أدت إلى نجاح هؤلاء الدعاة، حيث يلاحظ أن الولاة الذين تم إرسالهم من قبل المركزية الأموية لم يكونوا يمثلون الصورة الحقيقية للإسلام، وهذا بسبب طمعهم وجشعهم وسوء معاملة السكان الأصليين، وحتى لا نتعد عن موضوع الدراسة المتعلقة بعلاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ، فإنه يتوجب الإشارة إلى بعض التصرفات التي اتسم بها الولاة والتي أدت إلى نفور الأمازيغ وتبنيهم مذهب الخوارج. ولقد أجمع المؤرخون على سوء معاملة عمال القصر الأموي للأمازيغ وإرهاقهم بضرائب غير واجبة عليهم، إذ اعتبروا بلاد الأمازيغ أرض مغانم وحرب حتى بعد إسلام هؤلاء. والملاحظ أن الأمازيغ حتى عام 100هـ كانت بعض قبائلهم مازالت تدين بالوثنية، أو أن إسلامها كان سطحياً

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 143.

2- هشام جعيط، ص: 73.

3- مسألة إهانة البربر بوشمهم على أيديهم من طرف ولاة الدولة الأموية الجائرون، هذا ما سيثير حفيظة البربر ويتورون مطالبين باستقلالهم السياسي مع الاحتفاظ بالإسلام كدين حيث يذكر رابح لونيبي، دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر، ص: 11، "لقد لاحظ البربر أن الإسلام كما وصلهم لا يناقض قيمهم وثقافتهم وتقاليدهم المتمثلة في عشق الحرية والعدل وعدم التدخل في شؤونهم خاصة أنه لا وجود لتناقض بين القيم الإسلامية والثقافة الأمازيغية، خاصة أن الإسلام يعتبر الأعراف والتقاليد مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي شريطة أن لا تناقض مقاصده ومبادئه". ويستخلص من هذا أنهم ثاروا سياسياً وليس دينياً.

ولم تفقه عقائده، إذ أنهم لم يفرقوا بين الحلال والحرام في الإسلام، وكانوا يعتقدون أن الخمر حلال إلى أن أرسل الخليفة "عمر بن عبد العزيز" من يفقههم في دين الإسلام*. ومن هنا تبدأ مسألة الردة التي لطلما ردها الغربيون. فالبربر ظنوا أن الإسلام هو الذي يشجع على هذه المطاعم، حتى أتوا فقهاء مذهب الخوارج الذين قاموا بنشر أفكار مذهبهم وهنا أدرك الأمازيغ المسلمون، أن هناك تناقضاً صارخاً بين تعاليم الإسلام ومبادئه السامية المتمثلة في العدل ومساواة وبين سياسة الأمويين الجائرة في حق الأمازيغ¹. وعليه، فإنه يستوجب ذكر بعض الأمثلة التي تمثل سوء تصرفات ولاية الدولة الأموية الذين كانوا يتنافسون في جمع الأموال لضخها في خزينة الدولة، فعكفوا على إرسال الحملات إلى الجزر المجاورة لبلاد الأمازيغ لجلب الأموال والسيبي والذهب، إذ تعاقبت الغزوات، فغزا "يزيد بن أبي مسلم" صقلية سنة 101هـ/719م، وبعده "بشير بن صفوان" سنة 109هـ/727م. كما غزا "عبيد الله بن الحبحاب" بلاد السوس وبعث بجنده إلى جزيرة سردينيا سنة 117هـ/736م، وفي كل تلك الجيوش كان الأمازيغ يشكلون غالبية رجالها، فكانوا أداة لخدمة أطماع الولاة كما أزهق الأمازيغ بالمعاملة غير

*- يعتبر عامل من عوامل التعريب وهو دور الفقهاء حيث أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة فقهاء ليعلموا البربر الإسلام وينشروه بينهم وقد فصل في ذلك فيما سبق في الأطروحة.

1- بعض الدراسات التاريخية تتهم الولاة وحدهم في سياسته استبدادهم، حيث يبرؤون مركز الخلافة في دمشق فحسين مؤنس في كتابه فتح العرب للمغرب، يذكر ص: 290: "الأصح أن يقال أن العمال أنفسهم هم الذين أسأوا السيرة ومالوا إلى الاستبداد بالناس إسرافاً منهم في إرضاء الخلفاء بالإكثار من الهدايا والمغالاة فيما يرسل إلى الدولة من المال كل عام". في حين نرجح رأي محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، رسالة دكتوراه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، ط2، 1985م، ص: 36: "ولا نشك في أن ولاية المغرب كانوا يمثلون مشيئة الخلافة وينفذون سياستها. وأن الخلفاء درجوا على اختيار عمال يأتمرون بأمرهم وإلا بما يفسر عدل وإنصاف اسماعيل بن عبيد لقد حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز بالورع والتقوى على اختيار عماله من الأتقياء وكان اسماعيل أحدهم والظلم الذي لحق بالبربر على يد يزيد بن أبي مسلم إنما بأمر من الخليفة يزيد بن عبد الملك". ومن ثم، يستخلص أن الدولة الأموية باستثناء فترة عمر بن عبد العزيز لم تمثل الإسلام الحق المطابق بما يأمره القرآن وسنة الرسول، ويلاحظ بالرجوع إلى ما سبق ذكره بالنسبة إلى علاقة بني أمية بالإسلام أن هذه العلاقة جلية منذ الدعوة الإسلامية. فقد كانوا من أشد أعدائها لما تشكله الدعوة من خطر على مصالحهم وامتيازاتهم ولم يدخلوا في الإسلام إلا مكرهين. وبعد أن قويت الدعوة واشتد ساعدها وفتحت مكة، عندئذ أدرك "بنو أمية" أنه لا مناص أي لا مفر من اعتناق الإسلام. وهنا بدأت استراتيجيتهم الجديدة ضمن الإسلام نفسه. فاندفعوا إلى مراكز الشرطة في سرعة وذكاء. راجع أيضاً أحمد معيط، الإسلام الخوارجي، دار الحوار للطباعة والنشر، سوريا، ط1، 2000م، ص: 20.

العادلة من طرف عمال الدولة الأموية، باستثناء فترة "إسماعيل بن عبيد الله" الذي أرسله "عمر بن عبد العزيز" لكن الخلافة الأموية، استمرت في ظلمها بعد وفاة هذا الأخير، واستبدل الخليفة "يزيد بن عبد الملك" "إسماعيل بن عبيد الله" بـ "يزيد بن أبي مسلم" سنة 102هـ/720م واستبد بالأمازيغ، وفرض عليهم دفع الجزية رغم إسلامهم، وقد زاد يزيد في استبداده، حيث أنه خدش كبرياء الأمازيغ بإقامة وشم على حرسه من الأمازيغ وأدى ذلك إلى شعور الأمازيغ بالإهانة وهم قوم يعتزون بكرامتهم.

كما نلاحظ أن الأمور لم تتغير، حيث تفاقمت الأحوال وازداد الاستبداد والظلم في حق الأمازيغ إبان ولاية "عبيد الله بن الحبحاب"، الذي شجع الجنود العرب لسلب الأمازيغ وسيبهم في المغرب الأقصى. وعين ابنه "إسماعيل" عاملاً على طنجة وعين معه "عمر بن عبد الله المرادي" فأساء هو الآخر للأمازيغ واعتبرهم فيئاً، وهكذا أساء الولاة الأمويون إلى الأمازيغ واستغلوهم أشد وأشر استغلالاً، وتسببوا في إثارة مشاعر الحقد والكراهية لديهم.

هذه الوضعية أوجدت مناخاً ملائماً لانتشار مذهب الخوارج، ولقد ساعدت أحوال بلاد الأمازيغ في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني الهجريين، بما ذكر سالفاً من جور الولاة على نزوح الخوارج المضطهدين¹ في المشرق إلى بلاد الأمازيغ، حيث صادفت دعايتهم مناخاً خصباً بين القبائل الأمازيغية، ولهذا كان ظهور حركة الخوارج سريعاً في بلاد الأمازيغ²، هؤلاء الدعاة انتشروا بين القبائل الأمازيغية وعملوا على نشر الإسلام وفي نفس الوقت تبني مذهب الخوارج. وتعلم اللغة العربية معها، وبالتالي وبطريقة غير مباشرة تعريبهم رغم كرههم للسلطة المركزية التي تمثل الإمبراطورية العربية الإسلامية في دمشق، وعليه فقد ساعد سخط الجانبين، فقهاء الخوارج

1- لقد تضاربت الأخبار حول الوافدين من المشرق وتاريخ وفودهم فبعض المصادر ترجعها إلى بداية الدعوة في معركة نحران سنة 38هـ/658م، ويذكر ابن حوقل: "عبد الله بن وهب الراسي وعبد الله بن أباض لجأ إلى جبل نفوسة منذ وقت انصرافهم عن الخليفة على رضي الله عنه بمن سلم معهم من أهل نحران... وأقاموا هذا الجبل دار الهجرة". كما يذكر أن الراسي قتل في النهروان راجع بهذا الصدد.

Sadok Belochi, *La convention des Berbères à l'islam, Maison Tunisienne, 1981.*
P101

2- حسين مؤنس، ص: 294.

القادمون من المشرق والأمازيغ الناقمون على تصرفات الولاة الاستبدادية على التفاف الأمازيغ حول هؤلاء الدعاة وصح إسلام الكثير منهم أدى ذلك إلى إتقانهم اللغة العربية، ويذكر حسين مؤنس أن انتشار الإسلام بين قبائل الأمازيغ وتوسيع دائرة الاعتناق المؤدية إلى التعريب لم تكن بسبب سياسة خلفاء الدولة الأموية، بل بالعكس لو اعتمد اعتناق الأمازيغ للإسلام على سياسة هؤلاء لتوقف منذ ميلاد الدولة الأموية، بسبب أن خلفاء الدولة الأموية لم يكونوا يعيرون اهتماماً لحركة الأسلمة. وإنما كانوا يعيرون اهتماماً كبيراً لحركة الجباية وملء خزينة الدولة بالذهب والفضة والسي، وكذا كثرة الفتن التي ألهتهم عن الاهتمام بنشر الإسلام بين القبائل الأمازيغية*، حتى أن منهم من كان يرى أن إسلامهم لا يتفق ومصلحة الدولة. فأخذ يفرض الجزية على من أسلم من البربر، وهذا ما يتنافى مع تعاليم الإسلام الحنيفة. وبالتالي، تبنى الأمازيغ مذهب الخوارج باعتناقهم الإسلام.

ونتيجة لذلك، فقد ذهب " ألفرد بال " إلى القول أنه "ليس من المبالغة إذن أن نقول أن دعاة الخوارج كانوا خير رسل للإسلام في بلاد المغرب منذ بداية القرن الثاني للهجرة (الثامن ميلادي)، لقد جاء هؤلاء المشاركة المطاردون من بلادهم ليدعوا البربر إلى الثورة ويسري في قلوبهم إيمان عميق ألهم أعمالهم وأقوالهم، كانوا إنما يدعون باسم الدين والدين وحده ولا شيء أكثر من هذا الأمر توافقاً مع مزاج البربر المستقل المتدين"¹.

*- أكد غوتيه، ص: 151 أن حركة الخوارج كانت السبب في توقف زحف الجيش العربي نحو فرنسا حيث يذكر بهذا الصدد: "إن الفاتح العربي قد مني بهزائم متشابهة في أماكن أخرى لكنها لم توقف زحفه، حيث كان مستعداً لجولة أخرى لكن جولاته توقفت هذه المرة، إن المنازعات الدينية بعيد معركة بواتيه التي قضى فيها شارل مارتيل على الجيش العربي عام 732م قد خصت شعوب المغرب التي اعتنقت الإسلام فانتفضت عام 740م وأهملت حملات الفتح". الا ان غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 20.

يعارضه في طرحه "ان النصر الذي أحرزه شارل مارتيل في معركة بواتيه لم يكن مهماً بدليل عجز هذا الأخير على استرداد أي مدينة استولى عليها العرب في عسكريا في فرنسا، والدليل بقاء العرب بعد معركة بواتيه قرنين في جنوب فرنسا، وبدليل مخالفة بعض امراء فرنسا العرب ضد شارل مارتيل الذي اخذ في نهب بلادهم".

1- ألفرد بال، ص: 147.

ويجدر الذكر هنا أن مذاهب الخوارج التي انتشرت في بلاد الأمازيغ كان الصفرية والإباضية، وكانت أول ثورة* اندلعت ضد تصرفات "عبيد الله بن حجاب" سنة 122هـ /720م قادها "ميسرة السقاء"*** من قبيلة مطغرة***، وحتى لا نبتعد عن موضوع الدراسة مرة أخرى، فإنه يجب الإشارة أن أول من قدم إلى بلاد الأمازيغ يدعو إلى الفرقتين الإباضية والصفرية "سلمة بن سعيد" الذي قدم من أرض البصرة ومعه "عكرمة مولى بن عباس"، حيث قام "سلمة" بالدعوة إلى المذهب الإباضي بينما قام "عكرمة" بالدعوة إلى مذهب الصفرية¹، وقد تفرقت الفرقتين فدعاة الفرق الإباضية اتجهوا إلى الأقاليم الشرقية من بلاد الأمازيغ في حين اتجهت الفرقة الصفرية إلى الجهة الغربية إذ أقبل عليها قبائل أمازيغ المغرب الأقصى كما تم ذكره آنفاً، وتجت عنه ثورة "ميسرة المطغري". وما يثير ملاحظتنا أن الوافدين أتوا من شرق البصرة وبالتالي عند مخاطبتهم للأمازيغ من أجل إقناعهم كان لا بد أن يكلموهم باللغة العربية، ومنه فالأسلمة والتعريب تزامنتا مع بعضهما، لكن هذه المرة باقتناع الأمازيغ أنفسهم حيث يذكر عبد العزيز الدوري "ويذكر أن أبا عبيدة مسلم التميمي شيخ الإباضية في البصرة أرسل خمسة من حملة العلم إلى شمال إفريقية لبث الدعوة وكانت دعوة مساواة مطلقة التي نادى بها الخوارج وأدى ذلك إلى التحام جماعات من العرب والبربر"².

*- إن اندلاع الثورة ضد حكم ولاة بني أمية المستبددين الطغاة هو مرحلة نهائية لتشييع لمبادئ أفكار مذهب الخوارج. ومنه، فإن هجرة دعاة التيار المذهبي من المشرق منذ هزيمة معركة نحران سنة 38هـ /658م في المشرق إلى القيام بأول ثورة بقيادة مسيرة المطغري سنة 122هـ /720م في بلاد الأمازيغ أي على العموم 62 سنة، وهي فترة معقولة بين اعتناق الإسلام (قبائل الأمازيغ) ثم الدعوة السرية، ثم التعبئة، وأخيراً الثورة التي أدت إلى التفقه في اللغة العربية أي التعريب.

** - ميسرة السقاء: يلقب ميسرة المطغري قتل سنة 122هـ، كان يعمل في السقاية عندما كانت المذاهب تنتشر في المرحلة السرية، تولى قيادة الصفرية في تورثهم على ولاة بني أمية بالمغرب الأقصى تطلع بعد انتصاراته إلى الخلافة بايعه أصحابه لكن قتلوه ولم يعرف السبب فالبعض يرجعها إلى منافسة السياسية و آخر الي سوء سيرته. راجع بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية ج 1، ص: 124.

*** - مطغرة بطن من بطون ضريسة ينتسبون إلى بني فاتن وهم من قبائل البتر مواطنهم أساس المغرب الأقصى يوجد جبل سمي باسمهم في جنوب مدينة فاس. نفسه، ص: 126.

1- محمود اسماعيل عبد الرزاق، ص: 46..

2- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، ص: 75.

وبناء على ما سبق، فإن انتشار مذهب الخوارج بقسميه الإباضي وصفري أدى معه إلى انتشار اللغة العربية بحيث أن مذهب الخوارج مذهب مصدره المشرق العربي. وبالتالي، فهجرة الدعاة الفارين من استبداد السلطة الأموية أدى إلى وجود ترابط وتلاحم فكري بين العرب والأمازيغ، بحكم تشابه الأهداف والدوافع، فكان مذهب الخوارج عامل من عوامل التعريب، ومنه نستنتج، أن مذهب الخوارج خاصة شقه الإباضي رغم أنه تبنيه كان بهدف رفض أي تسلط وجور أجنبي على منطقة بلاد الأمازيغ خاصة جور ولاية السلطة الأموية، إلا أنه ساعد بطريقة غير مباشرة في تعريب الأمازيغ.

لكن لزم أن نشير هنا أن ثورة الخوارج في المغرب هي ثورة الأمازيغ ضد السلطة، لكن بزعامة مشرقية والدليل أن مسلمة بن سعيد من عرب البصرة الذي أدخل الإباضية لبلاد المغرب، أبو الخطاب المعافري عربي من جند طرابلس، وطريف بن شمعون البرغواطي يهودي أندلسي وعبد الرحمن بن رستم (فارسي) باستثناء ميسرة المطغري الذي يعتبر من الأمازيغ. وعليه فالجزم أن ثورة الخوارج ثورة أمازيغية خالصة فهذا أمر غير دقيق¹، ومنه، فإن إثارنا لهذا الطرح تؤكد تكامل العوامل فيما بينها، فهؤلاء هاجروا من المشرق حاملين معهم مبادئ مذهب الخوارج أي تكامل بين العوامل الاجتماعية عنصر الهجرة والعوامل السياسية، وهكذا فهؤلاء الزعماء شجعوا من تبنى مذهبهم في الشرق للمجيء إلى بلاد الأمازيغ، ومع تأييد الفكرة وجدت هجرة خوارج المشرق، فهاجر عدد كبير من العرب والمتعربين من المشرق، واستقروا ببلاد الأمازيغ وأنتجوا أبناءهم وأحفادهم² وأصبحوا يعرفون بالعرب البلديين³.

ولكي نكمل قضية التكامل بين العوامل التي أدت إلى تعريب الأمازيغ وعلاقتها بالإسلام، فإن مما سبق الذكر أن ثورة الأمازيغ ضد الولاة والعمال المرسلين من قبل الخلافة الأموية. أصبحت ثورة ضد السلطة المركزية في

1- عبد العزيز غوردو، ص: 86.

2- نفسه، ص: 76.

3- نفسه، ص: 76.

دمشق. فخلعوا طاعة الخليفة بايعوا زعيمهم ميسرة المطغري كخليفة، وهنا رغم ما قاله "غوردو" عن الخوارج لم تكن ثورة أمازيغية محضة، لأن الزعماء جاءوا من المشرق، لكن الأمازيغ لم يبايعوا عربياً أتياً من المشرق، وإنما بايعوا أمازيغياً وما يفهم من هذا أن الأمازيغ قبلوا الإسلام ديناً، ورفضوا سياسة العرب¹ العنصرية القائمة على نكرة العصبية، ورغم أني سردت رد فعل سلطة الدولة الأموية إلا أننا نضطر إلى إعادة سردها لتداخل العوامل، وهكذا عندما بلغ مسامع هزائم العرب أمام الأمازيغ خليفة هشام بن عبد الملك صرح "والله لأغضب غصبة عربية ولأبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي"² وبهذا فإن هذا التصريح إشكالية في حد ذاتها، إذ أن الخليفة لم يغضب غصبة إسلامية بل غضب للعرب ولسيادتهم التي انتزعت منهم³. ومنه فإن توظيف الدين الإسلامي كان في خدمة أهداف عنصرية واضحة⁴.

والجدير بالذكر أنه من نتائج ثورات أمازيغ الخوارج هو تأسيس "دول إسلامية أمازيغية"⁵ مستقلة عن الخلافة المركزية في الشرق (الدولة الأموية). وبالتالي أن الأمر الأهم هو تبني قبائل "زناتة" مذهب الخوارج⁶ إذ بفضلها اعتنقت الإسلام. والملاحظ أن منطقة القيروان تأثرت بهذه الأحداث، حيث شهدت ثورة خوارج الصنهاجيين والكتاميين، وهم من البرانس. وبالتالي، فإن مذهب الخوارج أدى بشكل عام إلى اعتناق الأمازيغ

1- أحمد عصيد، ص: 33.

2- ابن عذاري، البيان، ص: 54.

3- أحمد عصيد، ص 33.

4- نفسه، ص: 33.

5- يذكر عبد الله العروي، ج 1 ص: 149: "أن الخوارج وسعوا رقعة الإسلام بفضل حيويتهم وميلهم إلى النقاش والجدال، اعتنق المغاربة (الأمازيغ) مذهبهم تعبيراً عن نزوعهم الدائم إلى الاستقلال، لكن المذهب الخارجي كان يحمل في طياته بذور الخلاف، حيث كثر بينهم النقد والجدال حول العقائد، وصار خلع الخلفاء بل اغتيالهم سنة متوارثة، فلم تستقر أمورهم ولم يكونوا دولة كبيرة وإنما أسسوا دويلات منها دولة البرغواطة على ساحل المغرب الأقصى سنة 127هـ/744م، ودولة بني مدرار في سجلماسة سنة 140هـ/757م، ودولة الرستميين في تاهرت سنة 144هـ/761م".

6- غوتيه، ص: 153. ونشير هنا إلى ملاحظة هامة وهي أن قبائل زناتة هم من قبائل البربر البشر وهم من أبناء زانا أو جانا أو شاننا بن يحيى ضري ويعرفون باسم زناتة وتعدادهم كثير لذا عرفهم ابن خلدون بشعوب زناتة لكثرة عددهم وبطونهم (جراوة، بنودمر، بنو وامانوا، بنو يلومي، بنو واسين) أما مواطنهم فقد حددها ابن خلدون بشكل عام في المغرب الأوسط. راجع بوزياني دراجي، القبائل الأمازيغية، ج 2، ص: 154. إلا أن عبد الله العروي، ج 1، ص 149 رفض اقتراح غوتيه أن قبائل البدو (زناتة) هم الذين تبنوا مذهب الخوارج.

(البتري) للإسلام صَاحِبَهُ بِذَلِكَ تَعْرِيبَهُمْ، أَمَا فِيمَا يَخْصُ أَمَازِيغَ الْبِرَانَسِ فَقَدْ اعْتَنَقُوا الْإِسْلَامَ نَتِيجَةَ تَعْرِيفِهِمْ عَلَى مَذْهَبِ الصَّحَابَةِ* وَالتَّابِعِينَ** ثُمَّ اسْتَبَدَلُوهُ بِمَذْهَبِ الْخَوَارِجِ كَمَا سَلَفَ ذَكَرَهُ. وَالتَّنَافُسُ بَيْنَهُمْ سَيُشْجِعُ حَرَكَةَ التَّعْرِيبِ.

ثانياً: عدم نجاح التجارب الوحدوية لبلاد الأمازيغ.

منذ أن اعتنق الأمازيغ الإسلام حاولوا تأسيس وحدة سياسية تحت مرجعية الإسلام كدين. ومنه، لزم علينا معالجة إشكالية عدم نجاح وحدة بلاد الأمازيغ من الناحية الكلية وليس الجزئية¹، أي تفضيلهم الاندماج مع العرب وعدم الاندماج مع بني جلدتهم، وهذه إشكالية ذكرها عبد الله العروي: "إشكالية عجز المغاربة عن فهم مصالحهم الحقيقية: دهمتهم روما ففزعوا إلى قرطاج مع أنهم كانت عدوهم الأول إلى ذلك الحين، هاجمهم العرب فاحتموا بالإسلام، استولت عليهم فرنسا فالتجأوا إلى العروبة"².

وعليه فإننا نلاحظ أنه على مر ثلاث قرون (من الخامس إلى الثامن الهجريين) وجدت بعض المحاولات للتوحيد على شاكلة دول أمازيغية سياسية مثل الحمادية والمرابطين والموحدين، هذه المحاولات تزامنت مع التغيرات الدولية، حيث يذكر محمد القبلي أن الغرب بدأ يخطو في هذه الفترة خطواته الأولى نحو النهضة بتطور البوادي والأرياف وتوسيع المدن، بينما في نفس الوقت العالم الإسلامي (العالم العربي) بدأ يخطو في الاتجاه المعاكس نحو التراجع والاحتلال³. حيث أن بواديه وأريافه هددت باجتياح حركات بني هلال وبني سليم، هذا ما سيؤدي إلى تدهور اجتماعي نتيجته اقتصادية بحكم اضطراب شبكات المواصلات⁴، هذا الوضع أفرز نتيجة

*- الصحابة: مفردة صحابي ومعناه الاصطلاحي من لقي النبي محمد ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام. راجع سبع قادة، ص: 08.

**- التابعين مفردة تابعي وهو ما لقي الصحابي مؤمناً بالنبي ﷺ. نفسه، ص: 08.

1- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص: 12.

2- عبد الله العروي، ج1، ص: 154.

3- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ص: 12.

4- نفسه، ص: 13.

سياسية تمثلت في تفوق النزعة الاستقلالية لدى المناطق الجهوية، هذه النزعة أدت إلى نمو المسعى التوحيدي لبلاد الأمازيغ، فقد لاحظ أن هذه المحاولات قد اتسمت بطابع الاستقلال السياسي الفعلي عن الشرق¹، لكن رغم هذا المسعى للاستقلال عن المشرق ومركزية الشرق، إلا أنه يلاحظ أن جميع المحاولات لم تكن ذاتية القرار، وإنما قد استعانت في استقلالها بالشرق نفسه، فعلى سبيل المثال الدولة الزييرية، والحماذية اختارتا مشروعيتها من الدولة العباسية لتستقل عن الدولة الفاطمية، أما دولة الموحدين فقد أخذت مشروعيتها من النسب الشريف المرتبط بشرق بطبيعة الحال .

وهكذا، نجد بلاد الأمازيغ قد حاولت توحيد نفسها عن طريق الانفصال من وصاية الشرق إلا أن هذا الانفصال قد وضع نفسه في إطار ديني². وبهذا استطاع العرب أن يؤسسوا كيانات عربية في أرض الأمازيغ بسبب فشل هؤلاء في توحيد صفوفهم. وبالتالي تعربوا بحكم وجودهم تحت السلطة العربية، وفشل مساعيهم التوحيدية قد ساهم في تغلغل التعريب لديهم، ولا ننسى كذلك الصراع التقليدي بين البتر والبرانس، فلقد سبق التطرق في المدخل إلى أقسام الأمازيغ التي تتمثل في البرنس والبتر، والفوارق بين هؤلاء هي اقتصادية واجتماعية، وليس فوارق عرقية أو جنسية لأنهم جميعاً من جنس واحد (أبناء مازيغ). وقد أدت هذه الفوارق إلى وجود صراع دائم بين البتر والبرانس³، أي بين البدو والحضر، والملاحظ أن المؤرخين الغربيين ركزوا على هذا الصراع لتفسير سيرورة تاريخ بلاد الأمازيغ، وفسروا نجاح كثرة الغزاة لهذه المنطقة بالصراع الدائم بين أبناء الجنس الواحد على أساس شعار "فرق تسد". وعليه، فإن الأجنبي الغازي ومهما اختلف اسمه من فينيقي إلى الرومان إلى الوندال إلى بيزنطي قد استغل هذا النزاع لتوطيد نفوذهم في تلك البلاد. وقد ميز كل من "غوثيه"⁴ و"شارل أندري

1- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ص: 13.

2- نفسه، ص: 14.

3- أحمد مختار العبادي، ص: 15.

4- غوثيه، ص: 67.

جوليان¹ و"ألفرد بال"² أن ثنائية الصراع بين البتر والبرنس راجع إلى صراع بين مفهومين اقتصاديين. وهكذا، انعكس المجال الاقتصادي والاجتماعي، أي أن الزراعة أدت إلى الاستقرار (فرع البرانس)، أما الرعي فقد أدى إلى الترحال للبحث عن كلاً المواشي (فرع البتر) وأسباب عدم وحدة الأمازيغ سياسياً رغم النسب الواحد يرجعه المؤرخون إلى العوامل الجغرافية أيضاً، حيث يرى "غوتيه" أن بلاد البربر تفتقر إلى نقطة مركزية عكس أوروبا التي حولت النواة المركزية (روما) فامتدت بمرور الزمان ونجم على ذلك بناء متين³ على حد تعبيره، أما بلاد الأمازيغ فعدم وجود نقطة مركزية راجع أساساً إلى الطبيعة الجغرافية لمنطقة شمال إفريقيا، ويرجعها "شارل أندري جوليان" إلى التجزئة الجغرافية التي تتمثل في صعوبة المواصلات وانعدام الأودية المتصلة ببعضها البعض وعدم وجود ملاحه في الأنهار⁴ بسبب ضيقها، وقلة السهول أو ضيق الشريط السهلي الساحلي، الأمر الذي أدى إلى عدم وجود عاصمة واحدة تحقق وحدة الأمازيغ، بل بالعكس وجود صراع دائم بين البدو والحضر أي بين البرنس والبتر. والملاحظ أن "الفرد بال" يتفق أن العامل الجغرافي هو العائق أمام وحدة الأمازيغ إذ يذكر "أن افتقار الشمال الإفريقي إلى الوحدة الجغرافية وعدم وجود مركز اجتذاب، وانعدام مجاري المياه الكبيرة القابلة للملاحه، كل هذه الأسباب أدت إلى جعل العلاقات بين مختلف قبائل صعبة، وهذا ما أسهم في تجزئة البلاد، وبالتالي تجزئة السلطة. ومنه أدى إلى وجود اختلافات في النمط الاجتماعي الذي انعكس على النمط السياسي"⁵. وعليه، فإن ما ذكر سالفاً يفسر نجاح الفتح الإسلامي وقبلة الغزو الأجنبي بمختلف أنواعه، والدليل على أن فرقة البربر سبب انتكاستهم، هزائم العرب الفاتحين أنفسهم إذ وجدت مرتين وهذا أثناء الحملات العسكرية الأولى فالأولى في فترة "عقبة بن نافع" عند مواجهة "كسيلة" أمير قبيلة أوربة، حيث ذكرت

1- شارل أندري جوليان، ج2، ص: 24.

2- ألفرد بال، ص: 41.

3- غوتيه، ص: 06.

4- شارل أندري جوليان، ج2، ص: 24.

5- ألفرد بال، ص: 41.

المصادر أن أثناء هزيمة تمودة اجتمعت كل البربر¹ تحت إمرة كسيلة مع تحالف الروم. أما المرة الثانية حين وحدت "الكاهنة" جميع البربر تحت إمرتها على حد تعبير "ابن عبد الحكم"². ومنه، جاءت هزيمة "حسان بن نعمان" عندما توحد الأمازيغ فكانوا قوة في وجه من اعتقدوه غازياً مثل الغزاة السابقين من الرومان والوندال والبيزنطيون. وبهذا ملكت "الكاهنة" بعد هزيمة "حسان" بلاد البربر خمس سنين وهزيمتها أمام "حسان" راجع بالدرجة الأولى إلى انشقاق الأمازيغ عنها ولجؤهم إلى "حسان" بغرض الاستغاثة مما أقدمت عليه من تخريب لأشجار الزيتون، إذ صرحت "أن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نطلب منها المزارع والمراعي. فما نرى لكم إلا خراب إفريقية حتى يأسوا منها"³. وهنا أمرت بتخريب إفريقية وحرقتها. وبالتالي، انقسام البربر أدى بهم إلى هزيمة عسكرية اضطروا من خلالها لاعتناق الإسلام وتبوجا للاعتناق تعريبهم، كل هذا أدى إلى فشل التكتل الأمازيغي ونجاح التعريب.

ثالثاً: التنافس والصراع المذهبي في بلاد الأمازيغ.

تشكل الفترة الممتدة من القرن 3هـ إلى 8هـ فترة تنافس مذهبي، تحول إلى صراع بين المذاهب، وكانت نتيجته تبلور الشخصية المغربية (الأمازيغية)⁴، وقد توالى على المنطقة دعوات متتالية من الخوارج الإباضية والصفيرية إلى الشيعية (الزيدية والإسماعلية) إلى السنة المالكية الموحدية (تومارتيية)⁵، كل واحدة تريد نشر عقيدة مذهبية مدعية أنها المذهب الصحيح، ومع تتبع حيثيات التنافس نلاحظ ان نتيجته أدت إلى تعريب أغلبية الأمازيغ، فقد كانت بلاد الأمازيغ حقلاً للتنافس المذهبي خاصة بين الإباضية والمالكية، وعليه يرجع فرج نجم

1- اختلفت المصادر حول ماهية "جيش كسيلة" ففي معركة تمودة، هل كان مكون من البرانس فقط أو وجد البتر والبرانس أو وجد الروم معهم، حيث يذكر المالكي، ص: 25: "جمع له جمعا كبيرا من الروم والأمازيغ (يعني كسيلة)".

2- ابن عبد الحكم، ص: 76: "وقد اجتمع حولها البربر بعد مقتل كسيلة".

3- الرقيق القيرواني، ص: 61. المالكي، ص: 34.

4- عبد الله العروي، ج2، ص: 08.

5- نفسه، ص: 09.

التعريب إلى ظاهرة التنافس المذهبي بين الإباضية والمالكية¹، حيث ركز على الجانب الشرقي لبلاد الأمازيغ (ليبيا)، وكما سلف الذكر أن انتشار المذهب الإباضي جاء قبل انتشار المذهب المالكي، وكان أول من أدخل الموطأ إلى إفريقية على بن زياد العبسي²، وانتقل هذا الأخير إلى القيروان للتدريس في جامعها الكبير، فتتلمذ على يديه وأخذ عنه المذهب ونشره في القرن 3 هـ (9 و10م). ومنه، فهذا التنافس جعل من الفريقين (فريق مذهب الخوارج) الإباضية وفريق مذهب السنة (المالكي) يتحصنا بالعلوم الإسلامية ويتسلحا باللغة العربية³ لتقوية حججهم، حتى يستطيعوا أن يجلبوا أكبر عدد من المنتسبين لمذاهبهم، وبالتالي زيادة القاعدة الجماهيرية من الأمازيغ وهذا ما أدى إلى التعريب⁴، والجدير بالذكر أن الشخصيات التي لعبت دوراً في انتشار المذهب المالكي هي نفسها التي أدت إلى انتشار التعريب بطريقة غير مباشرة، حيث ظهرت بوجود كيانات مستقلة إسلامية، وتأخذ على سبيل المثال لا الحصر الدولة الرستمية وعاصمتها تيهرت، ابن الصغير، أبو عبد الرحمان بكر بن حماد الزباني التيهرتي، أبو قاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التيهرتي⁵ وبهذا، نستخلص أن التنافس المذهبي خاصة بين الإباضية والمالكية صب في خدمة التعريب وهذا نظراً للحاجة الماسة للغة العربية لمن أراد أن يثبت حجته أو صحة المسألة، حيث يُستنبط من المصادر أن نجد علماء الإباضية اجتهدوا في تعلم اللغة العربية واشتروا على مريديهم تعلم العربية من باب طلب العلم والمعرفة وكذا زيادة الأجر⁶. وعلى سبيل المثال نورد مثلاً عن الإمام الدرجيني في كتاب طبقات مشائخ المغرب عن الشيخ أبا عمران موسى بن زكريا المزاتي⁷ يشجع طلبته

1- فرج نجم، ص: 95.

2- نفسه، ص: 96.

3- نفسه، ص: 97.

4- نفسه، ص: 97.

5- سبع قادة، ص: 50.

6- فرج النجم، ص: 98.

7- قبيلة مزانة البربرية من البرنس بطن من بطون قبيلة أوربة وهي موجودة حالياً بجانب وادي وزغة ومعروفة باسم مزيات. راجع بوزياني الدراجي، قبائل الأمازيغية، ج 1 ص: 12. راجع أيضاً ابن خلدون، العبر، ج 6، ص: 300.

الأمازيغ على تعلم العربية بقوله "تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثمان مسائل في علم الفروع وتعلم مسألة واحدة كعبادة سنتين". أما المذهب المالكي فقد نجح أن أصبح في النهاية مذهب غالبية المغرب الإسلامي مع وجود أقلية ذات المذهب الإباضي، وسنختصر الصراع لمعرفة نتيجته بحكم أن وسيلته أدت إلى تعريب الأمازيغ. وتعود الجذور التاريخية إلى التنافس المذهبي الذي تحول بعد ذلك إلى صراع منذ أن أصبحت إفريقية ولاية مستقلة عن مصر، وهذا في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (704/84هـ) ومنه ومنذ هذا التاريخ تحولت إفريقية إلى ملاذ¹ لعدد من العناصر المضطهدة في المشرق، خاصة الخوارج والشيعة أيام الدولة الأموية، ومن خلال ذكرنا للعوامل الاستراتيجية ذكرت أهمية مدينة القيروان، التي اكتملت معها العوامل الدينية ليصبح مسجدها من أهم المراكز الثقافية والعلمية في العالم الإسلامي، ومنه فإن المساجد جمعت حلقات الدراسة وكان التنافس واضحاً بين مختلف المذاهب سواء في عهد الولاة أو العهد الأغالبة وقد كان التنافس جديلاً في البداية²، تم تحول تدريجياً إلى صراع اتخذ ثلاث مظاهر طيلة القرن 5هـ.

(أ) صراع بين السلطة السياسية (الحكام).

(ب) صراع بين الفقهاء ورجال المذاهب.

(ج) صراع بين السلطة مع عامة الشعب (خاصة في العهد الفاطمي تحول الصراع بين العامة التي تدين

بالمذهب السني المالكي والحكام المتشيعين).

ومن خلال هذه المظاهر، فقد وجدت عوامل ساهمت في تعريب الأمازيغ، وتمثلت في الدعاة الذين

أرادوا أن ينصروا مذاهبهم، وسنذكر على سبيل المثال لا الحصر أن أول نواة خرجت من علماء القيروان الذين

1- راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2005م، بيروت، لبنان، ص: 263.

2- نفسه، ص: 264.

تدرسوا على أيدي الفقهاء العشرة¹ الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز وهم² عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المتوفى سنة (161هـ/777م) يعد من قضاة إفريقية ومن تلاميذ المباشرين البهلول بن رائد المتوفى سنة (183هـ/799م) وكذا عبد الله بن غانم المتوفى سنة (190هـ/805م)، فهؤلاء كانوا ينتقلون إلى الحجاز ومصر، والعراق والبصرة والكوفة، أي إلى مراكز الإشعاع الديني في المشرق وهدفهم طلب العلم، وهذا ما ساهم في تعريبهم، وعند رجوعهم سيساهمون في تعريب بين جلدتهم، ونذكر منهم علي بن زياد المتوفى سنة (183هـ/799م) وعبد الله بن فروخ الفارسي³ المتوفى سنة (185هـ/801م) وعبد الله بن غانم المتوفى (190هـ/805م) وكذا الأسد بن فرات⁴ المتوفى سنة (213هـ/28م)، وقد تمثلت المرحلة الأولى في أن علماء المالكية حاولوا أن يدعموا مذهبهم بحجج فقهية وهذا بالسفر إلى المشرق لتلقي العلم، وهذا ما ساهم في تعريبهم، وبهذا قاوم علماء المالكية بإفريقية كل الآراء والمذاهب التي تخالف أفكارهم التي تعلموها من مالك وتلاميذته وساهموا في إثرائها وتطويرها. أما المرحلة الثانية فهي تحول التنافس المذهبي إلى صراع بين السنة والشيعة في مرحلة الدولة الفاطمية، وقد ذكرت سالفاً الدولة الفاطمية⁵، لكن خصص ذكرها في هجرة قبائل بني هلال،

1- لقد تم التطرق إليهم فيما سبق في الأطروحة في عنصر في عنصر دور الدعاة.

2- راضي دغفوس، ص: 265.

3- نفسه، ص: 266.

4- أسد بن فرات قد تتلمذ على يد الامام مالك بن انس بالمدينة وواصل تلقي دروس العلم بمصر والعراق وألف "الأسدية" الذي يعتبر أول كتاب وضع في الفقه المالكي بعد موطأ مالك. نفسه، ص: 266.

5- قامت الدولة الفاطمية في إفريقية في نهاية القرن 3هـ/ بداية ق10م، بعد استقرار ودعاية الداعية الشيعي أبو عبد الله الصنعاني ضمن قبيلة كتامة الأمازيغية وأسس جيشاً استطاع به القضاء على دولة الأغالبة بانتصاره على الأمير زيادة الله الثالث الذي فر إلى المشرق، وكذا القضاء على الدولة الرستمية في تاهرت، كما استولى على سلجماسة وبايع عبيد الله المهدي بالخلافة الفاطمية، لقب المهدي ويذكر عبد الله العروي، ج2 كان اختيار كتامة مثلاً "وهم يتلقون الدعوة الفاطمية، لكن منطق الدعوة هو التطوع إلى أن تصبح إجماعاً، فيقدر ما تنتشر بقدر ما تنقص قيمتها التمييزية، حينذاك ينفصل التميز العقدي عن القطري (كتامة في مصر) وعندما يصل الانفصال على مداه وتوشك الدعوة أن تكون إجماعاً يكون وجدان المغاربة قد استعد لتقبل دعوى جديد". ومنه أجمع عبد الله العروي أن حركة صراع المذهبي في بلاد الأمازيغ تكون لها بعدان غير منفصلان؛ بعد سياسي وآخر ديني، والسياسي أكثر تأثيراً من الديني.

إلا أنها في هذه المرحلة لعبت دوراً مهماً في تعريب الأمازيغ، لكن من خلال الفقهاء، وعلى سبيل المثال علماء المذهب الشيعي القاضي أبو حنيفة النعمان المتوفي سنة (363هـ/974م).

وخلاصة القول أنه من المعروف أن المذهب الذي استطاع أن يسود واعتنقه أغلبية الأمازيغ هو المذهب السني المالكي، لكن قبل أن تتوج بلاد الأمازيغ بالمذهب المالكي وجد صراع بين مختلف المذاهب، هذا التنافس الذي تحول إلى صراع بين المالكية والإباضية وكذا المالكية والشيعية (الإسماعلية) فقد ساهم مساهمة كبيرة في تعريب الأمازيغ بهذه السعة والسرعة، وهذا نظراً للحاجة الماسة للغة العربية وهنا ساهم التنافس المذهبي الذي تحول إلى صراع في تعريب الأمازيغ.

(III) العوامل الاجتماعية :

أولاً: تشابه القبيلة العربية والقبيلة الأمازيغية.

1) ماهية القبيلة لدى الأمازيغ والعرب:

إن القبيلة لغةً هي جماعة من أب واحد وسميت قبيلة لتقابل الأنساب¹، ومن خلال هذا المفهوم اللغوي سنتطرق إلى ماهية القبيلة لدى الأمازيغ ثم نعرض بعد ذلك إلى ماهية القبيلة لدى العرب لنستنبط أوجه التشابه بينهما.

حيث ينقسم الأمازيغ كما سبق الذكر آنفاً، إلى بدو وحضر أو بتر وبرانس، وهذا ما يميز أيضاً العرب الذين ينقسمون هم أيضاً إلى قسمين "قحطانية" و"عدنانية". فالأولون ينتمون إلى أصل يمني وهم أهل حضارة بينما العدنانيون أهل بدو². فالقبيلة هي أول صورة للنظام الاجتماعي، وقد احتفظ بها كل من العرب والأمازيغ ويقصد بالقبيلة جماعة من الأسرات ترتبط بصلات القرى وتشغل بقعة من الأرض على سبيل الشيوخ،

1- محمود عكاشة، ص: 60.

2- أحمد مختار العبادي، ص14

وتحكم وفق قوانين وأعراف معينة مستمدة على مدى قرون وقرون، فإذا اتحدت عدة قبائل تحت رئيس واحد تكونت بذلك العشيرة¹، حيث أن هذه الأخيرة تعتبر الخطوة الثانية لتكوين دولة²، والمعروف أن الأمازيغ استطاعوا في فترة من فترات تاريخهم تكوين ما يسمى باتحادات قبلية³. وبالتالي، تعتبر القبيلة مجموعة أسر متحدة بعناصر القرابة، وهي كيان اجتماعي يقوم على أساس الدم والمصاهرة ولكل قبيلة موطنها. وعليه، فإن البنية الاجتماعية عند الأمازيغ في العهد القديم هي الأسرة⁴ وباتحاد الأسر وجدت القبيلة التي أدت إلى وجود العشيرة بوجود اتحادات قبلية حسب المصالح التي تكون أساساً عسكرية ضد الوافد الأجنبي⁵. وبهذا تكون بلاد الأمازيغ قد وصلت على هذا الشكل من التنظيم الاجتماعي على امتداد مراحل تاريخية طويلة.

ونتيجة للتراكمات الاجتماعية في أوقات السلم والحرب⁶، سببرز روح التضامن⁷ بين أفراد القبيلة وتتكون بذلك الأعراف⁸، التي تنظم الحياة الاجتماعية والتي يعتز بها الأمازيغ وحافظوا عليها رغم مرور آلاف القرون. وبالتالي، نلاحظ أن نمط القبيلة العربية يشبه نمط القبيلة الأمازيغية وهذا ما يفسر الاندماج، وسأخذ أمثلة من الأحداث التاريخية، حيث لاحظنا سالفاً أن التماثل بين النمط المعيشي لزناتة وعرب بن هلال أدى إلى

-
- 1- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محفوظ، الجزء الأول، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988م ص: 40.
 - 2- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص: 118: "إن تشكل العشيرة هو في الحقيقة الجوار وليس النسب كما يتصوره المغاربة أنفسهم".
 - 3- تجدر الإشارة إلى أن الاتحادات القبلية أوجدت ممالك بربرية (إمارات) مثل مملكة مسينيسا، مملكة يوغورطة، الكاهنة، وبعد الإسلام وجدت على شكل دول مثل الرستمية والمرابطين، والموحدين. راجع ألفرد بال، ص: 48-49.
 - 4- نفسه، ص: 54.
 - 5- نفسه ص: 54: "القبيلة ليست غير مجموعة من جماعات تحرض كل الحرص على استقلالها ونزعتها الانفصالية ضد الأجنبي".
 - 6- العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م ص: 168.
 - 7- نفسه، ص: 168.
 - 8- نفسه، ص: 168. تجدر الإشارة إلى انه سوف يتم التطرق إلى عنصر الأعراف في العوامل الدينية، واحترام الإسلام لهذه الاعراف إذا لم تتنافى مع مبادئه السامية. بحكم ان الإسلام دين عالمي للناس كافة يحترم خصوصية المجتمعات لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ "سورة سبأ الآية: 28

اندماجهما¹، ومنه تكون المغرب العربي، ويذكر الإدريسي أن "زنانة من أول نسبهم عرب صرح... وإنما تبربروا بالمجاورة والمخالفة لبربر مصامدة"²، والإدريسي يقصد هنا أن زنانة أصلهم عرب وأن مجاورتهم لمصامدة هو الذي أدى إلى تبربرهم، أي أن القبيلة يمكن أن تأخذ مفهوم الجوار.

أما ألفرد بال فيقدم مفهوماً عاماً للقبيلة يمكن من خلاله استخلاص عدة نقاط حيث يذكر "إن الأسرة ليست عائلة **Ménage** كما هي الحال عند الغربيين المحدثين بل جماعة من العائلات تتألف من مجموع الأبناء والأحفاد مع زوجاتهم وأبناءهم تحت سلطة الأب أو الاخ الأكبر، إنها مجموعة متماسكة وجماعة بقيادة زعيم، وهذه الأسرة التي تشمل كل عائلات الأقارب الذكور هي التي تكون القرية أو الدار أو البطن، ورئيسهم أكبر الأقارب سناً، والضرورة التي تقضي بتجميع كثير من الأسر المتصلة بصلة القرابة وهي التي تؤدي إلى تكوين قبيلة"³.

وعليه فإن مفهوم القبيلة في الأساس هي صلة الدم التي تربط أفراد المجتمع الواحد، لكن التطور السياسي في بلاد الأمازيغ وبلاد العرب، أدى إلى إدخال مفهوم جديد للقبيلة، يعرفه ألفرد بال بقوله: "والقبيلة بدورها تستطيع أن تضم إليها عناصر أجنبية ترى الفائدة ضمها بأنماط مختلفة من موثيق المخالفة أو الانتساب مثل الولاء..."⁴.

وعليه نستخلص أنه لولا تشابه هيكل القبيلة العربية والأمازيغية لما أمكن أن يكون هناك تمازج وانصهار عن طريق الزواج أو التحالف عن طريق الولاء وكلاهما، ويضيف عبد الله العروي حول تشابه عرب البدو وبدو

1- محمد بن حسن، الأصول التاريخية لتعريب المغرب العربي، "ص: 121.

2- ابي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني، المعروف بالإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، بدون تاريخ، ص: 88، وهذه إشكالية أخرى تدخل ضمن العوامل، وهي إرجاع نسب الأمازيغ إلى العرب سنفضل فيها لاحقاً في فصل الانعكاسات.

3- الفرد بال، ص: 53.

4- نفسه، ص: 53.

الأمازيغ "أما البربر البدو فإنهم كانوا منذ البداية ميالين إلى مسايرة العرب لأنهم بدو مثلهم"¹، وما يفهم من خلال تصريح عبد الله العروي أن التشابه إنما بسبب طريقة العيش، ولكي نفهم طريقة الاندماج بين القبيلتين العربية والأمازيغية نستعرض باختصار سيرورة القبيلة العربية وكيفية نشوء الدولة بعدما تعرفنا على القبيلة الأمازيغية.

قبل الإسلام كانت شبه الجزيرة العربية تنقسم إلى قسمين: مناطق جنوب شبه الجزيرة، حيث عرف نظام اجتماعي من النوع الملكي، بينما عرفت المناطق الوسطى والشمالية بنظام القبائل. وتعتبر صلة القرى مهمة وأساسية لدى كل من البدو والحضر، وكسبيل للمثال نجد أن لصلة القرى لدى العائلات الأرسقراطية أمثال بني هاشم وعبد شمس من قبيلة قريش² لها أهمية قصوى ومع مجيء النصف الأول من القرن السابع ميلادي جاء الإسلام وأحدث عدة تغيرات في المجتمع العربي، وسيدفع بذلك شعوب شبه الجزيرة العربية للانتقال من نظام القبائل إلى نظام الدولة³، فكمحلة أولية يعتبر تاريخ هجرة يثرب (المدينة المنورة) عام 622 م يشكل خرقاً للنظام الاجتماعي القائم على صلة القرى، ونشوء نوع آخر من النظام الاجتماعي قائم على المناصرة والهجرة، وهذا ما يفسر تكوين إمبراطورية إسلامية عربية متعددة العروق، حيث أن الإسلام أعطى أهمية لرابطة الإيمان الديني أكثر وأكبر وأسمى من رابطة التعصب القبلي، هذا التطور لم تفهمه الدولة الأموية و استيقظت من جديد العصبية القبلية بعد سبات في فترة الخلفاء الراشدين.

ومهما يكن فإن مفهوم القبيلة بشكل عام هو تركيبة بشرية اجتماعية⁴، مكونة من عدة وحدات صغرى قد تكون أسراً أو عشائر أو أفخاذ، على أن تتلاحم تلك الوحدات، بفضل الاعتقاد في الانتماء الدموي

1- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب ج 1، ص: 126، 127

2- عبد القادر جغلول، ص: 28.

3- نفسه، ص: 28.

4- بوزباني دراجي، ملامح المجتمعات المغاربية، مؤسسة بوزباني للنشر، الجزائر، 2013. ص 188

(النسب)، وكذا تبعاً لمقتضى المصلحة المشتركة، كما يشترط في القبيلة أن يعيش أفرادها معاً، ويخضعون إلى أعراف وعادات متفق عليها، ويدينون بديانة واحدة، ونظراً للتطور الديموغرافي للقبيلة بسبب كثرة الأفراد عن طريق الإنجاب، ظهرت وحدات اجتماعية أخرى بالتتابع أوسع من الأسرة وهي الفصيلة أو الفخذ أو العشيرة، وهذا ما سنفصله في عنصر النظام القبلي.

(2) النظام القبلي:

يقصد بالنظام القبلي هيكل القبيلة، حيث يذكر عبد الله العروي أن القبيلة في كل مظاهرها وبجميع تقسيماتها المتنوعة في ظروف ظهورها ليست بالضرورة ثابتة، وقد لعبت دوراً خطيراً طوال ماضي بلاد الأمازيغ، حيث كانت أساس تطوره أو ركوده¹، وقد ذكر مالك بن نبي² أن "إشكالية كل مجتمع هي في جوهرها مشكلة حضارية ولا يمكن أن تحل الإشكالية ما لم يرتقي الفكر من الأحداث إلى تعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تقدمها" ويضيف "ولعل أعظم مشكلة في منهج التاريخ أننا نجعل النقطة التي منها نبدأ تاريخنا" ومنه، لزم معرفة التركيب الاجتماعي لكل من العرب والأمازيغ لمعرفة التأثير الذي أوجده العرب في الأمازيغ، والذي أساسه القبيلة، هذه الأخيرة كلما تضاعف عدد أفراد الوحدة ازداد تفرعها، ونشأت وحدة اجتماعية أعلى من الأولى وشملت ما سبقها.

إن البناء القبلي في بلاد الأمازيغ لا يختلف عما هو عليه في المشرق³، وقد نجد أن مراتب البناء القبلي متشابهة، إلا أن العرب أكثر دقة بحكم أنهم السابقون في تدوين أنسابهم، أما الأمازيغ فمراتب البناء القبلي لديهم غير واضحة، أو بالأحرى غير دقيقة، فأحياناً يستعمل مرتبة البطن محل القبيلة، ومرتبة الفخذ محل البطن، لكن

1- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص: 101. (تعتبر القبيلة في نفس الوقت عامل اندماج وكذا عامل حفاظ على الهوية أي كوسيلة وقائية) حيث يذكر "القبيلة.. وجه الثبات والدوام ووجه الانتقال والتجاوز، وجه الحفاظ على الذات والتعلق بالتقاليد" بتصرف ص: 101.

2- مالك بن نبي، ص: 47.

3- بوزياني دراجي، ملامح المجتمعات المغاربية، ص: 125.

المتعارف والمتفق عليه أنها كلها تؤدي إلى معنى واحد هو القبيلة¹، وبحكم تأثير الإسلام على المجال الاجتماعي للأمازيغ فإنهم أيضاً تأثروا بمراتب التقسيم القبلي العربي المتكونة من:

(أ) الشعب: لقوله تعالى ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا أَوْ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة حجرات الآية: 13)، وهي اتحاد قبائل ضمن تجمعات وعلى سبيل المثال في القبائل العربية بني هلال يمكن أن نضعه ضمن رتبة الشعب، حيث استعمل هذا المصطلح مبارك بن محمد المليي² لدى بني هلال الزاحفين في بلاد الأمازيغ، أما في ما يخص القبائل الأمازيغية فنزاة لكثرة بطونهم يمكن أن نضعهم في مرتبة الشعب³.

(ب) القبيلة: تسمية القبيلة جاءت تعبيراً على تقابل الأنساب، ويمكن للقبيلة أن تكون وحدة اجتماعية كما يمكن أن تكون أيضاً سياسية بوجود تكتلات لصد خطر خارجي*.

(ج) العمارة: نشأت عن طريق انقسام القبيلة ذات النسب الواحد تبعاً للتكاثر في النسل، وبالتالي، تشعب وحداتها، وكمثال على ذلك لدى العرب تقترن هذه المرتبة بقريش أو بكنانة أما في بلاد الأمازيغ بمرتبة عمارة أو لواتة أو زناتة التي تشعبت وحداتها

1- بوزياني دراجي، ملامح المجتمعات المغاربية، ص: 126.

2- مبارك بن محمد المليي، ج2، ص 194

3- (إن القرآن الكريم دقيق في معانيه ومصطلحاته، حيث نلاحظ أن لفظ القبيلة جاء بعد الشعب.) ولا وجود للمرادفات في القرآن الكريم إذ لكل مصطلح مفهوم وإن تقارب مع آخر راجع محمود عكاشة، ص: 60.

*- في تاريخ الأمازيغ هناك عدة اتحادات لقبائل بغرض صد الخطر أو الغزو الخارجي مثل ما حدث في عهد ماسينيسا وكذا اتحاد يوغرطة، وأيضاً اتحاد بقيادة فيرموس ضد الرومان قبل الإسلام، أما بعد الإسلام فقد اتحادات أو اتحاد قبائل الأمازيغ في دولتي الموحدنين والمرابطين، وكذا الاتحاد الذي جمع قبائل زناتة خلف ميسرة المطغري. أما فيما يخص العرب فقد فشلت محاولات الوحدة التي قامت في الجاهلية بسبب تغلب عصبية القبيلة رغم قيام ممالك عربية في الجنوب والشمال فلم تنصهر هذه القبائل رغم خضوعها لسلطة بل ظلت كل قبيلة متمسكة بكيانها لكن بعد ما جاء الإسلام حارب العصبية القبيلة والفخر بالأنساب وجعل المسلمين أمة واحدة يربطها الدين. راجع محمود عكاشة، تاريخ الحكم في الإسلام، ص: 62-63.

(د) البطن: وهي نتيجة الانقسام الذي يحدث في عمارة أي مرتبة الاعلى وهذا نتيجة أيضاً كثرة النسل. ومنه، إذا تضخم تعداد البطن نجد أنفسنا في مرتبة أخرى متمثلة في الفخذ.

(هـ) الفخذ: يقترن لدى العرب بمرتبة بني هاشم.

(و) الفصيلة: يمكن أن نصنفها أنها آخر مراتب القبيلة. وبالتالي، بسبب واحد لبروز هذه المرتبة

وهي تشعب أعداد الفخذ نتيجة التعداد الديمغرافي وقد ذكر الله جل جلاله الفصيلة في القرآن الكريم ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ (سورة المعارج الآية 13) ومنه، ومن خلال سرد التقسيم القبلي وجدت ملاحظتين وهي مشتركة بين كل من العرب والأمازيغ.

أولهما: أن الخاصية الأبرز لبناء القبلي هي اللجوء للانفراد والتجزئة نظراً لما تملبه العصبية القبلية. وعليه تصبح الخاصية السوسولوجية هي أفضلية الفرد في القبيلة الارتباط بمن هو أقرب نسباً إليهم، أي كلما زاد العدد وجدت مراتب جديدة تؤدي إلى خاصية مفادها أنه كلما بُعد النسب بعدت معه روابط الالتحام والتكتل، بحكم أن المصلحة المشتركة تكون دوافعها أقوى في التجمعات الصغرى.

ثانيهما: إن استمرارية النظام القبلي في العصر الوسيط في كل من العرب والأمازيغ هو إضافة عناصر جديدة، حيث القبائل الأمازيغية والعربية أصبحت بمرور الوقت تمتص عناصر جديدة وتلحقهما بها شيئاً فشيئاً. ونتيجة تضاعف تعدادها ومجهودها البشري وهذا ما ساعدها على البقاء. وعليه، فنظام القبيلة لدى العرب والأمازيغ لا يكون أساسها النسب، وإن كان ذلك ظاهرياً فإنما تكون عوامل أخرى مجملها هو امتصاص فئات أخرى ضمنها وتبنيها بواسطة الاستلحاق¹، وهذا عن طريق ثلاث وسائل.

1- بوزباني دراجي، ملامح المجتمعات المغاربية، ص: 121.

وكمثال على الاستلحاق الجماعي يمكن أن نضرب مثل بيطون قبائل بني هلال وهم العمور الذين يرى ابن خلدون أنهم أحقوا بالأثيغ "ويحلف بمؤلاء الأثيغ العمور... ولا نجد بينهم انتماء بالجملة". راجع: ابن خلدون، العبر ج7، ص: 55.

1- الحلف والجوار: ويعرف بنسب الاستلحاق سواء إلحاق شخص أو جماعة أو قبيلة بأسرها بنسب معين فتدوب فيه مع مرور الوقت.

2- العتق: وهذا بعتق أسير أو عبد أو دماجه في القبيلة بمعنى نوع من التبني.

3- الولاء: وقد استعملته القبائل العربية مع القبائل الأمازيغية وسنخصص له عنصر لشرحه لأنه يعتبر عاملاً من عوامل التعريب.

وهنا لزم أن نشير إلى أن بناء التقسيم القبلي الذي سرد سابقاً يستثنى منه العشيرة، حيث كما سبق الذكر فالعشيرة هي في الحقيقة الجوار وليس النسب¹. وبهذا، إذا ما ركزنا على آليات بناء التقسيم القبلي من ناحية النسب، فإنه يستثنى منه العشيرة، أما إذا ما أضفنا الاستلحاق فإنه يضاف إليه العشيرة، وعليه، فالعشيرة² تكون عن طريق الولاء وهو عامل من عوامل التعريب.

ثانياً: التمايز الاجتماعي (نظام الولاء).

إن لفظ الولاء يرتبط بالسلطة والحرب - خاصة في النظم العسكرية- وبالأرض والمحافظة عليها في البيئة الزراعية، والقبيلة أو العشيرة في البيئة الصحراوية³، وقد اكتسب مفهوم الولاء أهمية كبرى لعلاقته بتماسك

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 118.

2- العشيرة: شعور الانسان بضرورة اجتماعية مع غيره، و بجمعية الحياة مع الآخرين والتعاون معهم. وتعتبر العشيرة قبيلة مصغرة واللحمة في العشيرة تكون أقرب وأمتن ولها وظائف اجتماعية، فالباحثون المحدثون في المجتمعات الانسانية قد اهتموا بموضوع العشائرية، حيث تبين لهم بأن المجتمعات البشرية عرفت ثلاثة أنواع هامة من العشائر.
أ- العشائر الطوطمية: يعتقد أعضاؤها أنهم ينتمون إليها روحياً.

ب- العشيرة الطوطمية الإقليمية: تتميز بوحدة الطوطم والإقليم. راجع بوزياني الدراجي، ملامح المجتمعات المغاربية، ص 117

ج- العشيرة الإقليمية: تتميز برابط الإقليم الواحد ويرى الباحثون ان هذا النوع من العشائر يغلب على الفئات البشرية التي تتدرج نحو ترك البداوة واختيار الاستقرار: حيث يتعاطون مهنة الفلاحة وهي التي انتشرت في بلاد الأمازيغ. نفسه، ص134-135.

3- جوزيا رويس، فلسفة الولاء، ترجمة أحمد الأنصاري مراجعة حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2002م، ص: 05.
ويضيف بوزياني الدراجي، ملامح المجتمعات المغاربية، ص: 151: "فتتجلى من خلال البيئة المحيطة ببعض القبائل الصحراوية التي تضطرم بحكم الجفاف وانحباس الغيت إلى الزحف طلباً للكأ والماء نحو المناطق الخصبة، ملحققة من قبل الآخرين، حيث كانت القبائل الصحراوية في الجنوب المعروفة باسم جدالة أو كدالة".

المجتمعات وتطورها¹، وفلسفة الولاء تؤكد على صنع الفرد، فالإنسان بطبيعته كائن اجتماعي، لا يجيا بدون العواطف الاجتماعية، ومن الضروري أن يتواجد مع الآخرين²، الأمر الذي يتطلب منه دائماً التضحية بالذات لتوافق الجماعة³، وبهذا يقوم الولاء بتحويل التضحية بالذات إلى تأكيد لها، وما يهمنا في بحثنا هو الولاء وعلاقته بتعريب الأمازيغ، حيث يذكر محمد بن حسن "أن البربر الذي ارتبطوا بالعرب عن طريق ظاهرة الولاء قد نزعوا إلى هضم الثقافة العربية بكل جوانبها وعلى الخصوص الجانب الجنياولوجي، الذي يمنحهم شرعية المشاركة في الحياة السياسية والصعود في السلم الاجتماعي، وشرف الانتساب، وبهذا يخرجهم من مأزق الشعور بالنقص والاحتقار"⁴. وفي إطار العلاقات بين القبائل الأمازيغية والعربية، نلاحظ أن النسب القبلي لا يعني بالضرورة أن القبائل كانت مغلقة في إطار النسب، بل إن الجماعات أو الأفراد قد تنضوي تحت راية قبيلة أخرى سواء بالولاء أو الحلف، لتدخل بمرور الزمن في نسبها⁵، وبهذا فإن الأمازيغ الذين انضوا تحت سلطة القبائل العربية بواسطة الولاء، أصبحوا يحسبون أنفسهم من ذوي الأنساب العربية⁶، ومع انتشار الإسلام في بلاد الأمازيغ انتشرت اللغة العربية، وقد ساعد على انتشارها نظام الولاء، ففي مجتمع وحدته الأساسية هي القبيلة التي تعني ظاهرياً تقابل الأنساب، كان غير العربي (الأمازيغ مثلاً) الذي يدخل في الإسلام لا يجد محله في المجتمع (خاصة في المدن) إلا بالارتباط بالولاء⁷ بشخص أو بعائلة أو بقبيلة.

1- جوزيا رويس، ص: 05.

2- سمي الإنسان إنساناً من كلمة أنس، أي كائن من الضروري أن يأنس مع غيره، أو بعبارة أخرى كائن اجتماعي يلزمه التواجد مع غيره.

3- جوزيا رويس، ص: 13.

4- محمد بن حسن، الأصول التاريخية لتعريب المغرب العربي، ص: 120.

5- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، ص: 24.

6- بوخالفة نور الهدى، ص: 425.

7- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص: 51، 52. حيث يذكر أن جذور الولاء في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام كان يحصل بثلاث وسائل العتق، الحلف، أو الحماية، يمكن لجماعات أن ترتبط بقبائل قوية بالحلف (موالي الموالاة) ومع مرور الزمن ينتسب إليها وقد ارتبط الولاء في اليمن بمجال الاقتصادي (الفلاحة) فكل قبيلة تحتاج إلى يد العاملة. وبالتالي، الاستعانة بجماعات خارجية لاستقلال الأرض. وعليه، ترتبط بالقبيلة نتيجة المصالح المتبادلة سواء طلب في الحماية مقابل العمل في الأرض.

ومنه يصبح من الموالي* ، وكانوا هؤلاء يتعلمون العربية بمجرد دخولهم إلى الإسلام وبهذا فإنه بمجرد إتقانهم اللغة العربية بمخارج حروفها وصفاتها يطلق عليهم العربون أو المستعربون، وقد أطلق هذا المصطلح من قبل اللغويين على القبائل العربية التي كانت في الشام قبل الفتح، وهكذا فقد ساعد الولاء على انتشار العربية وتوسيع التعريب، مع أننا لاحظنا أن الولاء لا يساوي النسب تماماً، فإنه أدى إلى الاندماج ونتيجته توسيع العروبة بتجاوز إطار النسب القبلي¹.

وكان الولاء يحمل في بلاد الأمازيغ معنى الإسلام والتعريب في آن واحد²، وبذلك كانوا يرون أنه من دخل الإسلام صار عربياً*. ولزم الإشارة أن صلة الموالي بالعرب في القرون الأولى للهجرة لم يشمل جميع المسلمين غير العرب، بل اقتصر على من جاء المدن والمراكز التي أسسها العرب. وبهذا، فالأمازيغ الذين تواجدوا على مقربة من المحاور العربية (المراكز العربية)³ كالقيروان وفاس وتيهرت. تعربوا بوسيلة الولاء.

*- الموالي: الموالي لها معان كثيرة في اللغة منها الموالي بمعنى السيد أو الحليف... كما يذكر أنهم أسرى الحرب ويكونون طبقة وسطى بين أسيادهم العرب وبين الذين ليسوا عرباً... كما أنهم يحاربون مع أسيادهم الذين سيطروا عليهم بالعنف. كما نشأ نوع آخر من الموالي سماهم. ابن خلدون موالي الاصطناع أي أن يختار الخليفة أو الأسر جماعة يلحقهم بنسبه، كما فعل هارون الرشيد مع البرامكة، والمعتمض مع الترك. لمزيد من المعلومات راجع محمد بديع شريف، صراع بين الموالي والعرب، دار الكتاب العربي، مصر، 1954م، ص: 23. وتاريخياً فإن الجماعات الأولى من الموالي (هم أسرى الحروب)، ووسيلة الانتساب إلى القبيلة هي العتق بحكم أنهم أصبحوا عبيداً لدى أسرهم، بسبب وجود حروب عديدة بين القبائل العربية قبل الإسلام وبمجيئ الإسلام أصبحت لحة الجزيرة العربية أكثر تماسكا فأوقف عمر بن الخطاب سبي العرب للعرب فاندثرت كلمة مولى التي ترتبط بالعربي، لذا صارت كلمة الموالي تشير إلى المسلمين غير العرب مع اتساع حركة الفتوحات الإسلامية. بينما كلمة حليف تشير إلى العرب. وتطور مفهوم الولاء لدى الإمبراطوريات العربية الإسلامية ففي العصر الأموي صنف الخليفة عمر بن عبد العزيز الموالي حسب وسيلة الولاء. مولى عقد (الاتفاق)، مولى عتاقة (العنف)، مولى الرحم. راجع عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية ص: 53.

ويضيف هشام جعيط، ص: 154 أنه: "لا بد من التفريق بعناية بين الوالي القادمين من الشرق والموالي الموجودين على عين المكان والذين أدمجوا عمليا في القطاع العربي للمجتمع. فموسى بن نصير نفسه كان موالي، وكذلك نفس الامر بالنسبة إلى عدد من ولاة إفريقية من بعده".

1- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 53.

2- نفسه، ص: 53.

*- اختلفت معاني التعريب في كل من المشرق والمغرب، ففي بلاد المغرب اقترن التعريب بالإسلام في حين المشرق يمكن أن نجد مسيحياً متعرب. وبالتالي، وجدت هوة بين الإسلام والتعريب. في المشرق العربي.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 53، 79.

فالولاء ارتكز جغرافياً بالدرجة الأولى في المراكز الحضارية، ولهذا نجد أن نوعية الموالي، كانت من مختلف فئات المجتمع الأمازيغي، فمنهم التجار، والحرفيون، والنازحون والعاملون في الدواوين وكذا المحاربون في الجيش العربي، ولهذا كان أسرع الموالي إلى إتقان اللغة العربية هم المساهمون في الحياة العامة ثقافية والإدارية، وخاصة الموالي الذين ارتبطوا بشخصية ما، وهم موالي عتق هؤلاء وجدوا في السنوات الأولى من الفتح، وعلى سبيل المثال فقد أعتق الخليفة عثمان رضي الله عنه "وزمار بن صقلاب (صولات) وهو أمير قبيلة "مغراوة"¹

وسائر "زناتة"²، حيث أرسل الأمير إلى الخليفة "عثمان بن عفان" رضي الله عنه إلى المدينة المنورة "فأسلم على يده، ومنَّ عليه³ وأطلقه وعقد له على قومه"⁴. وبهذا يستخلص أن إسلام قبيلة مغراوة كان سببه إسلام أميرهم التي أوكلت له مهمة نشر الإسلام، وبالتالي نشر اللغة العربية بين قومه حين عودته من المدينة المنورة. وكانوا من المواليين للأُمويين دون غيرهم، بسبب ولاء جدهم، وقد كثر موالي العتق في زمن موسى بن نصير، حيث كان يجري العتق في بعض السبي ممن وجد فيهم فطنة وقوة وبأس وإقبال على الإسلام، فيلحقهم بالجهاز العسكري (الجيش) فامتألت الجيوش الفاتحة بسبايا الأجناد، ولعب الموالي من العتقاء دوراً أساسياً لدرجة أن الجيش الذي خرج مع طارق بن زياد لفتح الأندلس أكثره من موالي العتق⁵، ويبدو أن موالي العتق اندمجوا في الحياة العربية لدرجة أنهم انتسبوا إلى بعض القبائل العربية، فالتبس الأمر عند الإخباريين العرب⁶، وبهذا

1- تعتبر مغراوة من القبائل "البترية" وهم من أبناء مغراوة بن يصلتين وجدهم الأكبر "زانا ابن يحيى" أي بطن من بطون زناتة، تمتد مواطنهم ضمن المغرب الأوسط من تلمسان إلى شلف وحتى جبال مديونة، راجع بوزياني دراجي، القبائل الأمازيغية، ج1: ص 172

2- زناتة بطونها جراوة، بنويفرن، مغراوة، بنويزنيات، وجديجن، واغمرت، بنوواركلا. المرجع بوزياني دراجي، القبائل الأمازيغية، ج1: ص: 176.

3- "من عليه" يقصد بهم سائر قبيلته.

4- يذكر ابن خلدون أن "صولات" ذهب إلى المدينة المنورة إما أسيراً أو وافداً وهو أمير قبائل. (بنودمر، بنووامانوا، بنويلومي، بنو واسين). راجع ابن خلدون، العبر، ص: 215، 216.

5- ابن عذاري، البيان، ج 2، ص: 09.

6- مثلاً ابن عبد الحكم فتوح ص210 يسميه طارق بن عمرو، أما ابن عذاري المراكشي بيان المغرب ج2 ص5 فيرجع أصله على أنه فارسي.

فإن دخول الأمازيغ للإسلام بوسيلة الولاء ليصبحوا موالي العتق، كان سببه ديني وهو اعتناق الإسلام، لتصبح النتيجة سسيولوجية، وهي انتماؤهم إلى العروبة، وبذلك نسوا بمرور الزمن أصولهم وانتسبوا إلى العرب¹.

ونذكر علي سبيل المثال لا الحصر فقد انتسبت إلى العرب أسرة من مصامدة في إقليم طنجة التي عبرت الأندلس عند الفتح واستقرت هناك، وينتمي إليها يحي بن يحي الليثي المتوفي سنة 233هـ من فقهاء المالكية، وأحد قضاة الأندلس، وكان أبوه يحي بن وسلاس، شارك هذا الأخير مع ابن أخيه نصر بن عيسى في فتح الأندلس ضمن جيش طارق بن زياد، وسبب انتماء هذه الأسرة إلى ليث هو اسلام جدهم وسلاس على يد يزيد بن عامر الليثي²، ومن مما سلف الذكر، فإن من أسباب الولاء هي الحصول على درجة اجتماعية لمسيرة السلطة السياسية آنذاك، والمثلة في الرقي الاجتماعي، يذكر عبد الله العروي: "أن سبب نجاح أسلمة كل البربر هو توفيق العرب الفاتحين في توظيف نظام الولاء لصالحهم أي نجاح السيولة (النقلة)³ ويوافق في الرأي هشام جعيط الذي يؤكد أن "العناصر التي تعربت وأسلمت عن طريق روابط الولاء"⁴، حيث استطاع بواسطته رؤساء الأمازيغ أن ينظموا إلى أسياد العرب ونبلاءهم. وبهذا يحافظون على سلطتهم، أي أن نظام الولاء خاصة في فترات الفتوحات الراشدية وُضِفَ بطريقة جعلت الأمازيغ لا يشعرون بدونية ولا فوقية خصوصاً أنهم عايشوا الرومان والوندال والبيزنطيين، ورأوا قصورهم وعنصريتهم في هذا الجانب، فالإسلام يجذب الولاء للإنسانية⁵. وبهذا سقطت معه الولاءات القبلية، الإقليمية والشعبوية لقوله تعالى في سورة الحجرات، الآية: 13 "يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"

1- بوخالفة نور الهدى، ص: 431.

2- نفسه، ص: 432.

3- عبد الله العروي، ج1، ص: 132.

4- هشام جعيط، ص: 157.

5- حلمي مرزوق، أصول العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجموعة بحوث، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2000م، ص: 190. "الإسلام ليس ديناً عرقياً ولا يختص بعرق دون عرق وليس من صنع قومية معينة. وبالتالي، هو ليس من معطيات العرب ولكن من فضل الله عليهم".

والدليل على ذلك حين جعل "حسان بن نعمان" هلال بن شروان اللواتي¹، وأبناء الكاهنة على رأس جيوش الأمازيغ ومنه نظام الولاء جسد نظام المواطنة في الإسلام²، حيث طبق تعاليم الإسلام السامية في بناء مجتمع على أساس العدالة العالمية متحرراً من القيود العبودية والظلم الاجتماعي ومقياس التفاضل، وكان أول لبنة لنظام المواطنة ما أقره الرسول ﷺ عقب هجرته إلى "يثرب" (المدينة المنورة)، فنص ﷺ أن المهاجرين والأنصار من قريش وأهل يثرب هم أخوة في الدين تجسيدا لقوله تعالى في سورة الحجرات، الآية: 10 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. وبالتالي، فإن الروابط التي تربط أفراد المجتمع الإسلامي هي روابط عقائدية³ وهذا لبند العصبة القبليّة، حيث أن الإسلام أعطى لرابطة الإيمان الديني أهمية كبرى وأسمى من رابطة التعصب القبلي، فالولاء للدولة الإسلامية والتمتع بحقوق المواطنة كاملة أساسه اعتناق الإسلام⁴، وهو الأمر الذي شجع الأمازيغ لاعتناق الإسلام، وقام بتنفيذه "حسان بن نعمان" حين أوكل الجيش لأبناء "الكاهنة" الذين أسلموا بناء على وصية والدتهم، وجاء نظام الموالي⁵ وهم أهل البلاد المفتوحة من المسلمين غير العرب، لكن حقوقهم متساوية مع العرب المسلمين وقد أكد ذلك الرسول ﷺ بقوله "مولى القوم منهم"، فكان كل فرد من غير العرب من أبناء الدولة الإسلامية يصبح مولى إذ اعتنق الإسلام. وبهذا ينال مواطنة كاملة خاصة من الناحية الاجتماعية.

(IV) العوامل العسكرية:

أولاً: نظام الرهائن والتطوع في الجيش.

- 1- عبد الحميد حسين حمودة، ص: 167.
- 2- إبراهيم أحمد العدوي، نظام المواطنة في الإسلام ومنجزاته للحضارة العربية، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامي، بحوث تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2000م، ص: 169.
- 3- هشام موساوي، النظام الاجتماعي في الإسلام، دار الصفوة، بيروت، لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ ص: 40.
- 4- إبراهيم أحمد العدوي، ص: 170.
- 5- استمد نظام الموالي من مفهوم اجتماعي جاهلي هذبه الإسلام، فكان العرب في الجاهلية يطلقون "موالي الرجل" على حلفائه أو أفراد عصبته. راجع إبراهيم العدوي، ص: 172.

لقد لاحظنا في الفصل الأول إلى أنه قد التحق في السنوات الأولى للفتح الإسلامي (فترة عقبة رضي الله عنه وأبي مهاجر دينار) عدد من الأمازيغ الداخلين حديثاً إلى الإسلام في صفوف الجيش العربي الفاتح¹، لكن المصادر لا تفيدنا بمعلومات كافية بخصوص هذا الشأن، أما فترة "حسان بن نعمان"² فقد استخدم هذا الأخير نظام الرهائن، ونتج عنه اندماج الأمازيغ في الجيش، والمتمثل بأخذ الرهائن من بين أبناء رؤساء القبائل ويعتبر هذا الشرط الذي سبق أن تطرقنا إليه في الفصل الأول في عنصر آلية الجباية الإسلامية أحد العوامل الذاتية الهامة في اعتناق الأمازيغ للإسلام، وبالتالي تعريبهم بحيث أن الشرط لم يكن من استحداث العرب وإنما كان عرف في قبيلة لواتة كما سبق شرحه آنفاً، وبهذا فهؤلاء الرهائن ينشؤون في بيئة جديدة (إسلامية)³ ويحتكون بالمسلمين وعند عودتهم إلى دُوِيهم يصبحون نموذجاً بما تمنحه لهم الثقافة العربية الإسلامية.

وبالتالي، تعتبر مؤسسة الجيش في إفريقية وسيلة جبارة لتحقيق كل من الأسلمة والتعريب⁴، فقد جُند الأمازيغ في أعمال الفتوحات بقيادة زعمائهم المحليين القبليين شريطة أن يعتنقوا الإسلام. وعليه الحصول على امتيازات مادية بإدخال أسماءهم ضمن ديوان العطاء، سيجعل من الأمازيغ يتسابقون للتطوع في الجيش، بالرغم من أنهم كانوا في صدام مع هذا الجيش سابقاً⁵، ويرجع هذا بسبب المغريات المادية التي سوف يتم التطرق إليها في العوامل الاقتصادية، وهو الأمر الذي نستنتج منه وجود نوع من التناقض الذي أنتجته المؤسسة العسكرية

1- هشام جعيط، ص: 72.

2- كان جيش إفريقية يتكون في الأصل من جنود مصريين أي من عرب مصر، ثم انفتح مع "حسان" و"موسى" على الأمازيغ التي تجندت من بينهم وحدات عسكرية إضافية. راجع هشام جعيط، ص: 139.

3- العربي العقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية ص: 19.

4- هشام جعيط، ص: 20.

5- نفسه، ص: 99: "... ذلك أن البربر قبائل الرحل لم يدخلوا في المسيحية قبلاً. وأن العرب أشركوا قسماً كبيراً منهم في الجهاد. أما الحضرة فيحافظون على ديانتهم ويقبلون بالجباية في كل بلاد الإسلام، وهذا ما حدث في إفريقية، حيث أن الروم والأفارقة والبربر الخارجون عن الإطار القبلي يدفعون دون شك الخراج والجزية ويخضعون للقانون العام للجباية الإسلامية". وسنضيف هنا أن خزينة الدولة الأموية كانت تعتمد أساساً في مواردها على جزية أهل الذمة (المسيحيون واليهود) وبإسلام الأمازيغ قد نقصت موارد الدولة وهذا ما يفسر مطلبتهم بالجزية رغم إسلامهم في عهد الحبيب لأن ذلك كان سيدخل الدولة الأموية في ضائقة اقتصادية خاصة في بلاد الأمازيغ.

للجيش الفاتح (ويتمثل التناقض في أن الأمازيغ تصادموا مع الجيش العربي الفاتح بالأمس، هذا الأخير نفسه سيتسابق الأمازيغ للتطوع فيه واجتياز ضفة البحر المتوسط فاتحين بذلك الأندلس¹).

وعليه، فإن فتح الأندلس كان معجلاً لإسلام الأمازيغ وتعريبهم²، وهذا باندماجهم في جيش طارق ابن زياد الذي كان نفسه أمازيغي مسلم بالولادة، وسواء أكان إسلام هؤلاء الذين اشتركوا في الفتح عن عقيدة أو مطامع أخرى، فإن الجو الديني والخطاب الحماسي لطارق واختلاط جند الأمازيغ بالعرب، كلها عوامل أدت إلى تثبيت إسلام الأمازيغ، وكذا تعريبهم، وأكبر دليل على ذلك خطبة طارق ابن زياد التي تنقلها المصادر بالعربية (راجع ملحق رقم 10)، وهنا نتوقف لنناقش خطبة طارق بن زياد حيث يذكر محمد شفيق "يصعب التسليم بأن طارق بن زياد خطب في جنده بالعربية ففهموا عنه بدون وساطة، إننا نرجح إما يكون خطب فيهم بالعربية أو ترجم عنه وإما خطب فيهم بالأمازيغية ونقلت خطبته فيما بعد بالعربية، مع ما يحتمل ذلك من زيادة أو نقصان أو تبديل، فإن كان من غير الممكن أن يكون طارق جاهلاً بالعربية نظراً لقدم عهده ولزومه لمولاه موسى بن نصير، ولكن ليس من المحتمل ولا من الممكن أن يكون جنده يمتلكون كلهم أو جلهم ناصية الضاد"³، أما عبد الله كنون يؤكد أن خطبة طارق بن زياد كانت بالعربية ويستشهد بالعناصر التالية⁴:

(1) طارق بن زياد أصله أمازيغي لكنه نشأ في بيئة العروبة والإسلام.

(2) لقد ولد مسلماً فوالده كان قد أسلم أولاً، والدليل اسم والده زياد وهو اسم ليس أمازيغي.

1- جيش طارق بن زياد جيش أمازيغي بدرجة أولى، حيث وجد 27 عربي فقط.

2- حسين مؤنس، ص: 292.

3- محمد شفيق، ثلاثة و ثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 93.

4- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الجزء الأول، بدون دار نشر، دار النشر، سنة 1960م، طنجة، المغرب، ط2، هامش رقم 01 ص: 23.

(3) الإبداع في اللغة العربية ليست من اختصاص العرب فقط، فالذي أسس النحو العربي وقواعده ليس عربي وإنما فارسي نعي بذلك سيوييه الذي اشتهر بتأليف "الكتاب".
وعليه حسب تحليل عبد الله كنون فطارق بن زياد يعتبر نموذج من الأمازيغ المستعربون الذين فقهوا اللغة العربية.

من خلال تحليل موقف كل من محمد شفيق وعبد الله كنون، فإننا نرجح نظرية إلقاء الخطبة بالأمازيغية¹ أصلاً، كونها أثارت في نفوس الجنود الأمازيغ حماسة الجهاد، مع عدم إلغاء طرح عبد الله كنون فكل ما ذكره حول طارق بن زياد صحيح لكن المشكلة ليست في طارق بن زياد، وإنما في جيشه، وحتى وإن فرضنا أنه صاغ الخطبة بتلك البراعة وألقاها باللغة العربية، فكيف فهمها جموع الأمازيغ المكونين للجيش، مع العلم أنه وجد في جيش طارق بن زياد 27 عربياً فقط، الهدف من تواجدهم تعليم الدين واللغة العربية للأمازيغ، وبالتالي فإنه من المستحيل أن تكون الخطبة قد أُلقيت بالعربية.

وللعودة إلى دور العامل العسكري في تعريب الأمازيغ، وكمثال دائماً نأخذ نموذج الجيش الفاتح للأندلس الذي غالبته أمازيغية وهم بذلك مسلمين أصلاً، أي أن شرط الانخراط في الجيش هو اعتناق الإسلام، حيث أنهم جسدوا هذا الشرط، وبقي بذلك التفقه في الدين ولا يتم إلا إذا أتقن الشخص العربية وهنا جاء دور السبعة والعشرين عربياً في جيش فتح الأندلس لانتقال من الاعتناق الأولي للإسلام إلى التفقه في الدين وبالتالي تجسيد مرحلة التعريب.

V - العوامل الاستراتيجية :

لقد وجدت فترة أسس فيها الأمازيغ دواً إسلامية مستقلة عن الخلافة في الشرق، وهذا بسبب جور ولائها، لكن احتفظوا بالمرجعية الدينية (الدين الإسلامي)، هذه المدن الجانبية التي أسسها الأمازيغ ساهمت في

1- محمد شفيق، ثلاثة و ثلاثون قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 93.

استكمال تعريب باقي الأمازيغ، ورغم أن هذه المدن تندرج ضمن ما يصطلح عليه بـ(مدن المحاور الجانبية) أي المدن المستقلة عن خلافة الشرق، والمؤسسة من طرف شخصيات نافذة عن السلطة في المركزية بالشرق وهي متعاكسة تماماً مع المحاور الأصلية التي سبق أن درسناها في الفصل الأول، أي مدن المحاور الأصلية المرتبطة بالمركزية في الشرق ومؤسسة من طرف العرب سياسياً، إلا أنهما (المحاور الأصلية والجانبية) متوافقتان ثقافياً ومكملتان لبعضهما فيما يخص تعريب الأمازيغ ونذكر على سبيل المثال منها.

أولاً: تاهرت.

إن مدينة تاهرت قديمة ترجع تاريخها إلى العصر الروماني ثم البيزنطي¹، وقد كانت مهد الدعوة الرستمية نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم، حيث تم اختطاط تاهرت الرستمية سنة 161هـ (777م-779م) على حد تعبير ابن عذاري "إذ كان لا بد من تنظيم دعاية واسعة النطاق للمذهب الإباضي² بين قبائل المنطقة وقد استغرقت الدعوة خمسة عشرة سنة"³، والملاحظ هنا أن موقع تاهرت يشبه إلى حد كبير موقع القيروان، إذ أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها، وهي تمثل موقعا استراتيجياً لمنطقة يحيط بها الأعداء من كل جانب، كما أنها ملتقى الأنهار*. وبعد أن بويع "عبد الرحمن بن رستم" بالإمامة سنة (160هـ/ 776-777م) تم اختيار موضع تاهرت لأسباب استراتيجية نذكر منها:

- مكان يتوسط التل والصحراء.

- مركز القبائل البترية (لواتة، هواره، زواغة ومطماطة).

1- غوتيه، ص: 322.

2- لقد سبق التطرق إلى دور الفقهاء المذهب الخوارج في أسلمة وتعريب بلاد الأمازيغ، وبالتالي، يستخلص أن اعتناق مذهب الخوارج كان محفزاً للتعريب حيث انه لفرض حجة مذهب الخوارج كان لزاماً للتدريس بالعربية وبالتالي النتيجة أوجدت التعريب.

3- ابن عذاري، البيان، ص: 196.

*- لقد سبق الذكر أن اختيار المدن (الحواضر الإسلامية) يرتكز أساساً إلى وجود منابع المياه، وإن لم توجد وجدت إنجازات كآبار حديج، الفرس، إلخ. فالمياه عنصر أساسي للاستقرار. ومنه، بعث الدعوة ونجاح الأسلمة مع التعريب.

- منطقة غنية بالمياه والمراعي.

كما وجدت أساطير حول لبنة بناء تاهرت تشبه إلى حد كبير ما تم تأريخه لبناء القيروان، حيث يذكر سعد زغلول عبد الحميد أن "منادياً نادى في الحيوانات التي كانت تسكن موضع تاهرت (الغابة) بأن يخرجوا بسبب بناء المدينة، وأنهم مسلمون ومن أتباع الرسول ﷺ، فخرجت هذه الأخيرة ملبية النداء، حيث تجسدت المعجزة وبهذا عمدوا إلى تنظيف المكان من الأعشاب والشجيرات فأطلقوا النيران"¹، وربما يرجع السبب إلى وجود النيران، وهو الأمر المقبول، إذ يذكر عصام الدين عبد الرؤوف الفقيان أن "خروج السباع (الأسود) والحيات (الأفاعي) كان بسبب النيران"²، ولربما هذا ما حدث أيضاً مع عقبة بن نافع رضي الله عنه، فاعتبرها أهل السنة من كرامات "عقبة" رضي الله عنه وكذا اعتبرها الإباضية من كرامة "عبد الرحمن بن رستم"، وكما جرت العادة عند بناء المدن الإسلامية التخطيط لبناء المسجد. وهكذا بدأ بتخطيط المسجد الجامع، ثم جاء دور اختطاط المنازل والأحياء وقد ذكر البكري: "أن تاهرت كانت أول وهلة منذ بناءها معسكر"³ للجماعة الإباضية "وسمي الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم إلى اليوم" أو "المعسكر المبارك"، ويضيف نفس المصدر "أن الظاهر أنه بعد أن تم بناء تاهرت الجديدة لتكون حرزاً وحصناً للإسلام. وأخذت وفود القبائل البربرية تأتي من الأقاليم المجاورة لبيعة الإمام"⁴. وما يمكن تمييزه هو أن "تاهرت" كانت قاعدة "عبد الرحمن ابن رستم"، حيث عاشت الجماعة الإباضية في "تاهرت" في ظل إمامة "عبد الرحمن ابن رستم" الذي وافته المنية سنة 784هـ/168م نظاماً مثالياً يحقق العدالة والمساواة بين جميع أطياف المجتمع، وهذا ما شجع على اعتناق قبائل البربر الموجودون في المناطق النائية خاصة الجبال والهضاب الإسلام، إذ يستخلص مما سبق ذكره أن هناك

1- سعد زغلول، ج2، ص: 297.

2- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والاندلس، مكتبة نهضة الشرق، ص: 55.

3- يمكن تشبيهها في أول بناءها إلى القيروان التي كانت أيضاً معسكر.

4- البكري، المغرب، ص: 69.

علاقة تكميلية بين مذهب الخوارج (الإباضية التي ذكرت في العوامل السياسية، ومحاور الإسلامية الجانبية (المدن التي أوجدت قاعدة الدعاية)، وتحلل المراجع اعتناق الإسلام بعبارة "أسلم البربر لما رأوه من عدل إمام الإباضية عبد الرحمن بن رستم"، هذا من ناحية، و من ناحية أخرى إشكالية علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ، هي علاقة المدن الإباضية مثل تاهرت عاصمة الدولة الرستمية بالتعريب، حيث هنا لا دخل للعرب بتعريب الأمازيغ، وتدخل المسألة إجمالاً في تعريب الأمازيغ لأنفسهم، وبالتالي تبني مذهب الإباضية سيضطر معه الأمازيغ إلى تعلم اللغة العربية، حيث أن المدن الخارجة عن نطاق السلطة العربية رغم أنها كانت عاصمة لدول أمازيغية بمرجعية الدين الإسلامي، إلا أنها هي الأخرى ساهمت في تعريب الأمازيغ بحكم وفود علماء الإباضية عليها من المشرق، فاضطر الأمازيغ إلى تعلم اللغة العربية كمرحلة أولى للتعريب.

ثانياً: المهديّة.

مؤسسها عبيد الله المهدي حيث تعود إلى فترة تولية معز عندما ارتحل إلى مصر، وعندما أراد عبيد الله المهدي أن يؤسس مركزاً لدولته مثل ما جرت العادة في العصور الوسطى، خرج سنة 300هـ الموافق 912م - 913م، فاختار موضعاً على الشريط الساحلي، ويعتبر موقع المهديّة شبه جزيرة ما عدا الجانب الغربي¹، وكان موقعها محط إعجاب لما يتميز به من حصانة جغرافية، وعن سبب بناء المهديّة يذكر البكري "وكان سبب بُنيان عبيد الله للمهديّة قيام أي عبد الله وجماعته من كتامة عليه وما حاولوه من خلعه"²، وقد أصاب في ظنونه، والدليل على ذلك أنه كان عالماً بظروف بلاد الأمازيغ من الناحية الجغرافية والسياسية، حيث ثار على الدولة الفاطمية ابن كيداد سنة 335هـ 946م، فحاصر المهديّة لكن فشل في اختراقها، وما يهمننا هنا هو دور المهديّة في تعريب الأمازيغ، حيث أن من أسباب بنائها إضافة إلى ما ذكر سالفاً، وهو السبب الاستراتيجي ويتمثل في

1- البكري، ص: 29.

2- نفسه، ص: 40.

كونها ستصبح مركزاً للدعوة الإسماعيلية (مذهب الشيعة) في مواجهة القيروان (المذهب السني المالكي)، وبهذا فإن التنافس المذهبي في مختلف الحواضر كان سبباً قوياً في تعريب الأمازيغ، وعليه فقد عرّب الأمازيغ انفسهم أولاً، لأن محور المهديّة مستقل عن أي سلطة في المشرق، وثانياً لأن المغالاة في التعصب المذهبي سيؤدي إلى التسلح بأبجديات الحرف العربي، بهدف الاقناع.

وعندما اكتمل بناء المهديّة سنة 308هـ 921م، صرح عبيد الله المهدي "اليوم آمنت على الفاطميات ويعني بناته"¹، وبهذا نستخلص أن الهدف الأساسي لبناء المهديّة أن تكون مركزاً لحاشية عبيد الله المهدي لأهل الشيعة² وبهذا فإننا نلاحظ التداخل بين العوامل الاستراتيجية والسياسية والدينية، كل ذلك كان عاملاً مهماً في تبني الأمازيغ للتعريب.

ثالثاً: فاس.

لقد تطرقنا فيما سبق إلى دولة الأدارسة، حيث أن بناء مدينة فاس مرتبط بمراحل دولة الأدارسة، وسنركز في هذا العنصر على بناء حاضرة فاس، إذ أن بدأ التضييق على الإمام وأتباعه من العرب والأمازيغ في قاعدة "أوليلي" (مدينة قبائل أوربة)، وكان لابد له من اتخاذ مدينة (محور إسلامي) جديدة أكثر اتساعاً وأكثر تمثيلاً لاتجاهه السياسي الجديد، وهو الاتجاه العربي الإسلامي. وفي هذه الظروف أعلن إدريس الأصغر سنة 190هـ/ 805-806م عن الانتقال من "أوليلي" ليتخذ مدينة جديدة يسكنها هو وأتباعه، وبعد محاولتين فاشلتين³ أسند الأمر إلى وزيره في اختيار الموضع وهو عمير بن مصعب سنة 191هـ، واختار هذا الأخير موضعاً لأحد روافد نهر "سبو"، وهو نهر فاس (أرض فسيحة تتوسط جبلين)، ولم يكن الموضع مهجوراً، بل كان موضع قبيلتين

1- البكري، المغرب، ص: 35.

2- ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 71.

3- المحاولة الأولى جبل بزalg عند سفحه الشمالي، لكن المشكلة تمثلت في السيول والانجراف. والمحاولة الثانية وادي سيو بالقرب من الينابيع الساخنة والمشكلة تمثلت في الفيضان. راجع سعد زغلول، ص: 445.

زنايتين هما **زواغة وبنويزغتن**، وهنا اشترى الإمام إدريس الأصغر الموضع من القبيلتين بستة آلاف درهم، ويذكر في سبب تسمية فاس كونها سميت بهذا الاسم لأنه لما شرعوا في بناء¹ أساسها يوم الفاتح من ربيع الأول 192هـ (4 جانفي 808م)، وضع الحجر الأساس للمدينة بأن دشنها، حيث قدمت له فأس يقال أنها مصنوعة من الفضة والذهب، وبهذا رفع إدريس يديه إلى الله متضرعاً قائلاً "اللهم اجعلها دار علم وفقه.."، ولهذا السبب سميت المدينة فاس، وسميت فاس مع تيهرت عند سعد زغلول (تيهرت بقيروان المغرب الأوسط) أما فاس (بقيروان المغرب الأقصى)²، وهذا ما يدل على أهميتهما الثقافية التي تشبه إلى حد كبير أهمية القيروان في أسلمة قبائل أمازيغ الشرق، أما تيهرت أسلمة قبائل الوسط وفاس أسلمة قبائل الغرب أو المغرب الأقصى.

وتذكر الروايات أن هذه القبائل كانت على النصرانية واليهودية وحتى منهم من كانوا على المجوسية الأمر الذي أدى إلى وجود حروب وصراعات بين القبائل البربرية. وبمجيئ "إدريس" صالحاً بينهم وانتهت هذه النزاعات نتيجة نشر تعاليم الإسلام، والملاحظ أن المصادر ركزت على الأعمال الباهرة والخدمات الجليلة التي رافقت بناء مدينة فاس، إذ ساهمت في دخول بقية قبائل البربر أصحاب الديانات والعقائد المختلفة إلى الإسلام³. وبهذا فإن تأسيس مدينة فاس من جهة وعدل "إدريس الأصغر" ومخيال دولة الإسلامية خاصة النسب الشريف⁴ الممتد من آل البيت من جهة أخرى أدى إلى اعتناق قبائل المغرب الأقصى الإسلام وحتى تعريبهم.

1- عبد الأحد السبتي، حليلة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م، ص: 30.

2- سعد زغلول، ص: 441.

3- نفسه، ص: 446.

4- تجدر الإشارة إلى أن دولة "الأدارة" عملت على توحيد المغرب الأقصى، تحت لواء أمراءها من العلويين أولهم "إدريس الأول" وكان للانتساب الأدارة إلى نسب الرسول ﷺ أثر كبير في توحيد القبائل المتنافرة. وبالتالي، استطاع "إدريس الأول" توحيد قبائل السهول الساحلية وقبائل المراعي. راجع عصمت عبد اللطيف دندش، ص: 41. ومن هنا بدأت مسألة النسب الشريف في بلاد الأمازيغ وهي إشكالية أخرى موازية مع إشكالية تعريب بلاد الأمازيغ.

(VI) - العوامل الاقتصادية:

- دور الاسواق في تعريب الأمازيغ.

إن التنظيم الدوري للأسواق في المدن التي بنيت من طرف العرب الفاتحين هي أداة جبارة لتعريب الأمازيغ، فالعامل الاقتصادي يعد من الأهمية بمكان حيث أنه يدعو إلى أخذ اللغة العربية لمصلحة الاكتساب¹، أي اكتساب اللغة بغرض التعامل الاقتصادي، حيث تعتبر الأسواق من المراكز الأساسية في المدن، وهي قاعدة تنطلق منها حركة التعريب الواسعة²، وبهذا فهي العمود الفقري لحركة التجارة والمحور الأساسي للحياة الاقتصادية، إذ فيها تجري عمليات البيع والشراء، لذا تعتبر الأسواق من أهم مظاهر الحياة الاقتصادية*، وبهذا انتشرت الأسواق في معظم المدن العربية لبلاد الأمازيغ واحتاجت هذه المدن إلى أسواق وهذه الأسواق تذكرها لنا المصادر كسوق بني هاشم، سوق الأحد وسوق اليهود ودار الإمارة وسوق الضرب³.

لقد اشتهر العرب منذ القديم بالتجارة التي تعد العمود الفقري للأسواق. وبدأت بوادر ظهور فئة من التجار من العرب والموالي قبيل نهاية العصر الأموي، وزادت العمليات التجارية من بيع وشراء في الأسواق إلى توسيع الصلات بين العرب وغيرهم وخاصة منهم الأمازيغ، ومع هذا الاحتكاك ازداد انتشار اللغة العربية (بمعنى التعريب)، حيث أن العربية هي لغة الأسواق الرئيسية⁴، وعلى سبيل المثال لا الحصر كانت القيروان التي تمثل مدينة عربية بحكم أن تخطيطها ركز على القبائل العربية المهاجرة، أما في محيطها فقد تشكلت من ملكية خاصة

1- مصطفى الزرق، الفكر الإسلامي ولغة القرآن عنصر ثقافي تطعم به اللغة القومية، مجلة اللسان العربي، عدد السادس، ص: 177، بمعنى يكتسب لغة للتعامل الاقتصادي.

2- بوخالفة نور الهدى ص: 434.

* - لقد لعبت الاسواق دورا هاما في شبه الجزيرة العربية وقد شاعت اللغة العربية منذ فترة ما قبل الإسلام بتأثير الاسواق مثل عكاظ وغيرها بالجوار والمصاهرة فتوحدت لغات العرب وتمثلت جميعها في لغة قريش. راجع: محمد عادل الشريف، العربية لغة عالمية خالدة لأنها لغة القرآن، مجلة لسان العرب، العدد السادس، ص: 125.

3- هشام جعيط، ص: 162.

4- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية ص: 73.

للأراضي كان أساسها الأمازيغ، وبهذا فقد اعتمدت أسواقها الرئيسية على توفير موادها الغذائية من ريف القرى القريبة¹، بمعنى التعامل مع الأمازيغ، ومنه صار في القيروان سوقاً رئيسية يلجأ إليها الفلاحون الأمازيغ لبيع إنتاجهم ولشراء حاجياتهم²، وبهذا نستخلص أن التجارة المحلية في القيروان كانت مرتبطة بالزراعة، وهذا يعني قدوم الفلاحين الأمازيغ إليها باستمرار، الأمر الذي نتج عنه احتكاكهم بالعرب وبذلك سيتعرضون إلى التعريب³، أي بعبارة أخرى التعامل الدوري بين الريف والمدن التجارية عن طريق الأسواق أدى إلى تعريب المتعاملين مع المدن التجارية. يذكر جورج مارسى حول هذا الصدد "كما أن التبادل الدوري للأسواق أجبر سكان الضواحي على تكلم اللغة العربية"⁴. وبهذا تشكلت في بلاد الأمازيغ طبقة من التجار المرتبطين بتجار العالم العربي، سواء كانوا عرباً أو مولدين أو معربين، أي أن الأسواق في بلاد الأمازيغ هي العلاقة الموجودة بين الريف والمدينة لحاجة المدينة إلى إنتاج الريف، وحاجة الفلاحين إلى بضائع المدينة، كما لا ننسى عاملاً آخر ساهم في تعريب الأمازيغ وهو مرتبط بالريف، والمتمثل في الهجرة من الريف إلى المدينة، وخاصة سنوات الجفاف والقحط، وكل هذا يقضي إلى توسيع انتشار اللغة العربية.

وللعودة إلى دور الأسواق في تعريب الأمازيغ، فإن هؤلاء كانوا مجبرين على تعلم اللغة العربية ليسهل عليهم بيع محاصيلهم الزراعية وشراء حاجياتهم اليومية، وسنأخذ عينات من الأسواق سواء في أدنى أو وسط أو أقصى بلاد الأمازيغ. فمن ذلك أسواق برقة (ودان، لمطة) وأسواق إفريقية، إذ نجد من أهمها وأشهرها سوق القيروان الكبير (السماط)⁵ "كان سماط سوق القيروان قبل نقله إلى المنصورية متصلاً من القبلة إلى الجوف

1- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية ص: 60.

2- بوخالفة نور الهدي ص: 202.

3- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية ص: 60.

4- جورج مارسيه، ص: 47.

5- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلام، دار المنار، القاهرة، ط1، 1988م، ص: 93.

وطوله من باب أبي الربيع إلى الجامع"¹، وكان بالسماط عدة أسواق متخصصة، نذكر منه سوق الجوهريين، وسوق البركة الذي تعرض فيه الرقيق والجواري، وسوق الأحد للصوف، وسوق الكتانين. وهناك ظاهرة فريدة في بلاد الأمازيغ لزم ذكرها وهي مرتبطة بالأسواق، أنه يمكنها أن تتحول إلى مدن حيث يذكر العربي عقون "أن بعض أسواق القبائل الأسبوعية تحولت إلى مدن وقرى بفضل النمو الديمغرافي وعلى سبيل المثال سوق خميس خنشلة الذي تحول إلى مدينة بومرداس، وسوق أربعاء نات إيراثن تحول إلى مدينة تيزي وزو، أربعاء نات مجالد تحول إلى قالمة"².

وعليه فإن حركة التعريب وإن كانت أبطأ من حركة الأسلمة فإنها ستغزو تدريجياً المدن التجارية³ ثم محيطها (الأرياف) عن طريق الأسواق، أي تندرج أيضاً ضمن علاقة الريف بالمدن العربية وتعريب الريف بوسيلة الأسواق.

VII - العوامل الدينية :

إن خير من سهل اعتناق الإسلام وانتشار اللغة العربية هو الإسلام نفسه، حيث يذكر "غوستاف لوبان" أنه "إذا حدث أن اعتنق بعض أقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين مما لم يروا مثله في سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل... فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب. ولا ديناً سمحاً مثل دينهم"⁴، والملاحظ أن إدراج مثل هذه التصريح لمؤرخ غربي يعود إلى إبراز أهمية العامل الديني في تعريب الأمازيغ.

أولاً: القرآن واللغة العربية.

1- البكري، المغرب ص: 25، 26.

2- العربي عقون، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الهامش رقم 03، ص: 168

3- عبد القادر جغلول، ص: 42.

4-غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 15.

لقد نشأ عند ظهور الإسلام تياران، وهما توسع دائرة الإسلام وانتشار العربية، وهما تياران¹ متلازمان في البداية، لكن كل واحد منهما اتخذ وجهته فيما بعد، وقد استمر تأثير الإسلام والعربية على العرب بتلازم² واضح طيلة خمس قرون الأولى، ولكن العربية لغة وثقافة هي التي رسمت في الأخير الحدود البشرية والجغرافية للوطن العربي.

وأول ما يتبادر إلى الذهن إشكالية نزول القرآن الكريم* باللغة العربية، وقد فصل في ذلك الإمام الشافعي في كتابه الرسالة، حيث استهل الحديث في هذا الموضوع بذكر ما يلي "إن موضوع العلم وجهان إجماع واختلاف، ومن الإجماع أن كتاب الله إنما نزل بلسان العرب، وقد ذكرت عدة آيات تفيد هذا المعنى** وبهذا أكسب القرآن اللغة العربية قدسية ودفع كل من اعتنق الإسلام إلى تعلم اللغة العربية"³.

فالشافعي أرجع سبب نزول القرآن باللغة العربية إلى ما يلي: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً"⁴.

ونفسر ذلك بأن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تملك ثمان وعشرين (28) حرفاً، ونعلم يقيناً أنه كلما زادت الأحرف كلما زادت الكلمات وأصبحت اللغة ثرية في مفرداتها ومعانيها، وقد استشهد الشافعي بآيات قرآنية في حجة أن القرآن الكريم محضٌ بلسان العرب، فالحجة في كتاب الله سورة إبراهيم، الآية 04

1- على سعيد اسماعيل، خبرة التعريب في الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، مصر، عدد 89، 1998م، ص: 52.

2- نفسه، ص: 52.

*- القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ المنقول عنه نقلاً متواتراً وهو آخر الكتب السماوية، وقد اقترن القرآن بالإعجاز وما يهمننا في بحثنا هذا الناحية اللغوية.

**- سورة يوسف، الآية: 02، سورة الرعد، الآية 37، سورة طه، الآية 113، سورة زمر، الآية 28 سورة فصلت، الآية 03 سورة الشورى، الآية 07 سورة الزخرف، الآية 03 سورة الأحقاف، الآية 12.

3- الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص: 40.

4- نفسه، ص: 42.

﴿ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٤﴾

وأضاف أنه يمكن أن يكون رأي ينكر اللسان العربي بحجة أن الرسل قبل رسول الله محمد ﷺ كانوا يرسلون إلى قومهم خاصة، وأن محمد ﷺ أرسل إلى الناس كافة، ومنه فالرد يكون أن رسول الله محمد بعث بلسان "قومه خاصة" ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه¹.

وعليه فلزم أن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع وقد استشهد الشافعي بجملة من الآيات

القرآنية:

- سورة الشعراء آية 192-195: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿ نَزَّلَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ﴿١٩٣﴾

﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ﴿١٩٥﴾

- الرعد الآية 37 ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ يُتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ﴿٣٧﴾

- سورة الشورى الآية 07 ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ

لَا رَيْبَ فِيهِ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ ﴿٧﴾

- سورة زخرف الآية 01-03 ﴿ حَمَّ ﴾ ﴿١﴾ ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٣﴾

- سورة زمر الآية 28. ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾

وقد أقام الشافعي حجته بأن كتاب القرآن عربي اللسان وقد نفى عنه كل لسان غير لسان العرب، وهذا

مذكور في آيتين: فقال تبارك وتعالى في سورة النحل الآية 103. ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ

1- الشافعي، ص: 45.

لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ وقوله في سورة فصلت، الآية 44. ﴿
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعِجِبُكُمْ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً
 وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَعَلَيْهِمْ عَمَىٰ أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

كما أننا إذا ما تعمقنا في آياته حسب الشافعي في قوله تعالى، سورة جمعة الآية 02 ﴿وَالَّذِي بَعَثَ
 فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ وقوله في سورة الزخرف، الآية 44 ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ
 ﴿٤٤﴾﴾ وهنا خص الله قومه بذكر، وسورة الشعراء الآية 214 ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾
 وقوله في سورة الشورى، الآية 07 ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ
 الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾، ومنه فحجة الشافعي أن على كل مسلم تعلم
 لسان العرب حتى يشهد بشهادتين ويتلو كتابه وينطق بالذكر بما افترض من تكبير وتهليل وتسييح¹. ومنه
 نستخلص من هذه المقدمة أن القرآن الكريم هو الذي أعطى قدسية للغة العربية، ولولاه لكان مصيرها من مصير
 اللغة اللاتينية.

وعليه فتعلم اللغة العربية لا يلغي الأصول، ونزول القرآن بلغة خاتم الأنبياء ﷺ وراءه حكمة إلهية، أشار
 إليها أحمد محمد شاكر في تعليقه على كتاب الرسالة للشافعي بقوله: "وهل يأمن أولئك الذين يشجعون
 انتشار الترجمة الإنجليزية بين الشعوب الإسلامية هنا وهناك... ومهما كان له من الآثار الصالحة في تكوين
 تلك العصبية... فهل يريد أولئك الذين أصابتهم حمى التجدد والانتقال، بثورتهم هذه على القرآن الكريم في

ثوبه العربي... أن يجد في تركيا قرآناً تركياً وفي المستعمرات الإنكليزية قرآناً إنكليزياً، وفي مستعمرات الدول الأخرى قرآناً فرنسياً وآخر طليانياً أو إسبانياً أو هولندياً¹.

وما أراد قوله إن العربية في القرآن جامعة للشعوب الإسلامية مع الاحتفاظ بخصوصية كل مجتمع. ومنه نستخلص أن القرآن الكريم وهو دستور الإسلام يحترم هذه الخصوصيات، ودليله تنوع القراءات، فبسبب فترة الفتوحات الإسلامية وتوسع رقعة الإسلام، واختلاف الشعوب المنضوية تحت راية الإسلام، فقد كانوا يقرؤونه من وجوه مختلفة بحسب لغاتهم²، وللعرب لهجات متعددة، فشبّه الجزيرة العربية لم تكن موحدة في اللغة العربية، فالمعروف أن للعرب لغات متعددة أفصحها سبعة وأرجحها كلها لغة قريش، وبهذا يعتبر علم القراءات³ المدخل الصحيح لعلم التفسير⁴، الذي لا يتم إلا بصحة القراءة، لأنه يتأثر بمخارج الحروف وأحكامها، ومنه طريقة الكتابة⁵، ولهذا فإن الأمازيغ منذ اعتناقهم الإسلام اهتموا بهذا العلم، لدرجة أنك تجد في كل مسجد مقرئ يقوم بالقراءة الصحيحة للقرآن، وقد لعب القراء الأمازيغ دوراً هاماً في حركة التعريب⁶.

1- الشافعي، هامش رقم 01 ص: 49 بتصرف.

2- محمد فريد وجدي، المصحف المفسر (المقدمة) الدار العربية للكتاب 1985م، ص: 139، فمثلاً سكان شمال إفريقيا (الأمازيغ) مشهورين بقراءة ورش، وقراءة ورش تحترم خصوصية النطق، والمختص في التلاوة يعرف أن القراءة أقرب إلى اللغة العامية التي جاءت حسب خصوصية اللسان الأمازيغي، وهذا بإلغاء الهمزة في النطق.

3- يذكر ابن خلدون في مقدمته ص: 346: "القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها... فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة.

4- نفسه، ص: 347: "أما التفسير فأعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملاً جملاً وآيات آيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية... وصار التفسير على صفتين تفسيران نقلين المسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، وكل ذلك لا يعرف إلا بنقل عن الصحابة والتابعين... والصنف الآخر من التفسير هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب.

5- أصبح علماً قائماً بذاته، وهو مكمل بعلم القراءات (سمى الرسم) ويذكر ابن خلدون في المقدمة، ص: 347: "وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضاً، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية، لأن فيه حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط...".

6- بوخالفة نور الهدى، ص: 352.

بناء على ما سبق، فإن انتشار الإسلام في بلاد الأمازيغ رافقه تعليم العربية كضرورة لقراءة القرآن¹، ولفهم مبادئ الإسلام، وهنا لزم الإشارة أن عروبة الأمازيغ أو بلاد المغرب تختلف عن عروبة المشرق في منطلقاتها ومضامينها²، فعلاقة الإسلام بالعروبة في بلاد المغرب ضرورية وهامة مع وجود استثناءات تذكر لاحقاً في فصل العوائق أهمها التصادم³، الذي وجد بين الطرفين (الأمازيغ والعرب).

وفي الوقت الذي سبقت فيه العروبة الإسلام في المشرق العربي، فإنه في بلاد الأمازيغ يعتبر انتشار الإسلام مواكباً للتعريب اللغوي، فأهمية اللغة العربية تكمن في نزول القرآن، وكذا أركان الإسلام ومنها الصلاة، ونستخلص بذلك أن الأصل الأول لمرجعية التعريب اللغوي هو النص القرآني⁴ الذي هو نص لغوي مصاغ باللغة العربية، ومنه لزم الفصل بين ظاهرة إسلام الفرد وظاهرة إسلام الدولة أو المجتمع⁵، وإن هذه الأخيرة لها الأثر الأكبر في ازدهار اللغة العربية وانتشارها، وقيامها بالدور المطلوب منها في عملية التعريب اللغوي كمرحلة أولى، والتعريب الحضاري والجينالوجي (الجنس) كمرحلة الثانية، وقد ذكرنا ذلك سابقاً عندما تطرقنا إلى العوامل السياسية في تعريب الدواوين، ومنه فروح الإسلام إذا وجدت في السلطة الحاكمة⁶ فإنها ستدفع باللغة العربية إلى الأمام.

ويرجع الأستاذ محمد عبد المالك الكتاني⁷ العلاقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي إلى أمرين:

1- عوامل لغوية: وستتطرق إليها في العناصر اللاحقة.

1- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للامة العربية، ص: 76.

2- فرج نجم، ص: 86.

3- العربي دحو، ص: 62.

4- أحمد عصيد، ص: 17.

5- عبد الرحيم بدر، ازدهار اللغة العربية رهن بتشبع الدولة بالروح الإسلامية، مجلة اللسان العربي، العدد 06، ص: 229.

6- نفسه، ص: 232.

7- محمد عبد الملك الكتاني، اللغة العربية مرآة تنعكس عليها قيم الإسلام، ص: 281.

2- الأمر الثاني يرجع إلى عامل الديني، وهو الإسلام فيذكر "الدين الإسلامي بالنسبة للمجتمع المسلم هو البوتقة التي تنتصر فيها شخصية المسلم، وطابعه هو الطابع العام لحقيقة الجماعة الإسلامية... وذلك بفضل رسالته التي تلائم الفطرة الإنسانية وكذا بفضل القرآن ذلك الكتاب السماوي الذي يبلور تلك الحقائق كلها، ونلاحظ فيه معطين:

(أ) المعطى الأول: مضمونه روحي... خاصة أن المسلم لا يخاطب في صلاته خالقه الأعلى إلا بلغة القرآن وهنا نركز على الصلاة وليس الدعاء.

(ب) المعطى الثاني: هو إعجازه اللغوي".

وما يستخلص من كلام محمد عبد المالك الكتاني، أن العلاقة السببية بين الإسلام واللغة العربية علاقة وطيدة، إذ لولا الإسلام لما كان لهذه اللغة أن تحل محل اللغات العالمية في العصر الوسيط.

وعليه لا يصح القول بأنه لولا اللغة العربية لما انتشر الإسلام، حيث أن اللغات لا تنتشر لمزايا فنية خاصة بها، فالمزايا صفات نسبية يصبغها الإنسان الاجتماعي على لغته، وإنما تنشر اللغات بالأفكار الجديدة والاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية ونفوذها مما تشمله الحضارة¹.

ولا نعتقد أن تعريب الأمازيغ هدفه تحقيق التواصل المباشر بالإسلام، واندماج مع الحاملين لرسالته من ش.ج العربية، والدليل ما عرفه المغرب من دخول اللاتينية وانتشارها في شمال إفريقيا، واتخاذها اللغة الرسمية والأدبية، وقبلها البونيقية فلم تؤثر لغة من اللغات السابقة على لغته المحلية.

فالإسلام قبل كل شيء عقيدة وإيمان وأسلوب حياة، وليس الغرض من الإسلام نشر اللغة العربية، ولكن اللغة العربية انتشرت لأن الناس آمنوا بالدين الجديد الذي حمله إليهم العرب وتعلموا العربية لكي يزيد

1- محمد عبد الملك الكتاني، ص: 281.

إدراكهم وفهمهم للدين الذي اختاروه¹ ، ولا يستطيع المسلم أن يعي الأمور الدينية إلا إذا فهم القرآن الذي نزل أصلاً باللغة العربية.

إن القرآن كتاب تشريع، فلا يتصور أنه يوجد مسلم لا يحفظ الفاتحة وآيات أخرى من القرآن، وإذا كان مسلماً حقاً لزم عليه أن يفهم² ما يحفظه، قال تعالى في سورة النساء الآية: 82 ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾³، حيث أن التعبد بالقرآن لا يعني ترديد الآيات دون فهم معانيها، ودون إدراك لمغازيها السامية، وبهذا انتشرت الدعوة الإسلامية بسرعة لم تنتشر بها دعوة أخرى، وصاحب انتشارها انتشار اللغة العربية.

فالإسلام هو تاريخ مشترك للأمازيغ بحكم أسلمتهم كلهم، والإشكالية المطروحة هو أن الأمازيغ خاضوا حكماً من طرف الفينيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين، ورغم محاولات هؤلاء في دمجهم إلا أنهم ورغم طول مدة مكوثهم لم يخلفوا وراءهم قومية رومانية³ أو ما شابهه، ولكن بمجيئ الإسلام، أسلم الجيل الأول وتعرب لغوياً، وتلته الأجيال اللاحقة وتعربت جينالوجياً. وبهذا نستخلص أن العامل الروحي قضية مهمة جداً، والعربية لو لم تحمل هذا الإرث الروحي لما بقيت إلى يومنا الآن، وكان مصيرها مثل مصير اللاتينية لغة ميتة⁴.

وهو أيضاً الذي عمل على حفظها إلى أن يرث الله الأرض وما عليها والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ

نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ سورة الحجر الآية 09، وعليه فالإرث الروحي قدم للغة العربية ثلاث خصائص:

- قوة اللغة.

- قوة الانتشار والتوسع في الأقطار الأخرى المسلمة.

1- عبد العزيز حسين، اللغة العربية انتشرت بفضل المد الحضاري للإسلام وفكرة التوري الجديد، مجلة اللسان العربي، العدد 06 ص: 238.

2- نفسه، ص: 237.

3- عائشة عبد الرحمن، القرآن دعامة الوحدة بين العروبة والإسلام، مجلة اللسان العربي، العدد 06 ص: 257.

4- صالح بلعيد، ص: 36.

- صفة الدوام.

لكن لا يعني أن اللغة التي لا تحمل التراث الروحي لا يمكن أن تحيا أو أن تكون لغة علم ، بل الإرث الروحي عامل يجعل الالتفاف حول اللغة قائماً، وهنا لزم أن نذكر ملاحظة هامة ذكرها فرج عبد العزيز نجم "والتعريب تقاطب بالترغيب والترهيب، وعلى الرغم من تصادمها إلا أنهما خدما العروبة والإسلام، حيث وضعاً سكان المنطقة تحت ضغوط أدت نتيجتها إلى التعريب، فقطب الترغيب كان أقوامهما، وتمثلاً في الإسلام"¹ وما يهمننا في أطروحتنا عنصر الترغيب إذا اقترن بالإسلام ومنه بعنصر العوامل، أما قطب الترهب فخلاصته إيديولوجية بالدرجة الأولى. واقترن بالعوائق وهذا ما سنفصل فيه في الفصل الثالث.

وقد سبق أن ذكرنا أن التعريب في المشرق مختلف تماماً عن التعريب في بلاد المغرب، حيث أن ظاهرة التعريب في المشرق سبقت ظاهرة الأسلمة، إذ يلاحظ أن القبائل العربية قد هاجرت إلى العراق وبلاد الشام قبل ظهور الإسلام بقرنين أو أكثر، ووجدت مملكتان مزدهرتان عربيتان في تدمر والحيرة، ومنه استوعبت فلسطين وشرق الأردن عدداً كبيراً من العرب، وعليه فلوازم العروبة في المشرق لا تقتصر بضرورة بالإسلام، وهذا ما نلاحظه حالياً في جزء المشرق العربي، فبعضهم عرب لكن ديانتهم مسيحية (مصر الأقباط، بلاد الشام الأرمن الكاثوليك)، أما العروبة في بلاد المغرب (الأمازيغ) فلوازمها بضرورة الإسلام، فالإسلام والعروبة خطان ملتصقان حيث من اعتنق الإسلام دينا تقبل العربية لغة². ومنه فلقد تحسنت اللغة العربية بفضل كتاب الله القرآن الكريم، وقد اختار الله لغة العرب لتكون لغة الوحي والتفاهم بين المسلمين³، وعليه فإن العروبة عروبة اللسان الذي أنزل به القرآن الكريم، وحسب ما ذكرنا سالفاً أن الآيات التي ذكرت فيه أن القرآن عربي، اقتزنت معظمها بكلمة لسان وليس أصل، حيث ورد في سورة الاحقاف الآية 12 ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا

1- فرج نجم، ص: 88.

2- نفسه، ص: 86.

3- نفسه، ص: 89.

وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾، هذا من ناحية القرآن الكريم، أما من ناحية الأحاديث الشريفة فقد ورد العديد منها متحدثاً عن أهمية اللغة العربية وسنقوم بتصنيفها من ناحية الصحة أو الضعف لدى الشيخ الألباني رحمه الله، لتؤكد أن التحلي بالعروبة هل هو من جوهر الدين أم لا؟.

وعلى سبيل المثال نأخذ الأحاديث التالية: "يا أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب أو أم وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي"¹، ورغم تصنيفه على أنه ضعيف جداً، حيث ذكر الألباني أن مصدره ضعيف متمثل في أبي بكر الذهلي والصواب الهذلي، ومنه صنف الحديث على أنه ضعيف جداً، لكن رغم تصنيفه وسنده الضعيف لكنه تداول من طرف المسلمين حيث ذكر الألباني "هذا الحديث ضعيف، وكأنه مركب على مالك لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح في بعض الوجوه"².

وما يلاحظ أنه رغم الضعف الشديد في الحديث السابق، إلا أن العلماء ساندوا محتواه، وهذا ما شجع الأمم على التعريب وقد ساندت الأحاديث أقوال الصحابة مثل قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة"³.

وحتى علماء الأمازيغ شجعوا تعلم العربية فقد جاء في كتاب فقه اللغة للنعالي: "من أحب الله تعالى أحب الرسول ﷺ ومن أحب رسوله العربي أحب العرب ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على العجم والعرب ومنه أحب العربية عنى بها وثابر عليها وصرف همته إليها ومنه هداه الله

1- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئة على الأمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، رياض، ط1، 1992م، المجلد الأول، رقم الحديث 926، ص: 325.

2- نفسه، ص: 326.

3- محمد عادل الشريف، العربية لغة عالمية خالدة لأنها لغة القرآن، مجلة لسان العرب، العدد6، ص: 124.

للإسلام وشرح صدره للإيمان...¹، و يضيف في هذا الموضوع "اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الأديان، والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش".

ومنه نعود إلى الأحاديث، فقد وجدت عدة أحاديث بعضها يرغب في لسان العرب وآخر يُرغَبُ في نسب العرب وسنعرض بعض الأمثلة منها على سبيل الذكر لا الحصر.

(1) حديث "أحبوا قريشا فإنه من أحبهم أحبه الله تعالى". صنفه الألباني أنه ضعيف جداً علته سند عبد المهيمن².

(2) حديث "أحبوا العرب وبقائهم فإن بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام" صنفه الألباني بأنه ضعيف وعلته سند عطاء بن أبي ميمونة فهناك انقطاع بين عطاء وأبي هريرة، حيث أن بين وفاتهما اثنتين وسبعين سنة³، بمعنى أن الألباني وجد علته بين تسلسل كل من وفاة أبي هريرة وعطاء ومستحيل أن يتسلسلا في العنونة بحكم أن الفرق بينهما 72 سنة.

(3) حديث، "أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي" تصنيفه مَوْضُوع لا أصل له وقد ذكر الألباني⁴ علته في سنده فعننته وجدت فيها ابن جريح حيث ذكر بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريح أحاديث موضوعة كان ابن جريح لا يبالي من أين يأخذها⁵.

1- ابن منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية ضبط وعلق على الحواشي ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، 2000م، ص: 29.
2- الألباني، المجلد الثاني، رقم الحديث 650، ص: 105.
3- نفسه، رقم الحديث 578، ص: 46، 47.
4- نفسه، المجلد الأول، رقم الحديث 160 ص: 293.
5- نفسه، ص: 297.

(4) وقد ذكر الألباني حديثاً آخر تمثل في "أنا عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي" ¹ سنده موضوع ومنه فقد أوضح الألباني أن علته في سنده ولكن أوضح أن علته أيضاً في الحديث نفسه حيث ذكر ² "ومما يدل على بطلان نسبة هذا الحديث إليه ﷺ أن فيه افتخاره ﷺ بعروبته، وهذا شيء غريب في الشرع الإسلامي، لا يلتزم مع قوله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ³.

نستخلص مما سبق أن جميع النصوص المقدسة سواء كانت آيات أو أحاديث أو تصريحات علماء الدين كل هذه النصوص جعلت من التعريب مادة للترغيب في الانتماء إلى الإسلام ⁴، وبالتالي فالأمة التي أسلمت جعلت من هذه النصوص مرجعيتها في التعريب خاصة تلك الأحاديث التي تمجد العرب والانتماء، إليهم مثل حديث* "إذا ذلت العرب ذل الإسلام" ⁵ وهو حديث موضوع ⁶، وعلته في أمران: الأولى سنده محمد بن الخطاب، فإنه مجهول الحال، والثانية على بن زيد وتوثيقه ضعيف.

1- الألباني، المجلد الأول، رقم الحديث 16، ص: 298.

2- نفسه، المجلد الأول، ص: 299.

3- سورة الحجرات، الآية: 13.

4- فرج النجم، ص: 91.

*- لقد بين الألباني أثر هذا الحديث الموضوع على الأمة حيث ذكر في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئة على الأمة المجلد الأول ص: 304 "...ولكن هذا ينبغي ألا يحمل العربي على الافتخار بجنسه، لأنه من الأمور الجاهلية التي أبطلها نبينا محمد ﷺ. ومجمل القول أن فضل العرب إنما هو لمزايا تحققت فيهم، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم، ذهب فضلهم ومن أخذ بما من الأعاجم كان خيراً منهم. "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" ويضيف ومن هنا يظهر ضلال من يدعو إلى العروبة، وهو لا يتصف بشيء من خصائصها. راجع الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئة على الأمة، المجلد الأول، ص: 304. ومنه فالعروبة كان محفزها الأول هم أصحاب رسول الله ﷺ حيث ذكر خليل العزبي مقال العربية إنما ازدهرت وانتشرت في ظل حضارة الإسلام مجلة لسان العرب عدد 6، ص: 129 "كما تحمياً لهذا الدين دعاة مخلصون هم الرعييل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلامذتهم الذين تسلحوا بالدعوة وأحسنوا حملها وكانوا القدوة الحسنة والمثال العملي لتعاليم الإسلام".

5- الألباني، رقم الحديث 163 المجلد الأول، ص: 301.

6- نفسه، ص: 301.

وعلى هذا الأساس فقد شجع التعريب جملة من النصوص الدينية التي اقترنت بالدين الإسلامي، الأمر الذي أدى إلى التأكيد والإصرار على مقتضى المرجعية العربية للهوية الإسلامية¹ كما لاحظنا من خلال الأحاديث وحتى نصوص علماء الدين.

ومنه فأول ما شجع على التعريب بحكم علاقته بالإسلام هو النصوص الدينية سواء الأحاديث التي صنفت معظمها على أنها ضعيفة أو موضوعة أو تصريحات العلماء الذين.

وفي نقطة أخرى الذي شجع على التعريب، هو نقطة أخرى جد مهمة وتمثل في علاقة الإسلام بأركانه الخمس، فالتلازم بين الإسلام واللسان العربي تلازم وثيق عميق، حيث أن أول ركن هو الشهادتين للدخول في الإسلام، ولا يكون إلا بالنطق بهما، وبالتالي فالتلازم يبدأ من هنا. كما أن الركن الثاني وهو الصلاة² لقوله ﷺ "صلوا كما رأيتموني أصلي" والصلاة لا تكون إلا بالعربية، وعليه نستخلص أنه لا يمكن أن يكون هناك إسلام خال من اللغة العربية فهذا مرتبط بهذا ولازم له³، ولهذا فإنه من المنطقي أن انتشار الإسلام نتج عنه انتشار اللغة العربية، لأنها مادة القرآن وأساس تعاليمه وأركانه، وبالتالي أجمع العلماء أن معرفتها فرض واجب لفهم الكتاب والسنة، ولهذا فإن أهم الدول العربية إنما تعربت بفضل الدين وما يحتويه من القرآن، والأحاديث الشريفة وعلم العلماء.

وعليه فلا أحد ينكر هذا التلازم الواضح بين التعريب والإسلام، فليست العربية وكونها لغة القرآن سبب لانتشار الإسلام بل الصحيح هو العكس أي أن انتشار الإسلام هو السبب الأعظم لانتشار العربية⁴، وبالتالي

1- فرج عبد العزيز نجم، ص: 92.

2- عز الدين الخطيب التميمي، اللسان العربي شعار الإسلام، مجلة لسان العرب، عدد 06، ص: 135.

3- محمد محمود الراميني، القرآن روح الإسلام والعربية جزء من هذه الروح، مجلة لسان العرب، عدد 06، ص: 139.

4- مصطفى الزرق، مقالة الفكر الإسلامي ولغة القرآن عنصر ثقافي تطعم به اللغة القومية، ص: 177.

فأهمية اللغة العربية تتجلى في أن رسالة القرآن الكريم بنفسها تضمنت تعريب الشعوب الإسلامية بنشر اللغة العربية، لتصبح أمة العرب أمة خلدتها القرآن فرجع شأنها. وليس العكس.

وقد تجلت أهمية اللغة العربية في عدة عناصر:

- القرآن منزل باللغة العربية.

- كثرة الأحاديث المتداولة رغم ضعفها المطالبة بتعلم اللغة العربية.

- نصوص وآراء العلماء وأركان الإسلام نفسه المشجعة على التعريب.

- الحج وهو الركن الخامس في الإسلام يعتبر من العوامل المساعدة الهامة في التعريب وسوف نفصل فيه

لاحقاً.

مما سبق ذكره فإن هناك علاقة سببية بين الإسلام واللغة العربية، فلولا الإسلام لما وجدت التعريب بحده الأدنى (تعلم اللغة العربية) وحده الأقصى (تبني العروبة نسباً ونكران الذات)، فالأمازيغ صار طلب اللغة العربية عندهم مقترناً بالأسلمة، ليصير طلب اللغة العربية واجباً، كون معظم العبادات لا تتم ولا تصح إلا بالعربية، فالإسلام حينما انتشر كان مظهره قرآناً عربياً وشريعته مرجعيتها عربية، وهو الأمر الذي تشاركت به كل البلاد المفتوحة خلال القرنين 1هـ-2هـ (7-8م)، ومنه فالإسلام أعطى للعروبة قيمة لغوية قبل كل شيء¹. وبالتالي فمستوى العروبة ذو النزعة القومية أو العرقية أو الأنثروبولوجية سيأتي لاحقاً وسنفصل فيه، وإنما كانت العروبة صاحبة الفضل في فهم الدعوة الإسلامية وتبليغها²، ولهذا شارك في إثرائها كل من دخل الإسلام من الأعاجم بما فيهم الأمازيغ، ومنه التلاحم بين العربية والإسلام له دليل هو الوعي الإسلامي والوازع الديني، ولهذا فإن علاقة اللغة العربية بالإسلام كانت قوية خاصة القرنين 1هـ-2هـ، فالأسلمة توازت مع التعريب في فترة الفتح الإسلامي العربي.

1- الحسن السائح، العروبة مدينة للإسلام الذي فجر طاقات العرب في بوتقة إنسانية، مجلة لسان العرب، عدد 6، ص: 279.

2- نفسه، ص: 179.

ونُحتم هذا العنصر بمقولة الأستاذ محمد عبد الملك الكنايني "...هذه الظاهرة الملحوظة في تاريخ الإسلام وانتشار اللغة العربية معه تؤكد التلازم القائم بينهما"¹. ويؤكد ذلك أحمد عصيد "ويديهي أن هذه المرجعية الدينية المشككة عموماً من نصوص القرآنية والأحاديث وأقوال العلماء وسلوكات الصحابة الأوائل ستكون مرجعية مطلقة"².

ثانياً: دور علماء الدين الأمازيغ في التعريب.

لقد رأينا فيما سبق دور علماء المشرق الوافدين إلى بلاد الأمازيغ، هذا الدور الذي كان ذو أهمية كبيرة في أسلمة الأمازيغ سواء الدعاة المرابطين في الحصون العسكرية أو الدعاة المضطهدين في المشرق والفارين إلى بلاد المغرب، وهم أساساً دعاة الخوارج، لكن ومع طول مدة الفتح ظهر في بلاد المغرب دعاة من أبناء المنطقة حملوا بدورهم لواء نشر الدين الإسلامي، فكانت مهمتهم أسهل بحكم سهولة الاتصال مع أبناء جلدتهم، وسهولة التحاور معهم بسبب عدم وجود عائق اللغة الذي تمت الإشارة له في الفصل الأول من هذا البحث، ونذكر من هؤلاء الدعاة على سبيل المثال لا الحصر:

"أسد بن فرات"³ و"ابن غانم"⁴، و"هود بن محكم بن هود الهواري الأوراسي"⁵، و"سمكو بن واسول"⁶، و"عبد السلام الزواوي"⁷ وغيرهم كثيرون.

1- محمد عبد الملك الكنايني، ص: 280.

2- أحمد عصيد، ص: 14.

3- ألفرد بال، ص: 97.

4- نفسه، ص: 98. ابن غانم عالم فقيه بربر الأصل كان تلميذا ومعاصراً للإمام مالك.

5- هود بن محكم بن هود الهواري علامة في التفسير عاش في القرن الثالث هجري معاصر للدولة الرستمية 296/160هـ. راجع مسعود مزهودي، محاضرة حول دور الأمازيغ في إثراء الحضارة الإسلامية، الملتقى الوطني الثاني حول البعد الروحي في التراث الوطني الأمازيغي، باتنة، الجزائر، 2005م، محاضرة غير مطبوعة. نسخة الكترونية

6- سمكو بن واسول أخذ العلم عن عكرمة مولي ابن عباس. راجع مسعود مزهودي نفس المحاضرة السابقة.

7- عبد السلام الزواوي فقيه عالم لعلوم القرآن، توفي سنة 681هـ.

وقد ساهموا هم وغيرهم في أسلمة بني جلدتهم في المناطق النائية، وقد كانت العملية ناجحة بحكم معرفة الطرفين لبعضهما البعض. ولكي لا نقع في التكرار فقد خصصنا لهؤلاء في الفصل الرابع عنصراً هاماً لعلماء الأمازيغ وماهيتهم.

ثالثاً: دور المساجد في تعريب الأمازيغ.

تعتبر المساجد* مكان أداء فريضة الصلاة، وهي بيوت الله لقوله تعالى في سورة الجن، الآية 18 ﴿وَأَنَّ

الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَهُ لَّهِ أَحَدًا﴾.

وقد ذكر لفظ المسجد مفرداً وجمعاً سبعاً وعشرون مرة¹، وهذا يدل على مكانته ودوره الهامين، حيث أن المساجد لا تعتبر المكان الذي تمارس فيه الشعائر الدينية فقط، وإنما لعب دوراً مميزاً في التعريب، إذ يعتبر المسجد المكان الذي يتم فيه تبيان شرع الله بكل وضوح، ولا يمكن للمساجد أن تؤدي دورها في تعليم الإسلام، إلا إذا كان من على منابرها (الأئمة) مهيباً تهيبة علمية، وروحية، وثقافية واجتماعية، وتاريخية. ومن ثم، يتوجب أن يكون الداعية فقيهاً.

*- المسجد من حيث الاشتقاق اللغوي يرجع إلى مادة سجد أي أماكن لتعظيم الله والسجود لله والمسجد الارتباط الوثيق بين أعظم هدف لخلق الإنسان (عبادة الله) لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿56﴾ سورة الذاريات، الآية: 56. وأعظم مكان لممارسة ذلك الهدف لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَاخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿18﴾ سورة التوبة، الآية 18.

1- عمر مولود عبد الحميد، دور المسجد والفتوى في حماية الأمن الفكري، الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه، بحوث الملتقى المغاربي بسكرة الجزائر، 22-24 ماي 2010م، منشورات وزارة الدينية والوقف، الجزائر، 2011، ص: 251.

وقد ساهمت المساجد في تجميع فئات الأمازيغ، إذ لعبت المساجد دوراً فعالاً في تعريب الأمازيغ خاصة في المدن خاصة القيروان*، ولهذا فقد ركز الفاتحون الأوائل على بناء المساجد، وكان أولهم "عقبة بن نافع" رضي الله عنه، سنة 760م. وبالتالي، يتوجب الإشارة أن وجود تكامل بين العامل الاستراتيجي والديني، حيث تكاملت العوامل الاستراتيجية من خلال تأسيس مدن مع العوامل الدينية (من خلال دور المساجد والفقهاء الدعاة والأئمة)، إذ أنه تميز خلال سرد دور الدعاة والفقهاء أن "إسماعيل بن عبيد الأنصاري" وهو من التابعين والفقهاء العشرة الذين أرسلهم "عمر بن عبد العزيز" قام ببناء مسجد الزيتونة¹ ليكون له منبراً ووسيلة لأسلمة وتعريب الأمازيغ، وأول مسجد بُني كان مؤسسه "عقبة بن نافع" رضي الله عنه، في القيروان وكثيراً ما ركزت المصادر العربية على رواية القبلة ورؤيا "عقبة" لتحديد اتجاه القبلة.

وبعد "عقبة" رضي الله عنه جاء شخصيات الفتح العربي الإسلامي كان غالبيتهم هدفهم أسلمة الأمازيغ، وعلى سبيل المثال "حسان" وعنايته بتجديد مسجد "عقبة" و"موسى بن نصير" وبناء مسجد تلمسان، وكذا بناء مسجد "أغمات هيلانة" في المغرب الأقصى، لكن يلاحظ أن بناء المساجد وجدت قوته وكثرته في عهد "إسماعيل بن أبي مهاجر" والي إفريقية في عصر عمر بن عبد العزيز "تزامناً مع إرسال الفقهاء العشر المذكورين سالفاً، حيث أن هؤلاء الفقهاء ركزوا على بناء المساجد لتكون وسيلة لجموع الأمازيغ في حلقات ذكر وتدریس، وهكذا أصبح كثرة بناء المساجد تقليداً من الفقهاء الآتين من المشرق، وتتوقف عند حلقات الذكر والتدریس التي كانت وسيلة جبارة في التعريب.

*- تجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاثة مساجد قديمة في القيروان:

- مسجد الأنصار: وجد قبل أن يخطط القيروان، بناه "رويفع بن ثابت الأنصاري" سنة 47هـ.
- مسجد الزيتونة: بناه "إسماعيل بن عبيد الأنصاري" الذي يعتبر من الفقهاء العشرة المعروف بـ «تاجر الله» سنة 93هـ.
- مسجد أبي ميسرة: منسوب إلى أبي ميسرة الفقيه "أحمد بن نزار، تم تجديده من طرف "حسن ابن محمد بن واصل التميمي". راجع الدباغ، معالم الإيمان، ص: 27، 33.

1- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 72: "أن مسجد الزيتونة أسسه حسان واستكمل بناءه ابن الحبحاب".

وبالتالي إذا تتبعنا مسار الفتح العربي الإسلامي في بلاد الأمازيغ فإننا نلاحظ أن المساجد لعبت دوراً هاماً في التعريب أكثر منه في الأسلمة بحكم انه من يرتاد المساجد يكون مسلماً أصلاً، ولقد ارتأينا أن نقيم عنصر دور المساجد في فصل الأمازيغ يعربون أنفسهم بحكم أن الأمازيغي كان يُقبل إلى المسجد وحلقات الدين التي تقام فيه من تلقاء نفسه، يعززه في ذلك حماسة لتمكين الإسلام في ذاته¹ (الأمازيغ)، وهذا بنشر الثقافة الدينية وتعليم الفرائض والتفريق بين الحلال والحرام*. ولا يتم هؤلاء الا بالتخاطب الذي يكون بالغة العربية وبالتالي نتيجته التعريب.

ومن أمثلة المساجد التي سنفصل فيها مسجد القيروان ومسجد القرويين بحكم أنهما عند طريقي بلاد الأمازيغ ليكون المسح من الشرق (المغرب الأدنى) إلى الغرب (المغرب الأقصى):

1) مسجد القيروان:

لقد ذكرنا سابقاً أن عقبة بن نافع رضي الله عنه عندما دخل إفريقية أسس القيروان، واختط فيها دار العمارة والمسجد الأعظم، وقد حددنا دور المدن في تعريب الأمازيغ وأسلمتهم في نفس الوقت، ومنه فالفضل يعود لعقبة بن نافع رضي الله عنه في تأسيس وتخطيط مدينة القيروان، أما هشام بن عبد الملك فيرجع الفضل له في وضع نظامها وإخراج مبانيها². وبالتالي فقد توسعت المدينة على مدى سنوات من التاريخ الإسلامي، حتى أصبحت مركز إشعاع للثقافة العربية الإسلامية.

ومع التحولات التي شهدتها القيروان فإن المسجد شهد تقريباً نفس التحولات من إصلاح وزيادة في مساحته، بحكم زيادة عدد المصلين من العرب والأمازيغ، فمثلاً فقد لاحظ بشر بن صفوان عامل هشام بن عبد الملك

1- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص: 132.

*- لقد تم الذكر سابقاً أن الأمازيغ عند إرسال "عمر بن عبد العزيز" الفقهاء العشرة لم يكونوا يفرقوا بين الحلال والحرام خاصة فيما يخص الخمر وبالتالي معرفتهم كانت سطحية فيما يخص تعاليم الإسلام.

2- أحمد فكري، سلسلة مساجد الإسلام، مسجد جامع القيروان، مطبعة المعارف، مصر، 1936م، ص: 12.

على القيروان ذلك سنة 105هـ (724م) فزادت مساحته، ولكن أكبر زيادة في مساحة المسجد في عهد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب حيث ذكر البكري "لما ولي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب زاد في طول بلاطات الجامع وبني القبة المعروفة بباب البهو على آخر بلاط المحراب"¹ ونحن هنا لسنا بصدد تتبع مراحل مسجد القيروان²، الذي مازال قائماً لحد اليوم (ثلاثة عشر قرناً)، وإنما لإبراز الدور الذي لعبه في إدماج العرب والأمازيغ وبالتالي تعريبهم، ودوره لم يكن فقط دينياً، وإنما ثقافياً في بلاد الأمازيغ الناحية الشرقية (المغرب الأدنى) بمستواه الابتدائي أي (التعريب اللغوي لمعرفة أساسيات الدين الإسلامي)، ويضاف هنا أن المسجد لعب دوراً هاماً في التعريب، بحيث أن القيروان مركز عربي بحت مؤسسه عقبة بن نافع رضي الله عنه وبالتالي فالتخطيط والمباني وأسلوب العيش استمد من الشرق، وعليه فمن أسلم في القيروان تشبع أيضاً بالتعريب، ولعب المسجد دوراً هاماً في نقل هذه الثقافة بعدما اتقن الأمازيغي العربية التي تعتبر ضرورية في أداء الركن الثاني من الإسلام ألا وهي الصلاة، وقد فرضتها آيات في القرآن الكريم كقوله جل جلاله في سورة النساء، الآية: 103 ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْفُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ وبالتالي فالصلاة عامة لعبت دوراً أساسياً في احتكاك الأمازيغ المسلمين بالعرب، والتقاءهم خمس مرات في المسجد، وبالتالي اندماجهم وتعريبهم بحكم أنه لزم أن تؤدي الصلاة باللغة العربية، أما صلاة الجمعة³ فقد كان لها دور أهم دينياً واجتماعياً وثقافياً، لاسيما في تعريب الأمازيغ بحيث أنها أولاً صلاة جماعة تؤدي في المسجد، وهذا الاجتماع لأداء الصلاة ستكون نتيجته احتكاك العرب بالأمازيغ، وثانياً، إن صلاة الجمعة تحتوي على خطبة وخاصة أنها كانت تلقي في المدن ذات التأسيس العربي بالعربية، ومنه كان لزاماً على الأمازيغ أن يتقنوا العربية ليفهموا خطبة الجمعة في المسجد لقوله تعالى سورة الجمعة، الآيتين:

1- البكري، ص: 24.

2- احمد فكري، ص 20.

3- نفسه، ص: 44.

09 و10. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

(2) جامع القرويين:

أ- نبذة تاريخية حول جامع القرويين:

لعب جامع القرويين (فاس) دوراً هاماً في الإشعاع الفكري وفي تعريب الأمازيغ، فلم يقتصر دوره على استقبال المؤمنين صباحاً ومساءً لأداء صلواتهم، ولكن تجاوزه إلى مركز ذو مصدر إشعاع فياض على مختلف جهات المغرب الكبير¹، ويرجع له الفضل في تجميع أكبر عدد من العشائر والقبائل والمدن المتباعدة في مدينة فاس².

وارتبط جامع القرويين ارتباطاً وثيقاً بتأسيس مدينة فاس*، وكذا تأسيس دولة الأدارسة، واستكمالاً لما ورد سابقاً، فب وفاة إدريس الأول ولي ابنه إدريس الثاني الذي لم يولد بعد وبويع وهو لم يكمل سن العاشرة وذلك يوم الجمعة 01 ربيع الأول 186هـ (10 مارس 802م)³، وأصبحت أوليلي غير كافية لاستيعاب جمود الأمازيغ والعرب الوافدين** إلى الإمام تيمناً بنسبه الشريف، وهكذا لم تمض خمس سنوات على أخذ البيعة حتى ضاق بهم المكان، ففكر في بناء مدينة جديدة وباقتراح من وزيره عمير بن مصعب الأزدي على مكان ملتف بالأشجار به أنهار، ونالته الفكر استحسان إدريس الثاني. وبهذا أسست مدينة فاس، وقسمت المدينة إلى منطقة شرقية أين

1- عبد الهادي تازي، جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ج 1، دار نشر معرفة الرباط، المغرب، طبعة الثانية، 2000م، ص: 11.

2- نفسه، ص: 13.

*- تطرقنا في العناصر السابقة إلى دولة الأدارسة تأسيس مدينة فاس.

3- عبد الهادي تازي، ج1، ص: 44.

**- يذكر أنه وفد عليه 500 فارس من إفريقية ومن الأندلس مئات الأسر (بني قيس، الأزدي، الخزرج بني يحصب وحتى من بلاد فارس، نفسه، ج1، ص: 45.

تمركز بها الوافدون من الأندلس، وعرفت لاحقاً بعدوة الأندلس¹، أما الجهة الغربية فتمركز بها الوافدون من القيروان وعرفت لاحقاً بعدوة القرويين²، وقد بني في العدوتين مسجدين وأشرف على بناءهما إدريس الثاني، ففي عدوة الأندلس جامع الأشياخ، وفي عدوة القرويين مسجد الشرفاء، وهنا لزم أن نذكر استراتيجية إدريس الثاني أنه اتخذ في عدوة القرويين بيته، وهذا القرار هو الذي ستكون نتيجته بناء جامع القرويين.

ب - بناء جامع القرويين:

يرجع فضل بناء جامع القرويين إلى المهاجرين القرويين الذين بايعوا إدريس بن إدريس في ويلي، وأغلبهم من أسرة فهريين، وواصلوا هجرتهم إلى غاية أيام حفيد إدريس الأول الإمام محي الدين يحيى ابن إدريس ابن إدريس (234-249 هـ)³، ومن بين المهاجرين الفقيه أبو عبد الله بن عبد الله الفهري القيرواني الذي وافته المنية قبل وصوله وورثته ابتناه* فقررتا أن تتبرعا بأموال الإرث لبناء مسجد جامع كبير، حيث أن كلاً من الجامعين الأشياخ بالعدوة الشرقية والشرفاء بالعدوة الغربية ضاق بهما المصلين، وعليه بدأ حفر أساس الجامع الكبير في أول رمضان 245 هـ (30 نوفمبر 859 م)⁴.

ومن الخصائص التي انفرد به جامع القرويين أنه أول بيت لله تشديه فتاة مسلمة** حيث عرف سابقاً أن الدولة هي التي تقوم ببناء المساجد بنفسها، وترجع تسميته إلى القرويين إلى تخفيف اللفظ القيروانيين نسبة إلى

1- عبد الهادي تازي، ج1، ص: 46.

2- نفسه، ج1، ص: 46.

3- نفسه، ج1، ص: 46.

*- يذكر اسمهما على أنهما فاطمة ومريم وقد كانتا بقدر من علم وفقه وتقوى.

4- عبد الهادي تازي، جامع القرويين، ج1، ص: 46.

**- ويقصد بها فاطمة حيث اشترت قطعة أرض تابعة لقبيلة هواة وكان ثمنها 60 أوقية، عبد الهادي تازي، ج1، ص: 47.

القيروان¹، بحكم أن المسجد تواجد في العدو الشرقية وأساس ماله من المهاجرين الآتين من القيروان، ومنه فإن آثار هذه المسجد كانت جلية حيث ساهم مساهمة كبيرة في تعريب الأمازيغ.

رابعاً: رحلات الحج ودورها في التعريب.

يعتبر الحج الركن الخامس من أركان الإسلام الخمس لمن استطاع إليه سبيلاً، بحكم أن الدين يُسر وليس عُسراً، ومنه فإن القوافل السنوية التي كانت تخرج إلى الحج² تعتبر من أهم العوامل المرتبطة بالإسلام التي أدت إلى التعريب، فقد كانت على سبيل المثال لا الحصر جموع قبيلة نفوسة* تخرج إلى الحج نساء ورجالاً في قوافل، ومن الطبيعي أن هذه الرحلة الطويلة كانت حافزاً للتعريب بحكم ثلاث عوامل:

- طرق الحج الطويلة من بلاد الأمازيغ إلى بلاد الحجاز.

- محطات الدول العربية المارة بها.

- الإقامة في الحجاز.

وسنفضل في العوامل المذكورة سالفاً، حيث أنه من المعروف أن رحلة الحج في العصر الوسيط كانت تستغرق شهراً ذهباً وإياباً، هذه الرحلة الطويلة مسارها الجغرافي سيؤدي بالقبائل الأمازيغية إلى الإقامة في الأماكن الإسلامية³، وبهذا تعتبر رحلة الحج من العوامل الأساسية المرتبطة بأركان الإسلام لمعرفة مكونات الحضارة العربية وتعلم اللغة العربية. وهذا بحكم طول المسافة التي بين بلاد الأمازيغ وبلاد الحجاز، فقد تحدث

1- عبد الهادي نازي، هامش رقم 16، ص: 51.

2- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 130.

* هم من القبائل الأمازيغية البترية ينسبون الي نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتري مواطنهم جهات طرابلس حالياً بليبيا راجع بوزياني الدراجي القبائل الأمازيغية الجزء الأول ص: 274-284.

3- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي ص: 130.

المغاربة عن هذه الطرق¹ فهناك (طريق الحج المصري الشامي، العراقي، اليمني، الهندي... الخ) والتي تنتمي إليها الأركاب من مختلف بقاع الأقطار الإسلامية، وما يهمنا نحن طريق الحجيج المصري، لأن هذا الطريق هو الذي عاينه ومشى فيه الرحالة المغاربة (الأمازيغ)، وبهذا تحدثوا عن ركبهم حيث أنه لا يبدأ مسيره إلا بعد رحيل الركب المصري والذي كان يغادر في 23 شوال، ويتبعه الركب المغاربي يوم 27 شوال²، ويجتمع الركبان في بركة الحاج وقد ذكرت هذه الرحلات في مصدر الجزيري³ وعنوان مؤلفه "الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطرق مكة المعظمة" والذي الف في القرن العشر هجري و ما يهمنا هنا ان كل ركب من الركب المغاربية كان يتألف من ركب لمناطق أخرى، وسنأخذ على سبيل المثال الركب الفاسي الذي يتألف من ستة⁴ وهي: الركب الفاسي - الركب السجلماسي - الركب المراكشي - الركب الشنقيطي -الركب البحري - الركب السوسي، وينضم إلى هذا الركب ركائب تونس والجزائر وطرابلس الغرب مؤلفين بذلك ركباً مغاربياً كبيراً أغلبه من الأمازيغ، ومنه تؤثر رحلة الحج في تعريبهم بحكم عدة عوامل، أولها طول الرحلة وثانيها احتكاكهم بركب الأقاليم العربية خاصة المصرية، وثالثها أن قوافل الحجيج في ذلك الوقت بمثابة مدارس⁵، حيث تنعقد الحلقات والدروس أغلبها كان باللغة العربية، ولهذا فإن رحلات الحج⁶ ساهمت بقسط وافر في تعريب الأمازيغ.

1- عواطف بنت محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الاقصي مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11 هو 12هـ، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2008م /1429هـ، ص: 255.

2- نفسه، ص: 256.

*- هو عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن إبراهيم الأنصاري الحنبلي، من أهل القرن 10 همصدر معنون الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطرق مكة المعظمة للأسف لم نعثر عليه وقد ذكر في مرجع عواطف بنت محمد يوسف، ص: 257.

3- نفسه، ص: 256.

4- نفسه، ص: 256.

5- نفسه، ص: 257.

6- لمزيد من المعلومات حول رحلة الأمازيغ الي البقاع المقدسة راجع نموذج من رحلة أمازيغي البقاع المقدسة وهو ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ولد في مدينة طنجة ببلاد مراكش شهر رجب عام 703هـ 1304م ألف كتابه تحفة نزار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، دار الكتب اللبناني نجد رحلته الي البقاع المقدسة من ص: 79-119.

(VIII) العوامل الثقافية واللغوية :

تتفق الأبحاث التاريخية أن المنطقة لم تعرف لغة موحدة فكانت اللاتينية هي لغة الكتابة في فترة الفتوحات الإسلامية، وكانت في نفس الوقت لغة محدودة لم يعتمد عليها الأمازيغ في المخاطبة، وعند دخول الفاتحين العرب وجدوا هذا الوضع قائماً، مما سهل من انتشار اللغة العربية، ومنه الحاجة إلى لغة موحدة لتجاوز حالة تعدد اللهجات الأمازيغية وعدم وجود لغة محلية مكتوبة.

أولاً: اللغة البونيقية وتشابهاها باللغة العربية.

إن دراسة تاريخ الأمازيغ يتداخل تداخلاً وثيقاً مع دراسة الحضارات التي تواكب تطور الشخصية الأمازيغية عبر القرون، ومنه كان لزاماً على الباحث في التاريخ الأمازيغي أن يدرك صلات التأثير والتأثير، التي طبعت ورسخت في الشخصية الأمازيغية، وعليه فإن مادة بحثنا تستوجب علينا أن نعمق دراستنا لنستوعب إشكالية تعريب الأمازيغ وعلاقته بالدين الإسلامي، فكان لزاماً علينا أن نعطف الحاضر على الماضي، لنجد نتيجة الإشكالية في العصر الوسيط، أما عواملها فتعود إلى حقبة مبكرة وهي التاريخ القديم، ولهذا توجب علينا لاستيعاب وفهم الأحداث أن نقوم بربط هذه الأخيرة بالحقب التي سبقتها، حيث يذكر غوتيه فيما يخص الترابط بين الحقبة أنه "مما لا يستغنى عن معرفته من تاريخ المغرب القديم لتنسيق تاريخ العصر الوسيط"¹.

وعليه فإن قضية التعريب أرجعها بعض المؤرخين² إلى حقبة التاريخ القديم، وتحديدًا تأثير الحضارة القرطاجية³، حيث أننا نجد المفكر مالك بن نبي يرى أن الحضارة هي نتيجة تفاعل الإنسان والتراب والوقت،

1- غوتيه، ص: 61.

2- هناك عدد من المؤرخين أرجع سرعة تعريب الأمازيغ إلى تأثيرهم بالحضارة القرطاجية في التاريخ القديم منهم غوتيه، جورج مارسيه، أغسال، أما قد نفى الطرح. مبارك بن محمد المليبي فيرفض فكرة التأثير جملة وتفصيلاً. راجع الاطروحة ص 167

3- الحضارة القرطاجينية 880-146 ق.م متشعبة من الحضارة الفينيقية الآتية من الشرق وكلمة فينيقية أصلها يوناني (فنيكس) ولها معنيان النخيل واللون الأحمر، وذلك لاستعمال الفينيقيين هذا اللون في ملابسهم ورسم النخيل على نقودهم، ولقد تم اتصال الفينيقيين

ولكن المحفز لهذا التفاعل هو وجود فكرة دينية¹، ومنه فإننا نلاحظ مثلاً غوته يراجع تخلي الأمازيغ عن حضارتهم وهويتهم إلى الفكرة الدينية الجديدة (الإسلام)، حيث يذكر "أن المغرب الإسلامي قد احتضن تحت الرماد طابعه البوني² كما حصل الأثر القرطاجي طيلة فترة الاحتلال الروماني، وبهذا اعتنقت قرطاجة الإسلام بكل ما فيها من استعداد شرقي تبلور من جديد"³، ومن المعروف أن حضارة قرطاجة دمرت من طرف الرومان، حيث أزيل الأثر المادي لقرطاجة نهائياً⁴، لكن الأثر الثقافي والديني ضل متواجداً، وأصبح نوعاً من المقاومة للاحتلال الروماني، ويستخلص من قول غوته أن اعتناق الأمازيغ للإسلام راجع للعامل النفسي المأخوذ من العامل التاريخي، هذا الأخير وجد فيه عامل لغوي، وبالتالي الفتح العربي أزال الغبار لتصبح قابلية الأسلمة مع قابلية التعريب⁵، وما يهمننا هنا أثر الفينيقيين في بلاد الأمازيغ الذي دام حوالي ألف سنة، أي بمعدل عمر الإمبراطورية الرومانية، وبالتالي معرفة أثر قرطاجة في بلاد الأمازيغ، و عليه سنحاول من خلاله معرفة انعكاسها في إشكالية التعريب، ويذكر أغسال (Gsell) "هذا القطر الذي تقاتل عليه الشرق والغرب والذي ترك به كل طابعه والذي اختلط الرومان والبيزنطيون ليغرسوا به المسيحية، أصبح منذ الفتح الإسلامي كله

بشمال إفريقية عن طريق التجارة. وبالتالي، يعتبر المؤرخون أن الفينيقيين هم أول من أسسوا شركات تجارية علمية خاصة في حوض المتوسط.

أما فيما يخص تأسيس قرطاجنة فنجد الرواة حسب الشاعر اللاتيني "فيرجل" ففي سنة 814 وقبل 880 ق.م خرجت الأميرة "جونو" أرملة "أسرباس" رئيس كهنة مدينة صور الفينيقية الهاربة من ظلم أخيها "بيغماليون". وهنا استقر بها المقام بشمال إفريقيا تحديداً الساحل تونس واشترت من ملك بربري "أيارباس" قطعة أرض وشرعت في تأسيس المدينة المسماة "كرت جونو" التي أصبحت تعرف فيما بعد بقرطاجنة وكذا يرجعها أصل الكلمة إلى اللفظ الفينيقي "كرت هدشت" التي تعني القرية الحديثة. عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج1، ص: 69، 70.

1- رايح لونيسي، البديل الحضاري، ص: 63.

2- الحضارة البونيقية هي حضارة مزيج تعتبر لغتها البونيقية، وهي مزيج من اللغة الفينيقية واللغة العربية، هذه الأخيرة هي لغة الأمازيغ قديماً. راجع عثمان عكاك موجز تاريخ الجزائر العام، ص32 حيث يذكر يدل لفظ الليبيين الفينيقيين على مواطني المدن الفينيقية أو البونيقية المرتبطين بقرطاجة.

3- غوته، ص: 75.

4- عثمان عكاك، البربر، تامغناست للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ، ص: 54.

5- العودة إلى فكرة مالك بن نبي (فكرة دينية): الإسلام يتبنى حضارة العربية

شرقيا"¹، ويضيف "إن هذه اللغة يقصد الأمازيغية قد طرأت عليها تغييرات كبيرة منذ بداية العهود التاريخية، ففي الشمال الشرقي لأرض المغرب وعلى سواحلها لا بد أنها تقبلت ألفاظا بونيقية.. ولكن نظرا للقرابة المتينة الموجودة بين العربية والفينيقية، فرمما أن هذه الألفاظ تختفي تحت ألفاظ عربية"².

من خلال ما سلف ذكره، استخلصنا مقارنة حيث أننا نلاحظ أن الذين تعربوا في شرق بلاد الأمازيغ أكثر بكثير من غربها³، فالحضارة القرطاجية وجدت في شرق بلاد الأمازيغ، وبهذا فالعلاقة بين اللغة البونيقية واللغة العربية هي التي ساهمت في تعريب الجزء الشرقي لبلاد الأمازيغ أكثر من الجزء الغربي، حيث يذكر أغسال (Gsell)⁴ "ولم تكن قرطاجة - حتى القرن الخامس - سوى قوة بحرية مهيمنة على قسم كبير من سواحل الغرب وليس لها في ذلك منطقة حكم مباشر في إفريقيا بحيث أن البلاد خارج أسوار قرطاجة كانت ملكا للأهالي"، وبالتالي فالمؤرخون الغربيين اتفقوا تقريبا جلهم أن بقاء الفينيقية بألسن الأمازيغ سهل عليهم تعلم العربية، ويتفق معهم مبارك بن محمد المليي⁵ في تأثير اللغة وليس الدين فهؤلاء يرجعون اعتناق الإسلام من طرف الأمازيغ راجع إلى التاريخ القديم وتواجد الفينيقين، إلا أن مبارك المليي يستثنى ذلك ويرجع فضل إسلام الأمازيغ إلى العرب القائمين، أما تعلم اللغة العربية فيتفق أن جذور اللغة العربية والفينيقية واحد⁶ وهذا ما سهل تعلم اللغة العربية.

1-S Gsell, *op. cit.* p. 143.

2- *Ibid.* p. 175.

3- يذكر على أحمد في مقالة مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى، مجلة التعريب، العدد 42، سوريا، رجب/يونيو 2012م، ص: 83. "ولعل أهم قاعدة انتشر منها تيار التعريب هي مدينة قرطاجة (تونس) التي بناها الفينيقيون" ومنه نستخلص أن عوامل التعريب متكاملة، فعوامل الاستراتيجية تكاملت مع عوامل اللغوية ويضيف "في ولاية حسان بن نعمان الغساني على المغرب الكبير تابع سياسة المواءمة بين المشاركة والمغاربة على أساس عربي... يضاف إلى ذلك أنه كان يرى "أن أخطر ما يتهدد المشروع العربي هو الوجود البيزنطي فقد ركز على تدمير مدينة قرطاجة وإقامة مدينة تونس"، ص: 86، بمعنى أنه أسس مدينة عربية على أنقاض الحضارة الفينيقية.

4 - S. Gsell, *op. cit.*, p. 361

5- مبارك بن محمد المليي، ج2، ص: 42.

6- أحمد مختار العبادي، ص: 26.

وعليه، فحضارة قرطاجنة رغم بعدها الزمني، إلا أن أثرها وجد من ناحية النفسية واللغوية، ولم تكن البونيقية في الواقع غير فينيقية قرطاجنة¹، هذه الفينيقية قد تختلف عن فينيقية صيدا وصور، سواء في النطق أو المفردات أو القواعد، وبحكم امتزاجها مع اللغة الأصلية للأمازيغ استخدم القرطاجيون البونيقية-الجديدة (Néo punique)² التي عرفت انتشاراً واسعاً، وقد وجدت فيها الكثير من مفردات الأهالي³، وقد أجمع المؤرخون أن إقبال الأمازيغ على تعلم العربية يرجع أساساً إلى وجود التاريخ الفينيقي في أرضهم (الحضارة القرطاجنية)، ويذكر العربي دحو "إن سرعة اضمحلال اللغة اللاتينية من إفريقية الشمالية وسبب انتشار اللغة العربية بمثل هذه السرعة يرجع إلى أن عدداً عظيماً من الأهالي في هذه البلاد كانوا يتخاطبون باللغة القرطاجنية (البونيقية)"⁴، حيث أنه من معروف أن الأصل العربي للقرطاجيين، ويستشهد بلوحة متكونة من ثلاث خانوات تقارن فيها اللغة البونيقية واللغة العربية الفصحى واللهجة المغاربية العربية*.

جدول⁵ يقارن اللغة الفينيقية باللغة العربية العامية واللغة العربية الفصحى:

وبالعربية الفصحى	مقابلها بالعامي العربي في شمال إفريقيا	الجملة الفينيقية
هنا نحن بني كنعان من فرام تحملنا الاحتقار	هنا حنا بني كنعان من فرام حملنا الحقرة	-ها أحننا بني كنعان م فرم حقرة حمل
أليس حرام أن نحصل هكذا؟	موش حرام نحصلوا هكذا؟	-أوش حر حصل هك
لن تزيد الحياة عندنا أكثر	ما تزدادشي الحياة عندنا أكثر	لا عنا أز يدحيا قنار
إنا أناس البحر في الهم	في الهم الناس متاع البحر	في حيرم أناس تا بحر

1- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، مؤسسة الجزائرية للطباعة، 1992، ص: 90.

2- نفسه، ص: 91.

3- نفسه، ص: 91.

4- العربي دحو، ص: 53.

*- سيخصص الفصل الرابع لدراسة اللهجة المغاربية وعلاقتها بكل من اللغة العربية واللغة الأمازيغية.

5- العربي دحو، ص: 54.

ونخلص مما سبق ذكره أن الفاتحين العرب قد وجدوا أناساً¹ في بلاد الأمازيغ على صلة بالعربية عن طريق قرطاجنة*، التي أتت بها الحضارة الفينيقية في التاريخ القديم، ورغم هدم الرومان للأثر المادي للحضارة إلا أن الأثر المعنوي بقي راسخاً خلال القرون الموالية كنوع من المقاومة لتكون نتيجته مع الفتح العربي الإسلامي تعريب الأمازيغ.

ولنرى مدى ارتباط الأمازيغ بفينيقية قرطاجنة فقد أقام د. عبد الحميد العوني بحثاً مطولاً حول كلمة أمازيغ في 26 لغة قديمة حيث يذكر²، أن الفينيقيون بنوا مملكة على النمط الشرقي في قرطاج، ويتساءل هل الأمازيغي ليس سوى الفينيقي في الغرب؟، ويرجع الدليل إلى أن لفظ أمازيغ مأخوذ من لفظ تمازيرت، وهو لفظ كنعاني ليحول بعد ذلك إلى مصطلح (أمازيغن)، ومنه تمازيرت ترادف أمازيغت، وتعني الأم سواء المعنى الروحي وهي الأرض، أو الأم في العائلة، والمصدر لدى الأمازيغ مازيرت قبل أن يضاف إليها التأنيث، أما من ناحية اللغة العربية فتحوّلت أمازيغت، فميم دلالة على الأم، ويذكر أيضاً دليل آخر هو في آخر كلمة أمازيغن، فالغين والنون حرفت بعد أن كانت فاء ونون أمازيغن، وفن تعني الأحمر الداكن، وهي من صلب الحضارة الفينيقية، والأحمر صفة لبشرة الأمازيغ (الأبيض المائل للجمرة)، وبالتالي فإن الأمازيغ من خلال تسميتهم هم سكان اعترفوا بالأرض أمّا لهم، مرتبطين بالحضارة الفينيقية ولغتها³، ولهذا فإننا نجد الأمازيغ اتخذوا اللغة الفينيقية

1- العربي دحو، ص: 54.

*- لقد استعمل الأمازيغ اللغة البونيقية في حدود قرطاجنة وكذا من الواضح أيضاً أن حضارة قرطاجنة استطاعت أن تمر لغتها لدي الممالك الأمازيغية المستقلة في الاستخدام الإداري، وهناك أدلة على أدب بكامل اللغة البونيقية منهم أدب القديس، منها القديس أغسطين. راجع نيقولاس أوستلر إمبراطوريات الكلمة تاريخ اللغات في العالم ترجمة د. محمد توفيق البرجمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2011م، ص: 126-127.

2- عبد الحميد العوني، ص 05

3- نفسه، ص: 06.

لاعتراّفهم بأن أصولهم مع الفينيقيين واحد¹، وعليه فالفينيقيون لم يصنعوا حضارة وحسب، بل مزجوا كل حضارات البحر المتوسط من خلال التجارة والتوسع والحضور، وجعل لغتهم عالمية عادت لتبرز التعريب مع الفتح العربي الإسلامي، فاللغة البونيقية سهلت المهمة للعرب الفاتحين نظراً لاستمرار بقائها بعد انقراض السلطة السياسية للبونيقيين، والتخريب الكلي لقرطاجنة كما سلف الذكر، وكانت سبباً في تبني اللغة العربية واندثار اللغة اللاتينية².

ثانياً: التعدد اللغوي الأمازيغي ووحدة اللغة العربية.

نستهل هذا العنصر بما ذكره الفيلسوف الألماني هيدغر "عن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعاله وتضاريسه، ومن نوافذها ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع"³، إن هذا التصريح يؤكد أنه إذا ما فقد أيّ شعب استخدام لغته الأم، فإن ذلك سيؤدي إلى طمس ذاتيته الثقافية وفقدانه هويته المميّزة⁴، فاللغة تعد أحد أهم مظاهر السلوك البشري، فالإنسان لا يستخدم اللغة للتعبير فقط عن شعور أو أحاسيس غريزية، بل تشكل أفكاراً وعقولاً، إضافة إلى دورها في تسهيل عملية التواصل بين الناس، وبالتالي إمكانية نسج علاقات اجتماعية متبادلة تكون ضرورية لتأسيس مجتمع ما⁵، كما أن لها غاية أخرى تتمثل في تمييز الأشياء عن بعضها وتلقين بعضنا البعض هذه الأشياء أي التمثل والتواصل*، وسنجد أن تطور اللغة أدى إلى تطور دورها، ففي بداية القرن العشرين اقترح عالم اللسانيات "مالينوفسكي

1- عبد الحميد العوني، ص: 07.

2- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 116.

3- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 بيروت، لبنان، تموز 2014م، ص: 81.

4- نفسه، ص: 81.

5- محمد كوخى، ص 120

*- التمثل بمعنى تسمية الأشياء والتواصل معرفة المجتمع لهذه المسميات.

malinovsky أن تلعب اللغة دوراً في تأسيس روابط الهوية، وأطلق عليها المشاركة الوجدانية¹، ومنه فإن أهم وظيفة للغة وأخطرها هو الدور الذي تلعبه في تشكيل هوية الناس وتميزهم عن الآخرين، وغالباً ما يكون للمكون اللغوي² دور أساسي في تعريف أمة معينة وإعطائها هويتها المتميزة كما هو الحال في الوطن العربي، وبهذا فإننا قد وجدنا أن مهام اللغة تطورت على النحو التالي:

(1) مهام التواصل: بغرض التواصل بين أفراد المجتمع.

(2) مهام الاجتماعية: بغرض تثبيت روابط المجتمع وتأسيسه.

(3) مهام نفسية وعاطفية: تطورت المهام لتصبح ذات طابع هوية.

ومع العودة إلى اللغة الأمازيغية، فقد أُرجع أصلها إلى اللغات الأفروآسيوية*، لكن الميزة التي لازمتها هي تعدد لهجاتها، وبهذا لزم علينا قبل الخوض في المسألة التمييز بين اللغة واللهجة، وهذا بالاعتماد على نظريات علماء اللسانيات³، حيث يتطلب الأمر معرفة ما اصطلح على تسميته في علم اللسانيات "معيّار التفاهم المتبادل"، فإذا حدثت صعوبة في تحقيق التواصل فهذا يعني أننا أمام لغتين مختلفتين، أما إذا تحقق التواصل رغم وجود اختلافات في طريقة النطق في بعض الكلمات فهذا يعني أننا أمام لهجتين مختلفتين تنتميان إلى نفس اللغة، هذه الأخيرة يصطلح تسميتها في علم اللسانيات **باللغة المعيارية**⁴، أي لغة القراءة والكتابة والتعليم، وبالعودة إلى اللغة الأمازيغية فإنه ومهما كان أصلها إلا أن الواقع يبرز أن معيار التفاهم المتبادل قد

1- محمد كوشي، ص: 123.

2- نفسه، ص: 124.

*- راجع المدخل من الأطروحة حيث فصلنا فرضيات أصول الأمازيغ والأمازيغية

3- محمد كوشي، ص: 132.

4- نفسه، ص: 132.

انعدم* فيما يخص لهجات الأمازيغية¹ حيث يذكر ابن خلدون عن لغة قبائل زناتة " هذا جيل في المغرب جيل قديم العهد .. وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في السني الحيام واتخاذ الابل وركوب الخيل... وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة"، وهذا دليل على أن الأمازيغ ومنذ الفتح الإسلامي انعدمت بين قبائلهم لغة التواصل، فمثلا حالياً معظم المغاربة الناطقين تاشحليت او تامزيغت لا يمكنهم التواصل فيما بينهم إلا إذا استعملوا لغة مشتركة، والمتمثلة في العربية وبهذا كان لزاماً عليهم أن يتعربوا لتحقيق التواصل، وهذا باستخدامها كلغة معيارية وعليه فإن تعريب الأمازيغ لأنفسهم كان غايته التواصل مع بني جلدتهم، فتطور بذلك الغرض من التعريب من مهام التواصل إلى مهام اجتماعية لتثبيت روابط المجتمع إلى مهام نفسية وعاطفية ذات طابع هوية بمعنى الانتقال إلى تأسيس مجتمع جديد.

(IX) العوامل النفسية :

إن للعوامل النفسية دوراً هاماً في تاريخ الأمم، حيث يذكر غوستاف لوبان "إن تاريخ الأمة يرجع إلى عرقها لا إلى نظمها ونحن حين بحثنا في تكوين العروق التاريخية رأينا أن انحلال هذه العروق يتم بالتوالد وأن الأمم التي حافظت على وحدتها وقوتها، كالآريين في الهند قديماً وكالإنكليز في مختلف مستعمراتهم، هي التي ابتعدت بعناية عن كل اختلاط بالأجانب، ووجود الأجانب وإن قلوا يكفي لتفسير روح الأمة، ووجودهم أيضاً يفقد الأمة أهليتها للدفاع عن أخلاق عرقها وعن آثار تاريخها وعن أعمال اجدادها"². ونحن بصدد دراسة علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ لزم أن نذكر أن العامل الأساسي في تعريب الأمازيغ هو تأثير العنصر الأجنبي الحامل للفكرة الدينية، والمقصود بالعنصر الأجنبي في هذا البحث هو العنصر العربي، وعليه فإننا

*- نجد في تاريخ البشرية عدة امثله على لغات لها نفس الأصل الا ان معيار التواصل فقد مع صيرورة التاريخ فعلي سبيل المثال تشترك عدة لغات أوروبية كاليونانية الايطالية الفرنسية والاسبانية البرتغالية في أصل واحد وهو اللغة اللاتينية.

1- ابن خلدون، العبر ج7، ص: 03.

2- غوستاف لوبان، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1957، ص132

نستشف أهمية تاريخ العرق فيما يخص معرفة مزاجه، وهنا تكمن أهمية العوامل النفسية والدليل ما ذكره غوستاف لوبان "يمكن عرض التاريخ عرضاً بسيطاً للنتائج الصادرة عن مزاج العروق النفسي ويشق التاريخ من ذلك المزاج"¹، ويضيف "ويغدو تطور التاريخ بغير سابق معرفة لمزاج الأمة النفسي"، ومنه نستشف من هذا التصريح للفيلسوف الاجتماعي غوستاف لوبان أن العامل النفسي له أهميته في تكوين العروق التاريخية، ومن أقسامها الشعور الديني الذي يعتبر عاملاً نفسياً يُبنى عليه تاريخ الأمم.

- تأثير المبادئ الدينية على نفسية المجتمعات:

منذ اعتناق الأمازيغ الإسلام شكلوا نواة لأغلبية الجيوش الإسلامية التي توغلت في غرب أوروبا، وقد حركهم الحافز الديني حيث يذكر غوستاف لوبان عن أهمية المبادئ الدينية في تحديد تاريخ الأمم ما يلي: " مثلت المبادئ الدينية دوراً أساسياً بين مختلف المبادئ التي تسير الأمم اذ تولد مع كل مبدأ ديني جديد حضارة جديدة، ومنه فالمجتمع يبحث عن إيجاد حال نفسية تجعل الإنسان سعيداً"²، أي أن النتيجة لكل اعتناق ديانة جديدة هي إحداث بعض الأحوال النفسية، وقد أعطى غوستاف لوبان مثلاً عن سعادة الشهداء عند موتهم فإنهم أكثر سعادة من جلادهم، وهذا بتبنيهم فكرة الخلود في الجنة³، ومنه فإن الفكرة الدينية تؤثر تأثيراً كبيراً في تطور تاريخ الأمم باقتنائها بالشق النفسي للمجتمعات. وهذا ما يؤكد هشام جعيط لدي الأمازيغ "أن الشعور الديني في حد ذاته أكثر أهمية من التفكير الديني... في الحقيقة التدين الذي هو التوجه لعظمة الله المتشعبة بالورع في معناها العميق، وهنا نجد عقلية البربرية.. وهي متصلبة وعنيفة طبعاً غير أنها متفردة في انفعالاتها"⁴

1- غوستاف لوبان، السنن النفسية لتطور الأمم، ص 117.

2- نفسه، ص: 157.

3- نفسه، ص: 158.

4- هشام جعيط، ص: 167.

وبالعودة إلى موضوعنا "فإن الأمة التي يهيمن عليها المعتقد لا تغير مزاجها النفسي غير أن جميع ملكاتها تتوجه بذلك إلى غرض واحد تتوجه إلى نصر معتقدها فتصبح قوتها هائلة لهذا السبب وبذلك تقوم إلى تشييد الدول التي تدهش التاريخ"¹، والدليل أن بعض القبائل العربية التي اتحدت بفعل الإسلام بعد أن كانت متناحرة في وقت سابق، قهرت في سنين قليلة أمماً وإمبراطوريات، فأقامت هي نفسها إمبراطورية واسعة، وعليه فال تغيير الذي يحدث في معتقد الأمة سيؤدي إلى سلسلة من التطورات في حياتها². وهذا ما حدث مع الأمازيغ فاعتناقهم للإسلام سيؤدي إلى إحداث تطورات هامة في البنية السوسولوجية، هذه الأخيرة ستربط بعوامل زمنية ونفسية، وهذا حسب ما ذكره مالك بن نبي "وعلاج أي مشكلة يرتبط بعوامل زمنية ونفسية ناتجة عن فكرة معينة، تؤرخ من ميلاده عمليات التطور الاجتماعي، في حدود الدورة التي ندرسها فالفرق شاسع بين مشاكل ندرسها في إطار الدورة الزمنية الغربية ومشاكل أخرى تولدت في نطاق الدورة الإسلامية"³.

فالعوامل النفسية التي أدت إلى تعريب الأمازيغ ترتبط أساساً بنطاق الدورة الإسلامية بحكم أنه عامل هام في تعريبهم سواء المستوى الأولي بتبني اللغة أو المستوى الثاني بتبني الفكرة الأصل وهي الإسلام، وكان من المفروض أن الفئة القليلة إذا اختلطت بشعب (فئة كبيرة) كالأمازيغ لا بد أن تذوب فيه وتكون جزء منه⁴، وهذا هو طبع البشر، فقد جعل الإنسان كائن اجتماعي بالفطرة، حيث يمتزج بالجماعة التي تختبره وبهذا تدفعه غريزة الاجتماع للتطبع بطباع الجماعة⁵، فتكون النتيجة الذوبان في جماعة بحكم العدد.

ونرى أن الأمازيغ من الشعوب المعتزة بأصولها، الفخوريين بشخصيتهم فإن هاجرت إليهم جماعات فمن المنطقي أن تتبربر في لغتها وتقاليدها، ومنه فذوبان هذه الجماعات المهاجرة إلى أرض الأمازيغ أمر طبيعي بحكم

1- غوستاف لوبان، السنن النفسية لتطور الأمم، ص: 160.

2- نفسه، ص: 160.

3- مالك بن نبي، ص: 48.

4- محمد على الدبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص: 38.

5- نفسه، ص: 38.

العدد، إلا أنه العكس هو الذي حدث، ويُفسر ذلك أن صاحب وحامل الفكرة الدينية (الإسلام) وهم العرب الآتون من شبه الجزيرة العربية قد ساعدتهم هذه الأخيرة بأن يتطبع الأمازيغ بطبعهم، أي بمعنى آخر لولا الإسلام وقوة الفكرة الدينية واعتناق الأمازيغ له لما استطاع الأمازيغ أن يتعربوا. أما فيما يُفسر بالنسبة للأمازيغ الذين لم يتعربوا فراجع لكون الفكرة الدينية التي حُملت إليهم كانت من بني جلدتهم، وبهذا أسلموا دون أن يتعربوا، وهذا ما سنفصل فيه في الفصل الآتي، أي عوائق التعريب في بلاد الأمازيغ.

الفصل الثالث

عوائق التعريب في بلاد الأمازيغ

سنركز تحليلنا في هذا الفصل على العقبات أو العوائق التي تعرضت لها عملية التعريب حيث أننا لاحظنا من خلال تصفحنا لخريطة الأديان في العالم أنه لا تعادل بين انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية¹، ودليل أن العالم الإسلامي ككل يتضمن عدة أقطار هامة يتكلم أهلها بغير اللغة العربية، وعلى سبيل المثال لا الحصر السيادة العربية في بعض الأقطار المفتوحة لم تفض إلى التعريب مثل إيران*.

وللعودة إلى إشكالية علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ، فلقد لاحظنا في الفصول السابقة أن النتيجة المنطقية أن يتعرب الأمازيغ بعد إسلامهم، حيث اجتمعت عدة عوامل سواء خارجية أو ذاتية وساهمت بذلك في تعريبهم، أكثرها كان مرتبطاً بالإسلام في حد ذاته، حيث نشأت في فترة الفتوحات الإسلامية ظاهرتان بارزتان، أولهما الأسلمة وثانيهما التعريب، إذ كانتا متوازيتان في بادئ الأمر، حيث أن الإسلام رسم خطاه، وتتبعه التعريب وحفر آثاره²، لكن عوائق كثيرة حالت دون سيرهما معاً، فتأخرت حركة التعريب³ مقارنة مع الأسلمة، وبهذا فإن التعريب لم يكن ظاهرة أفقية⁴ مواكبة للأسلمة، وعليه فإننا نستخلص أن تسمية الغرب الإسلامي أو المغرب الإسلامي في القرون الوسطى تنم عن صحة المصطلح (بحكم أن الأمازيغ جلهم أسلموا)، أما تحوله إلى المغرب العربي فإن هذه التسمية بعيدة كل البعد عن التركيبة الديموغرافية لبلاد الأمازيغ برغم من تعرب جلهم، إلا

1- كارل كلير، عدم تعادل انتشار الإسلام واللغة العربية في العالم، مجلة لسان العربي، العدد 06، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب، ص: 285.

*- انحصرت عوامل عدم حصول تعريب في بلاد فارس رغم دخول الإسلام إليها فيما يلي:

- اقتصر العرب الفاتحين على التجمع في مراكز مدينة متباعدة.

- عدم انتشارهم في الأرياف.

- وجود ثرات فارسي وحضاري قوي وكذا وجود لغة أدبية فارسية، وهذه الأخيرة كانت خطوة أساسية في تحديد نطاق التعريف تم إيقافه.

- انتقال السلطة السياسية إلى أهل البلاد منذ القرن 4هـ، وكان ذلك أثره في تأكيد الذات وتوقيف مسار التعريب.

راجع عبد العزيز الدوري، الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، مجلة المستقبل العربي، لبنان، فبراير 1981م، ص: 61.

2- عبد الله كَنُون، ص: 42.

3- نفسه، ص: 42.

4- عبد العزيز الدوري، الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، ص: 61.

أن فئة حافظت على هويتها رغم إسلامها إلى يومنا هذا، وهذا ما سنركز عليه في هذا الفصل، بالتطرق إلى معرفة العوائق التي لم تسمح لهؤلاء بالتعريب.

(I) العوائق التاريخية:

إن بلاد الأمازيغ تحوي عبر صفحات تاريخها زخماً من الأحداث التاريخية، التي تعود إلى فترة التاريخ القديم، هذا الزخم هو الذي حمل في طياته العوائق التي حالت دون تعريب الأمازيغ وتمثل فيما يلي:

أولاً: أوضاع الأمازيغ تحت سلطة روما.

من خلال مواكبة تاريخ الأمازيغ عبر مختلف فتراته، لاحظنا تعاقب فترات الاحتلال، وما إن يخرج احتلال حتى يدخل آخر، أو حسب تعبير عبد الله العروي "من استعمار إلى آخر"¹، حيث تعاقب الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون، وهذا ما أدى إلى أن طول مدة الحقب الاستعمارية قد رسخت في شخصية الأمازيغ طابع الأنفة (العزة)، وعدم الخضوع للأجنبي مهما علا شأنه وقويت شوكته، وكذا مهما طالت مدة حكمه، وهذه الميزة نجد انه ينفرد بها الأمازيغ، ومنه فالتعريب رغم أنه مس أكثرية الأمازيغ إلا أنه فشل في تعريب كل الأمازيغ، وهذا راجع إلى مميزات تاريخه القديم.

وعليه سوف نري أوضاع الأمازيغ تحت سلطة روما. حيث اننا سنسلط الضوء على ظاهرة الرومنة وبهذا نقاربا مع ظاهرة التعريب فأوجه التشابه كلاهما فشل في فرض هويته على الأمازيغ مع الاحتفاظ بالجانب العددي*، وبهذا فإن روما أنشأت إمبراطورية عالمية اضطهدت الشعوب الأخرى حيث جاءت تسمية كل الشعوب خارج نطاق حدود الإمبراطورية الرومانية بالبرابرة Barbar، وقد استمدت معناها من الحضارة اليونانية حيث يرجعون الكلمة إلى فارفاروس (Varvaros) وهي تعني اللفظ والكلام غير مفهوم، ومنه فالمعنى العام

1- عبد الله العروي، ج 1، ص: 55.

*- نقصد هنا بالعددي أن روما رومنت الأقلية في حين فشلت مع الأغلبية، أما التعريب فقد عرب الأكثرية وفشل في تعريب الأقلية من الأمازيغ.

للكلمة في عهد الإمبراطورية الرومانية "كل الشعوب التي لا تتكلم اللاتينية"¹، وهذا اعتقاداً منهم بتفوق الحضارة الرومانية على كل حضارات العالم آنذاك، وقد كانت نظرهم تمييزية عنصرية.

هذا ما جعل الأمازيغ يرفضون فكرة الدولة الكونية الواحدة التي دعت إليها روما أولاً والكنيسة الكاثوليكية ثانياً²، لأنها اقتزنت في ممارستها اليومية بالعبودية، حيث استمرت فترة الاستعمار الروماني خمسة قرون تقريباً (46 ق.م إلى 429م) حتى مجيء الوندال (Vandales).

وأهم ميزة ميزت فترة الاحتلال الروماني لبلاد الأمازيغ هي استغلال أراضيهم مع استعبادهم، وتمثلت ديناميكته أساساً في توسيع القاعدة العقارية، وبالتالي امتلاك الأراضي والعبيد، وهذا بامتلاك طبقة الإشراف (الرومان) ملكية الأراضي الذي كان وراءه توسيع دائرة نظام الاستعباد³، ولكي يزيد الإشراف مساحة أراضيهم وعدد عبيدهم عمدوا إلى محاولة "دمج" العامة، وهذا بفتح الخدمة العسكرية للشعب غير المالكين للأراضي، وعليه لم يعد الجيش الروماني جيش طبقة أرستقراطية بل جيش طبقات وكان من المفروض على طبقات روما المسيطرة تأمين الحد الأدنى لحاجيات الشعب (الخبز والألعاب)⁴.

ومنه كلما توسع نظام الرق (العبيد) زاد ارتباط الإشراف بالشعب (العامة) وبهذا كان على الإشراف أن يسعوا دائماً إلى غزو أراض جديدة لتأمين المزيد من القمح والعبيد، وكان احتلال بلاد الأمازيغ هدفه تأمين هؤلاء، وعليه تم إخضاع الزراعة وصرف منتجاتها (الحبوب) * لخدمة مصالح طبقة الإشراف الرومانية، وهذا ما

1- G.H. Bousquet, *op. cit.*, p89.

2- عبد الله العروي، ج1، ص: 97.

3- عبد القادر جغلول، ص: 16.

4- نفسه، ص: 16.

* - لقد كانت بلاد الأمازيغ خزان حبوب للإمبراطورية الرومانية، وهذا وهناك مقاربة بسيطة في الفتح الغربي الذي وجد فيه زراعة الزيتون التي اعتبرت ثروة بلاد الأمازيغ حتى أنها أدهشت الفاتحين العرب، حيث يذكر المالكي، ص: 35، "إن منطقة إفريقية كانت ظلاً واحداً من طرابلس إلى طنجة وقرى متصلة الشجر والمدائن المنتظمة، حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيراً ولا أوصل بركات من أقاليم إفريقية والمغرب مسيرة ألفي ميل في مثله".

انعكس سلباً على جل الأمازيغ، وقد أدت إقامة مستعمرات أيام حكم الإمبراطور "تراجان Trajan" إلى تقسيم الأراضي النوميديّة، وهذا ما يفسر حركات التمرد التي قادها الأمازيغ ضد اللوتيفوندات*، وأهم حركات المقاومة والتمرد ضد استعباد الأمازيغ مقاومة "تاكفريناس Tacfarinas" (16-24م)، ولكي لا نبتعد عن إشكالية الأطروحة علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ سنركز على سياسة الإمبراطورية الرومانية في رومنة الأمازيغ، حيث أنه وجدت فئة قليلة من الأمازيغ المرومون (أي الذين تبنا الحضارة الرومانية بكل أوجهها)¹، لكن لزم الذكر أن أغلب الأمازيغ رفض الاندماج، وظلوا محافظين على لغتهم وعاداتهم، ويذكر عبد الله العروي فيما يخص روما والرومنة. "أن مشكل الرومنة ينحصر في ثلاث مسائل (التمدن بمعنى تخطيط المدن، انتشار اللسان اللاتيني، ودور الجيش"²، هذه ثلاث عوامل كانت تستعملها روما لمحاولة رومنة الأمازيغ، إلا أن قراءة العموميات ستؤدي بنا إلى استخلاص خاطئ، فتخطيط المدن أدى إلى وجود تحصينات، هذه الأخيرة تؤدي بنا إلى استخلاص تمييز واضح بين المستوطنين الرومان والأمازيغ³، والدليل على ذلك ثورة الدائريين سنة 340م (السيركونسلونون Circoncellone)** وما يهمنا هنا أن هذه الثورة كانت بحاجة إلى دعم ديني، فربطت

* - اللوتيفوندات: هي مزارع الرومان في بلاد الأمازيغ أي مزارع كبار الملاكين (طبقة النبلاء من الرومان). عبد القادر جغلول، ص: 19
1- نفسه، ص: 21. ويضيف أن هناك أمازيغ اندمجوا وذابوا في طبقات المديرية للحكم وتبنوا طريقة الحياة والثقافة الرومانية، وقد أعطت هذه الطبقة الأرستقراطية الجديدة إمبراطور لروما هو سبتيم سيفر. Septime Severe.
2- عبد الله العروي، ج1، ص: 76.
3- نفسه، ص: 76.

** - سيركونسلونون: تعني الدوارين أو الدائريين وهي تعني من يدور حول مخازن الحبوب لنهبها، عبد الله العروي، ج1، ص: 88، ويضيف عبد القادر جغلول، ص: 26 هامش رقم 06، كان الدائريون حول مستودع الحبوب *circocelions* يكرهون الأسياد والأغنياء، وكانوا إذا رأوا سيدياً في عربة وحوله عبيده أنزلوه وطلبوا من العبيد الصعود". كما يذكر عقون محمد العري، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم. ديوان المطبوعات الجامعية، 2008 للجزائر، ص: 291. هناك فرضيتان في تفسير مصطلح السيركونسلونون (*Circoncellions*) الأولى مصطلح مشتق من الأصل اللاتيني *Circum Cellas* أي الذين يطوفون حول الإهداء، والفرضية الثانية وهي أن مصطلح مشتق (*Circum Cellae*) أي الذين يطوفون حول المصليات أي الكنائس أي كهنة الدوناتيين الذين يطوفون في صلواتهم حول شهداء المسيحية الدوناتيين.

نفسها بالمذهب الدوناتي أي ثورة الدوناتيون¹ ، وبهذا نلاحظ أن الإمبراطورية الرومانية في بلاد الأمازيغ وأمام هذا الضغط المتزايد من طرف الثوار² لم تستطع زيادة مناطق نفوذها، وتقلصت المناطق المحتلة الليمس³ (Limes) ، (السد الأمني) ومنه هذا السد الأمني الذي سيلعب دوراً هاماً في المحافظة الأمازيغ على هويتهم وعدم رونتهم من خلال محاولات الاحتلال الروماني، وأيضاً عدم تعريبهم خلال الفتح العربي بحكم أنهم حافظو على حدود الليمس منذ الاحتلال الروماني رغم نجاح الفتح العربي والفرد العربي في التغلغل في ما وراء الليمس، وللعودة إلى المقاربة بين الرومنة والتعريب، فخلال الفترة الرومانية في بلاد الأمازيغ نشأت معارضة مكونة من الدوناتيين والدوارين أو الدائريين حول مستودعات القمح ضد الحلف الثلاثي في الإمبراطورية الرومانية التي تضم الكنيسة الكاثوليكية والملاكين الكبار العقاريين والجيش الروماني، ومنه لاشك أن الرومان حاولوا نشر لغتهم اللاتينية قصد كسب المجتمع الأمازيغي لكن نتيجة السياسة الاستغلالية التعسفية جعلت الأمازيغ ينفر من لغتهم وآدابهم وثقافتهم، فلم يؤثر الرومان على الأمازيغ في هذا المجال إلا في فئة قليلة⁴ كانت تعيش تحت ظل الحكم الروماني طبقة من الأمازيغ يعيشون في المدن إلى جانب الرومان⁵ خارج الليمس وعلى سبيل المثال لا الحصر بعض الحكام الأمازيغ المرومون كـ"يوبيا الثاني"، ومنه وبسبب التحصينات رفض أغلبية الأمازيغ رومنة روما

1- المذهب الدوناتي: الدوناتيون يقصد بهم المسيحيون الذين إضطهدوا في عهد الإمبراطورية الرومانية الوثنية وكانوا على العقيدة الصحيحة التوحيد لا الكثرة التي هي وريثة الوثنية بقناع المسيحية، والتي استبعدتهم وبعدها تغيرت السلطة الدينية فقط لكنه الاستبعاد بقي بنفس الطريقة. ويفرضون الاعتراف بسلطة الكهنة دون المستوى. راجع غوتيه، ص: 154. أي قضية المرتدين أو المنافيين أو حتى الخونة تعددت تسميتهم في المراجع حيث ان الصراع سيستمر ما بعد وفاة الأب دونا ضد السلطة الرومانية (كنيسة الرسمية) وبهذا سيتبنى اتباع الاب دونا مبادئه وتندلع ثورة باسمهم، وقد كثر أعداد أتباع المذهب الدوناتي وكادوا سنة 330م أن يستولوا على كنائس إفريقية، حيث بلغ عدد الكنائس سنة 411م (187 كنيسة منها 87 دوناتية وبقية موزعة على باقي المذاهب). راجع عبد الرحمن محمد الجليلي، ج1، ص: 98، وبالتالي، يمكن أن يستنتج مما ذكر أن جل البربر كانوا دوناتيين بسبب احتواءه على تعاليم الثورة.

2- لقد توحد كل من قبائل الأمازيغ وثار السيركسيليون والدوناتيون عام 373م، في ثورة عارمة تحت قيادة قائد أمازيغي قيرموس Firmur وبعد 20 عام خلفه جيلدون. Guldان راجع عبد القادر جغلول، ص: 24.

3- الليمس: خط التحصينات الرومانية التي تحيط بالأقاليم المحتلة من طرف روما. نفسه، ص: 69.

4- عبد الله العروي، ج1، ص: 77.

5- صالح فركوس، ص: 26.

لهويتهم ووجدت عدة عوامل اعتمدها روما في رومنة الأمازيغ¹ اعتماداً على تنظيم الجيش الروماني، حيث يصلح كل جيش لإدماج أبناء الشعب في الطبقة الحاكمة بما يلقتهم من انضباط، وما يفرض عليهم من لغة ومنحهم من امتيازات حيث يقدم للفرد بعد أن يقضي خمس وعشرين سنة² في الجندية حق المواطنة الرومانية ويعطى بصفته من قدماء المحاربين قطعة أرض، وبهذا كان الجيش يرومن الشعب ويعمر الأرض³.

وبهذا نلاحظ أن عوامل الرومنة تقاطعت في عدة نقاط مع عوامل التعريب ما عدا بعض الخصوصيات التي احدثت الفارق العددي ونذكر منها:

- الجيش: فما يخص دور الجيش فرغم أنه أداة فعالة في الرومنة إلا أن الخدمة كانت تدوم أكثر من عشرين سنة، وبهذا فالجيش لم يكن يتجدد بسرعة⁴، وعليه فمدة الخدمة العسكرية وطول مدة مكوث الأمازيغي خارج مجتمعه ستؤدي إلى انعدام تأثيره حتى وإن تشبع هو بالحضارة الرومانية.

- اعتناق المسيحية: فيما يخص تنصير الأمازيغ هو تتويج للرومنة خاصة المذهب الكاثوليكي، فقد رأينا أن الأمازيغ اعتنقوا المسيحية الدوناتيية كنوع من المعارضة لسلطة روما، حيث التحم الدوناتيون مع الدائريين بثورة عارمة عام 373م بزعمارة الزعيم الأمازيغي فيرموس (Firmus)، وبعد عشرين سنة تواصلت الثورة بزعمارة جيلدون (Gildan)، وهنا تواصلت ثورات الأمازيغ ضد الاحتلال الروماني، ويصر المؤرخون الغربيون أن تنصير الأمازيغ لم يكن إلا تتويجاً للرومنة⁵، ويستدلون بذلك بالقدّيس أوغسطين، وهو ممثل الكنيسة الرسمية الرومانية،

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 63.

2- نفسه، ص: 63.

3- نفسه، ص: 63.

4- نفسه، ص: 76.

5- نفسه، ص: 77.

أصله أمازيغي مرومن أي تبنى الحضارة الرومانية وهو أسقف كنيسة بونا (عنابة) له آراء تخدم الملاك العقاريين¹، ومنه التحالف المذكور سالفاً. وبالتالي هناك مقارنة غريبة بين التنصير والرومنة والإسلام والتعريب*.

وقد فضل الأمازيغ الذين فرضت عليهم روما الالتجاء إلى ما وراء الليمس الحفاظ على هويتهم ورفض المسيحية المبينة على العبودية، واعتنقوا كما سبق الذكر الدوناتية، فنظريات القديس أوغسطين تمثلت في أن "العبودية ليست إلا عاقبة الإثم عقاب المذنب وكفارة الغنى... فالفقير الحقيقي هو الفقير في عمق الروح فليست مهمة الكنيسة الكاثوليكية جعل العبيد أحرار بل جعلهم طيبين"²، وعليه ليس من العجيب أن تجعل الكنيسة إفريقية الرومانية القديس أوغسطين رمزاً لها بحكم آرائه التي تخدم مصالحها، وبهذا نستخلص أن الأمازيغ غير مترومين تراجعوا إلى ما وراء الليمس، وحافظوا بذلك على هويتهم رافضين الرومنة، وكذا اعتنقوا المسيحية لكن في شقها الدوناتى، هؤلاء أنفسهم اعتنقوا الإسلام ورفضوا التعريب متبنين بذلك مبادئ مذهب الخوارج، وعليه فانه هناك مقارنة بين الدوناتية ومذهب الخوارج. حيث يذكر جورج مارسيه "إن اعتناق البربر للمذهبيين وسيلة لا غاية فكلاهما أمد البربر بالحافظ الخلقى (الديني) لتبرير ثورتهم على الحكام"³. ويضيف بهذا الصدد شارل أندري جوليان "كانت الدوناتية وسيلة لوضع حد لانتهازية الكاثوليك... وكان مذهب الخوارج في المغرب سلاح البربر في النضال.. وتعبير عن سخط والحقد على السلطة القائمة"⁴، ومنهم فإن هؤلاء وجدوا مقارنة بين الاستغلال السلطة للأمازيغ وبالتالي تبنيتهم المذاهب التي أغلبها تواجه هذا الاستغلال المححف

1- أندري برنيان، أندري نوشي إيف لاکوست ترجمة إسطنبول رابع ومنصف عاشور، الجزائر بين الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص: 81، 82.

*- هناك مقارنة عجيبة في تاريخ الامازيغ حيث تنصر الأمازيغ ونتيجة ممارسات روما العنصرية اعتنقوا المذهب المسيحي المنشق وهو الدوناتية وقاوموا بذلك الرومنة اما الإسلام فاعتنق الأمازيغيون الإسلام عن قناعة لكن ونتيجة ممارسات الدولة الاموية التمييزية اعتنقوا مذهب الخوارج وقاوموا نفوذ الدولة الاموية السياسي.

2- أندري برنيان أندري نوشي إيف لاکوست، ص: 82.

3- جورج مارسيه، ص: 140.

4- شارل أندري جوليان، ج1، ص: 328.

ضدهم، ومنه وجدت المقاربة القائلة "بأن مذهب الخوارج يشترك مع الدوناتية في التعبير عن روح الاستقلال عند الأمازيغ" والتي ستحافظ بدون شك على هويتهم أي تشابه مذهب الخوارج في بلاد الأمازيغ بشقيه الإباضي المعتدل والصفري المتطرف وبين الدوناتية المعتدلة والسركونسليونية (الدائريون) المتطرفة إذا وجد التشابه في النقاط التالية:

(1) - لقد تشابه مذهب الخوارج والدوناتية في العديد من صفات الالتزام الصارم بأصول العقيدة والاستشهاد

في سبيل المذهب حيث يذكر غوتيه "بوسعنا أن نطلع على مدى التعصب الديني الدوناتى في مبدأ

الانتحار الجماعي المعروف لديهم.. أما الخوارج فهم متعطشون بدورهم للاستشهاد"¹.

(2) - أقر غوتيه أن الأمازيغ في كلتا الحالتين ثاروا ضد السلطة الاستبدادية حيث يصرح أن "ثورة الخوارج ثورة

بربرية ديمقراطية ذات محتوى سياسي واجتماعي ذو صبغة دينية، وهكذا كانت الدوناتية"².

وبالتالي فإننا نستخلص من هذه المقاربة بين الدوناتية والخوارج أنها ذات قناع ديني بمعنى أن الأمازيغ

مجتمع متدين بطبعه منذ القدم، وبالتالي سواء اعتنق المسيحية أو الإسلام إلا أنه رفض الرومنة أو التعريب وقد

شكلها على شكل مقاومة استخرجها من الدين نفسه حيث تبنى المذاهب الدينية التي ترفض الصبغة

السيويولوجيا. وحاول بذلك الحفاظ على هويته الأمازيغية.

غير أن الإشكالية في المقاربة بين تبنى الرومنة والتعريب هي أن الأمازيغ أغلبهم رفض الرومنة وأقلية

تبنها في حين أن التعريب هو العكس تماما إذ أن الأغلبية تعربت والأقلية حافظت على هويتها مع أنها جلهم

أسلم فهل مقاربة غوتيه صحيحة في ذكر أن مذهب الخوارج هي الدوناتية نفسها منقولة من الإطار المسيحي إلى

الإطار الإسلامي³.

1- غوتيه، ص: 152.

2- نفسه، ص: 153.

3- نفسه، ص: 153.

في هذا الصدد لم يوافق بعض المؤرخين¹ علي مقارنة غوتيه فانقتدوا تحليله الذي اتسم بعدم الموضوعية²، فيذكر عبد الله العروي "إن إسلام البربر توسع تحت راية الخوارج"³، وبهذا فقد تبني الأمازيغ مذهب الخوارج سيساعدهم على إبقاء الإسلام ونبذ السوسيولوجية العربية حيث وجدوا في مذهب الخوارج ما يخلصهم من استبداد الولاة الأمويين، وهذا ما يفسر أسلمة جُل الأمازيغ وتعريب أغليبتهم وليس جلهم. أما الدونانية (المسيحية) فقد فشلت في تبني جل الأمازيغ لها بوجود التحالف الثلاثي (الإمبراطور الذي يمثل السلطة السياسية، الكنيسة الكاثوليكية (سلطة الدينية، وكبار الملاك العقارين التي تمثل السلطة الاقتصادية)، أي تحالف ثلاث سلطات سلطة سياسية ودينية واقتصادية.

أما محمود إسماعيل عبد الرزاق⁴ فقد ذكر أن نظرية غوتيه مبالغ فيها حين ذكر أن مذهب الخوارج امتداد للدونانية وحجته في ذلك أن الدونانية ذات طابع محلي أمازيغي صرف حيث أن مؤسسها أمازيغي وبيئتها أمازيغية⁵، أما مذهب الخوارج فقد نشأ في الشرق الإسلامي ثم انتشر مع الدعاة الفارين المشاركة والمعارضين للسلطة المركزية في الدولة الأموية، الأمر الذي ينفي وجود ترابط فكري، وهذا يفسر رفض الرومنة والاعتزاز بالهوية الأمازيغية بحكم أنه المذهب المعارض أمازيغي بحث وليس مستورد.

أما التعريب فقد رأينا أن مذهب الخوارج رغم أنه مذهب معارض لسلطة العرب إلا أنه ساهم بشكل مكثف في التعريب، بحكم أنه مذهب مستورد من المشرق، وعليه فحجته تكون باللغة العربية بحكم البيئة التي أسس فيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فاشترك الدونانيين والخوارج في صفات مشتركة كحب الاستقلال

1- في هذا الصدد نذكر عبد القادر جغلول، هشام جعيط، عبد الله العروي، عقون محمد العربي، محمود اسماعيل عبد الرزاق، مبارك الميلي.

2- يذكر عبد الله العروي، ج1، ص: 91، "ويلاحظ أنه يغلب على تأويلات المؤرخين الغربيين منطق الاستعمار".

3- نفسه، ص: 132.

4- محمود اسماعيل عبد الرزاق، هامش رقم: 217، ص: 56.

5- تم التطرق إليها فيما سبق من الاطروحة راجع ص. 249.

والاعتزاز بالذات¹ والالتزام الديني، يتجلى في صفات ملازمة للأمازيغ في كل الحقب التاريخية، وبالتالي ما حدث "لا يعدو أن يكون محض تشابه في ظروف بلاد المغرب السياسية والاجتماعية والدينية التي ظهرت إبان حركتان متباعدتان لا تمت أي منهما للآخرى بصلة"² حيث أن الدونانيين جعلهم يقدمون على التعاون مع الوندال، وقد رحب الأمازيغ بالوندال آمليين في تخليصهم من استبعاد السلطة الرومانية وظلمها، حيث استبدل الأمازيغ استعماراً بآخر، وهنا لزم طرح السؤال معرفة لماذا تعاون الأمازيغ مع الوندال، لقد أرجع معظم المؤرخين السبب إلى التشابه الديني حيث أن الوندال يدينون بمذهب الأريوسية* الذي يشترك مع الدونانية في الطبيعة الواحدة للمسيح، أي نكران صفة الألوهية عن المسيح، أي ينتمي إلى المذاهب المسيحية الشرقية** الأقرب إلى التوحيد.

لقد ناقشنا سلفاً سبب عدم اندماج الأمازيغ مع الوندال، واندماجهم مع قبائل بني هلال العربية. وأرجعنا السبب إلى عامل الدين، وبالتالي نواصل أن الأمازيغ لم يكونوا كلهم مسيحيين دونانيين، ومنه السد الأمني الروماني الليمس أثر كثيراً في تراجع الأمازيغ إلى الداخل، وبهذا فالاندماج كان صعباً بسبب انعكاسات الاحتلال الروماني، وكذا فإن تواجد الوندال في بلاد الأمازيغ لم يختلف كثيراً عن الرومان في اضطهادهم واستغلالهم، ولم يختلف الأمر إلا في تسمية استعمار جديد لبلاد الأمازيغ، وجاءت سلطة أجنبية جديدة (الوندال) لتطرد سلطة أجنبية سابقة (الرومان)، وتميزت فترتهم بهدم وتخريب مدن روما المحصنة في بلاد الأمازيغ، وعدم المبالاة بالحضارة المادية من مدن وحصون عكس الفترة الرومانية تماماً، والسبب أرجعه المؤرخون إلى

1- يذكر محمد على ديبوز، ج1، ص: 20، "وكان أجدادنا أبناء المغرب الكبير على اعتزاز بالنفس إلى حدود الكبرياء وعلى الأنفة والإباء".

2- محمود اسماعيل عبد الرزاق، هامش ص: 57.

*- مذهب أريوس: نسبة إلى أريوس المولود ببرقة سنة 256م، والمتوفى سنة 336م (أصله أمازيغي).

**- ينص مذهب أريوس أن الله واحد (مذهب أقرب إلى التوحيد) سماه "أبا" وأن المسيح كلمة إله وابنه على طريق الاصطفاء. وهو مخلوق قبل خلق العالم، وزعم أن الله تعالى روحاً مخلوقة أكبر من سائر الأرواح، وأنها واسطة الأب والابن (أي روح القدس أثر إلهي منتشر في الكون). راجع الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 272.

الصراع بين مفهومين اقتصاديين: المراعي والزراعة، حيث تراجعت الزراعة في عهد الوندال والتي كانت سبب اهتمام الرومان، وبهذا يفسر استقرار الرومان واهتمامهم بالمدن، أما الوندال فهم شعب رعوي غير مستقر، أما الأمازيغ فقد تراجعوا إلى ما وراء الليمس الذي أورثوه للوندال، واستبدلوا زراعة القمح بزراعة الزيتون ليحافظوا بذلك على هويتهم، وقد سقط الوندال وعاد البيزنطيون (534م-647م)¹، ومهما يكن فإنه واضح على أن بيزنطة هي وريثة روما، وأنها سوف تواصل نفس السياسة ونفس التحصينات وخط الليمس، وبهذا سوف يحافظ الأمازيغ على خصائصهم وهويتهم بسبب سياسة بيزنطة الاستغلالية، وعليه فإن المعارضة الأمازيغية التي وجدت أثناء حكم روما سوف تواصل احتجاجها في عهد بيزنطة مع تغيرات طفيفة، هذا الاحتجاج سوف يكتسي بالتمسك بخصوصيتهم² والمتمثل في اللجوء إلى معازل الجبال والهروب إلى الصحراء أو حتى اعتناق آراء الفرق المنشقة³.

وكما سبق الذكر فقد رفض الأمازيغ فكرة الدولة الكونية الواحدة بحيث تقتزن بالعبودية التي دعت إليها سلطة روما أولاً، وسلطة بيزنطة ثانياً، وكذا الكنيسة الكاثوليكية وقد قمنا سابقاً بتحديد نظريات القديس أوغسطين الذي يعتبر مثلاً حي للأمازيغي المرومن، وبالتالي رفعت الكنيسة الإفريقية يدها عن البث في مسألة العبودية، وحتى أنها قامت بتأييدها، وبهذا كان لازماً على الأمازيغ حسب تعبير عبد الله العروي "اقتزنت عندهم

1- اصطلاح المؤرخون العرب على تسمية بيزنطة الروم ، حيث أنه من المعروف أن الإمبراطورية الرومانية توسعت من الشرق إلى الغرب، وبالتالي قسم الإمبراطور دقلطيانوس 296م في توزيع سلطته على مركزين (الغرب ميلانو) (الشرق أزمير بالأناضول) تم جاء الإمبراطور "قسطنطين" الذي حول مقر سلطته إلى المشرق سنة 330م واتخذ عاصمته مدينة بيزنطة (بيزنطة نسبتا إلى مؤسسها بيزانس سنة 1200 ق.م). وغير اسمها ونسبها إليه "القسطنطينية"، وهنا نشأ للإمبراطورية الرومانية عاصمتان شرقية وغربية، وفي سنة 395م توفي الإمبراطور "تيودوس" وأوصى بتقسيم الإمبراطورية بين ولديه فأخذ الغربية "أونوريوس" والشرقية "أركاديوس". عبد الرحمان بن محمد الجليلي، ج1: ص131، ص132

2- عبد الله العروي، ج1، ص: 97.

3- نفسه، ص: 97.

الحرية حتما بالخروج من التاريخ والرجوع إلى حيز ما قبيل التاريخ، هذه الوضعية استحتملوا ولم يختاروها عن طواعية، وهي أيضاً تجربة كانت نقطة تحول نوعي في مسار التاريخ المغربي".¹ وما يستخلص من كلام عبد الله العروي أن الممالك الأمازيغية التي اختارت اللجوء ما وراء الليمس هي نفسها التي ستلعب دورا هاما في التصدي لكل أنواع الإدماج سواء الرومنة أو التعريب بحكم أنهما وجهان لعملة واحدة خاصة أن العامل الجغرافي لعب أساسياً في كل من التصدي للرومنة وللتعريب، وهذا ما سنفصل فيه لاحقاً.

ثانياً: مستويات الإدماج لدى الأمازيغي.

لقد اختبر الأمازيغي عدة حضارات كما سبق الذكر، ومنه أصبح خبيراً في المحافظة على خصوصيته وثقافته، وبهذا رفض الاندماج، والقلة فقط هي التي اندمجت في الحضارات التي سايرت بلاد الأمازيغ، وعليه فقد قسم عبد الله العروي بلاد الأمازيغ، تقسيم ثلاثي أفقي حسب مستويات الإدماج لا عمودي حسب الحدود السياسية²، وعليه فالتقسيم الثلاثي الأفقي وافق التركيب التاريخي الاجتماعي الذي سيكون أساس الحفاظ على الهوية الأمازيغية، وبالتالي سد منيع لعوامل التعريب المذكورة سابقاً في هذه الأطروحة سواء الخارجية أو الذاتية.

فبلاد الأمازيغ قبل مجيء الفينيقيون تميزت بخاصيتين هما³:

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 97

2- نفسه، ص: 98.

3- نفسه، ص: 98.

- الأولى وحدة الحضارة*.

- والثانية ازدواجية نمط العيش**.

ومع تداول الغزاة من فينيقيين ورومان ووندال وبيزنطيين، تغيرت التركيبة، وبهذا أوجد التواجد الأجنبي معالم بلاد الأمازيغ قبيل الفتح الإسلامي، وقد عبر عنه عبد الله العروي¹ بثلاث انواع لمستويات الادمج متمثلة فيما يلي:

- **الأمازيغي المندمج:** ويقصد به المندمج في حضارة في الحضارة الفينيقية أو الرومانية، نجده يعيش في المدن ونشاطه الاقتصادي التجارة غالباً، يتقن اللاتينية بحكم تواجده في المدن والتحسينات البيزنطية، متناسياً بذلك لغته الأمازيغية.

- **الأمازيغي الموالي:** أي الموافق على السلطة الدخيلة مع المحافظة على مميزاته الاجتماعية، فحدوده هي الريف، أي عند أطراف المدن التي يتواجد فيها الأمازيغي المندمج، نشاطه الاقتصادي الزراعة، أما لغته فيتقن البونيقية، وبالتالي المزيج اللغوي بين الأمازيغية والفينيقية، بحكم تواجده عند حدود المدن.

- **الأمازيغي المستقل:** هو الذي رفض السلطة الدخيلة بشقيها، الاندماج والموالة، فقد انسحب إلى حدود الصحراء ليحافظ على سيماته وخصوصيته ولغته، وفُرض عليه النشاط الاقتصادي حسب البيئة التي اختارها وهي الرعي، حافظ على لغته الأم وهي الأمازيغية ومنه قاوم الحضارات المتعاقبة.

*- حيث أنه كانت بلاد الأمازيغ للأمازيغ أنفسهم بحضارة واحدة تقريباً مع بعض الاختلافات الغير جوهرية

**- ازدواجية النمط الاقتصادي الزراعة والمراعي بحيث تنعكس على النمط الاجتماعي الاستقرار والترحال.

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 98.

وهنا نجد أنفسنا أمام تقسيم ثلاثي اللغة، والأخير منها أي الأمازيغي المستقل سيواصل أحفاده نفس السياسة وهي رفض الاندماج وبالتالي مقاومة التعريب، خاصة أن الخريطة الجغرافية للجهات الناطقة بالأمازيغية حالياً قسم كبير منها يحوي على الصحراء (راجع الملحق رقم 2/ج خريطين للجهات الناطقة بالأمازيغية حالياً).

(II) العوائق السياسية:

أولاً: العصبية العربية للدولة الأموية وسياسة جور ولاية إفريقية (تجاوزات الولاية في بلاد الأمازيغ):

لقد لوحظ أن الأمازيغ لم يُعادوا العرب الفاتحين، ولم يقاوموهم تلك المقاومة العنيفة إلا لجهلهم بحقيقة الإسلام¹، وقد استدرك ذلك الولاية العرب وبهذا رتبوا لهم فقهاء وقراء يلقنهم العربية ويعلمونهم الدين الإسلامي، وكان من المفروض أن يسير انتشار الإسلام مع تعريب الأمازيغ بخطى متوازنة، إلا أنه تغيرت سرعة انتشار التعريب وزادت سرعة انتشار الإسلام²، وهذا بسبب الصراع بين الأمازيغ والعرب، ولا نقصد النزاع الأول في فترة الفتوحات³، وإنما الصراع في فترة الولاية* وكان مَرْدُه العنصرية والعصبية العربية التي طبعت فترة الولاية في العهد

1- عبد الله كنون، ص: 41.

2- نفسه، ص: 42.

3- نفسه، ص: 43 حيث يذكر: "إذا عدنا لذكر الصراع القائم بين العرب والمغاربة فلننا نقصد صراعا دينيا من نوع ما سبق بحكم أن المغاربة لم ينتفضوا على الإسلام أولاً، إلا لأنهم جهلوه فعادوه وإنما نقصد هذا الصراع السياسي الطويل.

*- يقصد بمصطلح عصر الولاية بالنسبة لكل بلد من البلاد التي فتحها العرب وهي الفترة التي بين تمام الفتح وقيام أول دول محلية المستقلة في القطر، أو في ناحية منه وتوقف دار الخلافة عن إرسال ولائها إلى هذا القطر أو تلك الناحية المستقلة. راجع عبد الحميد حسين حمودة، ص: 123.

ويضيف أحمد زاهد، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة، مؤسسة تاوالت تامغناست لنشر الأكتروني، بدون تاريخ، ص: 63. مفهوم عصر الولاية: "يطلق مصطلح عصر الولاية في بلاد المغرب والأندلس أو الغرب الإسلامي كما يسمى أيضاً على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير (85هـ-96هـ) حتى قيام الدولة المستقلة على السلطة المركزية (دار الخلافة) في هذه المنطقة".

الأموي، وبالتالي فإن الجزء الأكبر من المناطق التي احتفظت بلغتها هي من المناطق التي دأبت منذ العصر الوسيط على ربط علاقات صراع مع مختلف أنظمة الحكم المركزي (سواء الأموي أو العباسي)¹، هذه الأخيرة لم تنجح أبداً في مراقبة هذه المناطق مراقبة دائمة، وكانت على العموم ذات حياة سياسية مستقلة، ويرجع سبب قوة الشعور الهوياتي لدى الأمازيغ، وإثارة العصبية فيهم كرد فعل لما لحقهم من ظلم وسوء معاملة على يد بعض الولاة، مثل يزيد بن أبي مسلم (102هـ/720م)، حيث أنه عندما توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (101هـ/719م) ولي الخلافة في المركزية الأموية يزيد بن عبد الملك الذي قام بتغيير في سياسة الدولة، وعادت الدولة إلى سيرتها الأولى من الاستبداد، وبالتالي نعرتها وعصبيتها العربية، وبدأت الأزمة في بلاد الأمازيغ عندما عزل الخليفة يزيد بن عبد الملك الوالي في عهد عمر بن عبد العزيز، والذي اشتهر بتقواه وصلاحه إسماعيل بن أبي مهاجر، وعين مكانه يزيد بن أبي مسلم سنة (102هـ/720م) مولى الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد عزم يزيد على أن يطبق نفس منهج الحجاج ففرض الجزية² على من أسلم من الأمازيغ واعتبر بلاد الأمازيغ فتحت عنوة لا صلحاً³، وكان مصير يزيد أن قتل من طرف الأمازيغ شهراً واحداً من بعد تعيينه⁴.

وكذلك في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أسند ولاية إفريقية إلى عبيد الله بن الحبحاب، هذا الأخير عين عمر بن عبد الله المرادي على إقليم طنجة سنة 122هـ، والذي أراد أن يخمس أموال الأمازيغ وكأنهم لم يسلموا، وزعم أنه فيء للمسلمين، وهذا تجاوز صارخ لتعاليم الإسلام، وقد وصف فعله ابن عذاري بقوله "فكان فعله ذميم هذا سبب لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد"⁵، ويضيف

1- سالم شاكر، تمازيغن أسس الأمازيغيون اليوم، ترجمة عبد الله راوا مؤسسة تاوليت، للنشر الإلكتروني 2010م، ص: 10.

2- أحمد مختار عمر، ص: 76. عبد الحميد حسين حمودة، ص: 127.

3- محمد على الديبوز، ج2، ص: 202، 203.

4- ابن عبد الحكم، الفتوح، ص: 214 حيث كان سبب قتله من طرف حراسه ما ذكره ابن عبد الحكم "فخطب يزيد بن أبي مسلم فقال إني إني أصبحت صالحاً ووشمت حرسى في أيديهم كما تصنع الروم في يد الرجل اليمنى اسمه وفي اليسرى حرسى يتعرفوا بذلك من غيرهم فأنفوا من ذلك ودب بعضهم إلى بعض في قتله".

5- ابن عذاري، البيان، ج1، ص: 53.

"فنفرت قلوب البربر عنه وأحسوا بأنهم طعمة للعرب"¹، ومن خلال هذه الأمثلة نفر الأمازيغ من سلطة العرب التي كانت في مجملها تبنى على النعرة والعصبية العربية، وسرعان ما تحولت انتفاضة الأمازيغ ضد الولاة والعمال* إلى ثورة عارمة على الحكم الأموي بأكمله، فخلعوا طاعة الخليفة وبيعوا زعيمهم ميسرة المطغري كخليفة، وهو ما يبين أن الأمازيغ قبلوا الإسلام ديناً ورفضوه كإيديولوجية سياسية لعرب قريش²، والدليل ما ذكرناه سابقاً أنه عندما بلغ أخبار ثورة الأمازيغ مسامع الخليفة هشام بن عبد الملك صرح بما يلي: "والله لأغضبن لهم غصبة عربية" وشتان بين غصبة عربية وغصبة إسلامية.

وعليه فنتيجة الصراع الأمازيغي العربي هي نبذ الأمازيغ للسلطة التعسفية العربية، ومن هنا تسارعت الأسلمة وتباطأ التعريب، أي اختلفت درجة انتشار الإسلام والتعريب³. فتقدم انتشار الإسلام وتراجع التعريب، والأمثلة التي ذكرت سابقاً تدل على أن مرجعية العرب في فترة الدولة الأموية لم يكن هدفها أسلمة الأمازيغ، فمبادئ الإسلام الحنيف بعيدة كل البعد عن الجرائم الكثيرة التي ارتكبت من تخميس وسي وتقتيل بدافع جشع الدولة الأموية، التي كانت تمر بأزمة اقتصادية بسبب نقص موارد خزينتها بعد أسلمة سكان أقاليم البلاد المفتوحة⁴، وكذا اعتمادها في تسيير أمورها على العصبية القبلية، ومنه فمقاومة الأمازيغ للعرب لم تختلف عن مقاومتهم للبيزنطيين والوندال والرومان، وبهذا فإن أسلمة الأمازيغ لم تكن خضوعاً للعرب، بل كانت نتيجة الدين نفسه⁵، وتعاليمه العالمية والدليل استمرار مقاومة الأمازيغ للنفوذ العربي في إطار الإسلام نفسه، وهذا ما يفسر

1- ابن عذاري، البيان، ج1، ص: 53.

*- الفرق بين الولاة والعمال الولاة هو من يرسل من مركزية الدولة الأموية ليكون والي على كل منطقة غرب مصر (أي شمال إفريقيا، أما عمال فهو يعين من طرف الولاة في أقاليم بلاد الأمازيغ).

2- أحمد عصيد، ص: 33.

3- محمد عابد الجابري، يقظة الوعي العروبي في مغرب مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية، ص: 45.

4- أحمد عصيد، ص: 35.

5- نفسه، ص: 38.

اعتناقهم لمذهب الخوارج الذي كان من مبادئه أن "لا حكم إلا لله" أي رفض الهيمنة العربية، وبالتالي تراجع التعريب بسبب تصرفات ولاة إفريقية.

ثانياً: الصراع الأمازيغي العربي أثناء الفتوحات.

إن الصراع الأمازيغي العربي كان سبباً مباشراً في تراجع التعريب، وقد وجد منذ أن وطئت أقدام العرب أرض الأمازيغ، رغم أننا سنقسم الصراع إلى جزئين؛ الجزء الأول يتمثل في صراع فترة الفتوحات، والجزء الثاني هو الذي سنتطرق إليه بعد حين، وهو الصراع السياسي الطويل¹، الذي وجد بينهم بسبب التداول على الحكم وتنازع السلطة، وللعودة إلى الصراع في فترة الفتوحات الذي نتج عنه أسلمة الأمازيغ دون تعريبهم بحكم المقاومة العنيفة، التي قوبل بها العرب، والدليل على ذلك طول مدة الفتح الإسلامي* في عملياته الأولى، وانتهائها بهزيمة

1- عبد الله كنون، ص: 43.

* - لاحظ المؤرخون سهولة قصر مدة الفتح في المشرق، حيث نجد أن العراق تطلب الأمر 04 سنوات وضم فارس 7 سنوات، وبلاد الشام 7 سنوات، و3 سنوات لكل من مصر والأندلس، أما بلاد الأمازيغ فتطلب الأمر أكثر من 53 سنة (27هـ-97هـ) (647م-710م). راجع جورج مارسيس، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق في العصور الوسطى، ص: 30، كما يضيف عبد القادر جغلول، ص: 30-31، أن سرعة انتشار الإسلام وتعريب في المشرق العربي إلى الأسباب التالية:

- كانت فرس وبيزنطة في طور الانحطاط يوم قدمت إليها الجيوش العربية.

- ازدواجية تكوين الأمة "بوجود الوجدتين الدينية والعصبية القبلية المكونة للجيش العربي الفاتح في حين جيوش

البيزنطيين مكونين من المرتزقة لا مبدئي لهم ولا دافع لهم في الحروب سوى الأجور.

- ظهور الفتح العربي الإسلامي في المناطق التي احتلها الفرس والبيزنطيين على أنه تحرير للشعوب حيث أبدى العرب تساهلاً كبيراً يتناقض مع التصرفات التعسفية الاستعبادية لدى حكام الفرس والروم.

وهنا نثير إشكالية طول مدة الفتح العربي ببلاد الأمازيغ هو المقاومة العنيفة التي شنها الأمازيغ ضد العرب (مقاومة كسيلة ومقاومة الكاهنة) هذا من جانب الظروف الداخلية، أما العوامل الخارجية فقد كانت الحملات تتوقف وتنتج فراغ سياسي في إفريقية بسبب تحبط الخلافة الأموية في مشاكل سياسة القبليّة إثر وفاة "يزيد بن معاوية" وتنازل ابنه "معاوية بن يزيد بن معاوية" (معاوية II) عن خلافة لفائدة مروان بن الحكم، هذا الأخير اختلت موازين السياسة في أقاليم الدولة وعلى سبيل المثال في المدينة المنورة أعلن "عبد الله بن زبير" نفسه خليفة على الحجاز ومصر.

وفي نفس الوقت زادت شوكة الخوارج والشيعة، راجع عبد الحميد بن حمودة، ص: 78-79، ويضيف ابن خلدون، العبر ج6، ص: 299، وجود فتنة ضحاك بن قيس مع مروانية مزج راهط وحروب آل زبير إذن الأوضاع لم تكن مستقرة والتركيز لم يكن على بلاد المغرب.

للعرب الفاتحين في معارك عديدة، وكانت من نتائجه مقتل العديد من الفاتحين كعقبة بن نافع رضي الله عنه، وزهير بن قيس البلوي، وغيرهم.

وأفرز طول مدة الفتوحات الإسلامية إسلام جل الأمازيغ ولم يبق منهم إلا أقلية، عكس المشرق التي أفرز الفتح فيها رغم قصر مدته عن أقلية مسيحية سواء في مصر (الأقباط) أو بلاد الشام الأرمن الكاثوليك، إلا أن الحقيقة التاريخية تذكر أن الأسلمة كانت بطيئة بفعل طول مدة الفتح الإسلامي والتعريب كان جزئياً في بلاد الأمازيغ.

وإذا استندنا إلى تصريح عبد الرحمن بن حبيب الفهري* للخليفة العباسي أبو جعفر المنصور "المغرب اليوم بلاد إسلامية لا سي فيها" فهو تصريح سياسي أكثر من إحصائي، لأن أمازيغ المناطق النائية لم يكونوا قد أسلموا بعد، ولقد كان القرن الأول من صدر الإسلام إلى منتصف المرحلة الأموية قد أدخل شعوباً وأجناساً مختلفة في إطار الأمة الإسلامية، وأخضعها في هذه الفترة لسلطة دولة الأموية، وبهذا وجد في هذه الفترة أثناء الفتوحات النزاع العربي الأمازيغي¹، حيث أنه من المعروف أن المنطق الذي يحكم الفتوحات الإسلامية هو منطلق عسكري بدرجة الأولى، فلا ينكر أحد أن طبيعة الفتح العربي لبلاد الأمازيغ تميزت بنوع من القسوة² المنافية لطبيعة الدعوة الإسلامية، عنف ميز الفتح منذ ولاية عقبة بن نافع رضي الله عنه في ولايته الثانية (60-64هـ) (679-682م)، إلى غاية انهزام العرب في موقعة الأشراف سنة 124هـ، هذه القسوة والعنف كان من

*- عبد الرحمن هو مؤسس دولة الفهريين في بلاد المغرب، حيث بايعه أهل تونس وخلع حنظلة بن صفوان الوالي المرسل من طرف الدولة الأموية، وعهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة 127هـ/744م، ولقد عبر عبد الرحمن عن أفكاره الجديدة بعدم استغلال بلاد الأمازيغ اقتصادياً وبشرى من خلال رسالة أرسلها إلى أبي جعفر المنصور العباسي نصها "إن إفريقية اليوم إسلامية وقد انقطع السبي منها" ولهذا فهو تصريح سياسي أكثر منه إحصائي وهنا بدأت القطيعة الثانية بين مؤسس نظام الفهريين والخليفة أبي جعفر المنصور العباسي، راجع موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين، ص: 106، 107.

1- أحمد عصيد، ص: 29.

2- عبد الوهاب الديبش، تعريب المغرب مقارنة تاريخية، مجلة بصمات العدد الرابع، نشر دار المنظومة، 2009م، ص: 86.

نتائجها المباشرة ظهور النزعة الاستقلالية لدى الأمازيغ (بمجالاته السوس الأدبي، الأقصى والمغرب الأوسط وإفريقية) أدت نتائجها إلى تأسيس كيانات مستقلة سنتطرق إليها في العنصر الموالي.

فالفنوحات الإسلامية في بلاد الأمازيغ كانت عاملاً مساعداً على اعتناق الإسلام في حين أنهما كانت عائقاً في التعريب، حيث أن هدفها لم يكن أسلمة الأمازيغ بقدر ما كان فيه تجاوزات في حق الأمازيغ، وأوجدت شخصيات قادت الفتوحات وعلى سبيل المثال عقبة بن نافع الذي وجد حوله جدال كبير وتعددت صوره واختلف بشأنه المؤرخون في الدراسات الشرقية والغربية.

فشخصية عقبة من خلال الدراسات الشرقية عند جل الإخباريين العرب من خلال المصادر قد

أحاطوا "عقبة" بهالة أسطورية على أنه مؤسس مدينة عز الإسلام (القيروان) بالإنسان المؤيد بروح القدس¹ وأرجعوا لبنة أساس الفتح الإسلامي له²، كما نجد أن المصادر أهملت إنجازات الفاتحين الآخرين فقد سردتهم دون إبداء رأي بهم أمثال "أبي مهاجر دينار"³، والسبب الغالب سياسي بالدرجة الأولى بحكم سلطة "الفهريين" في الدوائر السياسية والثقافية، وبالتالي فالموضوعية التاريخية افتقدت في المصادر العربية، ورغم أن التحليل التاريخي أرجع إسلام قبيلة أوربة وزعيمها كسيلة⁴ إلى سياسة اللين التي اتصف بها أبي مهاجر دينار، لكن الصراع الذي وجد بين عقبة وأبي مهاجر، وإقحام كسيلة فيه أدى إلى معركة استشهد فيها عقبة، ومع تولية موسى بن نصير ولاية إفريقية نجد أن بعث عياض وعثمان وعبيدة أبناء عقبة وخاطبهم بأن قال لهم "ضعوا أسيافكم في قتلة أبيكم عقبة"، وهنا نتساءل ألم تدخل قبيلة أوربة إلى الإسلام في عهد زعيمهم كسيلة؟ ولماذا أعادوا دخولها عنوة في عهد موسى بن نصير مع أبناء عقبة؟ الواضح أن السبب ليس الفتوحات الإسلامية كما تصورها المصادر،

1- علاوة عمارة، صورة عقبة بن نافع في الدراسات الغربية، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص: 47.

2- قصي حسين، موسوعة الحضارة العربية العصر الأموي، دار البحار بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 405.

3- ولاية ابني مهاجر دينار (55هـ/62هـ) لقد ركزت المصادر في حديثها عن أبي مهاجر دينار عن علاقته بعقبة دون أن تسهب في منجزاته دون أن تسهب لمنجزاته في فترة 07 سنوات.

4- كسيلة بن لزم المغربي من قبيلة أوربة (البرانس) مواطنها أساساً المغرب الأقصى تحديداً فاس.

وإنما يهدف الانتقام لمقتل عقبة، وبهذا فمن الواضح أن الحملات العسكرية في عهد الفتوحات وخاصة في عهد موسى بن نصير كانت عائقاً أمام التعريب، وبهذا فالتجاوزات العسكرية التي وجدت. خاصة في مرحلة عقبة لأن الإطار المرجعي¹ الذي احتضن الفتوحات في بلاد الأمازيغ خاصة في مرحلته المنظمة*، هو الدولة الأموية²، ومنه ففترة المحاولات الأولى التي تزامنت مع فترة الخلفاء الراشدين تختلف عن فترة الحملات التي احتضنتها الدولة الأموية، وهذا ما يفسر التعريب المبكر لبلاد الأمازيغ في الجهة الشرقية والتعريب النسبي في الجهة الوسطى والغربية التي تزامنت مع فترة الخلافة الأموية**، وعليه فالممارسات في فترة الفتوحات والولاة كانت عائقاً أمام التعريب، وهذا ما ركزت عليه الدراسات الغربية ترجع معظمها الفتح العربي وتعريب الأمازيغ إلى عنف العمليات العسكرية ابتداء من حملات عقبة بن نافع، حيث اعتبر كارل بروكلمان³ عقبة المؤسس الحقيقي للحكم العربي في إفريقيا الشمالية، وبهذا فأسلمة الأمازيغ جاءت نتيجة مبادئ الإسلام السامية، أما عن عدم تعريب فئة منهم

1- أحمد زاهد، ص: 18.

*- انقسمت مراحل الفتح الإسلامي في بلاد الأمازيغ إلى مرحلة الحملات الاستكشافية (21هـ-49هـ) وتحتوي على:

أ- المحاولات الأولى في زمن ولاية عمرو بن العاص على مصر.

ب- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح

ج- حملة معاوية بن خديج على إفريقيا، وقد تزامنت هذه الحملة بمقتل عثمان بن عفان وتوليهِ الخلافة من بعده الخليفة على بن أبي طالب ليتوقف الفتح الإسلامي في بلاد الأمازيغ، ويستأنف في عهد الدولة الأموية سنة 45 هـ في عهد معاوية بن أبي سفيان.

أما المرحلة الفتح المنظم فجله كانت في فترة الدولة الأموية، الفترة الأولى (64-50هـ): ولاية عقبة بن نافع (55-50هـ) ولابن أبي مهاجر دينار (55هـ/62هـ)، ولاية عقبة الثانية (62هـ/64هـ).

الفترة الثانية 69-90هـ، حملة زهير بن قيس البلوي، حملة حسان بن نعمان 74هـ، ولاية موسى بن نصير 85 هـ.

2- أحمد زاهد، ص: 18.

**- نستخلص أن الدولة الأموية باستثناء فترة عمر بن عبد العزيز لم تمثل الإسلام الحق المطابق بما يأمره القرآن وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولهذا فإننا نرجعها تاريخياً إلى علاقة بني أمية بالإسلام، إن هذه العلاقة جلية منذ الدعوة الإسلامية فقد كانوا من أشد أعدائها لما تشكله الدعوة من خطر على مصالحهم وامتيازاتهم، ولم يدخلوا إلى الإسلام إلا مكرهين،

راجع هامش رقم 01 ص 174 من الاطروحة .

3- كارل بروكلمان، ص: 127.

كان نتيجة قسوة العنصر العربي الذي اقتصرت عليه القوة العسكرية¹، وبالتالي فقد افتقدت العمليات العسكرية خاصة في شطري المغرب الأوسط والأقصى الكثير من مضامينها الإنسانية التي ينادى بها الإسلام².

ثالثاً: الصراع الأمازيغي العربي في الأندلس.

لقد كان الصراع الأمازيغي العربي في الأندلس من أهم عوائق تعريب الأمازيغ، ولفهم تداعيات الصراع لزم أن نعود إلى تاريخ فتح الأندلس سنة 92هـ (711-710م) حيث كان فتحاً إسلامياً أمازيغياً عربياً، ونؤكد على فكرة فتح ذو البدعين: البعد الديني (إسلامي) والبعد الأمازيغي العربي، وهذا لأن التركيز من هذا المنطلق سيفسر لنا عدة جوانب في التاريخ الإسلامي الأندلسي، رغم أن معظم المؤرخين ومن بينهم المغاربة يطلقون مصطلح³ "الفتح العربي للأندلس" والأصح الفتح الأمازيغي العربي.

ويعرف أن الأمازيغ بكثره قبائلهم المهاجرة إلى الأندلس كانوا شديدي التعلق بالإسلام، وقد أسهموا في نشر الإسلام بين الأندلسيين (الأوروبيين)، وقد تعرض الأمازيغي مرة أخرى إلى ظلم على أرض الأندلس بسبب العصبية العربية التي استحكمت فيها العنصرية⁴، ومثلما حدث على أرض الأمازيغ في الشمال الإفريقي حدث الأمر ذاته في أرض الأندلس بشعور العرب بأفضليتهم*.

1- أحمد زاهد، ص: 19.

2- نفسه، ص: 19.

3- عبد الكريم غلاب، ص: 62، فضل عبد الكريم غلاب مصطلح فتح مغربي بربري، لكننا نفضل نحن مصطلح الفتح الأمازيغي العربي بحكم أن قائد الجيش الفاتح كان أمازيغي وهو طارق بن زياد ومعظم الجيش هو من القبائل الأمازيغية، أما العربي فقد وجدت قلة في جيش طارق بن زياد، وبالتالي الأصح أن أفضلية انه جيش أمازيغي، أما القيادة العليا للجيش كانت لموسى بن نصير، والتمويل العربي لكن التاريخ يكتب للمتصّر، فالعرب كانوا يشعرون أنهم فاتحوا الأندلس معتمدين على أسس التمويل والامور.

4- عبد الحليم عويس، العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1994م، ص: 50.

*- يتجلى شعور العرب بأفضليتهم عن سائر الشعوب الإسلامية في ثلاثة عوامل مرتبطة بالدين الإسلامي:

1- يعتبرون أن العرب هو الجنس. الأول الذي حمل راية الإسلام والشعوب الأخرى تبع لهم.

2- اللغة حيث ان القرآن نزل بالعربية لغتهم.

3- خاتم الأنبياء سيدنا محمد صل الله عليه وسلم بن عبد الله عبد المطلب من أشرف العرب.

وللأسف لم يقف عند مستوى الشعور فقط وإنما الممارسات العنصرية، ولم تكد الجيوش الفاتحة تنتهي من الاستيلاء على الأندلس حتى آثر العرب أنفسهم بالنصيب الأكبر من الأراضي الخصبة، فأخذوا الجهات الشرقية والجنوبية حيث الأراضي الخصبة، بينما وزع على الأمازيغ الجهات الوسطى والشمالية¹ التي رفضت من طرف العرب بحكم برودتها، وكذا هي متاخمة للأعداء النصارى. فكان هذا التوزيع غير المتكافئ أثره في حدوث صراع وخلاف أمازيغي عربي على أرض الأندلس، وكذا كان عائقاً أمام حركة تعريبهم، وبالتالي السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان:

لماذا لم يؤسس الأمازيغ إمارة إسلامية أمازيغية في الأندلس بحكم كثرة عددهم؟ ولماذا لم يقيموا دولتهم بدلاً من الدولة العربية سواء في عهد الولاة (92هـ/138هـ). (710م-755م). أو بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس [138هـ-422هـ]. (755م-1030م)؟² يجب على هذا التساؤل عبد الكريم غلاب "السؤال ملح والجواب عنه ليس سهلاً"²، وقد أرجعه إلى الصراعات التي كانت تطبع المجتمع العربي الإسلامي حتى في العصر الذهبي للدولة القرطبية الكبرى، هذه الصراعات بين الزعامات العربية، وبين الدولة التي كانت تخشى أن تطغى طائفة منها على سلطان الدولة، قد تكون بعض أسباب احتفاظ الأمازيغ بشخصيتهم، وقد يكون من أسباب ذلك أن الأمازيغ لم تكن لهم مراكز الدولة الكبرى، فكانوا في الغالب في خدمة الدولة عسكرياً على الأخص، ولذلك احتفظوا بشخصيتهم المتميزة أي وظفوا في المجال العسكري أساساً³.

وبالتالي نستخلص أسباب عدم تأسيس دولة أمازيغية إسلامية في ما يلي:

1- عبد الحليم عويس، ص: 07.

2- عبد الكريم غلاب، ج 2، ص: 64.

3- نفسه، ص 66

(1) الصراع العربي العربي: لقد توافد على الأندلس إثر فتحها العرب من المشرق فتوافدوا إليها حاملين معهم عصبيتهم القبلية ومنازعاتهم السياسية، فاندلعت الفتنة بين المسلمين العرب من قحطانيين وعدنانيين أو قيسيين وبنانيين وتفاقم الصراع¹.

(2) النزاع الأمازيغي العربي: انتقل النزاع الأمازيغي العربي من بلاد المغرب إلى أرض الأندلس، وهذا بسبب جور الولاة واستغلال الأمازيغ وعدم إعطائهم حقوقهم كاملة على أنهم مسلمين.

(3) النشاط العسكري للأمازيغ أين اكتفوا بحماية ثغور الأندلس في الشمال دون التغلغل في الميدان السياسي لتكوين دولة أمازيغية إسلامية في الأندلس.

وعليه فانخرطهم في الأمور العسكرية ومرابطتهم في الشمال، ساعدهم على مقاومة التعريب، ولسنا بصدد سرد الأحداث السياسية التي مرت بها الأندلس لكن المؤكد أن الإجابة على السؤال أن الأمازيغ كان لهم وزع ديني² مسيطر عليهم، أدت نتيجته إلى احترام الخليفة والخلافة (في نموذج الدولة الأموية ومنها دولة المنصور بن أبي عامر) هذا التكتل الذي جسده الخلافة في وحدتها جعل الأمازيغ يخلصون للإسلام ووحدة المسلمين، لكن مع انهيار لقب الخلافة التي جسدت الوحدة أخذ كل وال عربي ينصب نفسه حاكماً على منطقتة، وهنا أخذوا يفكرون في تكوين إمارات أمازيغية³ أندلسية في مقابل الإمارات العربية⁴، وبظهور إمارات ملوك الطوائف

1- راجع جورج غريب، العرب في الأندلس موسوعة في الأدب العربي، رقم 21، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1978م، ص: 12.
 2- عبد الكريم غلاب، ج2، ص: 68.
 3- أمثال إمارة بني الأفطس في بطليوس وهي إمارة أمازيغية (487-421هـ/1030-1094م)، إمارة ذي نون (427-478هـ/1035-1085م) في طليطلة. راجع جورج غريب، ص: 17، 18، وقد اعتبر عبد الكريم غلاب الدولة ابن حمود (407-450هـ/1016-1058م) أمازيغية فسلطة من سلالة إدريس لكن بايعهم قبائل الأمازيغ إذن هي دولة أمازيغية إدريسية. راجع عبد الكريم غلاب، ج2، ص: 70-72.
 4- الإمارات العربية: الدولة الزيرية في غرناطة (483-403هـ/1012-1020م). الدولة الهودية في سرقسطة (410-536هـ/1019-1141م). الدولة العامري في بلنسية (478-412هـ/1021-1085م). الدولة العبادية في إشبيلية (414-484هـ/1023-1091م). الدولة الجمهورية في قرطبة قامت بعد سقوط الدولة الأموية (461-422هـ/1030-1028م). جورج غريب، ص: 17-18.

وانحلال مركزية الدولة في الأندلس أي الدولة الكبرى التي كانت تجمع شتات التركيبة البشرية والقبلية في الأندلس، وأخذ "يصيح فوق كل غصن ديك" كما قال ابن الخطيب¹ عن ملوك الطوائف، واتجه الأمازيغ إلى تكوين دولهم المستقلة على الجهات التي يمكنهم التحكم فيها.

ومن أهم العوامل التي ساعدت الأمازيغ في الاحتفاظ بهويتهم ومقاومة التعريب هو أنه وجد صراع أمازيغي عربي منطلقه أن العرب اعتبروا الأمازيغ فقط جنوداً فاتحين، أخضعهم العرب للفتح والإسلام، وبهذا تطورت لديهم العصبية لتصطدم بكرامة الأمازيغي التي صبغتها أرض بلاد الأمازيغ في شمال إفريقيا، وقد ذكرت سابقاً أن العصبية انتقلت إلى أرض الأندلس، ويذكر عبد الكريم غلاب "أن العرب الذي عرفوا قوة البربر النضالية كانوا يخافون منهم إذا ما هم اقتربوا من السلطة والحكم، ولذلك كانوا يبعدونهم ما أمكنهم ذلك عن مراكز السلطة والحكم، منذ أيام الولاة، وكان لهذا أثر في نفوس البربر زاده إضراما للصراعات التي قامت بين العرب والبربر في الأندلس"²، وبذلك كان عائقا أمام حركة التعريب.

ونستخلص أن الصراع الأمازيغي العربي في الأندلس لم يكن في صالح الحكم العربي، وكادت الأندلس تضيع لولا تدخل الأمازيغ لينقذوا الوضع بقيادة يوسف بن تاشفين.

رابعاً: تأسيس دول وامبراطوريات أمازيغية بمرجعية إسلامية.

ما نلاحظه من خلال تاريخ بلاد الأمازيغ، أن طبيعة الأمازيغ ومميزاتهم لم تختلف طيلة تاريخهم وتعاملهم مع الوافد الأجنبي، وهذا على امتداد التاريخ سواء القديم أو الوسيط، ولكي نفهم دور وأهمية السلطة في تعريب الأمازيغ من عدمها، نورد هذا المثال التي ذكرته ليليا بن سالم على لسان أحد جنرالات فرنسا في الاستعمار "لقد وجدنا بين قابس و لبيبا ما يشبه دولية بربرية، تعيش في شبه استقلال، وكان من الأولية لنا أن نحافظ على

1- عبد الكريم غلاب، ج2، ص: 71.

2- نفسه، ص: 92.

خصوصيتها واستقلالها عوض أن نخضعها لنفوذ الباي. إنها تَعَرِبَت الآن كلياً بسبب ما فعلناه، لقد وحدنا منطقة نفوذ حكم الولاية "1"، ومن خلال هذا التصريح نستخلص أهمية السلطة السياسية في التعريب أو عدمه، وهذا ما لاحظناه في الفصل الأول عندما تطرقنا إلى دور السلطة العربية في التعريب، حيث أنه منذ الفتح توازت الأسلمة مع التعريب لكن عندما استقال الأمازيغ عن مركزية السلطة العربية تراجع التعريب مقارنة بالأسلمة.

فمن المنطق التاريخي يثبت إثباتاً لا يقبل الاعتراض أن الخلافة المركزية من خلال ولأئها في بلاد الأمازيغ أسقطت من طرف الأمازيغ في النهاية بواسطة الإعلان عن الثورة، نتيجتها كانت الانفصال عن هذه الخلافة التي لم تعد مؤهلة لأن تحكمهم باسم الإسلام، وعليه دخلت بلاد الأمازيغ مرحلة جديدة وهي تكوين إمارات أمازيغية الهوية إسلامية الدين، أي بمعنى سرعان ما أعلنوا استقلالهم عن المشرق الإسلامي مباشرة بعد اعتناقهم الإسلام واحتفاظهم به في إطار دويلات مستقلة (بورغواطة، بنو عاصم، مكناسة، بنو مدارار، بنو يفرن، مغراوة، بنو زيري، بنو حماد...) أو في إطار إمبراطوريات كبرى (مرابطون، موحدون) وبهذا تراجع التعريب مقارنة بالأسلمة في إطار هذه الدول ذات الهوية الأمازيغية، وستتطرق لبعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر.

لقد تميزت هذه المرحلة بأنها مرحلة اندماج بلاد الأمازيغ في إطار الأمة الإسلامية مع المحافظة على خصوصيتهم²، وقد وجدوها في اعتناق المذهب الخوارج (تكوين إمامة مستقلة وعدم التفرقة بين الأجناس)، وهذه الإيديولوجية جعلت الأمازيغ يسترجعون الثقة في أنفسهم وبهذا فإن الأمازيغ خاصة في فترة الخوارج لم يقفوا موقف الحياد إزاء عملية التعريب التي وجدت في عهد الولاة بأمر من الأرسطراطية العربية الحاكمة في الدولة الأموية، حيث استعمل الأمازيغ في إطار الدويلات الإسلامية الأمازيغية نفس السلاح الحضاري³ لمحاربة

1- ليليا بنسالم، المقاربة الانقسامية لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم، الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م، ص: 27.

2- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م، ص: 76.

3- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 123.

السياسة العنصرية للعرب، ومعها سياسة التعريب وتجلى ذلك بحجج مدعمة بأحاديث ضعيفة* ركزت على مقومات التقوى والكرم والجهاد¹، لا على الأصول العربية كما رأينا في الأحاديث التي صنفها الألباني في عوامل التعريب فقد ذكر محمد بن حسن نقلاً عن أبي زكريا الوريثاني قول جبريل للنبي "يا محمد أوصيك بتقوى الله والبربر لأنهم قوم يميون الدين بعد أن يموت ويجددونه بعد أن يبلى"² حيث أثرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها رجلاً أمازيغياً على غيره من الأنصار والمهاجرين وكان هذا التفضيل حسب الحديث المشار إليه سالفاً، أما الحديث الثاني فقد أسند إلى شخصية لا تقل أهمية عن عائشة أم المؤمنين وهو عمر بن الخطاب**، قال رسول الله ﷺ "لأنبئك يا عمر فإن الله سيفتح للإسلام باباً من المغرب، قوم يعز الله بهم الإسلام، ويؤذل بهم الكفر أهل خشية وبصائر يموتون على ما أبصروا ليست لهم مدائن يسكنونها ولا حصون يتحصنون بها، ولا أسواق يتبايعون فيها"³.

ومنه فإن الحديث الذي أسند إلى عمر بن خطاب رضي الله عنه من خلال تحليله يمجّد القبائل الأمازيغية، ومنه القبائل البدوية، وبالتالي نستشف أن معظم القبائل الأمازيغية البدوية قد تبنا مذهب الخوارج (الإباضي والصفري)، ومنه تأسيس دول الخوارج في بلاد الأمازيغ.

(1) - دول الخوارج:

* - رأينا سابقاً أن الدولة الأموية أوجدت أحاديث تمجد الأصول العربية وقد صنفها الألباني جلها في الضعيف. أو ضعيف جداً أو موضوع.

1- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العسر الوسيط، ص: 76.

2- نفسه، ص: 76.

** - وبالتالي فقد صمم الحديث المنقول على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الفكر الخوارج الذي يبدو متنافياً مع المدنية ونظام الدولة. أي الأمازيغ البدو غير المستقرون.

3- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 124. راجع أيضاً محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العسر الوسيط، ص: 76.

لقد تأسست بعد ثورة الخوارج عدة إمارات تبنت مذهب الخوارج حيث كانت هذه الإمارات الأمازيغية الإسلامية عائقاً أمام مواصلة تعريب الأمازيغ، فقد وجدت (الإباضية) وإمارة بني مدرار سجلماسة (الصفيرية) في ربوع المغربيين* الأقصى والأوسط. أين تحصنوا في مناطق نائية وشيدوا دولهم الخاصة بهم¹.

أما سلطة الخلافة العربية فإنها انحصرت في إفريقية²، وهذا ما يفسر أنه كلما اتجهنا غرباً نجد نسبة التعريب تقل بحكم تمركز القبائل وتأسيس إمارات أمازيغية ساعدت على الاحتفاظ بالهوية الأمازيغية ذات المرجعية الإسلامية.

(أ) سجلماسة:

تأسست الإمارات ذات المذهب الصفيري قبل الإمارات ذات المذهب الإباضي**، وبهذا نجد مثلاً إمارة بني مدرار (راجع خريطة ملحق رقم 5/ب) حيث تنسب إلى مدينة سجلماسة ذات الموقع القريب من مدينة تافيلالت، وقد أطلق عليها اسم دولة بني واسول، وهو أحد أجداد بني مدرار، حيث تأسست سنة (140هـ/757م) بعد أن تجمعت فئات من قبيلة مكناسة³ البشرية، ومنه فهي ذات طابع بدوي، أما الدولة

*- المغرب مصطلح يرتبط ظهوره بعصر الفتنة بين على معاوية أي قبل منتصف القرن الأول هجري للدلالة على الجزء المغربي من العالم الإسلامي، ويشمل مصر بملحقاتها لكن عندما انفصلت ولاية مصر عن إفريقية أصبح يرتكز على المناطق غرب مصر بمعنى في فترة القرن 3هـ يستخدم النطاق شمال إفريقية من سلوم إلى طنجة.

1- بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القبة، الجزائر، 2007م ص: 38.

2- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص: 86.

**- لقد جاءت تحركات القبائل الأمازيغية (قبائل زناتة وهوارة ونفوسة وضريسة) المعتنقة للمذهب الصفيري سابقة للقبائل الإباضية وسبب ذلك تطرف المذهب الصفيري مقارنة بالمذهب الإباضي بحكم أن المذهب الصفيري يجذب المواجعة، في حين المذهب الإباضي يقسم دعوته إلى أربعة مراحل: الكتمان في حالة الضعف والشراء وهي حالة خاصة من طلب الشهادة والدفاع عند تعرضهم للخطر والظهور عندما يكون الإباضية في حالة قوة.

3- بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ص: 69.

الاباضية فهي الدولة الرستمية فرغم أن الزعامة كانت خارج إطار الأمازيغ إلا أن حركة تأسيس الدولة الرستمية¹ قد استمدت قوتها من النزعة الاستقلالية للقبائل الأمازيغية، ولسنا هنا بصدد مناقشة عوامل تأسيس الإمارات الأمازيغية (دول الخوارج في بلاد الأمازيغ) ولكن فإن هذه الإمارات بسطتها الأمازيغية وفكرها الخارجي الذي ينبذ الوصاية عليها بحكم تسلط السلطة العربية، وبالتالي اجبارية التعريب.

ولزم الإشارة هنا أن الفصل السابق عوامل التعريب، قد فصلنا أن مذهب الخوارج كان سبب التعريب، حيث اننا الان بصدد إرجاع مذهب الخوارج والإمارات المؤسسة على فكره سبب عوائق التعريب وهذا ليس تناقض إنما حل هذه الإشكالية يكمن في أوضاع هذه الإمارات الداخلية، فمثلا الدولة الرستمية تعرضت إلى قوى المعارضة، تحصنت عند أطراف الإمارة وهو ما يفسر عامل التعريب لمتبني الخوارج حيث سيتعلمون العربية لإقامة الحجج في التشهير بمذهبهم، وهذا ما فصلنا فيه سالفًا في فصل العوامل اما عوائق التعريب نسبة إلى أوضاع هذه الإمارات أنفسهم، وسنركز على سبيل المثال لا الحصر على الدولة الرستمية* وقوى المعارضة التي تعرضت إليها خلال تاريخها، وهي القوى التي حافظت على هويتها الأمازيغية ومرجعيتها الإسلام ومذهبها الإباضي الخارجي.

(ب) - القوي المعارضة للدولة الرستمية:

لقد كانت الدولة الرستمية مرتبطة بأرياف وأطراف متغيرة (راجع خريطة ملحق رقم 5/أ خريطة الرستميون) ويعتبر عبد الرحمن بن رستم مؤسسها، في حين تعتبر إمامة عبد الوهاب بن رستم (168هـ-

1- تأسست الدولة الرستمية في أعقاب الاضطرابات التي حدثت بين القبائل الصفيرية والاباضية، مؤسسها عبد الرحمن بن رستم في طرابلس سنة 140 هـ لكن سقطت عام 144 هـ تحت ضربات الجيش بقيادة محمد بن الأشعب، وسبب سقوط الصراع القبلي بين هواره وزناتة، وبالتالي أسسوا وخططوا مدينة تيهرت التي ستصبح عاصمة الدولة الرستمية، عبد الرحمن بن محمد الجلالي، ج1، ص 219
* - لزم الإشارة ان الدولة الرستمية وسلطتها كانت عاملا لا عائقا في مسألة التعريب راجع بلهوارى فاطمة، اسهام حكام بني رستم في اسلمة مجتمع المغرب الأوسط وتعريبه، ص: 65-75.

208م)¹ ثاني أئمة الإمارة فترة قوة وتوسع، لكن هذا التطور حمل في طياته عوامل التفرقة وأنتج توترات سياسية ظهرت بين المركز (المدينة)، وأطرافها وتمثلت في الانشقاقات النكارية² والخلفية³ والنفائية⁴، ولسنا هنا بصدد سرد الوقائع، وإنما تفسير عدم التعريب حيث أن جماعة النكارية تحصنوا في جبل نفوسة وجربة، ومازالت هاتان المنطقتان تحتفظان بهويتهما الأمازيغية لحد يومنا هذا بزعامة قبيلة بني يفرن⁵.

وما يمكن استخلاصه أن حركات المعارضة الثلاث للسلطة الرستمية تبيهرت العنصر المشترك بينهم هو انبثاقها⁶ من الأطراف البدوية، سواء نواحي تيهرت أو جبل نفوسة أو جربة ورغم أنها فشلت سياسياً إلا أنها نجحت أنها تبنت مذهب الخوارج، وعليه حافظت على خصوصية المجتمع الأمازيغي في إطار الديانة الإسلامية، وهكذا تعرضت الدولة الرستمية إلى قوى معرضة مبدؤها الخروج على السلطان أو الحاكم وقد يكتشف من

1- بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ص: 91.

2- النكارية: سميت لانكارهم إمامة عبد الوهاب بن رستم. راجع بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ص: 29. وقد أطلق عليها عدة أسماء النكاث لنكتهم بيعة عبد الوهاب بن رستم، والنجوية لأنهم يتناجون بالإثم والعدوان، ولكثرة اجتماعاتهم، والعمرانية نسبة إلى عيسى بن عمير. لمزيد من المعلومات حول الانشقاقات، راجع محمد بن حسين، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص: 105. و يضيف عبد القادر بوعرفة معجم الفرق و النحل في الجزائر السلسلة الفلسفية منشورات مخبر الابعاد القيمة للتحويلات الفكرية و السياسية في الجزائر، ط1، 2005م، ص: 34-36 " و بعد فترة من زمن تحولت مبادئ النكارية السياسية الي مبادئ دينية و مذهبية خاصة بعد ان حدث الافتراق الأول في مذهب الإباضي.... ومن خلال ما سبق يتضح ان اغلب الفرق في تاريخ الفكر البشري تعود لأمر سياسية و أيديولوجية ثم يستعمل الدين كغطاء يمنح لها شرعية التواجد و يكسبها مناصرين. إن توظيف الفرق الإسلامية للدين لم يكن أساسه الحقيقي الدين ذاته بل دعوة من خلاله الي التمرد والعصيان بغية قلب الوضع السياسي الراهن " ومن خلال ما سلف ان المعارضة للسلطة الرستمية ادي نتيجته الي الحفاظ على الهوية الأمازيغية

3- الخلفية: سميت أيضاً بالخلفوية هي حركة ذات طابع سياسي اجتماعي نسبة إلى خلف بن السمح بن ابي الخطاب عبد العلي المعروف بالمعافري بايعة ناس ورفض السلطان أفلح بن عبد الوهاب بن رستم أن يعين حلف بن السمح، بسبب مبايعة الناس له دون الرجوع اليه ومنه تحولت الحركة إلى المطالبة باستقلالية الجهة الشرقية من جبل نفوسة عن مركزية عاصمة تيهرت، ومنه الزعامة كانت بيد قبيلة بني يفرن، وبقيت تتمتع باستقلالية فضلية وهو ما يفسر عدم التعريب الذي تعرضت له المناطق الخارجية، راجع عبد القادر بوعرفة، ص: 30، 31.

4- حركة النفائية: نسبة إلى نفاث بن نصر رغم ان نفوسة كان ولاءها للإمامة الرستمية، لكن لم يمنع ذلك من ظهور حركة تزعمها أحد النفوسيين في بداية القرن 3هـ. راجع محمد بن حسن القبائل والأرياف مغربية في العصر الوسيط، ص: 123.

5- بنو يفرن: وهم أبناء يفرن بن يصلتين من القبائل الأمازيغية البترية جدهم الأكبر زانا ابن يحيى. راجع بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج1، ص: 168.

6- حسن بن محمد، القبائل والأرياف مغربية في العصر الوسيط، ص: 128.

خلاله دلالات كثيرة¹ من أبرزها ان الشعوب ترفض تجبر الحاكم وبالتالي لزم على السلطة إدراك طبيعة رعيته وبما أن السلطة الرستمية شجعت التعريب فإن القوي المعارضة رفضت التعريب، وبالتالي وجدت القيم الناجمة عن تصادم الرغبات هذه الأخيرة التي هدفها سيؤدي إلى زعزعة نظام الدولة.

ج) الاباضية ووادي ميزاب:

- أصل الميزابيين: يقول ابن خلدون: "وسكانها لهذا العهد بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب وحالها في المباني والاعراس، وتتفرق الجماعة بتفرق الرياسة شبيهة بحال بلاد بني ريغة والزاب"²، يذكر أن هجرة الإباضية إلى وادي ميزاب من سدراتة ووارجلان ووادي أريغ ووادي سوف، كانت بداية القرن 5هـ وتعود أصل الكلمة إلى ميزاب نسبة إلى جبال الزاب، وأمزاب هي كلمة أمازيغية زناتية تعني الهضبة³، ونجد هذه الهضاب في جنوب بسكرة مع العلم هناك عدة فرضيات حول أصل الكلمة، لأن البعض يرجعها إلى تحريف كلمة مصاب التي ذكرها ابن خلدون والتي تعود إلى قبائل بني مصاب⁴، وبالتالي هي إشكالية تعريب الاسماء*.

1- عبد القادر بوعرفة، معجم الفرق والنحل في الجزائر، ص: 31.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر، ج7، ص: 124.

3- بكيز بن سعيد أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، مطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1991م، ص: 60-73.

4- بنو مصاب من قبائل الأمازيغ فرع القبائل البترية وهم فخذ من بطن قبائل زناتة تحديدا من أولاد زحيك بن واسين بن يصلتين وجددهم زانا بن يحي تفرع بنو مصاب من بني عبد الواد حيث التحقوا بهم، لمزيد من معلومات راجع بوزياني الدراجي القبائل الأمازيغية ج1 ص: 194.

*- إشكالية أصل كلمة ميزاب مازالت قائمة على فرضيات وقد ناقشها كل من عبد الرحمن محمد الجيلالي، ج1، ص: 237، وكذا بكيز بن سعيد أعوش، ص: 63-65.

-الدولة الرستمية ووادي ميزاب:

لقد تم التحدث سابقاً عن المذهب الإباضي وظروف تأسيس الدولة الرستمية والجو الفكري الذي ساد الدولة الرستمية من حرية فكرية ومذهبية لكن كيف انبثقت منها امارة بني ميزاب¹؟

إن صعود المذهب الشيعي في أواخر عهد الدولة الرستمية، فكانت النتيجة سقوط الدولة الرستمية على يد عبد الله الشيعي مؤسس الدولة العبيدية، وبما أن المذهبين متناقضين من حيث النظرة في الإمامة فقد وجد الصراع بينهما، وبسقوط الدولة الرستمية هجرت قبائل الأمازيغ المعتنقة لمذهب الإباضي تيهرت إلى الجنوب² فمنهم من هاجر إلى جنوب الغربي ومنهم من هاجر مع الامام يعقوب بن أفلق و استقروا في مدينة وارجلان، ومنها أسسوا عاصمتهم الجديدة سدراتة المعروفة عند الأمازيغ بأسدراتن* في القرن الرابع هجري وما ان حل القرن السابع حتي غزا المرابطون المدينة وتم القضاء عليها بزعامة على بن غانية الميرويقي³، وكذا العوامل الجغرافية بسبب عوامل التصحر والجفاف الذي ضرب المنطقة وهنا اضطر الاباضيون إلى الهجرة مرة أخرى وهنا جاء دور منطقة بني ميزاب للاستقرار فيها وأنشئت عدة مدن منها:

1 - وادي ميزاب جغرافياً المعروف أنه عاصمة منطقة وادي ميزاب هي غرداية والتي تبعد عن الجزائر العاصمة 600 كلم وقسنطينة 800 كلم شرقاً ووهران غرباً 800 كلم و1500 كلم عن تمنراست جنوباً، حيث تقع شمال الصحراء ويجدها من جهة الشمال الغربي سلسلة جبلية تعود الي العصر الطباشيري حالياً تقع شمال الغربي من ورقلة وجنوب مدينة الأغواط وبهذا يسودها المناخ الصحراوي الجاف وتتخلل تضاريسها مجموعة أودية سمحت للإنسان بالاستقرار في المنطقة وهي وادي ميزاب وروافده ووادي بلوح، ووادي متليلي، ووادي النساء ووادي زقيرير وتتجه معظم هذه الأنهار من الشمال الغربي الي الجنوب الشرقي، راجع محمد الهادي لعروق، سمير بوريمة، أطلس الجزائر و العالم، ص 75

2- عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج1، ص: 234.

*- اختفت المدينة سدراتة بسبب العوامل التصحر وقد غطتها الرمال لكن تم اكتشاف المدينة من طرف عالمة الآثار الفرنسية فإن برغم سنة 1951م، واكتشفت روائع عمرانها وثقافتها التي تأسست منذ القرن الرابع هجري. بكيز بن سعيد أعوشت، ص 57

3- نفسه، ص: 59.

- **العطف**: إخطتها الخليفة بن آبغور¹ سنة 402هـ، 1012م، وقد كانت هذه المدينة ملاذ القبائل الزناتية وترجع تسميتها إلى عدة فرضيات² منها من يرجع التسمية إلى لقب أكبر العائلات الزناتية ومنها من يرجع التسمية إلى كلمة أمازيغية وهي تُفْنِيْنْتُ ويقصد به إناء الشرب ومنها من يرجع التسمية إلى موقع المدينة الجغرافي لأن مدينة موجودة عند منعطف الوادي.

- **مدينة بنورة**: تأسست سنة 437هـ 1045م وأول من سكنها هم آيت بنور وهم من بطون زناتة.

- **غرداية**: تأسست العاصمة غرداية سنة 477هـ 1084م، أسسها ثلاثة من زعماء الإباضية سليمان بن يحيى وعيسى بن علوان وأبو الجمعة وأصبحت غرداية مركزاً لمدن السبع³ التي أنشئت بعدا ويرجع اسم غرداية إلى والمرجح ان غرداية كلمة أمازيغية ليست عربية مشتقة من كلمة أمازيغية⁴ تغردايت حديقة الصغيرة او من كلمة تامغردايت وهي نوع من النخيل.

ومهما يكن فإننا لا نزعم أن وادي ميزاب هو إقليم أمازيغي صرف لان هناك بعض القبائل العربية⁵ نزحت إليه وهي المدايح، الشعابنة، بنو مرزوق والعطاطشة وأولاد يحيى، والمخادعة وأولاد نائل وأولاد الشرفة، أولاد أمغازي لكن الكثير من العائلات حافظت على هويتها ويرجع الأمر إلى عدة عوامل متداخلة (دينية، اجتماعية، جغرافية، ديموغرافية) حيث، أن المذهب الإباضي العامل الديني رغم أنه كان سبباً للتعريب بحكم

1 - عبد الرحمن محمد الجيلالي، ج 1، ص: 237.

2- بكيز بن سعيد أعوش، ص: 66-67.

3- مليكة (بنيت على يد قبائل نفوسة الاباضية اسمها الأصلي أتمليشت نسبة الي مليكش أحد زعماء القبائل الأمازيغية)، بني يسقن (الاسم الأصلي للمدينة من آيت إسجن عائلة أمازيغية)، القوارة (تأسست سنة 1040هـ نتيجة توسع المدن السابقة وزيادة الديمغرافية وأصل التسمية يُرجح انه أمازيغي بلفظ قارة وجمعها تقرار وهي جبال أشكالها بيضوية بفعل الحث الريحي وهي خاصة للطبيعة في الصحراء)، بريان (تأسست 1060هـ وأصل الكلمة أمازيغي أي نسبة إلى آيت إبرقان، وتعني الخيمة المصنوعة من الوبر أو المعز)، متليلي (نسبة الي قبيلة الشعابنة عربية، ولفظ متليلي هو لفظ أمازيغي معرب)، الضاية بن ضحوة (قد استقر بها قبيلة عربية وهم من المدايح في حدود 995هـ وأصل الكلمة أمازيغي مركب ومعرب حيث أن الضاية كلمة أمازيغية تعني مكان تجمع الماء أو تنسب إلى كلمة عربية وهي أن الضاية تحريف لكماة عربية الضاحية) لمزيد من المعلومات حول مدن بني مزاب، راجع بكيز بن سعيد أعوش، ص: 66-72.

4- نفسه، ص: 65.

5- نفسه، ص: 73.

إيجاد الحجّة في مناقرة باقي المذاهب كما سلف الذكر في عوامل التعريب الا انه كان عاملا في الاحتفاظ بالهوية عند اقتترنه بالعامل الاجتماعي الهجرة المرتبط بالعامل الجغرافي، وهو نزوحهم إلى الصحراء، أما العامل الديمغرافي فتمثل في أن القبائل الأمازيغية هي التي أسست تقريباً أكثرية مدن وادي ميزاب، وبالتالي ديمغرافية الأمازيغ كانت أكثر من ديمغرافية القبائل العربية.

(2) الامبراطوريات الأمازيغية (الموحدين):

يذكر محمد المنوني: "ولابد أن يرد في هذا المقام سؤال لا مناص منه نذكره هو أن هناك ظواهر يدل بعضها على تمركز البربرية في هذا العصر بالمغرب مدناً وبادية تمركزاً ينافي ما تقدم من شيوع العربية في لغة المحادثة"¹، ونستخلص أن لغة المجتمع كانت الأمازيغية وحتى من ناحية الدينية فإن الأمازيغية لم يستغن عنها والدليل "أنه كان يؤم في أيامهم إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري"²، وقد أورد محمد المنوني عدة أمثلة عن انتشار اللسان الأمازيغي بدل العربي رغم أسلمة جل بلاد المغرب. وقد أورد سبب ذلك في قوله "...وقبل الجواب عن هذا الكلام نقدم كلمة نبين فيها أن القوم كانوا -بصفة خاصة- شديدي الاهتمام بأمور الدين: من التوحيد والفقّه وما في حكم ذلك، وكانت نشأتهم بمعقل كبير من معقل البربرية -المصامدة- وقيام عصبيتهم الكبرى منه، ومن أكبر الأسباب التي حفزتهم أن يلقنوا تعاليم الدين، وما إليها ويبيحوا قراءتها باللغتين العربية والبربرية لمن لا يفهم إلا هذه اللغة الأخيرة في تدريسهم وتأليفهم"³.

ونستشف مما ذكره أن دولة الموحدين منذ محمد بن تومرت (المهدي بن تومرت) همها كان تلقين الإسلام وليست العربية بحكم أنهم أيقنوا أن الإسلام لكافة الأمم، ولا يتعارض مع تدريسها باللغة الأمازيغية، وقد

1- محمد المنوني، العلوم والأدب والفنون في عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، الرباط، ط2، 1977م، ص: 154.

2- نفسه، ص: 154.

3- نفسه، ص: 155.

ذكرت بعض الكتب التي كتبت بالأمازيغية أمثال في منطقة سوس أبا عبد الله محمد بن مسعود البونعامي السوسي¹ المتوفى 1330هـ له مؤلفات في الفقه للغة الأمازيغية جانب سوس، وكذا هناك تأليف أخرى مترجمة للأمازيغية منها رسالة ابن أبي زيد القيرواني والمختصر الخليلي وشرح البردة، وبالتالي فمظاهر الدينية في عهد الموحدين كانت أساسها أمازيغي مع وجود اللغة العربية بحكم قدسيته، فنذكر على سبيل المثال أنهم كانوا يخطبون أو يعيدون الخطبة بالأمازيغية كما أنهم كانوا يعيدون بعد الأذان الشرعي العربي النداء للصلاة بالأمازيغية²

(III) - العوائق الاجتماعية والجغرافية :

يذكر صدقي على أزايكو " في شمال إفريقيا كثيرا ما ينسي التأثير الحاسم للجغرافيا على نشاط الإنسان وتأثير أنماط العيش على ثقافته"³ وهذا يعني ان للجغرافيا وتضاريسها انعكاس على نمط العيش وبالتالي هناك تكامل بين المجال الجغرافي والاجتماعي، أو بعبارة أخرى المحيط المادي وأثره الكبير في تكييف المجتمعات⁴.

أولاً: ظاهرة الترحال للقبائل الأمازيغية.

إن الحراك والهجرة هم أساس الظاهرة الاجتماعية المسؤولة على كل التغيرات الثقافية والحضارية واللغوية لكي نفهم ظاهرة الحراك للقبائل الأمازيغية بهجرته وترحاله لزم العودة إلى التاريخ القديم لفهم الظاهرة في العصر الوسيط، وقد رأينا سابقاً حراك القبائل العربية، والتي اعتبر عاملاً قوياً في التعريب، أما هجرة القبائل الأمازيغية فتعتبر عائقاً للتعريب.

1- محمد المنوني، العلوم والأدب والفنون في عهد الموحدين، ص: 156.

2- نفسه، ص: 156.

3- صدقي على أزايكو، التأويل النَّسِّي (الجينولوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ مجلة كلية الاداب والعلوم الإنسانية الرباط، العدد 15، 1990م، ص: 20.

4- نفسه، ص: 20.

حيث يذكر عبد الله العروي مُجَمِّل النظريات التي اضطرت القبائل الأمازيغية للترحال والتحصن سواء في الجبال أو النزوح إلى الصحراء¹، وسنركز أولاً على مجال الصحراء، فحالياً معظم القبائل الأمازيغية محتفظة بهويتها، ويذكر ستيفان أغريل, S. Gsell بهذا الخصوص ما يلي "إن روما أرغمت البربر بسياستها التوسعية على أن يتوغلوا في الصحراء فطردوا هؤلاء الأثيوبيون النزوح وسبب تفوق على النزوح استعمال الأمازيغ للجمل الذي جلب من سوريا"².

أما غوتيه المعروف بنظرته العنصرية³ فقد قام بتحسين صورة روما الإمبريالية، ومنه أدخل على النظرية تعديلات "فذكر أن روما أدخلت مع سياستها التعميرية الحضارية عدة حيوانات صالحة لخدمة الإنسان، ومن بينها الجمل الذي اكتشفته في الشرق (سوريا) فجلبته إلى بلاد الأمازيغ، وهنا تعرف الأمازيغ على الجمل الذي ساعدهم على النزوح إلى الصحراء"⁴، ومن المؤكد أن نزوح الأمازيغ إلى الصحراء على رأسهم بطون قبيلة صنهاجة⁵ (لمتونه، مسوفة، جدالة) بسبب السد الأمني (الليمس) في العهد الروماني، وعليه عادوا مضطرين إلى البداوة، وبهذا سوف نركز على ظاهرة الحراك وما نتج عنها من نطاق جغرافي، حيث يذكر احمد مختار عمر عن

1- عبد الله العروي، ج 1، ص: 109-111.

2- S. Gsell, *op. cit.*, Tome 4, p. 200.

3- لاحظنا من خلال تفحص كتاب غوتيه بحكم أنه ذكر "ومهما علا شأن الأمازيغي من ناحية العسكرية فإن لم يكن ذو شأن من الناحية الفكرية" وتناسي غوتيه ان ثورة الفلسفة المسيحية قد وجدت من طرف القديس أوغسطين وهو أمازيغي وكذا فكر دونا واريوس راجع غوتيه، ص: 97-103.

4- عبد الله العروي، ج 1، ص: 109-111.

5- قبيلة صنهاجة بطونها (لمتونة، مسوفة، جدالة) وهي التي سوف تأسس دولة المرابطين، مواطن لمتونة: من وادي نول على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور وتمتد مضارب هذه القبيلة من الصحراء شرقاً حتى الطريق الواصل بين غانا وسجلماسة، أما مواطن جدالة فتتمركز في جنوب لمتونة تمتد على طول الصحراء من أزواد حتى المحيط الأطلسي، أما مواطن مسوفة تمتد مواطنها في منطقة قاحلة تقع بين سجلماسة في الشمال، وأدغشت في الجنوب. راجع بوزيانبي الدراجي، القبائل الأمازيغية. ج 2، ص 54-55.

الظاهرة استقرار الأمازيغ في مناطق معينة "انكماش البربر في شبه عزلة، حيث أنهم يكونون ما يشبه مجتمعا داخل مجتمع مجتمعا له تقاليده وعاداته"¹، ومن هذا المنطلق سنجد مناطق استقرارهم كما يلي:

1) الصحراء:

ومنه أصبحت الصحراء عاملاً مؤثراً² عندما التجأ إليها قسم من الأمازيغ، وبهذا حافظوا على هويتهم الأمازيغية، وقد فشلت العرب منذ البداية التوغل في الصحراء، ولم يتمكن العرب حتى عام 705م من أن يوحّدوا كل الأقاليم إلى نفوذهم³، والدليل هو أن الأمازيغ بقيادة كسيلة قد هزموا الجيش الفاتح العربي عند معركة تمودة سنة 63هـ عند أطراف الصحراء⁴.

وبهذا نعود إلى تقسيم أفقي وهو الذي اعتمده عبد الله العروي لنجد ثلاث المستويات، حيث سبق أن ركزنا على الأمازيغي سواء المندمج أو الموالي أو المستقل، نفس المستوي الأفقي لكنه من ناحية التقسيمات الجغرافية لشمال إفريقيا إذ نجدها تتخلل الأقطار الثلاثة عرضاً، وتمتد بذلك بمحاذاة البحر⁵، وعليه سنركز على مستويات التقسيم من ناحية التضاريس التي لعبت دوراً هاماً في سيورة تاريخ الأمازيغ وهي كالآتي:

- **المستوي الأول (مغرب مفتوح):** وهو مغرب الخاضع خضع للوافد الأجنبي وجد في فترة روما حيث ذكر سابقاً أنه ترومن به الأمازيغ، وبهذا ورثته كل من الوندال والبيزنطيين، وهو نفسه الذي تعرب كلية عند الفتح الإسلامي، بمعنى أنه من ناحية التضاريس يعود أساساً إلى السهول، وقد وجد فيه الأمازيغي المندمج الذي تحلى عن هويته ولغته، وتمثل نشاطه الاقتصادي بالتجارة.

1- أحمد مختار عمر، ص: 95.

2- عبد الله العروي، ج1، ص: 111.

3- تذكر المصادر أن عدد المسلمين في معركة تمودة كان قليل نحو 300 من الصحابة والتابعين. ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 269. ابن عذاري، ص: 29.

4- كارل بروكمان، ص: 102.

5- يسرى عبد الرازق الجوهري، شمال إفريقيا، دراسة في الجغرافية التاريخية، شمال إفريقيا، دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية الإسكندرية، 1970م، ص: 173.

- **المستوي الثاني (المغرب الوسط):** وهو مغرب الممالك الأمازيغية¹ المستقلة التي حافظت على استقلالها، حيث نجد أن نوميديا² كانت تمثل دائماً مركز معارضة لأي نفوذ أجنبي³، وظلت على ذلك لمدة قرون ومهما اختلف الوافد الأجنبي، وبهذا رفضت التعريب عندما تعلق الأمر بالوافد العربي، نجدها تتمركز في الجبال، و عليه نجد فيها أساساً الأمازيغي الموالي بمعنى الموالاتة هنا سواء التعامل اللإرادي (يقصد بالتعامل سواء التحالف أو التصادم أي نوع من الاحتكاك) إن مع الاحتلال في التاريخ القديم وإن مع العرب خلال الفتح، وهنا كان لزاماً التأثير، بمعنى آخر (متحالف أو المتصادم) وعليه سوف نصوغ عبارة **المتعامل مع الوافد الأجنبي مع الاحتفاظ بالهوية و اللغة.**

- **المستوي الثالث (مغرب الصحراء):** هو مغرب محافظ على الهوية، وقد سكنه الأمازيغي المستقل الذي حافظ على هويته ولغته، مع عدم وجود احتكاك مع الوافد الأجنبي، وبهذا نلاحظ أن أمازيغي الصحراء حصن تراثه ولغته الأمازيغية دون تأثيرات خارجية، بحكم تحصينات الصحراء، وعدم تعامله مع الوافد الأجنبي سواء المحتل في تاريخ القديم، أو الفاتح العربي خلال فترة الفتوحات.

وعليه فتقسيمات بلاد الأمازيغ تعود بالدرجة الأولى إلى الثلاثية⁴ البيئية السهل، الجبل الصحراء، وما لاحظناه أن الأمازيغي المحافظ على هويته ولغته هو كل من أمازيغي الموجود في مغرب الوسط ومغرب الصحراء، وهذا ما يفسر تجمعات دول الخوارج التي نوقشت سلفاً في ممالك خاصة في القرنين الثامن والتاسع هجري، كما في سلجماسة على سبيل المثال، وبهذا فقد رفض جزء من الأمازيغ التعريب (سلطة الكيان العربي) بسبب

1- لمزيد من المعلومات حول الممالك الأمازيغية المستقلة، وهي في مجملها تسع إمارات إلى إمارة وليلى، إمارة وهران، إمارة الونشريس، إمارة الحضنة، إمارة الأوراس، إمارة النمامشة، إمارة القابسي، إمارة أنطال (في أطلس تونس)، إمارة كابلون (طرابلس) عبد الله العروي، ج1، ص: 112-113.

2- نوميديا ظهر، المصطلح في عهد السلطة الرومانية للدلالة على المناطق المتوسطة التي تليها إفريقية وكانت مستقلة بها إمارات (ممالك أمازيغية مستقلة) الخارجين عن حدود الإمبراطورية الرومانية (الليمس)، راجع غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص: 300.

3- يسرى عبد الرازق الجوهري، ص: 172.

4- هشام الصفدي، ص: 167.

جنوحهم نحو العزلة والإقليمية المتطرفة¹، والدليل أن العرب لم يتمكنوا وحتى الإمبراطوريات الإسلامية التي تأسست في بلاد الأمازيغ من السيطرة على مواطن الأمازيغ الأصلية² التي تحصنت بالتضاريس، سواء الجبال أو الصحراء، وهنا نستخلص أن المستوى الثاني والذي فيه أمازيغ الجبال أو أطراف الدول المؤسسة على الحكم العربي كانوا يفضلون المواجهة أو الموالاة، وهذا حسب الظروف.

أما المستوى الثالث وهو أمازيغ الصحراء، فقد اعتزلوا واحتفظوا بهويتهم، حيث أن العرب لم يتمكنوا قبل الهجرة الهلالية من السيطرة على الصحراء الكبرى سيطرة مباشرة³، أين تركزت قبيلة صنهاجة، حيث سبق الذكر أنها كانت تتحكم في طرق القوافل بين غانا ومراكش، وبهذا فإن اعتناق الإسلام وجد بالأساس عن طريق التجارة أو الاحتكاك بالعرب لا عن طريق الفتوحات الإسلامية، وعليه فقد اختلف الوضع بنسبة للشمال، وهذا ما يفسر الأسلمة وعدم التعريب للمستوى الثالث (مغرب الصحراء).

وإذا ما قمنا بمسح للخريطة اللغوية في بلاد الأمازيغ حالياً، نجد أن جهة الصحراء والجهة الشرقية قد حافظتا على هويتهما أكثر من الجهة الغربية (راجع ملحق رقم 2/ ج خريطتين للجهات الناطقة بالأمازيغية حالياً)، وهذا الاستثناء في الجهة الغربية راجع إلى هجرة قبائل بني معقل إلى المغرب الأقصى جنوباً، ويذكر الناصري أنه "كان دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين، لكن تعدادهم كان قليلاً، ويقال أنهم بلغوا المائتين"⁴، وقد ازداد عددهم بطريقة الإلحاق التي ذكرت سلفاً في بحثنا ضمن عوامل عنصر تشابه البنية القبلية للأمازيغ والعرب ويضيف الناصري "وقد اجتمعت إليهم من القبائل من غير نسبهم... وكانوا هنالك أحلافاً لزناتة سائر

1- يسرى عبد الرزاق الجوهرى، ص: 174.

2- نفسه، ص: 177.

3- نفسه، ص: 181.

4- الناصري، ج2، ص: 178.

أيامهم... فلما ملكت زناتة بلاد المغرب دخلوا إلى الأمازيغ والمدن¹. وقد نزلوا في بادئ الأمر ملوية ورمال تافيلات، قصور سوس غرباً، ثم توات ثم بودة ثم تمنطيت، ثم واركلان ثم تاسبييت ثم تيكراين شرقاً². ومنه نستنتج أن عرب بني معقل تمركزوا في أطراف الصحراء غرباً، وتعدادهم كان قليلاً، وتمركزهم هنالك مرده إلى ما ذكره عبد الوهاب الديبش: "المجال الصحراوي استقبل معظم قبائل معقل الذي استوطنوا جنوب الأطلس وقد كان لطبيعة تضاريس ومناخ المنطقة وتشابهاً مع المجالات الأصلية التي قدم منها هؤلاء النازحون سبب في عدم مبارحتهم هذه الأمكنة إلى اليوم"³، وعليه فالصحراء وجد فيها العنصر العربي عند أطرافها الغربية، لكن حافظت الجهة الشرقية على هويتها، إذ اعتبرت معقل الأمازيغ المحافظين على لغتهم وتراثهم وعاداتهم بدون التأثير بالوافد الأجنبي، وقد فسر إسلامهم بأنه نسبة إلى خطوط التجارة.

(2) الجبال:

إن المجال الجغرافي الذي لم يطأه العرب وحافظ فيه الأمازيغ على خصوصيتهم، ولم يكن به عامل التعريب هو الجبل، فقد غاب العرب عن مجال تضاريس الجبل، حيث استوطنوا في ثلاث مجالات⁴ من التضاريس: السهل والهضاب، وحتى في نطاق ضيق من الصحراء، وقد أرجع المؤرخون الغربيون⁵ سبب لجوء الأمازيغ إلى الجبال إلى تحصنهم فيها بسبب الفتح الإسلامي، ويشبهون هذا الظرف بما حدث للأمازيغ في فترة الاحتلال الروماني، أين تراجع الأمازيغ إلى الصحراء (ما وراء الليمس) وبما أن العرب استوطنوا الصحراء في الجهة

1- الناصري، ج2، ص: 178.

2- نفسه، ص: 178.

3- عبد الوهاب الديبش، ص: 97.

4- نفسه، ص: 85-101.

5- من المؤرخين الغربيين غوتيه، كارل بروكمان، شارل أندري جوليان، أغسال.

الغربية، واختلّفوا عن الرومان، فقد وجدوا في الجبال ملاذهم، أما عبد الوهاب الديبش فقد أرجع استقرار الأمازيغ في الجبال إلى عاملين¹:

1- جهل الوافدين الجدد (يعني العرب الفاتحين) بالإمكانات التي يتيحها الاستقرار بالجبل، بوفرة المياه في سنوات الجفاف، أما سنوات الأمطار فعدم وجود فيضانات، وهذه الإمكانيات الطبيعية لم تكن في ذهن العرب بحكم عدم توفر شبه الجزيرة العربية على هذا نوع من التضاريس.

2- أن معظم الجبال كانت مستوطنة من قبل القبائل الأمازيغية، ومرد ذلك إلى تاريخ الأمازيغ مع الوافد الأجنبي بمختلف أنواعه ومنه التحصن بالمرتفعات.

ويذكر شارل أندري جوليان "إن تضاريس بلاد البربر أثرت بخاصيتين جوهريتين على مصير البلاد تأثير حاسماً في أكثر الأحيان فتجزؤ البلاد إلى أقسام مستقلة الواحد عن الآخر لم تكن خطراً على الوحدة السياسية خلال العصور، بل أنه ساعد في بلاد القبائل أو الأوراس مثلاً على تكوين مجموعات بشرية لها خصائصها الذاتية، ولا تزال إلى اليوم صامدة أمام اكتساح التاريخ"²، وبهذا فإن الجغرافيا لعبت دوراً هاماً في تكوين الأمازيغ المحافظين من خلال سيرورة التاريخ بمختلف أنواع الوافد الأجنبي وآخرهم الفاتح العربي، هذا التقسيم الجغرافي الأفقي بمستوياته الثلاث أثر في صياغة التاريخ الأمازيغي³، فرفض التعرب وتقبل الإسلام وسبب ذلك يرجع إلى ضعف التأطير العربي⁴ لتلك المناطق التي اتخذها الأمازيغ ملاذاً لهم، فأوقفت عملية التعريب، أما الأسلمة فقد وجدت تأثير بني جلدتهم فيهم. وبعبارة أخرى رفض سوسولوجية التعريب مع اعتناق الإسلام، لأنه دين كوني لا قومي.

1- عبد الوهاب الديبش، ص: 97.

2- شارل أندري جوليان، ج1، ص: 9.

3- عبد الكريم غلاب، ج1، ص: 30.

4- عبد الوهاب الديبش، ص: 87.

واستخلاصاً مما سبق فإن المناطق الناطقة بالأمازيغية والتي احتفظت بهويتها كان بمساعدة حصانة التضاريس كالمناطق الجبلية والصحراء، إذ أنها تعتبر معازل وملاجئ يلوذ إليها الأمازيغ الذين كانوا يتخلون بالتدرج عن المناطق السهلية المستوية للرحل من العرب والمستعربة¹، وبهذا نجد أن هذه الحركة التي صبغت الأمازيغ قد أدت إلى التحول السوسيوولوجي، أو بعبارة أخرى إلى الانقلاب السكاني شهدته منطقة شمال إفريقيا (بلاد الأمازيغ) وعليه فقد باتت الجبال ذات التربة الفقيرة يقطنها مزارعون، وتأقلم هؤلاء مع ظروف العيش في الجبال²، حيث ابتكرت ممارسات زراعية وعلى سبيل المثال الزراعة على المدرجات في منطقة الأطلس التلي، وبهذا فإن الجبال لم تكن حصوناً ومعازل لمقاومة التعريب، فحسب بل كانت كذلك ملاذات حقيقية قد تجمع فيها المزارعون من السهول التي تُركت لنهب الرعاة من الرحل خاصة فترة هجرة القبائل بني هلال، وبهذا أتقن الأمازيغ (مثلاً شلوح) زراعة المدرجات في كل من الأطلس (المغرب) والسلاسل الجبلية الأوراس (الجزائر) ولدى قبائل مطماطة (تونس)³، إن جبال شمال إفريقيا مازالت تعتبر ليومنا هذا الخزان الديمغرافي الكبير في الجزائر والمغرب⁴.

ثانياً: طبيعة القبيلة الأمازيغية (الجانب البنيوي).

إن الجانب البنيوي* للقبيلة الأمازيغية جانب مُعقد فقد كان عائقاً لأساليب التعريب رغم أننا سالفاً أوردنا أن القبيلة تعتبر عاملاً من عوامل التعريب، إلا أن هذا التنظيم الاجتماعي وحسب المعطيات

1- غابرييل كامب، ص: 233.

2- نفسه، ص: 234.

3- نفسه، ص: 235.

4- عبد الكريم غلاب، ج1، ص: 54.

*- البنيوية هي منهج علمي ماهيته تتمحور في دراسة العلاقات القائمة بين العناصر في نظام يشترط كما منها وجود الآخر وليس بين الجواهر كل منها مستقل بذاته لمزيد من المعلومات حول البنيوية راجع جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا ترجمة محمود عصفور، عالم المعرفة الكويت 1996م، ص: 15.

الأنثروبولوجية والتاريخية استطاع أن يصبح عاملاً مقاوماً لتعريب¹. إذ يمثل أمازيغ الأطلس الكبير والأوسط²، نموذجاً للظاهرة الدينية (الأسلمة). داخل مجتمع قبلي أمازيغي حافظ على استمراره، حيث أنه لا تزال مميزاته حاضرة بكل وضوح إلى حد الآن، وبهذا فان علم الانثروبولوجيا أوجد وضائف للقبيلة استحدثتها لتحافظ على كيانها ونجدها في ثلاث وضائف الانقسامية الانشطار والانصهار وفيما يلي تفسير لهذه الوضائف التي أعاقت التعريب: - الانقسامية **Ségmentarité** الانقسامية تعني كل قبيلة تنقسم إلى فروع؛ هذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى أجزاء إلى أن تصل إلى مستوى الوحدات العائلية، ومنه بنية القبيلة شبيهة ببنية الشجرة، تنقسم وتتفرع إلى فروع مثل الأغصان³. أول من استعمل المصطلح دوركايم في اطروحته تقسيم العمل الاجتماعي سنة 1893 وتتمحور الفكرة أساساً حول مجتمعات تنتقل أساساً من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي، ويضيف عبد الله الحمودي: "تشكل القسامات المتداخلة بنية متفرعة على صورة شجرة تمتد فروعها انطلاقاً من القمة وتتفرع أكثر فأكثر نحو القاعدة وتنتج مختلف التفرعات في كل مستوى وحدات تحول دون تسرب عناصر خارجية، وتتكامل فيما بينها في نفس الوقت وهكذا تنحدر فروع مختلفة من أبناء الجد الموحد تتولد عنها فروع جديدة ويستمر المسلسل على هذا النحو إلى أدنى مستوى، وهو الأسرة، كل جيل من الأجيال يمثل مستوى من الانقسام والتداخل، ومنه القبيلة، فرع القبيلة، السلالة"⁴.

ويضيف دُركايم* حول مفهوم الانقسامية: "نقول ان هذه المجتمعات انقسامية، لأنها مبنية على تكرار كتلات متشابهة فيما بينها، على غرار حلقات متتالية، ونسمي الكتلة عشيرة لان هذه الصيغة تعبر عن طبيعة مزدوجة: عائلة و سياسة في آن واحد، والواقع أن هناك قرابة دم تجمع بين جل أفراد العشيرة، مما

1- سالم شاكر، ص: 10.

2- إرنست كلنير، السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية، أنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ص: 46.

3- نفسه، ص: 46

4- عبد الله الحمودي، الانقسامية والترتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة، أنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي ص: 62.

*- دُركايم عالم اجتماع من رواد مدرسة انثروبولوجيا الأنجلوسكسونية ألف اطروحته المعنونة تقسيم العمل الاجتماعي، 1893م.

يخلق بينهم شعوراً بأواصر القرابة"¹، ومن خلال تعريفات كل من دوركايم وعبد الله الحمودي أن الانقسامية حافظت على السلالة وفرعها لتصل إلى القبيلة، وانعدم فيها الاحاق بعناصر أجنبية لأن المهم هو السلالة بمعنى القرابة ولهذا مع كبرها ديموغرافياً تنقسم، مشكلة لحمة في وجه الأجنبي، ومع اعتناق القبيلة الأمازيغية الإسلام فقد تأقلمت، وبهذا استطاع الإسلام أن يتعامل مع أصناف مختلفة من البنيات الاجتماعية عامة والقبيلية على وجه الخصوص².

- الانشطار: يقصد به القبيلة ذات النسب الأبوي الواحد، وتنشأ الفئات عن الانقسام الحاصل من الأعلى إلى الأسفل، ويعبر عن نشوئها أجداد يمثل كل واحد منهم نقطة انشطار في كل مستوى من مستويات الانقسام³، ومهما يكن فإن استحضر الجد الأول أو النسب الأبوي الواحد في القبيلة الأمازيغية قد ساعد على الحفاظ* على الهوية واللغة.

- عامل الانصهار: مصطلح أطلقه كلنير في علم الأنثروبولوجيا مرده أنه في حالة الخطر وفقدان الأمن يظهر الانصهار فيسود تضامناً بين القبائل ذات العامل الانقسامي والانشطاري وهذا لمواجهة الخطر الأجنبي (الوافد الأجنبي)⁴، وبهذا يعتبر وسيلة وقائية لمقاومة التعريب، حيث انه كلما دعت الضرورة إلى الوحدة يتم استحضر الجد الأعلى كمرجع رمزي تنحدر منه مجموع تلك السلالات، وعليه فالانصهار يساعد على ضمان بقاء واستقرار القبيلة ومقاومة ثقافة الوافد الأجنبي، أي بعبارة أخرى مقاومة التعريب. وسنأخذ على سبيل المثال قبيلة

1- ليليا بنسالم، ص 12

2- نفسه، ص: 58.

3- عبد الله الحمودي، ص: 63.

*- لزم الإشارة هنا أنه عامل الانشطار يمكن أن يوصف كعامل تعريب إذا تغيرت بيئة القبيلة وهذا بحكم أن الانقسامية والانشطار قد ساعد على بروز خاصية النزاع بين القبائل الأمازيغية، وقد أوردنا عدة أمثلة حول صراع البتر والبرانس (صراع اقتصادي) وصراع كتامة مصمودة، (صراع سلطوي سياسي) تعدد الأسباب ونتيجة واحدة صراع أمازيغي أمازيغي وهكذا دواليك. أما في الأطلس فقد ساعد الانقسامية والانشطار على الحفاظ على الهوية وهذا باستحضار الجد الأكبر لتكون عامل اتحاد لا تفرق.

4- عبد الله الحمودي، ص: 65.

آيت عطا استوطنت في واحة درعة لكن العرب وصلوا إلى تلك المناطق، وبذلك نحن أمام ظاهرة شائعة تتمثل في تبني العناصر مغزوة ودمجها من طرف الغزاة، وبهذا الأسلوب يبرر الغزاة¹ شرعية وجودهم واستحواذهم على الأراضي* وهنا يأتي دور الانصهار فيؤكد كلنير "أن الانصهار توظف وسيلة النسب، أي وظيفة الجدل الأكبر أو النسب المشترك"²، وبالتالي إيجاد عنصر مشترك للقبيلة يكمن فيه الاتحاد لتكون نتيجتها في نفس الوقت تحديد والحفاظ على هوية القبيلة، وبهذا نحن أمام مستوى عكسي لكل من الفصل الأول والثاني ليست تعريب وإنما تبرز القبائل العربية الوافدة على تلك المناطق، وهكذا حافظت قبيلة آيت عطا³ في جبال الأطلس على هويتها، بإقامة اتحادات لعب فيها الانصهار دورا بارزا في تبرير القبائل العربية الوافدة على منطقة الأطلس.

كما أن هناك عامل آخر هو تعداد الدخلاء (العرب) كان قليلا سمح فقط بالأسلمة دون التعريب⁴، ومنه يشكل آيت علوان وآيت إسفول (راجع ملحق رقم 03 الصورة رقم 02 رجل من قبيلة آيت إسفول من اتحاد آيت عطا).

أحد أخماس آيت عطا رغم أنهم في الغالب من أصل عربي⁵، وكذا آيت شاكرا وآيت شعيب تنتمي إلى الأصل العربي ولقب آيت دليل على الدمج في القبيلة الأمازيغية وليس العكس وبالتالي مستوي معاكس تماما للفصلين الأول والثاني، فلقب "أولاد" دليل على دمج في القبيلة العربية.

1- عبد الله الحمودي، ص: 66.

*- لقد تم ذكر وسائل استحواذ العرب على عناصر من الأمازيغ في القبيلة وقد رأينا انه تعددت الأساليب من ولاء الى الخلق والاستلحاق لتكون النتيجة هو ذوبان الفرد الأمازيغي في القبيلة العربية

2- عبد الله الحمودي، ص: 66.

3- تنحدر قبيلة آيت عطا من قبيلة صنهاجة والذين جاءوا من الصحراء ثم أخذوا في التغلغل تدريجياً في الأودية الموجودة في الأطلس الكبير بالأمازيغية يطلق علمه آيت ن أومالو ويمثل جبل صاغر والقاحل الأجرد في الوقت الحالي مركز استقرار لقبيلة آيت عطا لكن بطونها نجدها قد تفرقت في تافيلالت ودرعة والزيك وداس ومنها مجموعات اجتازت جبال الأطلس على حدود مكناس أما النشاط الاقتصادي فمعظمهم من الرحل يعيشون على تربية الأغنام في شمال اما في الجنوب على رعي الجمال راجع غابرييل كامب، ص: 358، 359.

4- عبد الله الحمودي، ص: 66.

5- نفسه، ص: 65.

ومنه فظاهرة الانصهار في القبيلة الأمازيغية ستكون نتيجتها طمس نسب الأصلاء والدخلاء، أو بين الغزاة والمغزوين، أو بين الوافد والقائم، وعليه فإن التسمية المشتقة من الجد المشترك في القبيلة الأمازيغية تخفي تنوعاً كبيراً في أصول السكان¹. وهكذا فإن الالتجاء إلى الجد الذي تنتمي إليه اسم السلالة هو في الواقع نوع من المقاومة ضد نكران الذات والتمسك بالهوية، أي بغلبة القبيلة الأمازيغية على القبيلة العربية، أو بعبارة أخرى بتبرير القبيلة العربية، وبهذا فإن مسألة الإثنية مستحيل أن تحدد إلا بالعودة إلى العامل اللغوي على اعتبار أن هذا العامل وسيلة للحفاظ على الإثنية، وهذا لأن القبيلة تداخلت فيها عوامل التنوع، من انتشار طبيعي للقبائل، وظاهرة التحالفات، والدمج والانصهار والتناسل، وحتى تعداد الهجرات السلمية والحربية²، وعلى حد تعبير جاك بيرك "تتحكم في المنطقة (ماضي المغرب الكبير) بنية تموجية قد تساعد على تفسير قدرة المنطقة على احتضان التقاطعات الكبرى وعمليات الانتشار الواسع في مجموعات الأطلس أو مجموعات الأوراس، وتفسر في آن واحد قوة التصدع الكامنة في داخلها"³، ويورد لنا رحلة البكري حيث نلتقي بمصمودة في ستة مواقع وزناتة في أربعة عشر، صنهاجة في خمسة وعشرون موقعا وهوارة في خمسة عشر، وهذا دليل على الانشطار وكذا الانصهار، وبالتالي تحديد تمايز العرب والأمازيغ، حيث أن هذه المنطقة ظلت باستمرار أرض البحث عن هوية الذات بالاستناد إلى الانقسامية أو الانشطار أو الانصهار، وبهذا فقد مثلت ظاهرة القبيلة إذا تمّ مُعاينتها بكل مستويات ظاهرة فريدة من نوعها، فهي المتعربة في السهول أي خضعت إلى السلطة العربية مباشرة⁴، ومحافظه في الجبال بتمسك بالذات الأمازيغية.

1- جاك بيرك، في مجمل مدلول القبيلة بشمال إفريقيا، الأنثروبولوجيا والتاريخ، حال المغرب العربي، ص: 114.

2- نفسه، ص: 118.

3- نفسه، ص: 121.

4- نفسه، ص: 125.

وعليه فالقبيلة كنظام اجتماعي شامل لم تفارق الأمازيغ طيلة تاريخهم¹، فقد كانت في نفس الوقت عاملاً وعائقاً للتعريب، وهذا بنظر إلى موقع استقرارها، حيث نجد خاصيتين متداخلة فيما بينهما ساهمتا في الحفاظ على الهوية الأمازيغية وهما:

- **الخاصية البنيوية:** وهي خاصية تتصل ببنية القبيلة وهيكلها وقد لاحظناها من خلال الانقسامية

(Ségmentarité) بمدلول الانشطار والانصهار، هي خاصية اجتماعية مغاربية، وبالتالي أمازيغية.

- **خاصية الهامشية:** خاصية تتصل بالموقع مشتقة من كلمة هامش²، حيث نجد القبيلة الموجودة خاصة

في الجبال أو الصحراء وهو كيان موازي أو مواجه للمجتمع المركزي³، حيث تذكر ليليا بنسالم "الهامشية بمعنى

تمسك القبائل بحرية ثقافية وسياسية إزاء الحكم المركزي ويساعد في ذلك تنظيمها الانقسامي"، وهذا ما

يفسر مشاركة الأمازيغ في الحضارة الإسلامية خاصة المستقرين في الجبال حيث رفض الإطار السياسي لمركزية

الدولة العربية وتقبل الإسلام ويعرفها عبد الله العروي بأنها ليست سوي اسم جديد لعملية الانزواء التاريخي

بالاعتماد على الجغرافيا⁴.

وما يمكن استخلاصه هو القبيلة لعبت دوراً أساسياً، حيث أن الإسلام طبعها وأمن لها إرثاً عميقاً يُحَدِّد

نسبياً من فكرة القبلية الضيقة⁵، وبالتالي أوجد لها نوع من القبلية الإسلامية كما رأينا سلفاً، لهذا وجدت قبائل

كبيرة أمازيغية لها زعامة إسلامية، كالمرابطين والموحدين، هذه الزعامة التي إذابة الصراع القبلي الذي عرف عنهم

منذ التاريخ القديم، وحافظت نوعاً ما على هويتهم، وبالتالي ليس صدفة أو عبثاً أن نسمي الأمازيغ قبائل

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 117.

2- ليليا بنسالم، ص: 21.

3- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة اطروحات الدكتوراه، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، يونيو 2002م، ص: 42.

4- عبد الله العروي، نقد الأطروحة الانقسامية، الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ص: 130.

5- عبد الكريم غلاب، ج2، ص: 229.

خصوصاً في الجزائر¹، فالقبيلة هي التي كانت الإطار المناسب لمواجهة التعريب، الأمر الذي جعلها تحافظ على اللغة الأمازيغية وعلى الهوية مع اعتناق الإسلام، وما لاحضناه من خلال ما ذكر سلفاً، هو أن النظام القبلي لدي الأمازيغ، وإن كان عاملاً للتعريب كما سبق ذكره، إلا أنه عائقاً أيضاً لكن بإحاطته بمجموعة من الشروط أو بوجود خطوط عريضة تتمشي مع أنماطه وهي²:

1- نظام القرابة والنسب واقعاً كان أم وهمياً.

2- التوزيع الجغرافي المتمثل في خاصية الهامشية خاصة المنطقة الجبلية.

3- مبدأ الانقسامية المبني على الانشطار أو الأنصار في جميع مستوياته.

4- دور الصلحاء*.

ولزم الإشارة هنا أنه رغم أننا قمنا بتوظيف النظرية الانقسامية في عرقلة مسار التعريب، وتغيير نمط القبيلة بحركية بُنيته وجغرافيتها لتكون سداً منيعاً في وجه الثقافات الدخيلة، إلا أن المؤرخ المغربي عبد الله العروي قام بنقد النظرية وتبنى موقفه محمد نجيب بوطالب ويرجعان السبب إلى "أن الانقسامية لم تستطع المساهمة في إبداع فهم أفضل للمجتمعات المغاربية، ويكمنُ ضعفها في نظره في أنها تفرط في الشكلائية إلى حد تفقد معه القدرة على التفسير، ولا تقدم بالتالي تعريفاً حقيقياً للقبيلة، أو تنحصر في مجال خاص لحد التناقض"³.

ومهما يكن فإن موضوع القبيلة لدى الأمازيغ مازال متشعباً بحكم تداخل عدة عوامل اجتماعية،

أنثروبولوجية، تاريخية، جغرافية وإثنية وحركيتها متغيرة نسبة إلى سيرورة التاريخ.

1- سالم شاكر، ص: 79.

2- ليليا بنسالم، ص: 23.

*- سنتطرق لاحقاً إلى دور الصلحاء في المجتمع الأمازيغي وأهميتهم في الحفاظ على اللغة الأمازيغية في إطار التصوف أي تكييف الشريعة نفسها لمسايرة مناهضة التعريب في الإطار القبلي.

3- عبد الله العروي، نقد الأطروحة الانقسامية، الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ص: 127-131، محمد نجيب بوطالب، ص: 45، 46.

(III) العوائق الاقتصادية:**أولاً: الأوضاع الاقتصادية في الدولة المركزية (الازمات الاقتصادية).**

إن مرحلة الفتوحات الإسلامية أوجدت وضعية جديدة هو توسع الإمبراطورية العربية الإسلامية في كل الأطراف شمالاً وجنوباً وغرباً في ظرف وجيز، أوجد تناقض على مستوى السلطة ومع التوسع وفرض الجزية على شعوب المنضوية تحت سلطاتها بما فيهم الأمازيغ أوجدت مصدراً لتمويل الخزينة في الشرق، ومسألة اعتناق الأمازيغ الإسلام لم تكن في مصلحة السلطة بالشرق حيث ضعف مورد الخزينة إذ أنه من المتعارف عليه في الإسلام أن الجزية تسقط على من اعتنق الإسلام و بهذا فإن انتعاش الخزينة المالية في دمشق كان على كاهل غير المسلمين مما يدفعون الجزية و الخراج و من الفيء او على حد تعبير عبد الله العروي " فكان المركز (الدولة الأموية دمشق) يعيش على حساب الأطراف (المغرب)"¹ و عليه دخلت الدولة الأموية في أزمة مالية بسبب مايلي:

- قلة الموارد المالية خاصة مورد الجزية بحكم الاعتناق الجماعي للأمازيغ لدين الإسلام وبالتالي إسقاط الجزية والخراج منطقياً.
- تعثر الفتوحات ادخل الدولة الأموية بانشغالها بمشاكلها الداخلية سواء الصراع بين بني أمية حول السلطة أو المنافسين من العلويين والعباسيين، أي صعود التيارات المعارضة.
- حياة البذخ لخلفاء بني أمية.

كل هذا أدخل الدولة الأموية في أزمة اقتصادية خانقة أساسها نقص الموارد المالية، وهكذا لكي يخرجوا من هذا المأزق أوجدوا حلاً كان سبباً في عرقلة مسار التعريب، بل أكثر من ذلك سبباً في انتفاضة الأمازيغ ضدهم، فقد

1- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ص: 141.

فرضوا الجزية على الأمازيغ رغم إسلامهم، وهذا للحفاظ على مستوى مداخل الخزينة، فكان سبباً لثورتهم وعائقا امام تعريبهم.

ثانياً: ملكية الأراضي والجوانب المرتبطة بها.

إن المناطق الأمازيغية التي حافظت على استمراريتها كانت ذات التقليد البدوي المتمركز أساساً على ملكية الأرض¹، وهنا لزم أن نوظف العامل في إطاره التاريخي (الكونولوجي). ولكي نفصل في ظاهرة ملكية الأراضي لزم التعرض إلى الجوانب المرتبطة بها، والتي كانت سبباً في إعاقه مد التعريب في تاريخ الأمازيغ² وتنقسم إلى جانبين:

• جانبي نوعية الملكية والديموغرافية القبلية:

ينبغي في البداية أن نتتبع أسس الإنتاج الفلاحي لدى الأمازيغ، حيث أن هذا الأخير مرتبط بملكية الأرض هذه الأخيرة تميزت بتنوعها، فانتشر نوعان من ملكية الأراضي:

- الملكية الجماعية نجدها في أراضي الهضاب والمناطق الرعوية خاصة³
- الملكية الخاصة وشملت على حد السواء⁴، السهول والجبال ذات الكثافة الديموغرافية مثل جبل نفوسة، فنحن إذاً أمام جماعات قروية مرتبطة بالأرض⁵.

وبهذا فإن استغلال الأرض يكون بشكل مكثف عندما تكون القبيلة ذات انفجار ديموغرافي أي بعبارة أخرى يكون ساكني الأرض ذووا كثافة عالية أي بأعداد مهمة، وعليه ففي هذا الوضع يحصل استقرار سكاني

1- سالم شاكر، ص: 09.

2- نفسه، ص: 09.

3- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص: 35.

4- نفسه، ص: 35.

5- سالم شاكر، ص: 09.

مطبوع بالاكتظاظ في مجال ترابي معين يستحيل لأي أجنبي أن يتسلل إليه¹، ولصمود اللغة الأمازيغية فإن ملكية الأراضي الجماعية أو الخاصة ترتبط مع عامل آخر هو عامل الديموغرافيا، هذا الأخير لن يسمح للعناصر الخارجية بالتسلل، فيكون هناك عاملان متداخلان: نوعية الملكية الأراضي خاصة منها الجماعية التي تجعل القبيلة ذات كثافة سكانية، أما ملكية الأراضي الفردية للقبيلة ذات الكثافة المتوسطة أو القليلة ترجعنا إلى الوضعية الثانية، فنجد الحياة الأرض المترامية الأطراف تسمح للوافد الجديد بالتسلل بسهولة من خلال التحالفات والولاء، وهذا عامل من عوامل التعريب.

وهنا لزم الإشارة أن ملكية أراضي الأمازيغ لم توثق إلا في كتب فتاوي فقهاء الأمازيغ بحكم ارتباطها بالبيع أو الإرث²، ونتيجة هذا السبب تحولت الملكية من الجماعية إلى الفردية.

• ملكية الأراضي والجانب السياسي:

أما الجانب الثاني المرتبط بمسألة ملكية الأراضي هو **العامل السياسي**، بمعنى تحكم المجال السياسي¹

(*L'espace politique*) في المجال الاقتصادي لينعكس في المجال الاجتماعي

(*L'espace Social*)³ ويتجلى ذلك في عنصرين:

-العنصر الأمني: يتمثل في الأمن والاستقرار أو انعدامهما، وبما أن بلاد الأمازيغ بشكل عام وجد فيها مجموعة من الاضطرابات، فإن ملكية الأراضي تأرجحت بين السلطة والقبائل، وسأخذ كنموذج إقليم فاس، فالسلطة السياسية في عهد إدريس كانت تحكم سلطتها على الأراضي، لكن تراجعت الملكية الفاسية، وانتشرت سلطة

1- سالم شاكر، ص: 10.

2- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص: 35.

3- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف القرن العاشر ميلادي، مطبعة فضالة، الجزء الأول، المغرب، طبعة خاصة، 1995م، ص: 200.

القبائل المجاورة في أبعد نقطة من مجالها إلى هضاب وتلال إناون وورغة وعمارة والهبط¹، وبهذا فإننا نستخلص أنه كلما كانت هناك اضطرابات سواء سياسية وهذا بتفويض من السلطة السياسية في الإقليم كان تجمع القبائل تحت ظاهرة الانصهار الذي سلف ذكرها.

-عصر قانون الغلبة: هو العامل الحاسم في حيازة الأرض²، وعلى سبيل المثال أصبحت الإقطاعية أكثر رسوخا في ظل المرابطين الذين اعتبروا الأرض مدى لهم واقتطعوا منها لقبائلهم ببلاد الأمازيغ³، وبهذا وجد تجمع القبائل على ملكية الأرض، فقد حازت الأسرة الحاكمة وقبيلة لمتونة فضلاً على قبائل صنهاجة الأخرى على ملكية الأراضي الزراعية، وهذا ما يفسر اتساع دولة المرابطين والمحافظة على هويتهم، وليس من الصدفة أن تكون سائر الدول التي توالى في بلاد الأمازيغ دولاً إقطاعية بالدرجة الأولى، حيث أن اقتصادها سمي لدى المؤرخين باقتصاد حق "المغازي"⁴، وكنموذج على ذلك، قيام دولة المرابطين منذ تأسيس الحلف الصنهاجي مروراً بالطور الصحراوي والمغاربي تم الأندلسي ارتبط بالغلبة من أجل الهيمنة على الأراضي، وقد ذكر ابن خلدون "إن يوسف بن تاشفين اقتسم المغرب عمالات على بنيه وأفراد قومه وذويه"⁵.

بناء على ما سبق فإن الغلبة السياسية تؤدي إلى السيطرة على ملكية الأراضي، ونتيجتها المحافظة على الهوية القبلية، ومنه فإن العوامل الخارجية والتي تتمثل في تدخل الدولة (السلطة)⁶ في توفير قسط من فواضل

1- محمد مزين، الأرض في العلاقات بين فاس وباديتها خلال القرنين 16م/17م، تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي، سلسلة ندوات ومناظرات العدد 10، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1988م، ص: 17.
2- اسماعيل العربي، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، جزء الثالث، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005م، ج 3 ص: 33.
3- نفسه، ص: 33.
4- نفسه، ص: 166.
5- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص: 247.
6- محمد نجيب بوطالب، ص: 105.

الإنتاج، هو عامل ساعد على الاجتماع في البناء القبلي، وبالتالي الحفاظ على الهوية، وقد لقبت هذه القبائل الفلاحية¹ في بلاد الأمازيغ المجموعات المستقلة (قبائل السبية)².

والذي ساعدها على الاستقلالية والحفاظ على الهوية من المناطق التي تتمركز بها، وغالباً ما تكون الجبال مثل جبال الأطلس بالمغرب الأقصى، وجبال القبائل والأوراس بالجزائر والمرتفعات المحصورة بين خمير وجبل وسلات ومطماطة بالبلاد التونسية وصولاً إلى جبل نفوسة بليبيا، وبهذا فإننا نعود إلى خصوصية القبيلة لنجد أنفسنا أمام مصطلح الهامشية، وهي مكمل لمصطلح الانقسامية، حيث أن الانقسامية هي خاصية بنيوية سوسيولوجية، أما الهامشية فهي خاصية محلية تتصل بالموقع³، فمنه فالقبائل ذات الخاصية الانقسامية تكون لها خاصية هامشية، حيث تمثل كياناً موازياً أو مواجهاً للدولة المركزية، وهذا بامتلاك الأراضي الزراعية.

ونستخلص مما سبق ذكره أن ملكية الأراضي كانت عائقاً أمام التعريب، أي حالت دون تسلل العرب إلى القبائل الأمازيغية، لكن لكي تتحول ملكية الأراضي دون تعريب الأمازيغ لزم أن تكتمل بجوانب موازية، وقد ذكرت في جانبين: جانب نوعية الأراضي لكي ينجح لزم أن تكون جماعية ذات ديموغرافيا معتبرة، وجانب سياسي ارتبط ملكية الأراضي بالأمن، وبالتالي الاستقرار بمعنى السيطرة على الأراضي أو قانون الاستحواذ على الأراضي.

وبهذا فان العامل الاقتصادي المتمثل في ملكية الأراضي هو العامل الفاعل في تغليف البنى الاجتماعية، أي الحفاظ على استمرارية القبيلة ومنه الحفاظ على الهوية الأمازيغية⁴.

1- محمد نجيب بوطالب، ص: 112.

2- نفسه، ص 115.

3- نفسه، ص: 43

4- اسماعيل العربي، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج3، ص: 165.

ثالثاً: القبلية الأمازيغية ومعاشها.

نعود إلى هذا المكوّن* الذي تعرضنا إليه سالفًا لكونه هام في الدراسات المغاربية ولكونها عاملاً وعائقاً في نفس الوقت، حيث أن القبلية تطورت حسب سيرورة تاريخ الأمازيغ، وفي علم الاجتماع الحديث تطرح الظاهرة الاجتماعية بمستوياتها المتداخلة بين المجال الاقتصادي والاجتماعي¹، ولهذا لزم التمييز بين ثلاثة أنماط معيشية هي البداوة والفلاحة والتجارة، والتي تنعكس على المجال الاجتماعي على ثلاث مستويات على التوالي، القبيلة والقرية والمدينة، فالمدن وضواحيها هي أكثر عرضة للتعريب، حيث أننا نجد التجارة في المدينة، أما الضواحي فنجد فيها الزراعة، وبالتالي الاستقرار، أما البداوة فيقصد بها نمط معيشي اقتصادي مبني على تربية الماشية، ومنه الرعي والترحال للبحث عن البيئة الطبيعية التي تلائم النمط الرعوي، وابن خلدون يتوغل في مفهوم البداوة ويصنفها إلى ثلاثة أصناف²:

رعاة الإبل: أقصى درجات البداوة.

رعاة الغنم والبقر: وهم أكثر احتكاك بالقرى والمدن.

*- نقصد هنا بالمكوّن القبيلة وبما أن تعاريفها كثيرة ومتشعبة فقد تعددت مؤشراتنا، إلا أننا سنركز هنا على مؤشر الاستقرار والحركة، حيث حلل ابن خلدون انعكاسات مؤشري الحركة والاستقرار على المؤشر العرقي، وبالتالي نجد أنفسنا أمام مؤشر جديد هو مؤشر تقسيم إنتاج القبيلة الفلاحي بمعنى الزراعة والبداوة بمعنى تربية المواشي. راجع: محمد نجيب بوطالب، ص: 111-112.

1- هاشم العلوي القاسمي، ص 212.

2- ابن خلدون، المقدمة، ص: 95، "اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلهم من المعاش".

المزارعين: وهم أرقى درجات البداوة ومرشحين أن ينتقلوا إلى الحضارة (الحضر) كما ينتظم البدو في المجتمع الأمازيغي في بيوتات وأفخاذ وعشائر (clans) وهذا ما يجعل البنية الاجتماعية البدوية تتكون من ثلاث مستويات¹:

المستوى الأول: مستوى الخيمة أو البيت أو الأسرة وهي العائلة الصغرى التي تجمع الأب والأم والأبناء.

المستوى الثاني: الفخذ هو مستوى اعلي من الأول الذي تكونه عدة بيوت أو عائلات وينتسبون إلى جد واحد، وتكون مهام الفخذ هو محور النشاط الدفاعي.

المستوى الثالث: يمثل العشيرة أو القبيلة، ويتألف من عدد من الأفخاذ (عادة أربعة أو ستة أفخاذ) ويكون الرئاسة للشيخ أي شيخ القبيلة "أمغار" ومنه هذا ما يميز التنظيم القبلي البدو الذي حافظ نوعاً ما على مبدأ قرابة الدم، حيث أن القبائل البدوية تجتمع وتتحد بذاتها ولذاتها خلال تاريخها الطويل، وهنا نلاحظ أن الوحدة الانتاجية الاجتماعية والاقتصادية هي التي تنعكس على مستوى تنظيم القبيلة الأمازيغية.

ومن المنطلق ذلك فقد خصص ابن خلدون فصلاً في مقدمته "فصل في أن سكن البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية"، وأوجد بذلك نظرية العصبية التي أقرها بناء على الصراع الدائم على تحقيق المصالح المرتبطة بالمعاش²، وعليه فإن شيخ القبيلة "أمغار" وظف العصبية لتجميع شتات القبيلة الأمازيغية وتجميع أفخاذها، فحافظت على هويتها ووقفت سداً منيعاً في وجه تغيير البنية السوسولوجية لها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وخلال فترة الدولة الأموية وكما هو معروف فقد طبق نظام المركزية في دمشق في الأقاليم المفتوحة نظام التفاضل، هذا النظام الذي طبقه الولاة بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز القائم على أفضلية العنصر العربي على

1- هاشم العلوي القاسمي، ص: 213.

2- ابن خلدون، المقدمة، ص: 101، "فصل في أن سكن البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية".

الأمازيغي وإثارة العصبية العربية¹، فما كان على القبائل الأمازيغية البدوية إلا أن جاء رد فعلهم إزاء هذه السياسة أن رسخوا ظاهرة مبنية على الولاءات العمومية القائمة على أسس إثنية وعائلية والقبيلة²، وهذا النوع من الولاء يتناقض مع الولاء المجتمعي الذي ذكر سلفاً، وكان نتيجة التعريب المذكور في فصل العوامل أساسه ونتيجته ولاء القبائل الأمازيغية للدولة المركزية في الشرق (الدولة الأموية)، أما الولاء العمودي فقد كان عائقاً أمام الولاء للدولة المركزية في شرق (الدولة الأموية) فمنذ سنوات الفتح الأولي اتخذ الولاء العمودي ثلاث أوجه تجلت في:

(1) الوجه الأول: مقاومة ضد الفتح العربي الإسلامي بدأت بطابع رومي أمازيغي*.

(2) الوجه الثاني: مقاومة أمازيغية بحتة*.

(3) الوجه الثالث: مقاومة بطابع أمازيغي مذهبي***.

هذه الأوجه خاصة منه الثالث أدت نتيجتها إلى الانشقاقات عن السلطة المركزية وتكوين دولة إسلامية أمازيغية، كما جنحوا إلى البداوة التي ساعدتها عوامل أخرى، وقد فصلها محمد شفيق حيث يذكر "إن طبيعة إفريقيا الشمالية هي التي كَيْفَتْ عمق المجتمع الأمازيغي، وجعلت منه مجتمع أقرب إلى البداوة منه إلى التمدن وذلك بحكم عاملين اثنين، أولهما اختلاف المناطق خصباً وجدباً، وبرودة ودفئاً، وغزارة أو قلة ماء ثم وجود هامش صحراوي شاسع وراء الأطالس الثلاثة والنجود الداخلية شبيهة بالجرداء وثانيهما هو اجتياح القحط والجفاف مناطق معينة لمدة معينة وقد سميت الظاهرة توالي المجاعات والانتجعات، هذان العاملان هما اللذان تسببا في استمرارية النظام القبلي، لأن هذا النظام موافق لحياة الرحل والترحال الجماعيين، وعلى

1- هاشم العلوي القاسمي، ص: 216.

2- نفسه، ص: 216.

*- اعتبرت مقاومة كسيلة تحالف الروم مع الأمازيغ (قبيلة أوربة).

** - وإن مقاومة الكاهنة تعتبر مقاومة أمازيغية بحتة أي لا وجود لتحالف خارجي حيث توحدت فيها قبائل البرانس مع البشر.

*** - مقاومة أمازيغية مذهبية مثل تبني مذهب الخوارج لمقاومة العصبية العربية.

نظام القبلي ترتب ما ترتب من خصوصية القبائل الأمازيغية"¹، ويضيف صدقي على أزايكو "فالرحل كانوا دائماً في شمال إفريقيا بمثابة مصدر بشري احتياطي يضمن الاحتلال المستمر للأراضي الخصبة كلما أدت الكوارث الطبيعية إلى إحداث نقص في عدد السكان المزارعين"²، ومنه نستخلص أن الرُّحل من الأمازيغ حتى وإن استقروا لكن حافظوا على النظام القبلي الذي كان بمثابة الوعاء المحافظ على خصوصية الأمازيغ، وسد منيع في وجه التعريب، وبهذا فالتداخل المستمر لهذين النمطين من المعاش الاستقرار والترحال يعتبر هو المسؤول عن جعل الظاهرة الاجتماعية في بنيتها القبلية واقعاً معقداً ينتج عائقاً، هذه الأخيرة أي العوائق ستكون متداخلة أو كما لقبها صدقي على أزايكو حقل الأعمال المتداخلة القوية³

champ des Interactions fortes أي بعبارة أخرى العوائق متداخلة تداخلاً، يؤدي كل منها إلى

نتيجة تمثل عائقاً آخر.

رابعاً: الطرق التجارية.

رغم الوحدة الدينية الإسلامية التي عمت بلاد الأمازيغ في القرون الخمسة الهجرية الأولى (7هـ-11م)، فإن العلاقات الداخلية بين المجموعات البشرية في هذه المنطقة لم تكن موحدة، فقد طغت المصلحة، وكانت نتائجها ذو أهمية بالغة على المنطقة، ورغم الوحدة السياسية التي طبعت بلاد الأمازيغ في العصر الأموي والفاطمي ثم المرابطي والموحدي، إلا أنه على مستوى الطرق وشبكة المواصلات التي تكونت في تلك الفترة، فقد اعتبرت عاملاً محركاً للمنافسة الاقتصادية بين الأمراء وزعماء القبائل، فظهرت بذلك مجال جغرافي يعكسه مجال بشري، وعليه فإن تنوع مسالك الاتصال البري والبحري وتنوع الزبائن (نظام التجارة الإسلامية) قد ساهم

1- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغيين، ص: 113.

2- صدقي على أزايكو، التأويل النَّسِّي (الجينيولوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟، ص: 23.

3- نفسه، ص: 16.

إسهاماً كبيراً في تطوير العلاقات الخارجية¹، ولكن في نفس الوقت أنتج وحدات اجتماعية انطوت على نفسها، حيث نلاحظ أن "شبكة المسالك" في المغرب الإسلامي انصهرت فيها المحلية برموزها التاريخية القديمة².

ويعتبر القرن الثالث الهجري والرابع بوجه خاص مرحلة التأسيس الحقيقي لجغرافية "المسالك والممالك"^{*}، في العالم الإسلامي برمته، حيث اعتمد تطور الطرق في العالم الإسلامي منذ اكتمال الفتح في القرن الأول للهجرة على الطرق البرية وعلى الحركة التجارية، وبهذا برزت في نهاية القرن 4هـ طرق الذهب والرقيق بين بلاد الأمازيغ وإفريقيا جنوب الصحراء، ومع بروز أهميتها ظهر الصراع عليها، وبهذا تحولت المراكز الشمالية من الصحراء الكبرى إلى مكان للتنافس عليها بحكم أهميتها الاقتصادية والسياسية، وبهذا صارت غدامس وتاهرت وسجلماسة وأودغيسست مسرحاً للصراع والتنافس، وقد لعب زعماء القبائل دوراً في تحريك هذا الصراع حيث أنهم كانوا يميلون إلى تنمية نشاطات التجارة عبر المسالك، وطرق الرابطة بين الجهات الحيوية اقتصادياً، وإذا تتبعنا الكتل البشرية فإننا كلما اتجهنا غرباً وجدنا ديموغرافية الأمازيغ تزيد، وكذا كلما اتجهنا جنوباً، وبالتالي وجدت نظرية العزلة التي يعود تاريخها إلى ما قبل الفتح الإسلامي، أيام عهد الرومان في مناطق الجنوبية للصحراء، حيث يذكر هاشم العلوي القاسمي "لم تكن قط مطلقة، ولكن لها وزن كاف على مصير عدد من المجتمعات التي تطورت داخل التقسيم جغرافي"³، وبهذا فإن الكتل البشرية (الأمازيغ) وبطغيان الجانب القبلي الذي يعتبر محركاً وعاملاً فعالاً في تحقيق التحالفات القبلية، وكمثال على ذلك نشأة "التحالف الصنهاجي الجنوبي"، وبهذا فإن موضوع الطرق التجارية تشابك مع موضوع القبيلة، ليصبح الموضوع في إطاره الاقتصادي والاجتماعي، بمعنى تكوين اتحادات قبلية للسيطرة على الطرق التجارية للبلاد الأمازيغ.

1- هاشم العلوي القاسمي، ص: 373.

2- نفسه، ص: 373.

*- مصطلح المسالك والممالك يعني الجغرافية ذات تخطيط بشري وحضاري، هاشم العلوي القاسمي، ص: 374.

3- نفسه، ص: 114. عند تحدته عن العزلة التي أنتجت الحضارة الرومانية.

ولنورد أمثلة عن الطرق التجارية التي انتجت عزلة القبائل الأمازيغية وبالتالي حافظت هذه الأخيرة هويتها، ففي بداية القرن (4هـ 10م) كانت الحركة التجارية مع إفريقيا وجنوب الصحراء مركزة في منطقتين: تيهرت من جهة والقيروان من جهة أخرى، ومع أواخر ق 4هـ وبداية ق 5هـ (11م) استرجعت سجلماسة مكانتها في السيطرة على الطرق الغربية مع جنوب الصحراء، وهذه الطرق شهدت تحولات كبيرة بحيث تغير اتجاه بعضها أو حذف، وبهذا انقسمت إلى طرق رئيسية وأخرى ثانوية وسبب يعود إلى التغيرات الطبيعية، وبهذا استفحال ظاهرة التصحر التي لعبت دوراً هاماً في العزلة والحفاظ على البنية الاجتماعية للأمازيغ، حيث نجد طريقاً يفصل فيها ابن حوقل في حديثه عن طرق بين مصر وبلاد الأمازيغ فيذكر "...ويأخذ عن الطريق مغرباً إلى صحاري جبل نفوسة، ونفزاوة ويرتفع إلى لمطة ورمال سجلماسة ويتصل برملم أودغست المتصل بالبحر المحيط"¹.

وعليه فالطرق التجارية بعدما كانت مزدهرة تعرضت إلى العزلة، وهذا ما ساعد القبائل الأمازيغية القاطنة بها على الحفاظ على هويتهم ولغتهم، ويعود سبب عزلة الطرق التجارية إلى العوامل التالية:

- **عوامل سياسية:** الأحداث السياسية المتعاقبة أثر على الطرق البرية الضاربة في عمق الصحراء، وبهذا صارت الواحات الجنوبية في خضم الصراعات السياسية، وبهذا أدى ذلك إلى التحالف الصنهاجي الجنوبي الموجود في تخوم الصحراء، لستاهم هذه التحالفات في المعالجة السوسولوجية التاريخية.

- **عوامل جغرافية:** تمثلت في التصحر، وهنا قامت بعزل القبائل الأمازيغية خاصة منطقة الصحراء الشرقية منها الغربية وهذا ما جعلهم يحافظون على لغتهم وهويتهم.

1- ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 157.

(V) العوائق التعليمية :

- عادة التدريس بالأمازيغية:

إن مسألة التعليم مهمة جدا بحكم أنها مرتبطة بمسألة الهوية ورغم أننا قد فصلنا في الفصل السابق أن عنصر التعليم كان من العوامل المساعدة على التعريب خاصة في المؤسسات الدينية التي ارتبطت بالدين الإسلامي كالرباطات والزوايا والمساجد، لكن تبين أن الأمازيغي ظل يصارع من أجل الصمود أمام مختلف العوامل التي ساعدت على التعريب. ولهذا كان ينبغي أن تحلل الظاهرة التعليمية*، وهذا لمعرفة عمقها التاريخي الذي ساعد على الاحتفاظ بالمكون الأمازيغي وللإجابة على الإشكالية الاطروحة نجد ان هناك عوامل ساعدت على جعل اللغة الأمازيغية لغة أساسية في مسألة التلقين والتي تعتبر اللبنة الأولى للحفاظ على الهوية الأمازيغية، ولكي نحدد أسباب صعود اللغة الأمازيغية ومكوناتها، لزم أن نستعرض البدايات الأولى للتعليم الديني الذي يعتبر من عوامل التعريب أكثر منه عوائق له، بحيث إذا استعرضنا مراحل التعليم الديني أن المراحل الأولى تمثلت في المراحل التالية¹:

المرحلة الأولى: مرحلة التعليم خلال فترة الفتوحات الإسلامية أي مرحلة تعليم الحلال والحرام بعد

إسلام سكان المناطق المفتوحة.

المرحلة الثانية: مرحلة التعليم الذي أخذ شكل الوعظ، والتذكير، هدفه دفع المذنبين إلى التوبة وسيعرف

باسم التوريق².

*- لزم معرفة تاريخ التعليم ببلاد الأمازيغ خلال العصر الوسيط (9-15هـ/7-15م) خاصة منه التعليم الديني حيث يرتبط بالإسلام. ويندرج مضمونه ضمن ما سماه الفقهاء "علم فرض عين" ويقصدون به الحد الأدنى من المعارف الدينية الواجب تعلمها من طرف المسلم. 1- لمزيد من المعلومات حول التعليم الديني، راجع الحسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1هـ-9هـ/7م-15م) سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 02. منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، طبع مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004، ص: 14.

2- نفسه، ص: 14.

أما فيما يخص العوائق التعليمية فقد تمثلت في عادة التدريس بالأمازيغية، وسنأخذ أمثلة على سبيل المثال لا الحصر؛ فقد لجأ الموحدون إلى الأمازيغية كوسيلة للاتصال بالجماهير الأمازيغية التي لم تتمكن منهم العربية، وبهذا التأثير عليهم، فالمهدي بن تومرت كان يدرس بالأمازيغية ويؤلف كتبه بالأمازيغية رغم أنه كان فصيحاً في لسان العرب والأمازيغ¹. وقد ذكر الناصري: "أن طائفة من المصامدة عسُر عليهم حفظ الفاتحة لشدة عجمتهم، فعدد كلمات أم القرآن ولقب بكل كلمة منها رجلاً، فصفهم صفاً وقال لأولهم: "اسمك الحمد لله" وللثاني "رب العالمين" وهكذا حتى تمت كلمات الفاتحة، ثم قال لهم: "لا يقبل الله منكم الصلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء على نسقها في كل ركعة" فسهل عليهم الأمر وحفظوا بذلك السبع المثاني"².

وما نستشفه مما سبق ذكره أن اللسان العربي لم يتمكن من أهل الأمازيغ حتى في حدود دولة الموحدين، والدليل أن أفراد مصمادة لم يستطيعوا حفظ سورة الفاتحة رغم إسلامهم، وكذا في زمن عبد المؤمن* خليفة المهدي بن تومرت نجده يكتب لولاته بأن "يؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان"³، وبهذا كانوا لا يقدمون للخطابة والإمامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري".

وعليه فقد اختلفت مراحل التعليم في بلاد الأمازيغ عبر مختلف فترات العهد الإسلامي، ويبدو غالباً أن سياسة السلطة الحاكمة هي التي كانت تحتكر العلم والتعليم وقد أدركت أن الرعية التي ترسخ الإسلام فيها منذ

1- الناصري، ج2، ص: 79.

2- نفسه، ص: 96.

*- هو أبي محمد عبد المؤمن بن علي الكومي هو من كومية ويعرفون بصطفورة بطنا من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زجيك بن مادغيس الأبت، راجع الناصري، ج2، ص: 99. ويضيف، ص: 109. "في سنة ثمان وعشرون بعدها تسمى عبد المؤمن بأمر المؤمنين وكان عبد المؤمن أول من أطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين من غير جنس العرب، ولم يتجرأ أحد من العجم قبله على هذه الدعوى"، بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج1، ص: 92. "كومية هو من أبناء فاتن وكانت هذه القبيلة تعرف في القديم باسم صطفورة وتفرعت عنها ثلاث عمائر هم بنو لول، وصغارة، وندرومة وكومية كما هو معلوم هي قبيلة عبد المؤمن بن علي 558هـ مؤسس الدولة الموحدين".

3- الجزائري عباس بن عبد الله، مراحل التعريب الأولى في المغرب، مجلة اللسان العربي، العدد السابع، المغرب منشورات دار المنظومة، 1970م، ص: 363.

العهد الموحد، أصبحت في أمس الحاجة لتوفير حد أدنى من التعليم الديني¹، وهذا لضمان وحدتها الدينية، وبما أن الرعية لا تتوفر على الإمكانيات اللازمة كان الحل إحداث المدارس الممولة بالأحباس وبهذا جعل التعليم مجانياً، فأعد جُله للدراسات الدينية الموجهة لشريحة واسعة من الطلاب الفقراء من المجتمع الأمازيغي .

وعليه فإن استحداث مثل هذه مدارس* محلية ساهمت في تعطيل عادة الرحلة العلمية للطلاب الأمازيغ إلى المشرق الإسلامي ولقاء علماءهم هنالك والتي سبق أن تطرقنا إليها ووظفناها كعامل من العوامل المساعدة في التعريب، **وتعطل هذه الرحلات تعطلت عملية التعريب وما يهمننا في هذا العنصر، عادة التدريس بالأمازيغية التي اعتبرت من العوائق التعريب.**

ونجد أن المصادر لا تذكر الكثير حول لغة التدريس في بلاد الأمازيغ خلال العصر الوسيط، إلا بعض المعلومات القليلة المتناثرة هنا وهناك، والتي لزم جمعها بعناية لكن قبل الخوض في تفاصيل عادة التدريس بالأمازيغية، لاحظنا أن نسبة التعريب في الشرق (بلاد الأمازيغ) أكثر منه في الغرب وبالتالي عادة التدريس بالأمازيغية سنجدتها غرباً أكثر منها شرقاً.

1- الحسين أسكان، ص: 72.

*- مفهوم المدرسة: عادة تكون المدرسة هي مؤسسة تعليمية وقد ظهرت في المشرق خلال القرن 5هـ وتتميز عن غيرها من المؤسسات التعليمية (مسجد، الرباط، الزوايا) بأربعة ميزات:

الميزة الأولى: هي بناية مستقلة عن أية بناية كالمسجد أو الرباط أو الزوايا مهمتها تنحصر في وظيفة واحدة هي التعليم عكس المسجد أو الرباط أو الزوايا التي تجمع بين التعليم ووظائف أخرى كالعبادة أو الجهاد أو الإطعام.

الميزة الثانية: المدرسة مؤسسة حضرية وليست مؤسسة تعليمية بدوية حيث أن المؤسسة التعليمية البدوية المشابهة للمدارس تمول بأعشار وصدقات القبائل ولا تمول بالأحباس الشخصية.

الميزة الثالثة: المدرسة مؤسسة تعليمية سية صريحة منذ ظهورها القرن 5هـ بمترف (خرسان) ويتضح أن المدرسة وصلت إلى المغرب بعد قرنين من ظهورها بالمشرق ق7هـ. نفسه، ص: 56-58.

فالمجال المصمودي¹ كان علماءه يستعملون اللسان الأمازيغي في التدريس وما يؤكد التدريس باللسان الأمازيغي ما لاحظته أحد الطلبة الأندلسيين بسجل ماسية القرن 6هـ من أن فقيهاً مصمودياً هو سالم بن سلامة السوسي 586 هـ كان يدرس باللسان الأمازيغي² وقد أخذنا قبيلة مصمودة كنموذج للتدريس الأمازيغي بحكم الأسباب التالية: -

- بُعدها الجغرافي في أقصى بلاد الأمازيغ.
- يرجع سبب استخدام قبائل مصمودة اللغة الأمازيغية في التعليم الديني إلى كون الفاتحين العرب لم يستقروا في تلك النواحي بأعداد مهمة، بمعنى أن الجهة الشرقية لبلاد الأمازيغ كانت أكثر جذباً للعرب من الجهة الغربية.
- أسلم الأمازيغ في تلك النواحي اعتماداً على ذاتهم وبواسطة الرباطات³، ومنه الأسلمة جاءت متأخرة مقارنة بالمناطق الغربية الحضرية، ولم يتعمق الإسلام إلا في العصر الموحد.
- انتشر الإسلام في تلك النواحي انتشار الزهدي المتشكل من المتصوفة هؤلاء يُقيمون حلقاتهم تعليمهم باللغة الأمازيغية⁴، عكس الفقهاء وعلماء الدين فهم يتشبهون بتعليم الشريعة باللغة العربية وغالباً يفضلون تعليم اللغة العربية تم الشريعة.

ومنه نستخلص أن التعليم الديني رغم أنه كان سبب في التعريب فيما يخص الجانب الشرقي لبلاد الأمازيغ، أما الجانب الغربي فبسبب الأسلمة المتأخرة والتي لم تكن كل مناطقها بسبب الفتوحات الإسلامية إنما

1- مصمودة من القبائل الأمازيغية فرع البرانس واسمائها آصادن وتينملل وحاحة ودكالة وركراكة وغمارة وكدميوه وكنفيسة وهرغة وهزميرة وهنتانة ومهيلانة وفي مواضع أخرى تضاف إليها برغواطة وكلاوة وهزرجة، ونجدهم في المغرب الأقصى (الجهة الجنوبية الغربية لمراكش). لمزيد من المعلومات، راجع بوزياني الدراجي القبائل الأمازيغية، ج2، ص: 182-224.

2- الحسين أسكان، ص: 116-117.

3- نفسه، ص: 118.

4- نفسه، ص: 118.

كانت معظمها بسبب الرباطات أي أسلمة ذاتية لأمازيغ الجهة الغربية أدت إلى المحافظة على الهوية، ومنه المحافظة على اللغة الأمازيغية لتكون بعد ذلك ما يسمى بالإسلام المغاربي بظاهرة التصوف التي اعتمدت على لغة السكان المحليين، وهدفها تهذيب الباطن أكثر من الظاهر.

ولقد اعتبر المتصوفة أنفسهم عارفين لا علماء حجتهم في ذلك أن العلم العقلي أثار الوسواس وأفضى إلى النزعات¹، ولهذا فضلوا أن تكون حلقات تدريس بالأمازيغية، وهذا ما سوف نناقشه في العنصر الموالي.

(VI) العوائق الدينية :

إن القصد من الدين خاصة في فصل العوائق ليس العلاقة الروحية التي تربط الإنسان بما هو مقدس ومطلق، وإنما صفته النسبية، وبالتالي الانتقال إلى مفهوم الإيديولوجية الدينية التي تفهم على أنها جملة مفاهيم وتصورات التي يقدمها الناس للدين في فترة من الفترات، ومنه فالإيديولوجية الدينية هي محاولة لتقديم فهم جديد للدين، يمكن من خلاله أن يخضع المجتمع لجملة من التحولات الاجتماعية والتاريخية، وكذا الثقافية، وبهذا سنناقش ميكانيزمات الإيديولوجية الدينية، أي وسائل الفكر الديني لدى الأمازيغ الذي ساهم في انتشار الأسلمة وإعاقة التعريب.

1- محمود اسماعيل سوسولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار جزء الاول، مطبعة الانتشار العربي، بيروت، ط3، 2000م، ص:

أولاً: التصوف والصلحاء .

إن ظاهرة التصوف¹ ومن خلال الصلحاء* لعبت دوراً هاماً في المحافظة على اللغة الأمازيغية وقد سبق أن رأينا من خلال عنصر التعليم أن حلقات التدريس لدى الصوفية قد حافظت على تعليم الدين باللغة الأمازيغية، وهذا ما سنفصل فيه من خلال استعراض دور الطرق الصوفية ودور الصلحاء.

(1) ماهية التصوف:

يذكر ابن خلدون "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين... وأصلهم العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها... ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا واختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية... وظهر أن اللقب اشتق من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي، أما قربه أن اشتق من الصوف وهم في الغالب مختصوب بلبسه"²، ومن خلال ما ذكره ابن خلدون نستخلص أن للتصوف الخصائص التالية³:

- عزوف النفس عن الدنيا.

- العكوف على العبادة.

1- لمزيد من المعلومات حول ماهية التصوف خاصة في المغرب الأوسط راجع بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، ما بين القرنين السابع والتاسع هـ 13م، 15م، دراسة في تاريخ السوسيوثقافي، دار الغرب والتوزيع، وهران، ص 31-34.

*- في القبيلة الأمازيغية تكون السلطة السياسية إذا صح هذا التعبير بيد أمغار أي الشيخ أو الحكيم الذي ينتخب في مكان محايد يخضع لنفوذ ولي صالح بمعنى من الصلحاء وبالتالي هناك سلطتين سلطة فعلية واضحة بيد امغار وسلطة كامنة بيد الصلحاء راجع ليليا بنسالم، ص: 21-26

2- ابن خلدون، مقدمة، ص : 370.

3- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين - 12 و13 الميلاديين، نشأته تياراته ودوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، 2004م، ص : 34.

- انقطاع إلى الله.
 - اعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه.
 - والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.
- فالتصوف إذًا هو الزهد والاهتمام بتنقية القلب من شوائب الدنيا، والابتعاد عن ملذات الحياة ونجده نوعان:

(1) تصوف سني: هو الأكثر انتشاراً في بلاد الأمازيغ، وقد تميز التصوف السني خلال القرنين الأولين للهجرة عند المسلمين بمظاهر الالتزام بأوامر الله والافتداء بحياة الرسول صل الله عليه وسلم، وتلخصت وجهتهم في مظهرين: مظهر بارز تمثل في ترك مظاهر الدنيا، وباطنه مراقبة أفعال القلب، وسميت هذه المرحلة من التصوف باسم مجاهدة التقوى، ثم تطور التصوف السني خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، فأصبح منتحلوه يهدفون إلى الوصول إلى نفس خيرة، وبالتالي تقويم النفس للوصول إلى مرتبة الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصلحاء، ثم تطور خلال القرن الخامس هجري 11م ليصبح الصلحاء يمتلكون ما يعرف بالكرامة الصوفية¹.

(2) تصوف فلسفي: نشأ عن اهتمام الصوفية بعلوم المكاشفة التماسا لمعرفة الله واكتساب علومه وانبثقت عنها عدة نظريات²، كما أن تيار التصوف الفلسفي³ يحدد لفكرة الحلول لإلهي في الكائنات الحية، كما تطور لفكرة اتحاد الفرد الصوفي مع الذات العلية.

1- الطاهر بونابي، ص: 38-40

2- نفسه، ص: 41.

3- مؤسس هذا التيار هو الحلاج المتوفى في 309هـ/921م. وقد تم تعريف التيار فيما سبق

(2) نشأة وعوامل ظهور التصوف ببلاد الأمازيغ:

تزامن الفتح الإسلامي للأندلس في نهاية القرن الأول للهجرة وبداية الثاني مع تبلور المنحى الصوفي في الإسلام بالمشرق على أيدي بعض الزهاد أمثال الحسن البصري¹ وغيره، وقد تواصل التجنيد العسكري للأمازيغ للاستقرار في الفتح والمحافظة عليه، وركز الأمازيغ خصوصاً عند المرابطة في الثغور، وبهذا ومن خلال تطرقنا إلى مفهوم وخصائص التصوف فقد تجلّى فعلاً في معنى الرباط والاعتزال في الثغور. ومنه من الصعب² على المؤرخين أن يجزموا بداية دقيقة في الزمان والمكان للممارسة الصوفية على أرض الأمازيغ، حيث أنه إذا اتخذنا التصوف في مظهره القائم على الزهد فالراجح أن أرض الأمازيغ لم تخلو من الزهاد منذ اعتناقهم الإسلام، والدليل المرابطة في ثغور كما سبق الذكر وقد ظهوروا في فترة الفتوحات الإسلامية، وممارسة التصوف بشقه الزهدي قد كان صبغته، تقوى، العبادات والجهاد³.

أما التصوف بعلومه ومصطلحاته ومظاهره فإنه انعكاس لثقافة المشرق، وقد لعبت القيروان دوراً في الوساطة بين انعكاس فكر المشرق في بلاد الأمازيغ بحكم أنشطة المدارس الصوفية فيها⁴، وكذا رحلة الأمازيغ إلى المشرق لطلب العلم، وعليه فقد أخذ الأمازيغ التصوف مباشرة عن بعض أعلامه بالمشرق⁵، وعليه تبنى الأمازيغ التصوف المتأثر بفكر الغزالي، ونتج عنه ازدهار كبار الأولياء في القرنين السادس والسابع هجري⁶، واعتبروا بذلك

1- عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الرشاد الحديثة، المغرب الأقصى، الرباط، ط1، 2000م، ص: 36.

2- نفسه، ص: 247.

3- ألفرد بال، ص: 373.

4- عبد السلام غرميني، ص: 247.

5- ألفرد بال، ص: 380. يضيف ألفرد بال "ألف ابن العريف محاسن المجالس يعرض مذهب التصوف ويصنف أحوال الصوفية ومقامتهم حسب الإمام أبي حامد الغزالي، وتوفي ابن العريف في مراكش (536هـ/1141م)، ويقال إنه قتل من طرف السلطان المرابطي على بن يوسف".

6- نفسه، ص: 394.

أساتذة ممتازين في علوم الصوفية¹، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر من أوائل المفسرين لتصوف الغزالي من الأمازيغ ابن العريف من قبيلة صنهاجة وكذا أبو عبد الله بن سعدون القيرواني (استقر بأغمات). أبو جبل يعلى الفاسي (استقر بفاس)، وبهذا نشر التصوف في المدن أولاً، ومع القرن 7هـ وبعد مدة نقل تلاميذهم التصوف إلى الأرياف، وهنا نشأت الزوايا للتعاليم الصوفية داخل إطار الشريعة الإسلامية، وهذا ما ساعد سكان الريف في الأماكن الوعرة على أسلمة الأمازيغ أو إعادة نشر الإسلام، وبهذا انطلقت حركة صوفية كبيرة شعبية انتشرت بسرعة ابتداء من القرن 15م، مع الطرق الصوفية التي سيكون دورها الأساسي الأسلمة مع المحافظة على الهوية (الأمازيغية)².

ومنه فان أوائل القرن السادس هجري 12م هو بداية تاريخية لتثبيت التصوف بعد تحولات دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية، التي شكلت في مجملها عوامل ظهور التصوف في بلاد الأمازيغ حيث اننا سنركز على العامل الديني لارتبط الإشكالية به و لكي لا نبتعد عن مضمون الأطروحة فيرجع انتشار التصوف حسب المجال الديني إلى عاملان:

العامل الأول: حركة الزهد، حيث أنه وجدت موجة زهد في المغرب الإسلامي منذ ولاية يزيد بن حاتم المهلبلي (170-154هـ)³، وابناءه على ساحل تونس لرباط المنستير الذي وجد فيه كثرة من العباد لحراسة الساحل، ومنه فبداية التصوف ببلاد الأمازيغ بشقه المتمثل في الزهد والابتعاد عن مغريات الحياة.

العامل الثاني: يتمثل في الرباط الذي سلف ذكره في فصل العوامل، لكن بتطوره وتحوله إلى طرق صوفية سيكون عاملاً للحفاظ على الأمازيغية، حيث أنه تطورت هذه الرباطات إلى دور عبادة، أي منذ القرن السادس هجري لا يستطيع الفرد التفريق بين الرباطات والزوايا، هذه الأخيرة التي انتشرت بأسلوب التبرع، فكانت النتيجة

1- عبد السلام غريميني، ص: 250.

2- ألفردبال، ص: 394.

3- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، سلسلة الأدب العربي، الجزء 10، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص: 73.

أن تضاعف حجمها وكثر مُريدوها، وهذا الانتشار لم يكن في المدن وإنما في سفوح الجبال والهضاب والصحاري البعيدة¹.

وبهذا شكل المناخ السياسي خلال العصر الوسيط وتحديدًا خلال دولة المرابطين عاملاً هاماً في تأسيس التيار الصوفي من خلال ملازمتهم للرباطات قبل بداية دعوتهم، وكذا التطور الذي شهده الرباط ليتحول كما سبق الذكر إلى زوايا ستلعب دوراً هاماً في الحفاظ على اللغة والهوية.

(3) أسباب نجاح التصوف ودور الصلحاء في المجتمع الأمازيغي:

يذكر ألفرد بال "أن فكرة التصوف قد نجحت وانتشرت لدى الأمازيغ لأنها تؤيد فكرة الديانة، وأن العالم مزوج من قوى الخير وشر ومن الوسائل التي تقي من الأرواح الشريرة كان التصوف مضمون النجاح"²، وبالتالي فسبب نجاح الدعوة الصوفية في الأوساط الشعبية الأمازيغية أن الأمازيغ كانوا منذ التاريخ القديم ذوي نفسية دائمة التخوف من قوى الشر، وفي حاجة مستمرة لحماية أنفسهم منها، وبهذا وجدوا ضالتهم في اعتناق مبادئ الصوفية التي تحوّل لهم الحصول على ود إلهي يشعرون من خلاله بتأثير إيجابي يطرد تلك القوى الشريرة وبهذا يكونون في مَعِيَّة الله.

لكن أنكر عبد السلام غرميني هذا السبب بحكم أن هذه الفكرة تحمل في طياتها فكرة أيديولوجية من الأفكار الكولونيالية، وذلك أن التصوف لم ينجح فقط لدى الأمازيغ، وإنما لدى الكثير من الشرائح والأجناس التي تضمنها العالم الإسلامي³، فلماذا كل هذه الكتابات حول الأمازيغ والتصوف؟ يرجع السبب حسبه إلى إقبال الأمازيغ⁴ على الإسلام، وبالتالي أسلمتهم خاصة في المناطق الريفية النائية، حيث أن مجتمع الأمازيغ هو

1- شوقي ضيف، ص: 74.

2- ألفرد بال، ص: 379.

3- عبد السلام غرميني، ص: 251.

4- نفسه، ص: 251.

الوحيد من المجتمعات التي أسلمت، جلها دون وجود أقلية دينية مع محاولة احتفاظ الأمازيغ بهويتهم وبتصوفهم، وقد لعب الصلحاء الأمازيغ دوراً كبيراً¹، ويذكر صاحب مخطوط مفاخر البربر "وأما الأولياء والصلحاء والعباد والأتقياء والزهاد النساك الأصفياء فقد كان في البربر منهم ما يوفي على عدد الحصى والإحصاء"²، وعليه فقد عوضت القبائل الأمازيغية سلطة الفقهاء* بسلطة أسر الرجال الصلحاء، وهذا النموذج منتشر في القبائل الأمازيغية ذات الفكر الصوفي الذي ينبذ الظاهر ليعطي الأولوية للباطن، ولهذا فإن اللغة المحلية (الأمازيغية وظفت في الخطاب الديني)، وعليه فقد لعب الأولياء الصالحون** دوراً هاماً نتيجة المحافظة على اللغة و الهوية، وأصبحت عامل المقاومة لسلطة العلماء والفقهاء، هذا ما جعل هؤلاء يبدون أموراً منحرفة عن الإسلام الصحيح من زاوية القيم والمعايير، أي أن دورهم خدم بالأساس أغراض قبلية، وهذا بالمحافظة على مميزاتها، مع أنه في نفس الوقت قام بدمج القبائل الأمازيغية داخل الإطار العام الإسلامي، وبذلك وفقت القبيلة الأمازيغية³، بين مميزات تراثها وهويتها ولغتها من جهة، وبين متطلبات الانتماء إلى الأمة الإسلامية من جهة أخرى، أي توظيف السلطة الدينية لدى قبائل الأمازيغ للحفاظ على خصائصهم، وفي نفس الوقت تأثير الشريعة الإسلامية ورسوخها على الصعيد القبلي مع بعض التفاصيل⁴ التي سوف نتطرق لها لاحقاً في الانعكاسات، ونعود إلى دور الصلحاء في الحفاظ على الهوية الأمازيغية لنجد كتاباً من تأليف الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي

1- قضية تقديس الصلحاء والتبرك بقبورهم شرحها الفرد بال بما يسمى الانعزالية الدينية حسب مفهومه هو الإيمان بقوى محلية أو قبلية أي لكل قبيلة "إله" خاص بها وقد بقيت هذه العادة المتجذرة في المعتقد البربري إلى يوم اعتناق الأمازيغ للإسلام وقد صبغت بصيغة إسلامية إي التحول إلى تقديس الأولياء الصالحين، حيث نرى ونلاحظ حالياً أن لكل ولاية أو منطقة وال خاص بها. راجع الفرد بال ص: 87.

2- المؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2005م، ص: 175.

*- سلطة الفقهاء التي اعتبرت سابقاً عاملاً هاماً في التعريب بحيث تعتبر أن اللغة العربية لها قداستها بحكم نزول القرآن الكريم بها.

**- تشعب دور الأولياء الصالحين لينتقل إلى الكرامات، ومنه فهذا النسق كان سبب الخلاف مع أهل السنة، وسوف نفضل فيه لاحقاً.

3- إرنست كلنير، ص: 59.

4- ليليا بنسالم، ص38.

المراكشي¹ المعروف بابن الزيات كتابه "بالتشؤف إلى رجال التصوف"² سنة 617هـ. وقد ذكر عدة صلحاء أو أولياء ذو الكرامات الذين لا يتكلمون العربية³، ومن بينهم الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون قيل إنه من بني صبيح من مسكورة، وقد توفي سنة 572هـ⁴. وكذا الشيخ ولي الله أبو محمد عبد الحليم بن عبد الله المراسي المعروف بالغمداء من صلحاء سلا⁵، وتوفي سنة 590هـ بنفس مدينة منشأة وقبره ملاصق للمسجد الأعظم، وكذا أبو وجوذا تونارت من مراكش، وتوفي عام 608هـ، وكان عبدا صالحا، ويذكر ابن الزيات في كتاب التشوف إلى رجال التصوف "حدثني أبو علي عمر بن يحيى رحمه الله: حضرت ليلة برباط عقبة من بلد نفيس فقام أبو وجووظ وتكلم على المصامدة بلسانهم ووعظهم موعظة بليغة وزهدهم في الدنيا"⁶.

وكخلاصة لما سبق، نلاحظ أن الممارسة الصوفية لهؤلاء الصلحاء قد ساعدت على الأسلمة دون التخلي عن الهوية، إذ كانت الممارسة الصوفية آنذاك مقترنة بالوعظ والتذكير في حلقات ركز فيها رجال الصوفية على لسان قومهم، ورغم كل ما قيل عن الصلحاء أو الأولياء فإنهم في القرنين 6 و7هـ قد ساهموا مساهمة كبيرة في الحفاظ على اللغة الأمازيغية، في المقابل فإن الفقهاء كانوا من عوامل التعريب حيث يتشبثون بتعليم الشريعة باللغة العربية، وغالبا يفضلون تعليم اللغة العربية ثم الشريعة، أما المتصوفة فيقيمون حلقاتهم تعليمهم باللغة الأمازيغية.

1- الناصري، ج2، ص: 263.

2- أبي يعقوب يوسف بن يحيى الثادلي، عرف بابن الزيات 617هـ/1220م، التشؤف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي. تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثانية سنة 1997، كتاب به 542 صفحة به مقدمة وسبعة أبواب، آخر باب وهو أطولهم خصص لتراجم الصلحاء الصوفية في بلاد الأمازيغ تعدادهم 278 شخصية وأطول تراجمهم هو أبي العباس السبتي. وقد قام محمد القبلي بتحليل كتاب التشؤف ليرز العلاقة بين المتصوفة والسلطة وهذا ما سوف نتطرق إليه لاحقا

3- عبد السلام غرميني، ص: 251.

4- الناصري، ج2، ص: 210.

5- نفسه، ص: 211.

6- ابن الزيات، التشؤف، ص: 401.

4) اسهامات الصوفية في الحفاظ على الهوية الأمازيغية:

أ - **الصوفية والمجتمع الأمازيغي:** لقد كان المتصوفة على الدوام أشد ارتباطاً بطبقات الكادحة، والفئات الاجتماعية المهمشة هؤلاء تركزوا عند أطراف المدينة ولم يتحصلوا على امتيازات، عكس الطبقات المتواجدة في المدينة كالتجار، وملاك الأراضي والفقهاء، وبهذا تطورت العلاقة بين المتصوفة والطبقات الكادحة بعد ق6هـ 7هـ (12م 13م)، وبعد ذلك ارتبطوا بالمرابطين¹. وتلزم الإشارة أن القرن 7هـ 13م يعتبر الحد الفاصل² بين التصوف النقي الخالي من الانتساب إلى الطريقة التي وجدت في القرنين 8هـ و9هـ (14م 15م) والتي سوف نفصل فيها فيما بعد.

لقد اتبع صوفية بلاد المغرب المنهج النبوي في مآكلهم ومشربهم ومسكنهم³. وخاصة في عهد الدولة الموحدية ولهذا السبب تقرب إليهم الحكام وأحسنوا إليهم وخصصوا لهم رواتب، حتى أنهم اقتطعوا لهم أراضي ليستزقوا منها، ويذكر أن عبد المؤمن بن علي حرر ظهيرا منح بموجبه في بجاية للصوفي أبي نجم هلال بن يونس الغبريني⁴ أرضاً زراعية، وكذلك اقتطعوا أرضاً للصوفي أبي ناس بن عبد الصمد بن اورجيع زعيم أسرة بني خزرون وصهر قبيلة مغراوة أرضاً بوادي الشلف⁵، وقد ذكرنا هذه الهبات بحكم سبب تقرب الأمازيغ للمتصوفة، حيث

1- محمد حلمي عبد الوهاب، ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم رضوان السيد، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 128-161.

2- الطاهر بونابي، ص: 11.

3- نفسه، ص: 162.

4- راجع ترجمته في مصدر أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله (644هـ-714هـ)، عنوان الدرّاية، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه عادل نويهض، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت، لبنان، ط1، أبريل 1979م، ص: 185. ترجمة رقم 37، ويذكر الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين - 12 و13 الميلاديين ص: 223، "يعد كتاب عنوان الدرّاية للغبريني أول مصدر في المغرب الأوسط يتحدث عن ظهور الزاوية في أواخر القرن السادس هجري والمتمثلة في زاوية ابي زكريا يحيى الزواوي 611هـ 1215م".

5- الطاهر بونابي، ص: 199.

أنهم كانوا ينفقونها على المعوزين من أبناء الأمازيغ، و لهذا السبب فإن المتصوفة كانت لهم شعبية في أوساط شرائح المجتمع الأمازيغي .

(ب) دور زوايا الصوفية في المحافظة على الهوية الأمازيغية:

تحدثنا سابقاً على تحول الرباط إلى الزاوية، حيث أصبح مصطلح الرباط يختفي تدريجياً في النصف الثاني من القرن السابع هجري (13م) من مؤلفات كتب التراجم، وحل محله مصطلح الزاوية* التي انتشرت في النصف الثاني من القرن 7هـ 13م نتيجة انتشار التصوف، وكانت الطرق الصوفية** قد شاعت في بلاد المشرق بطريقتين القادرية*** والرفاعية****، وقد انتشرت في المغرب الإسلامي الطرق الصوفية خاصة منها القادرية، وهي طريقة التصوف السني، كما وجد تيار اشتق من الطرق الصوفية، وهنا لزم أن نذكر أن التيار الصوفي الفلسفي لم يكن له طُرق، إنما الطرق كانت تخص فقد التيار الصوفي السني، حيث تكونت معه في القرن السابع هجري، ونجد من طرق المغاربة الطريقة الشاذلية¹ ونحن لسنا هنا بصدد سرد لتاريخ الطرق الصوفية، إنما بيان فضل هذه الطرق في الحفاظ على الهوية و اللغة الأمازيغية، والدليل هو أن هذه الطرق الصوفية تمتلك زوايا، ولقد سبق أن صنفنا الزوايا عاملاً من عوامل التعريب، لكن اختلف الأمر هذه المرة حيث أن الزوايا التي ارتبطت بالطرق الصوفية

* - تتمثل أيديولوجية الزوايا في "الباطن أبلغ من الظاهر" ان معتقدات الزوايا هي تكملة لدور الصلحاء بحكم انها وسيلة لإيديولوجية دينية ضمنية بامتياز وينقل عن أيكلمان ان الاعتقاد في الزوايا على أساس امتلاك الصلحاء للبركة هذه القوة الخفية التي وجدت الاعتقاد بها قبل الإسلام ومع مجيء الإسلام صبغت به وبالتالي مثلت الإسلام الشعبي الذي جاء موازي للإسلام الرسمي الذي مثله الفقهاء " راجع عبد الغني مندوب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، طبع ونشر افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص: 65، 66.

** - الطرق الصوفية ظهرت أواخر 3هـ بأنظمتها وطقوسها وألى وظيفة هي شيخ الشيوخ التي لقب به اسماعيل بن أبي سعد المتوفى سنة 541هـ، كما ورث اللقب بعده ابنه، أما في بلاد الأمازيغ وتحديد في الجزائر، إن انتشار الطرق الصوفية يعود إلى القرن الـ 8هـ، وقد فاقت الثمانين طريقة وأعرفهما الطريقة القادرية والشاذلية. راجع صلاح مؤيد العقي، ص: 86، 87.

*** - الطريقة القادرية منسوبة إلى عبد القادر الجيلالي المتوفى ببغداد سنة 561هـ/1165م. نفسه، ص 95

**** - الطريقة الرفاعية منسوبة إلى أحمد بن علي الرفاعي العراقي المتوفى سنة 587هـ/1182م. نفسه، ص 110

1 - نسبة إلى أبي الحسن على بن عبد الله الحسيني الشاذلي المتوفى سنة 656هـ/1259م، في منطقة شاذلة (تونس). نفسه، ص 99

وتواجدت خاصة في الجبال، تمكنت من الحفاظ على هويتها مع تغلغل الإسلام في نفسية الفرد الأمازيغي، وهذا بمساعدة الطرق الصوفية، وتأخذ كمثال قبيلة زواوة¹ بالمغرب الأوسط (الجزائر)، فنجدها عموماً تنتمي إلى واحدة من هذه الطرق الصوفية المعروفة كالرحمانية، أو القادرية، أو الشاذلية، أو العلاوية، ومنه فهي لا تنتمي إلى طريق من طرف، بل نجدها تحمل اسم الصلحاء، والدليل ما ذكره أبو يعلى الزواوي: "زوايا الزواوة كثيرة مشهورة ومعناها قديما وحديثا المدارس والمساجد... ومعنى الزاوية لغة هو جامعة جهة من جهات الدار فالمفهوم إذن من الزاوية موافق للفظ تم مما يذكر بكل فخر أن تأسيس هذه الزوايا مع قدمها الذي يرجع إلى عصر لا مدنية فيه كما يقولون كان من الخواص والشرفاء والمرابطين الصلحاء"². ومن خلال ما ذكر نستشف أن الزوايا ارتبطت بالصلحاء لا الفقهاء، وبالتالي لا سلطة عليها، حيث يضيف أبو يعلى الزواوي: "فزوايا الزواوة كذلك دخلها من أولي البر والصلاح الملتزمين بعطايا من أرزاقهم وكسبهم للمؤسس الصالح المرجوة بركته، ومن هذه الحيثية تعذر على الحكومات التداخل في شأنها"³، ومنه فإننا سنركز على اللغة عند المتصوفة، حيث مثلت اللغة عند المتصوفة هاجساً تم تجاوزه باعتبار أنها تعبير فقط.

كما سبق الذكر فقد ركز الصوفية على الباطن أكثر من الظاهر، واللغة عند المتصوفة وبكلمة واحدة عبارة عن استراتيجية للتعامل مع الآخرين⁴، وبالتالي إضافة إلى تجليات اللغة عند المتصوفة فإن هؤلاء رغم صعوباتها ورموزها ورغم أنهم دخلوا في صراع مع السلطة والفقهاء كما ذكر سلفاً خاصة في عهد الدولة المرابطين، بحيث اعتبروا اللغة بوصفها سلطة ويذكر نورمان فيركلو "اللغة متورطة تورطاً عميقاً مع السلطة أنها تخوض

1- صلاح مؤيد العقبي، ص: 295.

2- أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، ط1، م2005، ص: 117.

3- نفسه، ص: 118.

4- محمد حلمي عد الوهاب، ص: 128.

صراعاً من أجلها، ويتم لها هذا من خلال خصائصها الإيديولوجية.. حيث تبرز اللغة على أنها ممارسة اجتماعية تحددها البنى الاجتماعية¹ ويضيف في وصف اللغة "أنها لهجة ذات جيش وأسطول".

وبهذا فإن سيرورة اللغة مشروطة اجتماعياً بأن تدعم من طرف السلطة²، ومن هنا لزم التطرق إلى العلاقة بين السلطة والمتصوفة لمعرفة ما الذي جعل هؤلاء يركزون خطابهم الصوفي الموجه للمريدين الأمازيغ باللغة الشعبية، وحثهم في ذلك أولوية اهتمامهم بالباطن دون الظاهر، ولهذا اعتمدوا على اللغة المحلية (الأمازيغية)، فقد نشأ ما يصطلح عليه الخطاب الصوفي الشعبي خاصة في عهد الدولة المرابطين³ وهذا ما سنفصل فيه الآن.

(5) علاقة الصوفية (الصلحاء) بالفقهاء والسلطة:

يطلق على الصلحاء بالأمازيغية إكْرَامَنْ تحديداً في جبال الأطلس الكبير رغم أن إرنست كلنير يرفض الدمج بين الصوفية الحقيقيين والصلحاء الأمازيغ في مصطلح واحد، ويذكر أن دمجهما فيه نوع من الخلط في مدلول المصطلحات⁴، إلا أننا لا نوافق في طرحه بحكم أنه ركز على المتصوفة العلماء، ويمكن للصلحاء أن يتبعوا التصوف الشعبي في ثوب الزهد، كما ذكرنا سالفاً في تعريف التصوف والمتصوفة وعليه فإننا سنوظف الصلحاء على أنهم متصوفة، وبما أن اللغة العربية ستدعم من طرف السلطة والصلحاء سوف يخاطبون الجماهير الأمازيغية باللغة المحلية فواضح أن هناك خصوصية بين المتصوفة والسلطة من جهة وبين المتصوفة والفقهاء من جهة أخرى.

(أ) علاقة الصوفية بالسلطة:

لقد شهدت العلاقة بين المتصوفة والسلطة بمختلف أيديولوجيتها حركة مد وجزر، فمثلاً اتسمت العلاقة بين ملوك الدولة الحمادية والمتصوفة بنوع من العلاقة الودية، حيث أن بداية حكمهم قد سلكوا سياسة

1- محمد حلمي عد الوهاب، ص: 126.

2- نفسه، ص: 155.

3- نفسه، ص: 161.

4- إرنست كلنير، ص: 44.

الانفتاح¹، وكانت تقريباً حرية المتصوفة مطلقة مع مراقبة بعيدة من طرف الفقهاء لا السلطة، أما في فترة الدولة المرابطين ومع تزايد نفوذ المتصوفة في ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية، لجأت السلطة المرابطين إلى فرض ضرائب على الشعب، وبالتالي زادت الهوة بين طبقات المجتمع²، أي بين الطبقة البرجوازية المتكونة في التجار الأعيان والأغنياء والطبقة الحاكمة والولاة وقادة الجيش والفقهاء وكتاب الدواوين، وبين طبقة أغلبية المجتمع الأمازيغي من فقراء وحرفيين وصناع ومزارعين وعبيد وخدم، وكما هو معروف أن المتصوفة تمجد الفقر وتعتبره شرطاً أساسياً بهدف التجرد من متاع ومغريات الدنيا، وبهذا النف الأغلبية الأمازيغ حول المتصوفة الصلحاء، وبهذا زادت شعبيتهم فكان على سلطة المرابطين أن تحاول تقييد حركتهم فاعتمدت سياسة المواجهة التي استخدم فيها الفقهاء، فاشتهر القرن السادس الهجري بالعلاقة السيئة بين المتصوفة والفقهاء³، وكان هذا عاملاً هاماً في وقف سياسة التعريب، حيث أنه في فترة المرابطين أي في غضون القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي اعتمد اعتماداً كلياً في الحكم على طبقة الفقهاء الذين أسأؤوا إلى حركة التعريب⁴، رغم أن الفصل السابق أرجعنا عوامل التعريب إلى العلماء والفقهاء، إلا أن فترة دولة المرابطين لعب الفقهاء دوراً سلبياً في حركة التعريب، والسبب يرجع إلى حركة الفكر أثناء دولة المرابطين فقد اشتد تعلق أمراء هذه الدولة بعلماء الدين حتى كان بلاطهم لا يخلو من عالم أو فقيه⁵، وقد توسعت إمبراطورية المرابطين في كل من المغرب والأندلس، لكن ومع تدهور الوضع وجدت ثورة المرابطين في الأندلس بقيادة الصوفي أحمد بن الحسين بن القسي⁶ والتي اندلعت سنة (539هـ - 1145م)، هذا ما أثار حفيظة سلطة المرابطين ضد المتصوفة، وباتوا متخوفين من احتمال قيام ثورات مماثلة في

1- الطاهر بونابي، ص: 195.

2- نفسه، ص: 197

3- نفسه، ص: 197.

4- أحمد علي، ص: 94.

5- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج1 ص: 410.

6- الطاهر بونابي، ص: 198.

بلاد الأمازيغ، أما العلاقة بين الموحدين والصوفية فقد وصفت من طرف المؤرخين بعصر الاعتراف الرسمي للصوفية، لأن مؤسسي الدولة في حد ذاتهم كانوا يتسمون بالزهد والتصوف، هذا من الناحية الظاهرية، لكن إذا ما تمعنا في العلاقة فخير دليل نقوم بتحليله هو كتاب **التشوف لابن الزيات**، الذي سبق أن ذكرناه في **الأطروحة**، وقد قام بتحليله محمد القبلي حيث استخلص لنا هذه الاستنتاجات التي من المفروض أن تقدم لنا طبيعة العلاقة بين المتصوفة والسلطة الموحدين¹.

1- مؤلف الكتاب كان قاضياً من قضاة الموحدين.

2- حرر كتابه فيما بين شهري شعبان وذي القعدة، سنة 617 هـ وهو يمارس القضاء بأرض ركراكة، وهي قبيلة من قبائل مصمودة التي قاومت الحكم الموحي.

3- وجدت في فترة المرحلة السياسية المضطربة (الأزمة الموحدية) سنة 617 هـ، حيث أن جنوب المغرب الأقصى قد خلع شرعية مذهب ابن تومرت من طرف المأمون، وبهذا دخلت دولة الموحدين في أزمة سياسية.

وما يمكن استخلاصه من هذه النتائج ما يلي:

1- لم يستعمل ابن زيات في كتابه "التشوف" كلمة الموحدين أو لفظ الخليفة وكذا الإمام، ومنه لا أثر لأسماء الخلفاء الموحدين بما فيهم مؤسس دولتهم (ابن تومرت وعبد المؤمن).

2- يلاحظ أيضاً أن ابن زيات لم يذكر قبائل الموحدين المؤسسة للدولة وعلى رأسها قبائل هزجة وهنتاثة وتنملل، وكذا كدميوة وكنفيسة، غير أنه ذكر القبائل المصمودية هزجة وهزمية ودكالة وحاجة وركراكة على الخصوص، والأمر سياسي بحكم أن القبائل المصمودية المذكورة عرفت سياسياً بمعارضتها لسلطة

1- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق والتفاعل، ص: 21-22.

الموحدين ومؤسسيها، وهذا ما يفسر عدم استعمال ابن زيات للفظ الموحدين، وبدلاً منه استعمال لفظ "المصامدة"¹.

ومنه فقد اعتبر محمد القبلي كتاب **التشوف** خطاباً ملتزماً، ظاهره ثقافي لكن خلفيته سياسية بالدرجة الأولى، ويكشف في الواقع عن تصنيف بشري اجتماعي جديد يعتمد على المذهب بجانب العرق²، حيث أن مسألة العرق جد مهمة، فبحكم أن معظم التراجم في الكتاب للأمازيغ تَبَنُّوا الزهد، ليصبحوا صلحاء، وعليه فكتاب التشوف مصدر لتراجم الصوفية، ولا يقف فقط عند مجرد إبراز ظاهرة محددة ممثلة في الصوفية مقابل فئة الفقهاء، وإنما الكتاب مصدر لتأصيل هوية جماعية متميزة قد تكون مهددة بالاحتواء من طرف الحكام ومعرضة من جهة أخرى للتشويه والقذف من طرف الراي العام والفقهاء..، وهذا ما سوف نفضل فيه الآن، أي علاقة الصوفية بالفقهاء .

ب) علاقة الصوفية بالفقهاء :

يلعب العلماء والفقهاء في العصر الوسيط دوراً هاماً داخل المجتمعات الإسلامية، لأنهم يفسرون رسمياً نسق القيم التي يخضع لها المسلمون أي أنهم حسب إرنست كلنير "أهل حل والعقد"³، كما كان لهم دور في تزكية السلطة لتكتسي شرعية، ورغم أنهم عاجزون في جل الأوقات على اختيار الحاكم لكن لا تكتمل المشروعية إلا بتزكيته، ومنه ومن هذا المنطلق فقد فقدوا نوعاً من التأثير على عامة المجتمع الأمازيغي، خاصة وأن العلاقة بين السلطة والأمازيغ كانت مضطربة تشوبها الحساسية كما لاحظنا في فترة المرابطين، وإذا ما قام العلماء والفقهاء بتزكية السلطة فغالباً ما يُفقدون هذا احترام شرائح المجتمع الأمازيغي، وهنا تضطر شرائح المجتمع الأمازيغي إلى

1- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق والتفاعل، ص: 25.

2- نفسه، ص: 28.

3- إرنست كلنير، ص: 44.

اللجوء إلى جماعات دينية أخرى متمثلة في جماعة الصوفية والصلحاء¹، الذين سيلعبون دوراً هاماً في الحفاظ على مميزات المجتمع الأمازيغي ومقاومة التعريب الذي جسده وسيلتها الفقهاء والعلماء.

لقد تعطلت حركة التعريب في الأندلس* بسبب الفقهاء في فترة المرابطين، حيث لعبوا دوراً سلبياً، ويرجع ذلك إلى سببين:

❖ أولهما: تعود خلفيات الحدث إلى أنه بعد سنوات من التعايش السلمي بين النصارى والمسلمين في الأندلس، جاءت فترة المرابطين التي كان الهدف من وراءها توسع يوسف بن تاشفين في الأندلس حفاظاً على الإسلام والتراث معاً، ومن التوسع القشتالي، لكن لجأ خلالها الفقهاء بحكم سلطتهم الدينية والسياسية إلى التدخل في شؤون الدينية لغير المسلمين وخاصة المستعربين**، وعليه تغيير وجهة المستعربين الأوروبيين من دعم السلطة العربية في الأندلس وبلاد الأمازيغ إلى دعم حُكم حركة الاسترداد الوطنية الإسبانية²، فجاء تدخل الفقهاء وتسلطهم وخلط الأمور بين القشتالين والمستعربين، وأدى إلى انعكاس سلبي على حركة التعريب وحتى على الإسلام في الأندلس، بحيث أقنع الفقهاء يوسف بن تاشفين بتهديم كنيسة للمسيحيين بباب البيرة بغرناطة³، هذا ما أثار حفيظة المستعربين المسيحيين، وبهذا تضامنوا مع إخوانهم المسيحيين ضمن تحالف حركة الاسترداد تحت قيادة الفونسو التي اخترقت أراضي الأندلس، وكانت بتضامن مع المستعربين المسيحيين الذين

1- إرنست كلنير، ص 44

*- قد ذكرنا الأندلس في الأطروحة بحكم تواجد الأمازيغ هنالك، حيث توافدوا عليها الآلاف منذ فتحها من طرف جيش طارق بن زياد، وبهذا عرفت واشتهرت عدة بيوتات من الأمازيغ في الأندلس من الذين تعربوا كبنو عبدوس، وبنو هذيل وبنو غزلون، وبنو عميرة، وبنو رزين وبنو ذي النون وبنو نبيه وبنو الأخطل وبنو القرج وبنو وسين وبنو إلياس وغيرهم، هذه العائلات يرجع المؤرخون أصولهم القبلية إلى مديونة، هواره، مصمودة، مغيلة وزناتة، وقد أوضح دليل ذلك عبد الكريم غلاب بأن حدد أن الطابع الأمازيغي جلي عن الطابع العربي في الأندلس، راجع عبد الكريم غلاب، ج 2، ص: 198.

**- المستعربون هم الأوروبيون الإسبان النصارى الذين فضلوا البقاء على دينهم المسيحي لكنهم تنبوا الثقافة العربية وبقوا مواكبين للدولة العربية في عهد المرابطين مثلهم مثل الأقباط في مصر، حيث أننا نجد في مصر فئة استعربت لكن حافظت على ديانتها المسيحية، ويذكر محمد زايد، تعريب الشمال الإفريقي، ص: 25.

2- عبد الكريم غلاب، ج 2، ص: 100.

3- أحمد علي، مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى ص: 94.

تحولوا من دعم الوجود العربي بالأندلس إلى دعم التحالف المسيحي الإسباني، ذلك لأنهم كانوا يرون في ذلك التحالف حصناً يحميهم من تعصب فقهاء العصر المرابطي، وكانت هذه بداية تصدع الحكم العربي في الأندلس¹، و الذي سيؤثر لا محالة على حركة التعريب في شمال إفريقيا .

❖ ثانيهما: أن الفقهاء إضافة إلى تدخلهم في الشؤون السياسية للبلاد المرابطي وتعصبهم له، إلا أنه هناك سبب آخر أدى إلى عرقلة مسار التعريب، تجسد في إبعاد الناس عن الأخذ بأسباب العلم² والتقدم والازدهار، فقد التزموا بكتب الفروع وأهملوا الأصول، أي بمعنى استعانوا بالمؤلفات الحديثة التي تعود إلى عهدهم وتركوا المؤلفات الدينية ذات الأصول، التي يمكن من خلال مطالعتها دعم مسيرة التعريب عن طريق الاجتهاد والاستنباط، وبهذا شنوا حرباً قاسية على الحركة الفكرية خاصة الفلسفة العقلانية، وهذا ما أضر بمسار حركة التعريب، وعرف على العصر بتكفير³ كل من ظهر عليه الخوض في العلوم العقلية (الفلسفة وعلم الكلام)، وبهذا القرار أثر الفقهاء على سلطة المرابطين عهد (يوسف بن تاشفين 465هـ/1073م)، (علي بن تاشفين 500هـ/1106م)، (تاشفين بن علي 537هـ/1142م)، معاداة البحث العلمي سواء في الفلسفة أو علم الكلام، وأحرقت كتب الفلاسفة أمثال الغزالي⁴، وابن باجة⁵ وغيرهم، حيث أن العلماء الفقهاء نطمين مختلفين* في التفكير والسلوك، فالمتصوفة يعطون الأولوية المطلقة لما يسمى علم الباطن أي جهاد النفس،

1- أحمد علي، مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى، ص: 94.

2- نفسه، ص: 94، 95.

3- عبد الرحمن بن محمد الجليلي، ج1، ص: 409.

4- نفسه، ج1 ص: 409.

5- أحمد علي، مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى ص: 94، 96

*- هناك جدل بين العلماء الذين يمثلون المشروع السني التقليدي من جهة والصوفية من جهة أخرى، وعلى سبيل المثال قضية يعتبرها المتصوفة أهم قضاياهم وهي قضية كرامات الأولياء، حيث أن الكرامة تعني عند تبسطها الفعل الخارق للعادة الذي يظهر على يد شخص لتحقيق أشياء يعجز المأل عن القيام بها، وقد أنكر ذلك علماء الفقه وأيده المتصوفة. لمزيد من المعلومات، راجع بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ-10 ميلادي، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ط1، ماي 2003م، ص: 461، 462.

في حين النمط الثاني الفقهاء فهم يتقيدون بعلم الظاهر أي القوانين الشرعية (علاقة الفرد نحو خالقه، نفسه ومجتمعه)، ومنه فالفقهاء يتشبثون بتعليم الشريعة باللغة العربية، وغالباً يفضلون تعليم اللغة العربية ثم الشريعة، أما المتصوفة الصلحاء فيقيمون حلقات تعليمهم باللغة الأمازيغية¹. وبهذا فإن دورهم يتمثل في أنهم يمدون قبائل الأمازيغ بالاستمرارية² وبالهيكلة القار الذي يفتقر إليه النظام السياسي المتحالف مع الفقهاء والعلماء، خاصة في فترة المرابطين، ولم يرفع هذا الحظر على العلوم العقلية إلا في عهد الموحيدين³ أين انتعشت الحركة الفكرية ومعها حركة التعريب، مع وجود بعض الاستثناءات التي ذكرت في تحليل كتاب ابن الزيات "التشوف".

وهكذا نستخلص أن الفقهاء بما أنهم كانوا الوساطة بين الأمازيغ والسلطة فقد كانت العلاقة سيئة بينهم وبين الصلحاء، وكذا دورهم السلبي في الأندلس، مما سيكون له نتائج وخيمة على مسار حركة التعريب في المغرب الكبير والأندلس⁴ على حد سواء.

(VII) العوائق النفسية :

من خلال سيرورة تاريخ المجتمع الأمازيغي لوحظ أنه مجتمع حذر منغلق⁵، حيث أنه أشد حذراً إزاء الوافد الأجنبي، وأكثر اعتزازاً بنفسه، كما أنه من خلال مميزاته يقبل التعامل مع الأجنبي في حدود المصلحة⁶، لكن يرفض المزيد إذا تعدى الأجنبي هذه المصلحة المشتركة إلى السيطرة أو الاستيلاء، حتى وإن صادف وجود الوافد الأجنبي قروناً مثل الرومان، والوندال، والبيزنطيين، وقد ساهم في بناء هذه الشخصية تعاقب الحضارات

1- الحسين أسكان، ص: 118.

2- إرنست كلنير، ص: 50.

3- اعتبر أحمد على في مقالة مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى، ص: 96، "عصر الموحيدين من أهم عصور التعريب في العصور الوسطى"،

4- نفسه، ص: 95.

5- عبد الكريم غلاب، ج2، ص: 54.

6- نفسه، ص: 54.

على أرضه، الأمر الذي أدى إلى رد فعل نفسي إزاء كل محتل حسب خصوصية هذا الأخير، هذا ما تولد عنه ما يعرف بالثقافة.

أولاً: ثقافة الأمازيغ عبر سيرورة تاريخهم:

ويقصد بالثقافة (acculturation) تبادل تأثير الثقافة أو الفعل الثقافي بين طرفين، ولقد ذكرنا سابقاً كيف بُنيت شخصية الأمازيغي عبر تعاقب المحتلين على أرضه، وطول مكوثهم، وعليه فإنه من الناحية البسيكولوجية الإنسانية لا تحمل الانسان حضارتين متوازيتين في فترة زمنية واحدة، أو حتى متقاربة، لكن رغم كل هذه التغيرات إلا أن الشخصية الأمازيغية فرضت نفسها، حيث أنه في ظل كل هذه التحديات والتأثير الأجنبي كانت بوادر تبني حضارة بنكهة أمازيغية، وعليه سوف نستعرض الثقافة التي أوجدها الأمازيغي عبر تاريخه الطويل مع الحضارات المتعاقبة عليه:

(أ) - قرطاجنة: تعتبر قرطاج عند المؤرخين دولة ذات خصوصية تختلف عن الحضارة الفينيقية في الشرق، حيث لم تحتفظ بفينيقيتها العرقية والمحلية، بل تأقلمت مع الأمازيغ وصبغت نفسها ظاهرياً بحضارة فينيقية وباطنياً بتراث أمازيغي.

(ب) - العهد الروماني: في العهد الروماني اختلف الوضع، فقد رفض الأمازيغ رومنة روما، وهذا نظراً للتباعد الكبير بين الشخصية الأمازيغية المستقلة التي تطمح إلى التحرر¹، وتبتعد كل ما أمكنها عن الاندماج الذي يصعب بالاستعباد، وهذا ما جعل الأمازيغي ينفر من الحضارة الرومانية، التي من خصوصيتها أن التعامل مع الآخر دونياً².

1- عبد الكريم غلاب، ج2، ص: 199.

2- نفسه، ص: 198.

(ج) - الفتح العربي الإسلامي:

يذكر صدقي على أزايكو "إن شمال إفريقيا بلد المتأقفة الممتاز، البلد الذي تتعايش فيه إلى يومنا هذا لغتان تاريخيتان أي العربية والأمازيغية"¹ فكيف ذلك؟، نلاحظ أن استمرار وجود الشخصية الأمازيغية والتي لم تتعرب لحد اليوم بوجود اللغة الأمازيغية وعليه فنحن أمام مستوى جديد لمقاومة الأمازيغي للتعريب، فإسلامه لا يعني تعربه، وهنا نلحظ خصوصية نفسية الأمازيغي، حيث أنه لا يمكننا أن نلغي وجوده، فنعتبر أنهم تعربوا وذابوا وإنما نعتبر شخصية الأمازيغي تكونت مع الإسلام، والدليل أنهم لم يندمجوا مع الإمبراطورية العربية، فسرعان ما تكونت إمارات أمازيغية إسلامية، فتبلورت بذلك خصوصية الفكر الإسلامي في بلاد الأمازيغ لا خصوصية الفكر العربي، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الرابع، وبهذا فشخصية الأمازيغي تبلورت ونمت وازدهرت وأخذت طريقة أكثر تميزاً مع الإسلام وبالإسلام²، مع المحافظة على شخصيتها ولغتها، والاحتفاظ بالشخصية يلقب في علم الاجتماع لهم **خُلق ثابت** بمعنى لكل أمة صفة ثابتة³، حيث يُعدُّ الخلق كالصخرة الثابتة التي تلمطمها الأمواج يوماً بعد يوم.

ومن **الخلق الثابت** لدى الأمازيغ عزتهم ورفضهم للسيطرة الأجنبية، وإن كانت أكبر دولة عالمية آنذاك كالإمبراطورية الرومانية، فقد قال غوستاف لوبان "وما أكثر ما ترى في التاريخ من أمم تُغيّر عناصر حضارتها وتعتنق أدياناً جديدة وتنتحل لغات جديدة وتتخذ نظاماً جديدة، وفي تاريخ أمم تتركز معتقداتها المتأصلة لتعتنق النصرانية أو البوذية أو الإسلام...يكفي لإتيان مثل تلك التحولات بسهولة... غير أن التاريخ حينما يعرض علينا قصة تلك الثورة المفاجئة لا يصنع سوى إنجاز عمل من أعماله المعتادة، وهو اختلاف الأغاليلط ونشرها، ونحن حينما ندرس تلك التحولات عن كذب لا نعتم أن نرى أسماء الأشياء هي التي

1- صدقي على أزايكو، التأويل النَّسِّي (الجينالوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟، ص 34

2- عبد الكريم غلاب، ج 2 ص: 58.

3- غوستاف لوبان، السنن النفسية لتطور الأمم، ص: 50.

تتغير، على حين نبصر أن الحقائق التي تتستر خلف الألفاظ تداوم على الحياة ولا تتحول إلا ببطء كبير¹، ويضيف "لا أحد يجهل أن جميع الديانات كالبرهمية والنصرانية والبوذية والإسلام، أسفرت عن دخول الناس أفواجاً فيما يلوح أنه اعتنقها من عروق بأسرها، لكن المرء إذا ما أوغل قليلاً في دراسة ذلك لم يلبث أن يبصر أن الذي غيرته الأمم على الخصوص هو اسم دينها القديم نفسه، وفي الحقيقة أن المعتقدات المنتحلة عانت من التحولات الضرورية ما تكون به ذات صلة بالمعتقدات القديمة التي حلت محلها والتي لم تكن غير إدامة لها"، ونستخلص من هذا الكلام أن السنة والقاعدة الأساسية بتحول الأديان المعتنقة وفق روح العروق التي تعتنقها².

وما يستنتج من دراسة غوستاف لوبان في كتابه السنن النفسية أن المجتمعات في حركية دائمة للتغير مع وجود عامل الثبات المتجدد في الأقاليم، والذي يترجم أن يكون من خصوصية المجتمع، وعليه فإن الخلق الثابت في الأمازيغ أو بمعنى آخر خصوصيتهم تمثلت في عزيمتهم بهويتهم ورفضهم الاستعباد، وعليه فإنه باعتناقهم للإسلام أوجدوا مثاقفة حضارية، وهي رد فعل على العصبية العربية التي أوجدتها الدولة الأموية، وقد ذكر في مخطوط مفاخر البربر "البربر وفخرهم أنهم معتزون بأصلهم"³، وتبيان حكاية ستة نفر قدموا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسؤالهم عن ماهيتهم وإجابتهم أنهم "بنو مازيغ"، ومن خلال ذكر مؤلف كتاب مفاخر البربر فصلاً في مفاخرهم نستشف أنهم قوم معتزون بهويتهم ودينهم، وسنورد أمثلة أقامها الأمازيغ للرد على العصبية العربية، وهذا من خلال مثاقفة* الرد، وقد نلاحظ عدة أحاديث موضوعة تبرز مزايا الأمازيغ، وقد

1- غوستاف لوبان، السنن النفسية لتطور الأمم، ص: 88.

2- نفسه، ص: 89.

3- مؤلف مجهول، ص: 180.

*- للمثاقفة جوانب لزم التطرق إليها وهي درجة التباين الثقافي - ظروف الاتصال بين الثقافتين - مواقف السيطرة (الغالب) والتبعية (المغلوب) - اتجاه المد التأثيري، راجع صدقي على أزيكو، التأويل النَّسَبِي (الجنينولوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ ص:

كانت رد فعل لأحداث نبوية ذكرت سابقاً في الأطروحة تمجد العرب، وبالتالي جاءت المناقفة كرد فعل وسندكر ما ذكر في كتاب مفاخر للبربر¹ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "أن لله فرسان في سماء، يعني ملائكة وفرسان في الأرض ويعني البربر"، وذكر أيضاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن لله أنصارا ولذريتي، فأنصاري الأنصار الذين أووا ونصروا، وأنصارا ذريتي البربر آوهم وبروا وأكرموا" وكذا قصة² السيدة فاطمة رضي الله عنها والصدقة التي قدمتها للأمازيغي وذكرها أن الرسول صلى الله عليه وسلم "يا فاطمة سيقتل الحسن والحسين ويقتلونهم ويجلون أولادهم العرب ويؤوئهم البربر، فيأشر من فعل بهم ذلك وطوبى لقوم يؤوئهم ويجنونهم ويكرمونهم ويعزونهم"، وعليه فإن تلك الأحاديث لم يعثر عليها في الأحاديث الصحيحة وفي كتب الصحاح³، ومنه فإن المخطوط لمؤلفه المجهول ما هو إلا رد فعل للعامل النفسي، حيث أننا رأينا سابقاً أن معظم الأحاديث النبوية التي تمجد العرب كعرق والعربية كلغة صنفها الألباني⁴ في كتابة سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كضعيفة السند أو ضعيفة جداً أو موضوعة، وبهذا فبعد المقاومات العسكرية ضد العرب والثورات المذهبية في إطار الديانة الإسلامية، اهتدى الأمازيغ إلى مقاومة حضارية نفسها لمحاربة التعريب والعصبية العربية، وبهذا أوجد الأمازيغ مجموعة من الأحاديث النبوية تمجد الأمازيغ في إطار الديانة الإسلامية، وبالتالي فإن مقاومة الأمازيغ لأشكال الذوبان عن طريق التعريب جاءت حفاظاً على الشخصية الأمازيغية التي تصدت لمختلف الحضارات منذ التاريخ القديم بشخصيتها المتميزة، وبهذا فإننا نستخلص من كل ذلك أن الشخصية الأمازيغية لم تضع ولم تذب وإنما اغتنت واستفادت وازدهرت ونمت طوال مراحل التاريخ⁵.

1- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص: 181.

2- نفسه، ص: 182.

3- نفسه، ص: 183، وعليه فإن الأستاذ بويابة عبد القادر لم يعثر على سند صحيح لتلك الأحاديث.

4- راجع محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة 14 مجلد، ذكرت سابقاً ضمن العوامل التعريب عنصر العوامل الدينية ضمن علاقة التعريب بالدين.

5- عبد الكريم غلاب، ج2، ص: 201.

ثانياً: علم النفس ومكتسبات اللغة.

لاكتساب ملكة اللغة لزم أن تكون هناك شروط تتوفر لدى الفرد وهي عموماً ما يلي:

- الجو الاسري ودور المرأة في الحفاظ على اللغة الأم: حيث يذكر ابن خلدون في المقدمة أن "المتكلم من العرب حيث كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة... واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة.. هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل"¹.

وبهذا التناقل من جيل إلى جيل من حيث ملكة اللغة، وبحكم أن اللغة الأمازيغية في فترة الفتوحات وبعدها كانت لغة شفوية أكثر منها كتابية²، فقد لعبت المرأة داخل مجموعات الأمازيغي في كتل الجبلية التي ورد ذكرها سالفا دورا هاما في الحفاظ عليها إلى يومنا هذا، فنجد مثلاً المرأة في جزيرة جربة³، ومنطقة القبائل في الجزائر والأطلس في مغرب المرأة أحادية اللغة بحكم تواجدها في المنزل، وبالتالي بقيت أكثر استعمالاً للغة الأمازيغية من الرجل، حيث اضطر هذا الأخير إلى اكتساب ثنائية لغوية بحكم اتصاله بالفضاء العمومي* الخارجي وكثرة العوامل التي ذكرت سابقاً وساعد على التعريب، أما اكتسابه اللغة الأمازيغية فقد لعبت المرأة خاصة الأم دوراً في المحافظة على لبنة اللغة الأمازيغية، بمعنى أن اللغة الأم التي يتعامل معها داخل المنزل هي اللغة الأمازيغية، في حين أن اللغة العربية هي لغة اجتماعية لكثرة عواملها الخارجية المساعدة.

1- ابن خلدون، المقدمة، ص: 461.

2- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 115.

3- نفسه، ص: 115.

*- يستعمل علم الاجتماع هذا المصطلح لدلالة على المحيط الذي يؤثر في السلوكيات المجتمع.

- الاستقرار الوجدان وبلاغة الفرد:

يرجع ابن خلدون عوامل نقص بلاغة الإنسان الأمازيغي (العجم) إلى قلة الحفظ حيث يذكر¹: "لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ"، وإلى كثرة المشاغل والمهموم وغياب "التراكيب والخاص من الضرورات اللسانية"² بحيث أن المغاربة (الأمازيغ) كانوا أقل الناس حفظاً³ مقارنة مع أقرانهم المشاركة والأندلسيين، وقد اقتصر حفظهم على القرآن الكريم حيث ساهم حفظ القرآن خاصة في العهد الموحد، ومنه إلزام القراء باستعراض الحفظ بعد صلاتي الفجر والمغرب، ونظراً لخصوصية الذاكرة الأمازيغية فقد استحدثت في بلاد المغرب أسلوب ينفرد عن المشرق في طريقة تعلم اللغة وحروفها، على مبدأ التمييز بين الحروف المنقوطة وغير المنقوطة بتسميتها حفظ الليف أو الألف⁴، وهذا الأسلوب من خصوصية أمازيغ المغرب الأقصى، وقد انفرد بهذه الخصوصية المجال المغربي الواقع في شمال فاس إلى طنجة، وبالتالي فالعامل النفسي وخصوصية المجتمع الأمازيغي كان عائقاً أمام حركة التعريب خاصة ما لعبته المرأة في حفاظها على اللغة والهوية الأمازيغية.

1- ابن خلدون، المقدمة، ص: 459.

2- نفسه، ص: 459.

3- عبد الوهاب الدبيش، تعريب المغرب، مقارنة تاريخية ص: 94.

4- نفسه، ص: 92. (الليف هي عبارة عن أبيات شعرية تقوم بتعداد النقاط الحروف لتبتدئ بـ "الليف ما ينقط الباء وحدة من التحت؛ وهكذا دواليك تذكر كل الحروف التي بها نقاط مع تحديد مكان تواجد النقاط " أي الي آخر آخر حرف في الأبجدية. وهي خاصية مغربية للحروف العربية بمعنى تأثير مغربي على العربية.

الفصل الرابع

انعكاسات عوامل وعوائق تعريب الأمازيغ

(I) - انعكاسات عوامل التعريب :

لقد تطرقنا فيما سبق في كلٍّ من الفصلين الأول والثاني إلى العوامل، سواء الخارجية أو الذاتية المساعدة على تعريب الأمازيغ، وعليه لزم أن نستقصي آثار هذه العوامل، أي معرفة انعكاسات العوامل التعريب على المجتمع الأمازيغي والمرتبطة أساساً بالدين الإسلامي بحكم موضوع الإشكالية.

أولاً: ظهور الثقافة العربية الإسلامية في بلاد الأمازيغ.**- ظهور الدراسات الدينية (علم القراءات وعلم الحديث):**

لقد أطلق على الدراسات الدينية مصطلح العلوم النقلية¹ تمييزاً لها عن العلوم العقلية، والغرض من هذه التسمية أنها تعتمد على النقل والرواية أكثر من اعتمادها على العقل والمنطق، وعرفت بعدة أسماء منها: علوم الأوائل بحكم أنها تعتمد على السند، وكذا العلوم الدينية²، أو العلوم الشرعية لأن موضوعاتها ذات صلة بالدين، فبعضها يتعلق بالقرآن الكريم كعلم التفسير وعلم القراءات، وبعضها يتعلق بالسنة النبوية كعلم الحديث وبعضها يتعلق بالتشريع كعلم الفقه، ومع ارتباطها بالدين الإسلامي فقد كانت تعالج أساساً علاقيتين: العلاقة بين الإنسان وربه وتدخل هذه العلاقة ضمن موضوع العقيدة، وكذا العلاقة بين البشر وتدخل هذه العلاقة ضمن موضوع الشريعة.

وقد ركزت على علم القراءات وعلم الحديث بحكم ارتباطهما باللغة العربية، فالقراءات مرتبطة بالقرآن

الكريم وعلم الحديث مرتبط بحديث رسول الله ﷺ.

1- محمود اسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، الجزء الثاني، ص: 67.

2- نفسه، ص: 67.

- ظهور علم القراءات:

موضوع هذا العلم مرتبط بالقرآن الكريم حيث يتمثل في وضع الضوابط والمعايير لكيفية قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، نظراً لاختلاف اللهجات في نطق الألفاظ العربية، وهذا باختلاف الأقسام الذين اعتنقوا الإسلام.

وبالتالي ازدادت الحاجة لتلك الضوابط بعد أن شاع اللحن في القراءة بين الموالي¹، وبهذا يظهر التأثير السوسولوجي كذلك في فرز القراءات المختلفة*. ورغم أننا قد تطرقنا في فصول العوامل إلى استقرار نخبة من الفقهاء القراء وتأثيراتهم في التعريب، إلا أننا في هذا الفصل سنركز على انعكاسات عوامل التعريب في خلق فئة من القراء المتميزين من الأمازيغ في علم القراءات.

أ- دخول القراءات إلى بلاد الأمازيغ:

لقد كان من الطبيعي أن يقترن الفتح الإسلامي بالعناية بالقرآن الكريم، ومهما تكن عوامل دخول الأمازيغ إلى الإسلام، إلا أن النتيجة هي أن إسلام الشخص يقتضي منه أن يتعلم نصيباً من القرآن يتلو منه في صلاته، وهذا ما جعل قادة الفتح الإسلامي يحرصون دائماً على مصاحبة القراء، وقد كانت سنة معروفة في الأقاليم الإسلامية.

1- محمود اسماعيل، سوسولوجيا الفكر الإسلامي، طور الازدهار، الجزء الثاني، ص: 74.

*- الاتجاه النصي قُصُرَ على سبع قراءات وهي قراءات نافع، ابن كثير وابن عامر وابن عمر وعاصم وحمزة والكسائي وأسماء القراءات ترجع لأسماء علماءها وهم: (1) نافع بن عبد الرحمن المدني. (2) عبد الله بن كثير المكي. (3) أبو عمرو بن العلاء البصري، (4) عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي، (5) عاصم بن أبي النجود الكوفي. (6) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي. (7) علي بن حمزة الكسائي الكوفي أما أماكن تواجد القراءات فالمدينة المنورة بقراءة نافع. مكة بقراءة ابن كثير. البصرة بقراءة ابن عمرو. الكوفة بقراءة حمزة وعاصم وكسائي. الشام بقراءة ابن عامر.

نفسه، الجزء الثاني، ص: 74. ولمزيد من المعلومات حول القراءات السبع راجع أيضاً لمحمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، مطبعة بني إزناسن سلا، المغرب، 2001م، ص: 63-66.

قد حرص الخلفاء والأمراء على اتباعها في كل قطر من البلدان المفتوحة، وعلى سبيل المثال الحملة الأولى التي قام بها عقبة بن نافع الفهري (55-50هـ) وشارك فيها عدد من قراء الصحابة¹ الذين أسسوا رباطات الجهاد، ثم تلتها الفترة الثانية لعودة عقبة (64-60هـ). اصطحب معه خمسة وعشرين من الصحابة، عرف منهم أبو منصور الفارسي، وكذا يزيد بن أبي منصور التابعي، وقد امتد نشاط عقبة إلى المغرب الأقصى حيث بعث إليها المقرئ عبد الله بن شاعر الأزدي.

أما في فترة حسان بن نعمان 78هـ فقد أوكل إلى نحو ثلاثة عشر من قراء التابعين، وتتابع توافد القراء الآتين من المشرق، لكن أشهرهم ما بعثه عمر بن عبد العزيز، بعثة مختصة لتعليم القرآن، وفي عهد هذه البعثة تطور تعليم القراءات وظهر ما يسمى "بالدراسة" وهي قراءة جماعية كانت سائدة بدمشق، وانتقلت إلى بلاد الأمازيغ، وابتداء من القرن الثاني الهجري بدأت القراءات تتنوع في القيروان، ونشط التبادل الثقافي بين إفريقية والمشرق، وظهرت أسماء علماء من الأمازيغ أسهموا في هذا التنوع في القراءات، ولزم الذكر أن مدرسة القيروان أثرت تأثيراً بالغاً في الأندلس، وفيما بعد ظهرت المدرسة المغربية لكن لم تتميز هذه المدرسة، حيث أن العلاقات بين بلاد الأمازيغ والأندلس في عهود الوحدة السياسية (عصر المرابطين والموحدين) جعلت المدرستين القيروانية والأندلسية رائدتين في علم القراءات، وهذا نظراً لكثافة التواصل بين حواضر هذه الأقطار، ومع القرن 6هـ مع حكم المرينيين ومع وجود المدارس العلمية²، فقد مرت أطوار القراءات بإفريقية ثلاثة أطوار³.

1- محمد مختار ولد أباه، ص: 187.

2- لمزيد من التفاصيل حول قضية المدارس المرينية. راجع محمد القبلي، قضية المدارس المرينية، ملاحظات وتأملات مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ص: 66-78.

3- هند شلي، القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن 5هـ، الدار العربية للكتاب، الرياض، ط1، 1983، ص 97-121.

طور القراءة الحرة:

وقد عاشرت الفاتحين وأغلبهم كانوا من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين أمثال سفيان بن وهب¹، وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وكذا تلامذتهم أمثال سليمان بن يسار، وعلي بن رباح... إلخ.

طور حرية الاختيار في القراءات:

تتميز هذه الفترة بتعلم الأمازيغ للقرآن واندماجهم مع العرب حسب العوامل المذكورة سابقاً، وبهذا فإن هذه المرحلة تندرج ضمن البعثات المرسلّة من المشرق إلى بلاد الأمازيغ وأشهرها بعثة عمر بن عبد العزيز حيث تذكر هند شليبي: "والذي نتصوره في ميدان قراءة القرآن بإفريقية وليس لنا عليه اليوم دليل أن أفراد البعثة وجدوا تنوعاً في القراءات التي يقرأ بها الأفارقة - وتقصد الأمازيغ- ولعلمهم وجدوهم يقرؤون بقراءات قد تم التخلي عنها بعد كتابة المصحف العثماني"².

ومنه فإنه من الطبيعي أن يكون عمل البعثة وهي بعثة رسمية في ميدان إلقاء القرآن حمل الأفارقة على أن يقرؤوا بالقراءة الرسمية التي تتفق مع رسم المصحف العثماني³، بأوجهها المختلفة وهذا ما عرف بطور حرية الاختيار في القراءات، وهو أمر طبيعي بحكم علمنا أن إفريقية (بلاد الأمازيغ الجهة الشرقية) قد دخلها عرب من الحجاز والعراق وبلاد الشام⁴.

ولعل هذا ما يفسر الظاهرة الغالبة على مصاحف القيروان العتيقة من رسم القراءات المختلفة.

1- سفيان بن وهب دخل إفريقية مرتين 979/هـ و78/هـ 697م.

2- هند شليبي، ص: 124.

3- تسمية المصحف جاءت بعد أن جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه فاستقر الرأي على تسمية ما جمع "مصحفاً" بعد ما رفضوا تسميته "سفراً" تمييزاً له عن كتاب اليهود، وعلل الأزهرى هذه التسمية بقوله: إنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصحّ أي جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين على أن الرواية المشورة تسمى ما جمع في عهد أبو بكر رضي الله عنه صحفاً وتطلق المصاحف على ما جمع في عهد عثمان ما جمع في عهد عثمان. نفسه، ص: 68-69.

4- نفسه، ص: 125.

طور ترجيح العلاقات:

تميزت هذه الفترة التي هي في حدود 200 هـ بتعدد القراءات بإفريقية، وكانت القراءات الشائعة في المشرق هي نفسها الشائعة في إفريقية مع تركيز قراءة نافع في القيروان، وأصبحت عامة ابتداء من النصف الثاني من القرن 3هـ، وما يهمننا هنا أن بلاد الأمازيغ أصبحت تعنى بعلم القراءات ابتداء من القرن 3هـ، وما يهمننا هنا أن قراءة نافع انتشرت انتشاراً واسعاً بحكم تلاميذه الذين دخلوا إفريقية، أمثال أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، وأبو يحيى زكريا بن يحيى بن إبراهيم الوقار المصري، هؤلاء سيكون لهم دور في تلقين قراءة نافع، وبالتالي وجد أمازيغ تدرسوا على أيديهم وأتقنوا علم القراءات. وبهذا فإننا نلاحظ نفس التواكب¹ في الحياة الثقافية في الجانبين المشرقي والمغربي، حيث نجد في كلا الجناحين الشرقي والغربي سلماً واحداً للقيم الثقافية تأتي في درجته العليا العلوم الدينية، وتليها علوم اللسان، ثم تأتي بقية العلوم الأخرى التي تعتبر ذات منزلة دنيوية، وبهذا فإن الأمازيغ اختلفوا من حيث كمية الإنتاج، نظراً لكون بلاد الأمازيغ كانت في حاجة إلى فترة زمنية أطول لتبني اللغة العربية، وبهذا تنعكس عليها جملة من التقاليد الحضارية والثقافية الواردة من الشرق بحكم أنه منبع الإسلام، ولهذا فإننا سننتظر إلى القرن الخامس هجري لبدأ التجاوب بين الشرق والغرب يقدم ثماره، وهناك عدة² شخصيات أمازيغية برزت وأتقنت علم القراءات.

1- محمد زنيبر، ص: 37.

2- لمزيد من المعلومات حول قراءة الأمازيغ، راجع كتاب هند شلبي، القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن 5هـ، الباب الخامس، ص: 227-365.

- ظهور دراسة علم الحديث:

لقد اشتغل الأمازيغ منذ اعتناق الإسلام على دراسة علم الحديث¹ الذي يعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد كان الحديث سبباً² رئيسياً في حركة الرحلات التي تميزت بها الحياة العلمية في القرون الأولى، حيث بدأت منذ القرن 2هـ وقد مرت مدرسة فقه الحديث ببلاد الأمازيغ بعدة مراحل نذكر منها³:

- مراحل علم الحديث:**المرحلة الأولى: مرحلة الميلاد والنشأة ق2هـ-ق3هـ.**

إن الصلات العلمية بين أقطار العالم الإسلامي المفتوحة إبان ثلاث قرون الأولى كانت غزيرة ونشيطة بهدف التفقه في الدنيا، وبهذا بدأ الأمازيغ في رحلتهم إلى المشرق، وخاصة إلى علماء المذهب المالكي في مصر، يختارون مجالس الرأي أو مجالس الحديث، وبهذا نشأت مدرسة مالك في الديار المصرية، وقد انتقل هذا الاتجاه

1- يذكر ابن خلدون، المقدمة، ص: 349 "أما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك لما تبث في شريعتنا من جواز النسخ...ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث".

2- بوخالفة نور الهدى، ص: 356.

3- لمزيد من المعلومات راجع خالد صمدي، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن 7هـ جذورها- آثارها- مناهجها، الجزء الأول، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1427هـ 2006م، دار أبي رقيق للطباعة والنشر، ط1، 2006م، ص: 46.

إلى القيروان بوابة الغرب الإسلامي نهاية القرن الثاني هجري، وقد اتسمت هذه المرحلة¹ بتتبع اتجاه الأثر في المدرسة المالكية واتجاه الأثر المتحرر من المذهبية.

المرحلة الثانية: مرحلة الجمع والبناء ق4هـ.

تميزت بدخول مصادر الحديث وآثارها المشرقية إلى الغرب الإسلامي، واتساع مجالس الرواية والسماع والدراية بإفريقية كما تجلّى في ظهور منهج الفقه المقارن في شرح الحديث.

المرحلة الثالثة: مرحلة النضج والاستقرار ق5هـ

ما يهمننا في هذه المرحلة هو توجه الدولة المرابطية² نحو فقه الفروع وأثره في الاشتغال بفقه الحديث، حيث يذكر المراكشي عن ولاية علي بن يوسف بن تاشفين "واشدد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء... فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله"³.

المرحلة الرابعة: مرحلة التوسع والاكتمال (ق 6هـ إلى منتصف القرن 7هـ).

تميزت هذه المرحلة بسقوط دولة المرابطين بكثرة الثورات ضدها في الأندلس وإفريقية ومراكش التي إن انتهى عهدهم بمقتل آخر أمرائهم، تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بمدينة وهران سنة 540هـ لتبدأ مرحلة دولة الموحدين، هذه التقلبات السياسية التي واكبت اضمحلال دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين لم تقوي الحركة العلمية الدينية⁴ إلا في زمن يعقوب المنصور الموحد 580 هـ، حيث عرف النصف الثاني من القرن 6هـ ظروفاً جديدة بعد أن بسط الموحدون سلطتهم على كامل الغرب الإسلامي بما فيها الأندلس، وقد توجهت الدولة

1- خالد صمدي، ص: 47.

2- نفسه، ص: 70.

3- المراكشي، عبد الواحد بن علي أبو محمد، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، دار الكتب، دار البيضاء، الطبعة السابعة، 1978، ص: 253.

4- خالد صمدي، ص: 78. ولمزيد من المعلومات حول أثر العقيدة في الادب فترة دولة الموحدين راجع حسن جلاب، الدولة الموحدة (أثر العقيدة في الادب)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الثالثة، سبتمبر 1995

الموحدية إلى الحركة العلمية عموماً وحركة الحديث وفقهه بصفة خاصة، وقد عرفت حركة الحديث نشاطاً مكثفاً خاصة في عهد يعقوب المنصور الموحد الذي سن اتجاه العودة إلى الحديث والأثر والاجتهاد، واعتمد على أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلف المعروف بابن الفخار المالقي المتوفى 590 هـ¹، شيخ ابن القطان الفاسي الذي استدعي من طرف الخليفة يعقوب المنصور سنة 580 هـ إلى العاصمة مراكش من أجل تدريس الحديث للناس، وكذا أبو العباس أحمد بن سلمة الأنصاري المعروف بابن الصيقل توفي عام 608 هـ² الذي استدعي من تلمسان، لأنه كان محدثاً كامل العناية بالحديث، وما لزم ذكره أن الذي سبقهم إلى رواية الحديث عكرمة البربري (24-105 هـ)³.

ثانياً: دور علماء الأمازيغ في إثراء الحضارة الإسلامية.

الحضارة هي نتاج فكر الإنسان حيث لا تقاس بالكم وإنما بالكيف⁴، وقد أجمع العلماء أن الحضارة الإسلامية تحتل مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، كما أنها أطول الحضارات عمراً وأعظمها أثراً في الحضارة العالمية، وهذا بفضل توفر المزايا الثلاث الامتياز والأصالة والإسهام⁵ في تطور الفكر، وهذا ما قام به الأمازيغ فبعد اعتناقهم الإسلام ساهموا في إثراء الحضارة الإسلامية، متميزين عن غيرهم من المسلمين ومحافظين على أصالة الحضارة الإسلامية، لكن الملفت للانتباه أن المصادر تكثر الحديث عن الفرس دون الأمازيغ في الجانب المعرفي ويذكر مسعود مزهودي "للإجابة على هذا السؤال نُقِرُّ ان الموضوع

1- المراكشي، المعجب، ص: 402.

2- نفسه، ص: 402.

3- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الامازيغيين، ص: 89.

4- عماد الدين خليل، مدخل الى الحضارة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى، 2005، ص: 13.

5- مسعود مزهودي، دور الأمازيغ في إثراء الحضارة الإسلامية، بتصرف.

يدخل ضمن إطار التاريخ المنسي والمغيب فالكتاب المشاركة الذين اهتموا بالموضوعات الحضارة الإسلامية اهتموا هذا الأمر عن قصد¹ وقد أرجع ذلك إلى جملة من الأسباب منها:

- التنافس العلمي بين المشرق والمغرب فالدولة الاموية ابرزت الدور العربي والدولة العباسية ابرزت الدور الفارسي في حين غيبت إسهامات الأمازيغ على الرغم من وجودها بقوة.

- الأمازيغ لم يكن لهم النفوذ السياسي في مركز الخلافة، سواء في عهد الدولة الأموية أو الدولة العباسية على غرار العرب والفرس، هؤلاء استغلوا هذا النفوذ واستطاعوا تدوين إسهاماتهم، وهذا ما يفسر عدم التدوين، وبهذا وقع جل المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ شمال افريقيا في خطأ تاريخي حيث صوّروا الأمازيغ كأنهم مستهلكين للحضارة لا منتجين.

- مشكلة التدوين لدي الأمازيغ، حيث أنهم كانوا دائماً يُؤثرون على مستوى الأحداث، لكن دون تدوين هذا التأثير سواء العسكري أو الفكري، وبهذا نفسر أنهم كثيراً ما أهينوا على مستوى النصوص التاريخية، وبحكم أن العرب هم من دونوا التاريخ من خلال المصادر ومهما ولهذا يُحْتَلّ لدارس تاريخ الأمازيغ أنهم شعب لم يُؤثر في تاريخه أو على حد تعبير عبد الله العروي "ظهر البربر كأنهم أشخاص ثانويون يشاهدون من بعيد ما يحدث على أراضيهم" ويضيف² "ظهر تناقض جوهرى بين مفهوم التاريخ وبين نوع الوثيقة المتوافرة"³، وبالتالي نضطر إلى أن نستقصي معلوماتنا عن الأمازيغ عبر وسائط، وتتمثل هذه الوسائط بحكم موضوع دراستنا في المصادر العربية*، وسنذكر بعض النماذج لمشاهير العلماء الذين تُبِتَ نَسْبُهُم الأمازيغي، أي المشهورين

1- مسعود مزهودي، دور الأمازيغ في إثراء الحضارة الإسلامية، بتصرف

2- عبد الله العروي، ج1، ص: 16.

3- نفسه، ص: 57.

*- لقد اعتمدنا على مصدر أمازيغي بخصوص رصد نماذج من العلماء الأمازيغ الذين نبغوا في العلوم الدينية والمتمثل في كتاب مفاخر البربر لكن مؤلفه مجهول وغالبا ما يكون أمازيغي فواضح ان المؤلف ألف كتابه كرد فعل لسياسة التعريب.

بالإنتاج الفكري المرتبط بالعلوم الدينية التي سبق وأن تطرقنا إليها: القراءات وعلم الحديث ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس بن شمالل¹ المصمودي هو شيخ قرطبة دخل جدة شمالل الأندلس مع طارق بن زياد وشهد الفتح، وقد أدخل يحيى بن يحيى موطأ مالك إلى بلاد الأمازيغ توفي بالأندلس (قرطبة) سنة 134هـ.

- إلياس المغيلي: من أعلام الأمازيغ الفاتحين الذين فتحوا الأندلس مع طارق بن زياد.

- أبو عبد الله محمد بن أسود ابن شعيب المديوني²: من أهل العلم والعمل، عالم بالفقه والتصوف، ملم بمذهب مالم من قبيلة هسكورة، رحل إلى المشرق فحج وأقام 23 سنة الإسكندرية.

- منذر بن سعيد بن عبد الله القاضي البلوطي الوهاصي، وولهاصة من بطون قبيلة نفزاوة كان والي قرطبة سنة 339هـ.

- أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني³ مؤلف كتاب الرسالة في الفقه من قبيلة نفزاوة، توفي في شعبان سنة 386هـ.

- عباس بن ناصح المصمودي: قاضي الأندلس لمدة سبعة سنوات أبو عبد الله بن العاصي

الصنهاجي⁴.

1- كان إسلام شمالل على يد يزيد بن عامر الليثي وهو من قبيلة كنامة إذ كان من القادة العرب الفاتحين للأندلس. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباوية، ص: 153.

2- راجع مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباوية ص: 153 هامش 05.

3- نفسه، ص: 154.

4- نفسه، ص: 155.

- أبو محمد عبد الوهاب الصنهاجي¹: هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس بن يوسف بن أحمد، كانت له رحلة إلى المشرق حيث أقام فريضة الحج وأتقن قراءة القرآن بأحكامه فأصبح بذلك خطيب جامع قرطبة ومقرئه أبو محمد الجليل بن ويحلان: ذكك الأصل ونزل بأغمات، توفي سنة 541 هـ من أعلام الصوفية السنية أي من الفقهاء².

- أبو عبد الله الرجراجي: من أهل تالغت من بلد رجراجة³، وهو شيخ أبي زكرياء يحيى بن أبي موسى بن أبي موسى المليجي وخميس بن أبي زرج ففنيه المصامدة⁴، توفي عام 624 هـ.

- أبو الحسن علي بن محمد الكتامي⁵: المعروف بابن القطان، توفي بسجلماسة عام 628 هـ.

- أبو موسى عيسى بن ثلالين الجزولي⁶: ينسب إلى قبيلة جزولة⁷ صاحب كتاب الكراسة في علم النحو وأقام في آزمور⁸.

- أبو علي الحسن بن علي بن حسون الماجري⁹: كان كفيف أقام بأسفي ألف كتاب الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ.

1- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص: 156.

2- ابن زيات، التشوف، ص: 146-147.

3- نفسه، ص: 86. ويزيد الهامش رقم 13 "رجراجة جمع رجراجي وأصلها إيژرأكن ومفردا أژرأك ومعناه بارك وأرأرك هو قريك به

4- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص: 156.

5- نفسه، ص: 157.

6- نفسه، ص: 157.

7- تذكر جزولة أو كزولة جدهم غير معروف وهم أخوة لصنهاجة وملطة ومسكورة وبطونهم كثيرة. راجع بوزياني الدراحي، القبائل الأمازيغية، ج2، ص: 173-174.

8- أزمور كلمة أمازيغية تعني الزيتون، راجع مفاخر البربر، هامش رقم (3)، ص: 157.

9- نفسه، ص: 163.

- أبو يحيى زكريا¹ ابن الشيخ الجليل أبي زكريا يحيى بن أبي عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حماد من بلاد حاحة* وافته المنية بفاس سنة 810 هـ.

- الشيخ الفقيه الشهير الحسيب أبو عبد الله بن أبي علي عمر بن مخلد الدكالي² أقام بإقليم تاوريت إن تازارت.

ومن كبار علماء الأمازيغ الشيخ الصالح أبو محمد واجاج بن زلو اللمطيس من أهل سوس الأقصى، ارتحل إلى القيروان للعلم.

- أبو موسى سليمان الرفروفي³ من أهل تاجنيت من بلاد تادلا تدرس على يد كل من الشاشي والطرطوش عندما كان في رحلة إلى المشرق لتلقي العلم.

- أبو علي سالم ابن سلامة السوسي⁴: أصله من تارودانت درس الفقه بفاس واستقر بسجلماصة، توفي عام 589 هـ أو 590.

- أبو علي يغمور ابن خالد البرصجي⁵: هو تلميذ أبي عبد الله محمد بن ياسين الفقيه، كان مدرسا للفقه توفي بتاسوفيطت* قبل سنة 590 هـ.

1- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص: 163.

* - بلاد حاحة هي بلاد تسكنها قبائل الأمازيغ بين الصويرة وأغادير، راجع مفاخر البربر، هامش 08، ص: 163.

2- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص: 163.

3- نفسه، ص: 165.

4- ابن زيات، التشوف، ص: 283.

5- نفسه، ص: 286.

* - تأسوفيطت أو تأسوفيط: مكان التوديع والإرسال، ويظهر أن هذه القرية كانت على مسافة يوم من ساحل دكالة في بلد بني دغوغ. راجع، ابن الزيات، التشوف هامش 735، ص: 286.

- أبو عمر عثمان السلاجبي¹: هو إمام أهل المغرب في علوم الاعتقاد، استقر بمدينة فاس وعمل مدرس لتعليم علوم الدين، توفي عام 564هـ.

- أبو زكريا حي بن علي الزواوي²: ينسب إلى بني حسن من بجاية، ولد في بني عيسى من قبائل الزواوة³ ودرس بقلعة بني حماد، توفي في أمسيون في منتصف رمضان سنة 611 هـ.

- أبو عبد الله محمد بن محوت الصنهاجي⁴: شيخ الفقيه الصفتي في بلاد الأمازيغ انفرد به المؤلف المجهول في كتابه مفاخر البربر.

وهناك عدد لا يحصى من علماء الأمازيغ وجدت في المصادر. نَبَغُوا في العلوم الدينية كما ذكر في مفاخر البربر ما يلي "وقد كان في أغمات قديما من علماء البربر ما يفوت الحصر، ولا يجويه العدو هذا باب لا يطمع في استيفائه ولا سبيل إلى الإحاطة به، وقد سمعت الشيخ الفقيه، قاضي الجماعة، العالم، الرواية، المحدث المحقق، أبا عبد الله بن عبد الملك رحمه الله يقول كان بفاس من الفقهاء الإعلام والأجلة أعيان الأنام ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام إذ هي قاعدة المغرب، ودار العلم والأدب، ولكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم، وأغفلوا تخلد مفاخر فقهاءهم".

- هود بن محكم بن هود الهواري الأوراسي⁵: علامة في التفسير عاش في القرن 3 هـ معاصرا للدولة الرستمية 296/160 هـ. تحكم في آليات اللغة العربية حتى استطاع تفسير القرآن وتخصص في القراءات.

- سمكو بن واسول⁶: أخذ العلم عن عكرمة مولى ابن عباس تخصص في القراءات والفقہ.

1- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، هامش رقم 01، ص: 166.

2- نفسه، ص: 167.

3- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، هامش رقم 4، ص: 167.

4- نفسه، ص: 167.

5- مسعود مزهودي، المحاضرة سابق الذكر، 2005م.

6- نفسه.

- عبد السلام الزواوي: فقيه وعالم في علوم القرآن من قراءات وتفسير، توفي عام 681هـ. كما يمكن إضافة فئة المتصوفة الذين جمعوا بين التفقه والتصوف وهم المتصوفة أبي الحسن الشاذلي الغماري (توفي 565هـ/1258م)، أبي عبد الله الجزولي¹ (توفي 870هـ/1465م)، أبو العباس بن العريب الصنهاجي (توفي 536هـ/1141)

أما الفقهاء²: وجّاح عبد الله بن ياسين، ابن أبي القيرواني التفراوي (310هـ/386هـ) صاحب الرسالة المشهورة، الإمام المكودي ابن عرفة الورغمي (716هـ/803هـ) وابن مرزوق العجيسي (711هـ-781هـ) وأبي العباس أحمد الونشريسي توفي 914هـ وأحمد بابا الصنهاجي (963هـ/1036هـ). كما يذكر أبو يعلى الزواوي فئة لا بأس بها من العلماء والصلحاء بمعنى الذين جمعوا العلم وحسن الخلق ونذكر منهم عيسى أبي الروح الزواوي الحميري³ وذكر ترجمه له مفادها "عيسى أبو الروح ابن مسعود بن المنصور بن يحيى بن يونس بن يانيو بن عبد الله بن أبي حاج المنكلاتي الحميري الزواوي، وقدم الإسكندرية وتفقه بها، ثم رحل إلى قابس فأقام بها مدة يسيرة ثم رحل إلى القاهرة فأقام بها يشغل الناس بالعلوم بالجامع الأزهر، وسمع كتب الحديث الستة...ولي نيابة القضاء بدمشق نحو سنتين ثم رجع إلى الديار المصرية فولى نيابة القضاء بها عن قاضي القضاة زين الدين مخلوف وإلى تدرس المالكية بمصر بزواوية المالكية.. ثم أقبل على الاشتغال والتصنيف فشرح صحيح مسلم في اثنتي عشر مجلد وسماه إكمال الأعمال.

1- ذكر من طرف ألفرد بال، ص: 421-422. "درس الجازولي التصوف الإسلامي والفقهاء المالكي في مراكش ثم فاس ثم سافر إلى المشرق للدراسة ثم لدى عودته أنشأ الطريقة الجزولية".
 2- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغيين، ص: 89.
 3- أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، ص: 123. نشير هنا أن لقب الحميري أضافه بحكم أنه نسب قبيلة زواوة إلى العرب وهذه إشكالية سوف نفضل فيها بعد والمتمثلة في إرجاع نسب الأمازيغ إلى العرب أو حتى إلحاق الأمازيغ أنفسهم بالنسب العربي، وبالتالي إشكالية جينالوجية النسب الأمازيغي وتداعياته في المجال السياسي خاصة مشروعية السلطة.

وبهذا فإن من العلماء الأمازيغ عدد لا يحصى منهم أجادوا واجتهدوا في العلوم الدينية خاصة منها القراءات، الحديث والفقه، وقد ركزنا على العلوم الدينية بحكم أن موضوع الأطروحة علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ، ولا يمكننا أن نحصيهم تعدادهم الكبير وكذا الفترة المعالجة في الأطروحة وهي تقريبا كل فترة الوسيط، وقد وجدت عدة مصادر تتحدث عن تراجم لعلماء الأمازيغ.

وبهذا نستخلص أن للأمازيغ دور فعال في خدمة العلوم الدينية التي فقهوها باللغة العربية والسبب يرجع وراء ذلك للدين الإسلامي فحبهم الشديد للدين جعلهم ينبغون في علومه و من خلال ما سبق ذكره يستخلص من هذه الأمثلة أن علماء الأمازيغ وجد عددهم بكثرة ولا يمكن ذكرهم كلهم، وقد أسهموا بقسط وافر في بلورة العلوم الإسلامية المتصلة بالدين مباشرة لأنهم كانوا حرصين على صيانة العقيدة واستنباط ما في الأصول من قيم روحية وأحكام شرعية، وكذا وجد عدة مؤلفات لعلماء أمازيغ في كل من اللغة، التاريخ، الجغرافيا.. الخ من المواد العلمية و الأدبية، لكن لن نتطرق إليها بحكم أن عنوان الأطروحة علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ، وبالتالي ركزنا فقط على نماذج من العلوم الدينية.

ثالثاً: الإسلام وانتشار الخط العربي.

قبل التطرق إلى علاقة الأمازيغ بالخط العربي لزم التطرق أولاً إلى نشأة الخط العربي نفسه:

(1) نشأة الخط العربي:

لقد رجحت معظم الدراسات المقارنة ان الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي¹، أو بعبارة أخرى ما هو الا تطور لهذا الخط وبالتالي من هم الأنباط؟، ومن اين جاء خطهم؟ وكيف أصبح هذا الخط عربي؟

1- صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط2، 1979م، ص: 13.

الأنباط هم عرب، أغاروا في العصر الهليني على البلاد الارمينية في بلاد الشام وكانت لهم حاضرتان البتراء **petra** في الشمال ومدائن صالح في الجنوب في القرن الرابع ق.م¹ وقد هيمنوا على الطرق التجارية، وبحكم التجارة التي مارسوها والتي كانت سبب ازدهارهم الاقتصادي أحس الأنباط بضرورة الكتابة، فكتبوا بالحروف الآرمينية²، وظلوا يتكلمون باللهجة العربية وبهذا ظلت هذه الطرق التجارية بين مكة ويثرب والشام تسلكها القوافل، واستمر الوضع هكذا حتى ظهور الإسلام وعلي هذا فقد أجبرت هذه الطرق عرب الشمال أن يبروا دائماً في رحلاتهم عبر مدائن صالح وبلاد الأنباط* في الذهاب والإياب، وبهذا اقتبسوا أساليب الحياة وطرق الكتابة، وهكذا كان من الطبيعي أن يأخذ عرب الحجاز الخط النبطي، ويطوروه وهذا نظراً للاتصال المباشر بهم.

(2) علاقة الأمازيغ بالخط العربي:

إن العامل الأهم في انتصار العربية على الأمازيغية أنها كانت لغة مكتوبة عكس الأمازيغية التي كنت لغة شفوية، وبهذا استطاعت العربية أن تفرض نفسها ومعها بطبيعة الحال كتابتها، ولقد أبدع الأمازيغي الكتابة العربية عند اعتناقهم الإسلام³.

حيث يتمتع الخط العربي برمزية خاصة في الحضارة العربية الإسلامية، فهو تعبير حتى عن هوية الأمة الإسلامية، لدى لم يقتصر تطوير الخط العربي على عنصر العرب وحدهم، بل أسهمت أغلب الشعوب الإسلامية في هذه المهمة بما فيهم الأمازيغ⁴، فقد سجلوا إبداعات رائدة، لدى ظهرت نماذج محلية للخط العربي

1- صلاح الدين المنجد، ص: 13.

2- نفسه، ص: 19.

* - ظلت مملكة الانباط قائمة من العصر الهليني الي سنة 106م، حيث هزمتهم الرومان واستولوا على مساحتهم حيث أن الجانب المادي دمر من طرف الرومان لكن الجانب الثقافي ظل متواجدا وهذا ما يجلنا إلى الشيء نفسه الذي حدث للحضارة القرطاجية في الحرب البونيقية الثالثة حيث هي الأخرى دمرت ماديا من طرف الرومان لكن بقيت اثارها الثقافية متواجدة لدي الأمازيغ.

3- عبد الفتاح عباده، الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق، مطبعة هندية بالمونكي، مصر، 1915م، ص: 74.

4- عمر أفا، محمد المغراوي، الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م، ص: 25.

ودليل ذلك مرونة الخط العربي وقابليته الغير متناهية للتطور والتكيف مع مختلف البيئات الإسلامية بما فيها الأمازيغية.

لقد انتشر الخط العربي ببلاد الأمازيغ¹ بالموازاة مع انتشار تعاليم الإسلام منذ القرن الهجري الأول، وأقبل الأمازيغ على تعلم الخط بموازاة إقبالهم على حفظ القرآن الكريم، لقد تضافرت عدة عوامل² ساعدت على الاهتمام بالحرف العربي وتحسين أوضاعه لدى الأمازيغ، نذكر منها:

1- حماسهم الديني.

2- ارتباط الخط العربي عندهم بقداسة القرآن الكريم.

3- من الناحية الثقافية تعريبهم وانخراطهم في الثقافة العربية الإسلامية.

4- استعمال الخط العربي في التحصيل العلمي.

5- استعمال الخط العربي في الإدارة ومسألة تعريب الدواوين.

6- الحاجة الاجتماعية والثقافية الماسة للكتابة والخط،، بحكم غياب كتابة محلية عند الأمازيغ في فترة

الفتوحات الإسلامية حيث أن حروف تيفيناغ³ كانت قد اندثرت ولم تستعمل من طرف الأمازيغ.

وبالتالي فاللغة الأمازيغية كانت أكثرها شفوية منها كتابية، أما استعمال الكتابة اللاتينية فظل محدوداً

بوجود الليمس الروماني والتحصين البيزنطي، ولذلك كان الحرف العربي مرشحاً قوياً ليتبناه الأمازيغ، فأصبح

خطهم وأبدعوا فيه، وكتبوا به تراثهم باللغتين العربية والأمازيغية⁴ على حد السواء، ومنه سنوجز تطور الخط العربي

في بلاد الأمازيغ حسب ما ذكره محمد المنوني "الغالب أن الخط المغربي كان في أول الأمر مطبوعاً بطابع

1- عمر أف، محمد المغراوي، الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق، ص: 29.

2- نفسه، ص: 29.

3- نفسه، ص: 29.

4- نفسه، ص: 30.

شرقي محض تأثرا بكتابة الفاتحين العرب بما فيهم الإمام إدريس الأول وحاشيته المشرقية، ثم أخذ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معا في هذه الفترة بالقيروان¹. وبالتالي نستخلص أن الأمازيغ تأثروا بالعرب الفاتحين، فقد كان الخط الحجازي والكوفي هما الأصل في تطور الخط العربي ببلاد الأمازيغ، وقد تأثر الخط الكوفي العراقي في كتابة أهل إفريقية فنتج عنه الخط الكوفي القيرواني، وبهذا تطور هذا الأخير ليتولد عنه الخط الإفريقي.

حيث يوجد في بلاد الأمازيغ أربعة أنواع² من الخط المغربي وهي:

- الخط تونسي: يشبه كثيرا الخط المشرقي غير أنه يتبع التنقيط، تكتب القاف بصورة الفاء (ف) والفاء بصورتها لكن التنقيط من الأسفل (ف).

- الخط الجزائري وهو على العموم حاد ذو زوايا.

- الخط الفاسي: يمتاز باستدارته هذا الأخير تفرع

- الخط الكوفي المغربي³: خط الثلث المغربي، الخط المبسوط، الخط المجوهر، الخط المسند أو الزمامي.

ومن كل هذه العجالة لزم ذكر أعلام الأمازيغ الذين برعوا في النسخ وقد ظهوروا في فترة المرابطين، يحيى

بن محمد، بن عباد اللخمي⁴، أبو بكر بن تقسوط، زاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي⁵، أما في

عصر الموحدين فمن أشهر النساخين عتيق بن علي الصنهاجي المكناسي⁶، محمد بن حريز المعروف بابن

1- لمزيد من التفاصيل، راجع محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2، الرباط، المغرب، ط1، 1991م، ص: 17.

2- عبد الفتاح عباده، ص: 79.

3- عمر أفا، محمد المغراوي، ص: 36.

4- يحيى بن محمد بن عباد اللخمي كان وراقا لعلي بن يوسف المرابطي بمدينة مراكش، راجع محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 22.

5- نفسه، ص: 22.

6- عتيق بن علي الصنهاجي المكناسي المتوفى عام 595هـ راجع محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 34.

تأخيمست¹، وقد برعوا في الخط المغربي حيث يعرفه عبد الفتاح عباد "الخط المغربي هو من أهم أنواع الخطوط العربية وأقدمها عهداً وأكثرها انتشاراً فهم منتشر الآن في جميع أنحاء إفريقيا الشمالية (غير مصر ويقصد بلاد الأمازيغ)"².

ونستخلص مما سبق ذكره أن تبني الأمازيغ للخط العربي وإبداعهم فيهم حتى وجد خط باسمهم لدليل على انعكاس عوامل تعريب الأمازيغ.

رابعاً: ظاهرة الأشراف.

1) تطور الأنساب في الإسلام:

لقد وجد علم الأنساب في شبه الجزيرة العربية منذ فترة ما قبل الإسلام، حيث تجلّى في اعتزاز العرب بنسبهم وملازمة الافتخار بانتمائهم القبلي، ورغم أن العرب تخلو على أوثانهم وأصنامهم لصالح الديانة الإسلامية، ونبذوا بعض العادات التي كانت مخالفة لروح الإسلام، إلا أن عادات ومآثر أخرى ضلت ملازمة لمجتمعهم الجديد³، ومن بينها التفاخر بالانتساب القبلي، وهذا راجع لعدة أسباب⁴ نذكر من بينها:

1- الفتوحات الإسلامية أنجزت باعتماد على القبائل وليس على يد جيش موحد محترف خاصة في مرحلة الفتوحات الأولى.

2- أحقية الفاتحين الأوائل بشرعية الأرض المفتوحة خاصة عنوة.

3- المعسكرات الأولى خاصة في عهد بن عمر بن الخطاب وجدت على أساس قبلي.

1- توفي عام 608هـ وكتب المصاحف بيده وجرت العادة أن يهديها للمحتاجين محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 35.

2- عبد الفتاح عباد، ص: 72.

3- أنطوان خليل ضوامط، ص: 65.

4- نفسه، ص: 66، ص 67.

4- لقد شكلت قبيلة قريش العمود الفقري في المراكز القيادية بتأسيس الدولة الأموية، وبهذا أوجدت الصراعات بين الأسر القرشية على القيادة والقرار السياسي مجالاً رحباً للاستعراض شجرة الأنساب سواء شفويًا أو مكتوباً.

5- مع وجود الدواوين خاصة وعند استحداث ديوان العطاء للجند أصبح علم الأنساب له أهمية خاصة حيث اكتتبت فيه العرب طبقة بعد طبقة بدأ بأهل الرسول ﷺ إلى بنو هاشم، فالصحابة وهذا تبعاً للأسبقية في الإسلام مما جعل من التفاضل والتفاخر من ركائز المجتمع في صدر الإسلام.

6- ساهم الأمويون في العناية بعلم الأنساب بحكم تعصبهم للعرب، وبهذا ظهر التيار الشعوبية الذي خدم تطور الأنساب بطريقة غير مباشرة فكلما أعاب التيار الشعوبية على العرب ردت هذه الأخيرة بزيادة العناية بعلم الأنساب مع التباهي بالحسب والنسب الماضي، وهذا باعتماد على منهج التراجم خاصة في القرن 3هـ.

(2) مصادر الانساب عند الأمازيغ:

من الواضح ان الأمازيغ لم يهتموا بتدوين انسابهم قبل الإسلام؛ لكن يُعتقد ان أول من وضع مؤلف في انسابهم كان في فترة بعد فتح الأندلس مباشرة ويذكر بهذا الصدد محمد المنوني "والمغرب الأقصى... يعتبر أهله من السابقين - في قطاع الغرب الإسلامي - للكتابة في مادة الأنساب، وذلك ما يحتفظ بقصته مؤلف كتاب الأنساب الذي ألفه صالح بن عبد الحليم"¹ ويضيف أن مؤلفه المجهول* يذكر "لما فتح طارق بن زياد جزيرة الأندلس وسكن فيها مع إخوانه من البربر، فسكنوا فيها وتزوجوا، فدخل عليهم علماء التابعين

1- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الي نهاية العصر الحديث ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 1983م، ص: 18.

* - ويقصد هنا ان صالح بن عبد الحليم ينقل عن كتاب قديم وضعه مؤلف مجهول الكتاب مفقود لكن كتاب صالح بن عبد الحليم موجود على شكل مخطوط في الخزانة العامة رقم 1275ك.

فقالوا لهم من أنتم؟ قالوا لهم: نحن قوم من البربر جئنا برسوم الجهاد، ونحن أجناس مختلفة، فقالوا لهم ظلمتم أولادكم الذين ولدتم هاهنا، يكبرون ولا يعرفون أنسابهم، فبعثوا جملة من فقهاءهم حتى وصلوا إفريقية، فاجتمعوا مع ذي السن منهم، فكتبوا لهم ذلك الكتاب¹؛ وهكذا يتبين لنا من خلال النص ما يلي:

1- أول كتاب مختص في انساب الأمازيغ جمع من طرف بعض العلماء من التابعين أي من العرب.

2- اعتمد على تدوين الانساب الشيوخ الطاعنين في السن من مواطنهم أي من إفريقية الجانب الشرقي لبلاد الأمازيغ.

3- كتاب الانساب وجه إلى أمازيغ الذين استقروا في الأندلس وكان أصلهم من إفريقية أي بعبارة أخرى القسم الشرقي من بلاد الأمازيغ أي معظمهم من قبائل زناتة الذين سبقوا إخوانهم من الأمازيغ في اعتناق الإسلام وهذا ما يفسر أنهم كانوا الأغلبية في جيش طارق بن زياد.

4- أول من اشتغل بموضوع الانساب، فقهاء الأمازيغ حيث سيتتبع التأليف فيه من طرف الأمازيغ والعرب على السواء، حيث نجد أن كتاب جمهرة انساب العرب لابن الحزم* رغم انه دون أنساب القبائل العربية الثلاثة عدنان، وقحطان وقضاعة، إلا أنه ألحق ذيولاً من بينها جمهرة نسب البربر، وبيوتات البربر بالأندلس، و يذكر محمد المنوني فيما يخص هذا المصدر "فترد به أخبار مفيدة وان كانت قليلة عن تاريخ إفريقية الشمالية في العصر الوسيط وابن خلدون نفسه يعترف بأخذه عن ابن حزم فيما يرجع للأنساب الأمازيغية"²، ومن خلال المقارنة التي قام بها محمد منوني³ أن ما أسماء كبار النسابين الأمازيغ ثلاثة تناقلت المصادر أسماءهم وهم: سليمان بن إسحاق المطمطي، هاني بن يصدور الكومي، وكهلان بن أبي لؤي الأوري.

1- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث ج 1 ص: 18.

* - على بن أحمد بن سعيد المعروف بابن حزم المتوفي عام 456هـ - 1064م. ابن الزيات ص 55

2- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث ج 1، ص: 23.

3- نفسه، ص: 27.

وبعدها توالت المصادر المختصة في أنساب الأمازيغ ونذكر على سبيل المثال: المقتبس في كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لأبي بكر بن علي الصنهاجي الملقب البيدق¹، ومن المعلومات المتوفرة حول هذا المصدر نصفه قد ضاع والمتوفر تبدأ مقدمته بالوعد من الغرور بالنسب، ثم يذكر نسب بن تومرت وكذا نسب عبد مؤمن بن علي، ثم نسب أصحاب المهدي بمصر وبلاد المغرب، ومهما يكن فإن إشكالية المصادر والأنساب إشكالية يطول شرحها خاصة أنها مرتبطة بشرعية الحكم وهذا ما سيتم شرحه في العنصر الموالي.

(3) الأنساب عند الأمازيغ:

وكان لا بد من هذا المدخل لناقش إشكالية النسب وتداعياتها من تعريب للنسب وقضية الإشراف، وبالتالي وجدت ما يسمى جاذبية الأصل² بشنائيتها (المشرق، المغرب) حيث يمثل كل من بلاد الأمازيغ والمشرق المرجعية الأساسية لانتساب القبائل المنتشرة في بلاد الأمازيغ، ويتجسد الانتساب الحقيقي والوهي إلى المشرق في شجرة النسب الراجعة إلى الخلفاء الراشدين، أما الانتساب إلى الرسول الله ﷺ فيتجسد إلى المغرب الأقصى من الأدراسة، وهنا إشكالية الإشراف ليتلقى هذا الانتساب في عناصر مجتمعة (شرف الانتساب إلى الرسول الله ﷺ والانتماء الديني وكذا الانتماء الإثني).

ومنه فتعريب الأنساب الأمازيغية يأتي منطقياً بعد اكتمال الفتح لبلاد الأمازيغ أي خلال القرنين (2 و3هـ) (8 و9م)، وعليه فان مسألة إلحاق الدموي للأمازيغ³ هي مسألة تاريخية قد تطورت نحو التعقيد والشمولية⁴، فابتداء من القرن الثاني للهجرة (8م) بدأت عمليات "الربط" بين العرب والأمازيغ في جميع الأصعدة، وبالتالي كان لا بد أن يروض إن صح التعبير الأمازيغ ليس عسكرياً، فهذا لم ينجح بحكم الهزائم

1- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الي نهاية العصر الحديث ج1، ص: 43.

2- محمد نجيب بوظالب، ص: 107.

3- هاشم العلوي القاسمي، ص: 220.

4- نفسه، ص: 226. - راجع أيضا محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 120.

المتتالية للعرب عند الفتح وإنما جينالوجياً*، فنذكر مثلاً نسب كتامة وصنهاجة الذي رُبط بإفريقيش بن قيس صيفي، ومعلوم أن هاتين القبيلتين لعبتا دوراً سياسياً مهماً أثناء الفترة الفاطمية والصنهاجية، هذا من جهة العرب، أما من جهة الأمازيغ فقد انعكس عليهم التعريب بأنهم أنفسهم تعربوا ليس لغوياً فقط، وإنما جينالوجياً، ومنه فإن هؤلاء الأمازيغ الذين سوف يبدعون في شجرة الأنساب التي تربطهم بالعرب أول ما ارتبطوا بالعرب كان عن طريق الولاء الذي كنا قد فصلنا فيه في الفصل الأول، وهذا الربط الجينالوجي سيمنح للأمازيغ عدة تحفيزات، نذكر منها:

(1) يمنح للأمازيغ شرعية المشاركة في الحياة السياسية.

(2) الصعود في السلم الاجتماعي.

(3) شرف الانتساب إلى العرب خاصة في فترة الدولة الأموية التي كانت عماد حكمها الافتخار

بالأصل العربي.

كما سبق أن رأينا في مقدمة هذا العنصر، وبذلك انتحال شجرة تربطهم بالعرب سوف تخرجهم من مأزق الشعور بالنقص والاحتقار، وسنورد مثال نموذجي لما وصل إليه الأمازيغ من إنكار للذات، هو موقف الفقه القيرواني "البهلول بن راشد الحجري الرعيني"***، حيث يذكر المالكي¹: "وذكر عنه رحمه الله تعالى أنه صنع طعاماً وأحضر له جماعة من أصحابه، فقالوا: يا أبا عمرو، لم صنعت هذا الطعام، وليس عندك شيء يصنع لأجله الطعام؟ فقال: أي كنت خائفاً من أن أكون من البربر، لما جاء فيهم من الحديث، فسألت عن أصلي من يعلمه فأخبرت أي لست من البربر فأحدثت لذلك هذا الطعام شكراً لله عز وجل، إذ لم أكن

* - علم النشأة والتكوين. أو بمعنى آخر الأنساب أو تنقسم الكلمة إلى قسمين لوجي logie تعني العلم و جيئي Gnea وتعني المنشأ أي علم النشأة و التكوين الأجيال السابقة.

** - (128هـ-183هـ). الفقيه بملول ذكرت ترجمته في الطبقة الثالثة بمعني الجيل الثالث في المالكي، رياض النفوس، ص: 200-214.

1- نفسه، ص: 209، 210.

من البربر" وقد حلل الكثير من المؤرخين المعاصرين¹ ظاهرة إنكار الذات للأمازيغ والتي أخذت أبعاد شمولية بمعنى الأكثر، وهذا لم يحدث في الوافد الأجنبي سواء الرومان أو الوندال، أو البيزنطيون الذين حددوا للأمازيغ مواقع لهم، وحصنوا أنفسهم في قلاع، وهذا لم يحدث عند مجيء العرب الذين لم يتخذوا حصوناً، إضافة إلى العامل الديني الذي هو أكثر تأثيراً ألا وهو الدين الإسلامي ويقدم أحمد عصيد² تحليلاً للمعطيات السابقة التي أوردتها مصادر التاريخ الإسلامي بأن تأسيس السلطة السياسية في الإسلام لم يكن على قاعدة دينية صرفة، لقد كان العامل الديني حاضراً بدون شك، لكن لم يكن الوحيد خلال سيرورة التاريخ الإسلامي فقد قدم الأنصار سبباً دينياً في ظاهره يبرر أن يكونوا الخلفاء الشرعيين للنبي محمد ﷺ وهو أنهم ناصروه عندما أذوه قومه، وبفضلهم "دانت العرب للإسلام" غير أن المهاجرين من قريش قدموا سبب آخر هو أنهم "أهله وعشيرته، وقد فرض هؤلاء إرادتهم لتأسيس الخلافة بعد فترة خلفاء الراشدين على العصبية العربية، ولقد استطاع بنو أمية إنهاء السلطة السياسية لصالحهم بعد صراع سواء عسكري أو فكري، هذا الأخير أعطى مفاهيم العصبية القبلية القرشية على شكل اجتهادات الفقهاء خاصة منها الحديث وهذا بإقحام عدد هائل من الأخبار الموضوعة التي تشيد بقريش وتعطيها الصدارة في الأنساب والإمامة³، وهذا ما شكل ملامح شخصية العربية التي تنحدر من الأشراف* قطبها الأساسي قريش⁴.

هذه المقدمة ستقودنا إلى فهم ما وقع في بلاد الأمازيغ خاصة العنصر الثاني من إشكالية الجينالوجيا

لدى الأمازيغ وهي إشكالية النسب الشريف وقدسيته، حيث يذكر ألفرد بال "ومن تم صارت صفة الشريف

1 - هاشم العلوي القاسمي، ج1، ص: 227، ألفرد بال، ص: 220، محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، ص: 120-121.

2- أحمد عصيد، ص: 23.

* - الشريف مفرد جمعه الأشراف من هم من أهل البيت سواء من ذرية سيدنا محمد (ص) أو من قبيلة قريش بصفة عامة.

3- أحمد عصيد، ص: 28.

4- نفسه، ص: 29.

وما كان لها سحرها عند البربر وإنما منذ مغامرة إدريس في القرن السابع الميلادي لقبا هاما حتى أن معظم رؤساء الفرق الصوفية والصوفية العاديين ادعوا أنهم من الأشراف¹ وقد وجدت ظاهرة مكملة للأولى متمثلة ادعاء النسب الشريف بعدما كان في الأول ادعاء النسب العربي عامتا، إلا أن تطور الظاهرة الأولى أوجد إشكالية ادعاء النسب الشريف، وبهذا فقد وظف ففتان من الأمازيغ إشكالية الإشراف لسببين هما:

1) علماء الدين (الفقهاء): اختص بهذا علماء الدين بغرض إضفاء هالة من قداسة حول ذاتهم وقد أورد ألفرد بال عدة أمثلة، وتأخذ على سبيل المثال لا الحصر "وخلال القرن 15م ادعى النسب الشريف عالم التوحيد البربري محمد السنوسي، الذي لم يكن من الممكن جعله ينحدر من نسل النبي من جانب أبيه فأوجد نسبا شريفا من جانب أمه"².

2) رجال السياسية والحكم: بغرض الظفر بالسلطة والإمامة أي الفوز بهما، وبذلك إضفاء الشرعية على حكمهم وعلى سبيل المثال لا الحصر شخصية المهدي بن تومرت المؤسس الروحي لدولة الموحديين، حيث انتحل أنساباً³ غير أمازيغية⁴ كي يتسنى له مشروعية الحكم*. كما يرجع العربي عقون "في هذا المجال يشير الأنتروبولوجيون أنه يمكن أن نجد أمازيغ خالصاً من جهة الآباء إناثا وذكورا، ولكن لا يمكن أن نجد عرب خالصا لأن الأنساب اختلطت بالمصاهرة، أما العائلات المرابطية فقد ثبت بأنها عائلات أمازيغية، وما النسب الشريف التي يلوح به أبنائها إلا نسب روحي في أحسن الأحوال وهو رد فعل على الأعراب -

1- ألفرد بال، ص: 422.

2- نفسه، ص: 423.

3- فرج نجم، ص: 118.

4- لمزيد من تفاصيل حول نسب المهدي بن تومرت والتضارب الذي وقع فيه. راجع عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وتورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص: 24، 30.

*- مازال احترام وتبجيل الأمازيغ بنسب الإشراف قويا لحد يومنا هذا، خاصة أن هذه الظاهرة نجدها في الجانب الغربي من بلاد الأمازيغ لما ترتبط بمجئ إدريس، وبالتالي مكوثه في المغرب الأقصى كما أن ظاهرة الإشراف لا ترتبط فقط من سلالة سيدنا محمد ﷺ أي من أولاد علي وفاطمة رضي الله عنهما، وإنما كانت كذلك ظاهرة الإشراف هي المرتبطة بسلالة أحد الخلفاء الراشدين. راجع ألفرد بال، هامش 01، ص: 423.

ويقصد بني هلال وبني معقل وسليم- فإذا استعلى عليهم الإعراب بالنسب العربي رد عليهم المرابطون بالنسب الشريف"¹، ومنه نستخلص أن إشكالية النسب الشريف ما هو إلا انعكاس ونتيجة لتعريب الأمازيغ ورد فعل من طرفهم لعدة أمور سواء للعصبية العربية أو لشرعية الحكم أو رد فعل لاحتياج قبائل الأعراب أراضهم .

خامساً: تعريب الأسماء.

يتفرع هذا العنصر من الإشكالية السابقة، وهي إشكالية النسب العربي، مسألة أخرى متمثلة في مسألة تعريب الأسماء الأمازيغية التي بدأت منذ الفتح الإسلامي، وقد نجد في أسماء الأمازيغ أنفسهم أو أسماء القبائل الأمازيغية أو مسألة المدن المؤسسة منذ الفتح الإسلامي، فالمسألة مرتبطة في نهاية الأمر تابعة للسلطة العربية الإسلامية². حيث أنه من المعلوم أن التطور الديني هو الذي قضى على اللاتينية³، لأن التعريب كان ملازماً لاعتناق الإسلام لدى الأمازيغ، كما أن اللاتينية والمسيحية كانتا مرتبطتين بالكنيسة الإفريقية، وبالتالي من الطبيعي اندثار اللاتينية لدى الأمازيغ ومن الطبيعي أن تحتل أسماء عربية محل الأسماء اللاتينية، وكذا من الطبيعي أن القيروان بأحيائها تحمل أسماء عربية خالصة كرحبة القرشيين، الأنصار... إلخ بحيث ان مؤسسها عربي الأصل وهو عقبة بن نافع لكن المثير للاستغراب أننا وجدنا أسماء عربية في تيهرت، فاس، سجلماسة، ناكور، رغم أنها تأسست في أرض أمازيغية⁴.

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، هامش 50 ص: 31.

2- هاشم العلوي القاسمي، ج 1، ص: 228.

3- جورج مارسيه، ص: 53.

4- عبد العزيز غوردو، ص: 79.

وكذا أسماء قبائل أمازيغية قد تشتق من أفعال عربية¹، فعلى سبيل المثال نجد تفسير اسم قبيلة "هواره" من فعل تهور، و فيما يخص هذه الإشكالية فقد أورد صدقي على أزايكو² عدة فرضيات فيما يخص معني أسماء القبائل مصمودة* وزناتة** وصنهاجة*** والتي أكد أنها أمازيغية الأصل إلا أنها عُربت، وعليه فإنه لمعرفة إشكالية تعريب الأسماء الأمازيغية ودراستها دراسة منهجية لزم استحضار علم الطوبونيميا (Toponymie)³ الذي يهتم بدراسة أسماء الأماكن وتحليلها وفق أصولها اللغوية وموقعها الجغرافي (علم الإعلام الجغرافية أو الأماكنية)، ويذكر هشام جعيط بهذا الصدد "لا بد من أن يعرف المشهد الجغرافي والبشري عديد التحولات، فالمدينة العربية ليست مدينة العهد القديم، ونفس الشيء بالنسبة إلى الزي الشرقي الذي

1- هاشم العلوي القاسمي، ج1، ص: 228.

2- صدقي على أزايكو، التأويل التسيي (الجنينالوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ ص: 26-32

* - رغم أن بوزياني دراجي، القبائل الأمازيغية، ج2، ص: 182 يرجع قبيلة مصمودة هي من البرانس ويرجع أصلها إلى "جدهم الأكبر مصمود بن يونس بن بربر"، إلا أن صدقي على أزايكو، التأويل التسيي (الجنينالوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ ص26 ص28 يؤكد ان الانساب وهمية لارتباطها بالعرب، وأن الكلمة أمازيغية ويورد ثلاث فرضيات (1) مصمود مركبة من مَس+مَد =الشخص المكلف بحراسة القطعان (2) أمصمود مشتقة من أمزَمُود بتفخيم الزاي ايز=غرس أو زرع أمد =البذور (3) أمصمُود = أمزَمُود = أمز+أمد+أمز = الشخص الذي يحتفظ بالبذور.

** - يرجع أغلب النسابة قبيلة زناتة إلى البتر وأصلهم من جدهم الأكبر زانا او جانا او شاننا بطن من بطون ضريسة راجع بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج 1، ص: 154، في حين يرجع صدقي على أزايكو، التأويل التسيي (الجنينالوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ ص: 28، 29 يرجع أصل الكلمة عند تحيلها الي فرضيتين (1) زناتة محرفة عن كلمة أزنَّت في المفرد إزنَّتْ في الجمع = أزن+أئن =الذين يبعثون نعاجمهم إلى المراعي أي تربية المواشي في الترحال أي البداوة (2) إزنَّتْ = إهنُ حرفت لكلمة إزنُ وإهن تعني الخيام أي الخيام الكثيرة

*** - صنهاجة من البرانس يذكر بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، ج2، ص: 54، 55 "إن مصادر التاريخية لم تتوصل الي حقيقة نسبهم بتر ام برانس.. وجاءت هذه السلسلة هكذا صنهاج بن عاميل " أما صدقي على أزايكو، التأويل التسيي (الجنينالوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ ص29 صنهاجة تحريف كلمة أمازيغية إيزنَّاكنُ = إزنُ(تحريف لكلمة إهنُ = الخيام) او يمكن للكلمة ان تكون مركبة أزن عن كلمة أكن وتعني الذين يقومون بعمليات عسكرية.

3- لمزيد من المعلومات حول علم الطوبونيميا (Toponymie) راجع كتاب محمد بن حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول الي تاسع هجري دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا ط1، 2004م، ص: 09-11، حيث يشتق منه علوم معرفية أمثال الموقعية toponomie والعلمية anthroponomie والطوبوغرافيا التاريخية topographie historique ودراسة المشهد paysage

اختلف كلياً عن الزي القديم، ويمكن أن تساعدنا الدراسة التاريخية لأصل الأسماء (الطوبونيمي) على فهم

سريع لتعريب أسماء المدن والمناطق¹ لكن نجد أننا أمام منهجية صعبة بحكم عدة عوامل نذكر منها:

- تعاقب الدول على بلاد الأمازيغ، وبالتالي تعددت الألسن وتعددت معها الأسماء بمختلف اللغات.
- أكثر العوامل صعوبة أن الأمازيغ أنفسهم لم يدونوا أسماءهم في كتابات، وإنما الأسماء تداولوها شفوية ومع مرور الزمن ضاعت واندثرت، بضياح الرواية الشفوية.

وبعبارة أخرى جاء التغليف العربي² الذي اجتاحت المنطقة بعد الفتح الإسلامي حيث أنه على طول صفحات كتب التاريخ نبحث عن أسماء أمازيغية، فلا نجد إلا القليل، فعلى سبيل المثال نأخذ مثال قائد أمازيغي انضم إلى جيش حسان في حملته على إفريقية سنة 74 هـ، هلال بن ثروان اللواتي³ أو هلال بن شروان اللواتي، ويذكر حسين مؤنس "لم يرد لهلال اللواتي ذكر في غير ابن عبد الحكم، ولم يوضح لنا هذا الأخير حقيقة أمره، ولكن ذكره هنا عظيم الأهمية فهو يدل على أحد أمرين إما هلال قد أسلم وانظم للعرب، وإما أنه ناصرهم وأخذ جانبهم فوثقوا فيه"⁴، وما يهمنا هنا هو تعريب الأسماء فإسم هلال عربي وأبوه سواء كان ثروان أو شروان واضح أنه أمازيغي، وكذا مثال آخر وهو تعريب المصادر العربية لشخصيات الأمازيغية، فإسم الكاهنة لقب أطلقه العرب عليها بسبب ما اشتهرت به من سحر وشعوذة وتنبؤ بالغيب، ويرجع ابن خلدون لقبها إلى داهيا بنت ماتية بن تيفان فيذكر: "واضطربت إفريقية نارا وافترق البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم، وكان من أعظمهم شأنًا يومئذ الكاهنة داهيا بنت ماتية بن تيفان ملكة جبل أوراس"⁵. وبالتالي فإن الأمازيغ الذين يطلقون على بناتهم اسم الكاهنة فانه اسم ولقب عربي و هكذا فهم معربون بطريقة ما،

1- هشام جعيط، ص: 160.

2- نفسه، ص: 160.

3- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص: 200.

4- حسين مؤنس، ص 238.

5- ابن خلدون، العبر، ج 6، ص: 109.

ويذكر عبد العزيز غوردو "وفاتح الأندلس أسمه طارق بن زياد، ولا نجد الاسم البربري إلا بعد الصعود مع الجينياولوجيا ثلاثة أجيال، فهو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو الورفجومي الزناتي"¹، وبهذا يتساءل أين اختفت الأسماء الأمازيغية؟ يجيب: "واضح أن الذين ولدوا في ظل الإسلام كانوا يحملون تبعاً لذلك أسماء عربية، أما الرجال الكبار الذين أدركهم الإسلام واعتنقوه فلا شك أنهم اقتنعوا عن وعي بما أنهم أصبحوا مسلمين أن يتخذوا أسماء إسلامية أنهم لا ينظرون إليها على أنها عربية، وإنما بوصفها إسلامية تحمل شحنة من الدين الجديد"².

ومنه نستخلص أن تعريب الأسماء الشخصية للأمازيغ هو نفسه اعتناق للإسلام، فالإسلام والتعريب توازيا إذاً، وقد أقام عبد العزيز غوردو³ مقارنة لمجتمع شبه الجزيرة العربية حيث أن الإسلام هَدَبَ الأسماء التي وجدت في الجاهلية، وأضيف إليها جانب ديني وعلى سبيل المثال أسماء تبدأ بـ "عبد" وبهذا أصبحت أسماء إسلامية عربية لكن عروبة ما بعد الدعوة النبوية⁴. وعليه فإن التغليف العربي اجتاحت منطقة الأمازيغ رويداً رويداً، وبدا بذلك اختفاء شبه كلي للأسماء الأمازيغية.

سادساً: تأثيرات العربية في العمران الأمازيغي.

لقد انعكس تعريب الأمازيغ على كل المجالات وبهذا تأثر الأمازيغ بالعمران الإسلامي ومنه العربي وسنأخذ نماذج للجهات الثلاث من بلاد الأمازيغ:

-الجانب الشرقي لبلاد الأمازيغ: سنبدأ بالجزء الشرقي المعروف باسم إفريقية حيث أن التأثير العمراني

بها أكثر من الوسط إذ يذكر جورج مارسيه "وأثبتت إفريقية على أنها مقاطعة فنية للمشرق، متقبلة الطرز

1- عبد العزيز غوردو، ص: 79.

2- نفسه، ص: 79.

3- نفسه، ص: 79-80.

4- نفسه، ص: 80.

الوافدة من القاهرة، بل من الرقة وبغداد"¹ ومن هذا المنطلق سنخوض في جوانب الحضارة الإسلامية المغاربية، وبالتالي معرفة الخصوصيات الفنية والمعمارية لبلاد الأمازيغ التي استوحيت من العرب جوانبها ولهذا يضيف جورج مارسيه "انطبت مدن افريقية بطابع الحكام المسلمين، وتأثرت بهم تأثراً ملموساً، حيث تعاقب الخلفاء والسلطين والأمراء من اغالبة وفاطيون وبنو زيري و ساهموا جميعهم في جعل البلد نشيطاً ومزدهراً"² بمعنى ساهموا جميعاً بطبع افريقية بطابع عمراي عربي محض اذ ان السياسة الدينية للأمراء كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذا النشاط العمراي والدليل جوامع ومساجد القيروان، حيث أن "تخطيطها مستلهم من تخطيط المساجد في شبه الجزيرة العربية حيث تعدد الصحن وسعة الفناء تماثل الطراز العربي الأول اما المكان وشكل المأذنة يرجع إلى الأصل السوري اما الركائز و تخطيط الاقواس والاسقف فهي على الأرجح من اصل مصري أما هيكل القبة فيعود إلى الطراز العراقي...والخزف ذو انعكاس المعدني الموجود الان بمسجد القيروان الكبير يوضح لنا مجال الفنون الصغيرة..المستوردة من بغداد.. كما أن أجمل الألواح الخشبية المنحوتة بالمنبر ترجع إلى أسلوب النحت في العراق، ويصح بذلك هذا الأثاث - يقصد المنبر - ابداع يمثل فيه عدة عهود وعدة أقاليم للعالم المشرقي.. أو بتعبير اخر فهو وثيقة لا مثيل لها تساعدنا على فهم ميلاد الفن العربي الإسلامي ببلاد الأمازيغ"³، وبهذا طبعت افريقية بطابع الفن الإسلامي خاصة منذ بناء القيروان وهذا طبيعي بحكم ما سُرد سابقاً في الأطروحة أن تأسيس المدن بإفريقية كان من طرف العرب، و بهذا سنأخذ نماذج لمناطق من بلاد الامازيغ :

1- جورج مارسيه، ص: 216.

2- نفسه، ص: 343.

3- نفسه، ص: 115، 116 بتصرف.

(أ)- الجانب الأوسط لبلاد الأمازيغ: كنموذج للمغرب الأوسط قلعة بني حماد الذي شيدها الصنهاجيون، وهؤلاء مرتبطون بموضوع بحثنا، حيث أن إفريقية غالباً ما كانت السلطة فيها عربية، والعرب الوافدون على بلاد الأمازيغ هم من يقومون بتأسيس المدن وتخطيطها والأمر عادي لأنهم سيستلهمون من بيئتهم وبهذا يشجعون الجانب العمراني العربي الإسلامي لكن بني الزيري هم من قبيلة أمازيغية صنهاجة ومدنهم بما فيها قلعة بني حماد تعتبر تأثير العمران العربي الإسلامي في عقلية الأمازيغ خلال فترات الدول الإسلامية الأمازيغية ويذكر جورج مارسيه " ان قلعة بني حماد تعطينا فكرة عما كانت عليه مباني بني الزيري .. و يتضح تأثير مصر، وما بين النهرين العراق في التخطيطات، والنسب الفسيحة، وفي الواجهات المزودة بالمشابك والممتدة من القاعدة إلى القمة"¹، وعليه ما يفسر هذا أن الأمازيغ أنفسهم لم يكن لهم مدن بالمفهوم المتعارف عليه، ومنه استوحوا مدنهم من العرب، لكن لماذا لم يستوحوها من الرومان أو البيزنطيين؟ الجواب بسيط، إن هؤلاء لم يكن بينهم وبين الأمازيغ احتكاك إلا التصادم عكس العرب تماماً.

(ب) - الجانب الغربي لبلاد الأمازيغ:

أما الجانب الغربي لبلاد الأمازيغ فقد تأثر هو الآخر تأثراً كبيراً بنموذج العمران للفن الإسلامي العربي بحكم ثلاث عوامل:

- (1) تأثير العرب الفاتحين.
- (2) تأثير الأندلسيين الذين يعتبرون نموذج لتعريب العمران الأمازيغي في الجهة الغربية.
- (3) قرب المسافة بينهما أي الأندلس والجانب الغربي لبلاد الأمازيغ.

1- جورج مارسيه، ص: 216.

أما نموذج لمدينة ذات معالم عربية إسلامية فتعتبر مدينة فاس النموذج الإسلامي العربي الأمثل حيث أنه لا غرابة في ذلك بحكم مؤسسها ادريس و تعتبر أول مدينة إسلامية¹ عربية ذات سلطة و طراز عربي في جانب الغربي لبلاد الأمازيغ ولقد أسس إدريس وأبناؤه عدة مساجد وسأخذ كنموذج مسجد ادريس (تلمسان) لم يبق لمسجد إدريس² إلا الأطلال من معذنته بتكررات³، وبالتالي أساس مدينة فاس هو الفن الإسلامي العربي، وبهذا عند بناء جامع القرويين⁴ تجسد عمرانها على أنه نموذج للعمارة الإسلامية العربية مع بعض الخصائص، ونستشهد بما ذكره عبد الهادي التّاري "وإذا ما رفعت بصرك إلى أعلي القبة شاهدت مجموعة من اللوحات الفنية الرائعة التي تحتوي على عدد من الآيات والكلمات، فيها ما نقش بالخط الكوفي أو بالخط النسخي، و فيها ما هو عي شكل أقواس .وبها ما هو على شكل مربعات،.. وهناك نجد لوحات تحمل كلمات: الحمد لله، الشكر لله، العزة لله، اليسر لله، الله أكبر"⁵.

وبهذا نستخلص من خلال ما ذكر سالفًا تأثر الأمازيغ بفن الحضارة العربية الإسلامية بحكم أنها أول حضارة حملت لواء نشر الإسلام وهذا من خلال المدن التي أسست من طرف العرب الفاتحين أمثال عقبة بن نافع وغيره مما ذكروا سالفًا في الاطروحة وتجسدت العمران في الاعتناء أولاً ببناء المساجد التي تعتبر نموذج للعمران العربي في بلاد الأمازيغ، وقد أوردنا ثلاثة نماذج في ثلاث مناطق مختلفة من بلاد الأمازيغ.

1- سالم عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2009م، ص:13.

2- عبد الهادي التّاري، ص: 44.

3- يقصد بها تلمسان وهي كلمة أمازيغية تعني القاعدة العسكرية راجع عبد الهادي التّاري، المجلد الأول، هامش رقم 08 ص: 51.

4- لقد تم التعرض الي تأسيس جامع القرويين في الفصل الأول عنصروا العوامل تحديدا دور المساجد في تعريب الأمازيغ. ولمزيد من المعلومات حول التاريخ العمراني لجامع القرويين عبر مختلف فترات التاريخية راجع عبد الهادي التّاري، جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري بمجلداته الثلاث من الادارسة الي العلويين مع العلم ان المؤلف أخذ جائزة المغرب للكتاب سنة 1973م لما يحتويه من معلومات قيمة حول تطور الجامع.

5- نفسه، ص: 71.

(II) انعكاسات عوائق التعريب الأمازيغ:

منذ أن وطأ العرب أرض الأمازيغ وجدت تحولات جذرية في المجتمع وأعتبر الفتح العربي الإسلامي نقطة تحول حيث أوجد مجتمع أسلم كله لكن لم يتعرب كله بل تعرب معظمه ولقد تطرقنا فيما سبق في الفصل الثالث إلى العوائق التي حالت دون تعريب كل الأمازيغ، وعليه لزم ان نستقصي اثار هذه العوائق أي بعبارة أخرى معرفة انعكاسات عوائق التعريب على المجتمع الأمازيغي بعدما تعرفنا اعلي انعكاسات العوامل.

(1) ظهور أديان أمازيغية لمناهضة التعريب في بلاد الأمازيغ.

لقد عرفت بلاد الامازيغ العديد من الحركات المناهضة للحكم العربي، وتطورت هذه الحركات لتكتسي صبغة دينية منحرفة بذلك عن الإسلام ومن اهم هذه الحركات ذات الصبغة الدينية التي تجاوزت في الكثير من الأحيان الدين الإسلامي: الديانة البرغواطية (ابتدعها صالح بن طريف)، الديانة الغمارية¹ (ابتدعها حاميم الغماري منطقة الريف)، ديانة عاصم، نواحي تلمسان مؤذن ادعي النبوة² لكن سنكتفي بالتركيز علي برغواطة لاهميتها و طول مدتها و إشكالية صدها للتعريب.

أ- ظاهرة برغواطة: لن نخوض في ظاهرة برغواطة شرعياً، وإنما سوف نقوم بدراستها من ناحية تكون الفكر البرغواطي بصفته إيديولوجية جديدة تولدت عن طريق الاحتكاكات الثقافية مع الشرق، وفي نفس الوقت لعب دوراً عائقاً في وجه التعريب ويعتبر المجال البرغواطي مجالاً أمازيغياً بامتياز، وهذه الفكرة هي التي أجمع حولها الباحثون لكن تشكل الدعوة البرغواطية، ودولتها حالة فريدة من نوعها، حيث اختلفت آراء الباحثين حول هويتها وعقيدتها، وكل هذه الآراء أخذت من مصدرين فقط، ابن حوقل³ والبكري هؤلاء عايشا الفترة التي نود

1- لمزيد من المعلومات راجع عبد القادر بوعرفة، معجم الفرق و النحل، ص44، ص45

2- حسن جلاب، ص14

3- ابن الحوقل، صورة الأرض، ص: 82-83.

دراستها، ولكن المصدر الأكثر إقناعاً هو ابن حوقل، بحكم زيارته للإقليم* . وكذا إقامته قريباً منها، أي أنه تواجد في سجلماسة، أما البكري فلم يتواجد في الإقليم، بل تواجد في الأندلس، وأخذ معلومات من الروايات الشفوية المتداولة.

- التسمية:

اختلف المؤرخون حول كل ما يخص دولة برغواطة، أصلها، ديانتها، مؤسسها بما فيها الاسم، فموضوعها كان محل نقاش بين المؤرخين سواء القدامى أو المعاصرين، وعليه أثرت التساؤلات التالية: هل هم من قبيلة زناتة؟ أم هم خليط من عناصر أمازيغية؟ أم أنها تسمية لا تمثل قبيلة أمازيغية بعينها؟ المهم أننا مجبرون على الفصل بين الأصل الاجتماعي لبرغواطة كقبيلة أمازيغية، وبين أصل "بني طريف" حكامها الذين أسسوا الكيان السياسي، حيث أن ابن خلدون نفى كلياً أن برغواطة قبيلة من زناتة "وقد يخلط بعض الناس في نسب برغواطة فيعيدهم في قبائل زناتة... وليس القوم من زناتة"¹، ولكن يرجعهم إلى مصامدة حيث يضيف "ويشهد لذلك كله مواطنهم وجوارهم لإخوانهم المصامدة"، لكن الناصري يخالفه الرأي، ويؤكد أن برغواطة لم تكن قبيلة واحدة وإنما أخلاط أمازيغية من عدة قبائل، "برغواطة قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد وإنما هم أخلاط من البربر"²، وبهذا فقد انقسم المؤرخون المعاصرون بين رأيين فتُرحح سحر السيد عبد العزيز سالم تصور أن برغواطة تنسب إلى مصمودة³، أما إبراهيم العبيدي. فيرجح رأي أن برغواطة تكتل لمجموع قبائل أمازيغية حيث يذكر "ويرى البعض الآخر بأنه لم يكن اسماً لقبيلة معينة يجمعها أصل واحد وأب واحد بل كان اسماً

*- من الإنصاف أن نذكر أن ابن حوقل، صورة الأرض، قد زار إقليم تامسنا وعایش البرغواطين وبالتالي اعترف أنهم يدينون بالدين الإسلامي، ص: 83، وهذا ما سنناقشه في عنصر إشكالية ديانة برغواطة.

1- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 434، 435.

2- الناصري، ج4، ص: 16.

3- سحر السيد عبد العزيز، بحوث مشرقية ومغربية في تاريخ الحضارة الإسلامية، ج1، مؤسسة الشباب الجامعي الإسكندرية، مصر 1997م، ص: 536.

لأخلاق من البربر اجتمعوا على شخص يهودي الأصل ادعى النبوة وهو صالح بن طريف بن شمعون البرباطي نسبة إلى الموطن الذي نشأ فيه وهو برباط بالقرب من شريش جنوب الأندلس¹ والأرجح في تصورنا أن برغواطة هي تكتل لمجموعة من القبائل الأمازيغية، تكتلت لتكون قوة في وجه استبداد بني أمية ولتقف عائقاً أمام حركة التعريب.

- المواطن

نشأت دولة برغواطة في إقليم تامسنا²، أما دولتها فامتدت وشملت موضع مدينة الرباط، ويذكر ابن حوقل أن "مدينة الرباط كانت حداً فاصلاً تنتهي عنده عمارة الإسلام"³، حيث اعتبر أن دولة برغواطة تعتمد على الزندقة، وبالتالي هي ليست إسلامية، ويظهر لنا إقليم تامسنا متنوع التضاريس يجمع بين الجبال للحماية والسهول للزراعة، وهذا ما يفسر صمود البرغواطين هذه المدة الطويلة رغم محاولات الإطاحة بهم، أي اعتمادهم على قدراتهم الاقتصادية، وكذا نجد في الإقليم أنهاراً عديدة تزيد عن مائة، وبهذا ساعدت السهول والوديان على جعل الإقليم زراعي بامتياز وعليه نستنتج بأن الظروف الجغرافية ساعدتهم على النحو التالي:

- الجبال: السلاسل الجبلية بالإقليم ساعدتهم على تحصين أنفسهم من الأخطار الخارجية من جهة، والمحيط الأطلسي من الجهة الأخرى جعلت الإقليم محصناً أكثر من كل خطر يحدق بهم.

1- إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب (127هـ/542هـ)، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م، ص: 45.

2- هي أرض تبدأ من موضع مدينة الرباط حالياً، وتمتد إلى تفر فضالة (المحمدية حالياً) التي كانت قاعدة لأسطولها عند أزمور على مصب وادي أم الربيع، وتامسنا كلمة أمازيغية ومعناها البسيط الخالي، وقد أطلقت على المنطقة الممتدة من الرباط إلى الدار البيضاء، وفي أغلب الروايات من سلا إلى أم الربيع وكانت في الأصل مواطناً لزنانة وزواغة. راجع إبراهيم العبيدي، ص: 80.

3- ابن حوقل، صورة الأرض، ص56.

- السهول: إن السهول الموجودة بينهما (الجبال والمحيط) منحت الإقليم الصفة الزراعية بامتياز، وعليه وفر لهم الاكتفاء الذاتي مما مكنهم من الصمود لأكثر من أربعة قرون رغم القوى المعارضة لهذه الدول على مدى هذه القرون¹.

ومنه وما سبق ذكره إن برغواطة واجهت تحد هو الصمود أمام القوي التي أرادت النيل منها، ولهذا فإن ما يهمنا في هذا السياق هو من ساهم في دعم الكيان البرغواطي؟ لقد ارتبطت برغواطة بأحلاف مع مجموعة من القبائل الأمازيغية، تدين بنفس معتقد برغواطة أخرى حافظت على الاتجاه الصحيح للإسلام ويذكر البكري ذلك "إن قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم جراوة، وزواغة، والبرانس، وبنو أبي ناصر، ومنجصة، وبنو أبي نوح، وبنو واغمر، ومطغرة، وبنو بورغ، وبنو دمر، ومطماطة وبنو وزكسينت"²، ويضيف البكري حول القبائل الأمازيغية كونها حافظت على إسلامها الصحيح، فيذكر "ومن يدين لهم من المسلمين ويضاف إلى ممتلكاتهم: زناتة الجبل، وبنو يليت ونمالتة، وبنو واوسينت وبنو يسكر، وأصادة وركانة وأيزمينا، ومنادة وماسينة، ورسانة وترارثة"³.

كما ارتبطت في كثير من الأحيان مع حلف مع غمارة المصمودية، وهذه الأخيرة أي أن حلف مصمودة كان يضم قبائل وفيرة العدد وهو من أهم أحلاف القبيلة في المغرب الأقصى⁴.

وما نلاحظه أن دولة برغواطة ضمت حلفاً لا يُستهان به من أمازيغ المنطقة، وعليه فإن معظم الأمازيغ تحالفوا معها، وما يلفت الانتباه هو أن المصادر ذكرت أن أمازيغاً صحح إسلامهم تحالفوا معها بغض النظر أن إشكالية ديانة برغواطة وسؤال المطروح لماذا هذا التكتل الضخم ضمن إقليم برغواطة؟ ولماذا هذه القبائل التي

1- إبراهيم خلف العبيدي، ص: 49.

2- البكري، المغرب، ص: 141.

3- نفسه، ص: 141.

4- سحر السيد عبد العزيز، ص: 542.

حافظت على إسلامها الصحيح رضت أن تدخل في حلف مع دولة برغواطة؟، وعليه فإنه من الواضح أن هذا التكتل ما هو إلا رد فعل إزاء التعريب الذي اجتاحت المنطقة خاصة مع قيام مذاهب الخوارج، ولنفهم الظاهرة جيداً لزم العودة إلى قيام دولة برغواطة.

ب - قيام دولة برغواطة:

لقد سبق أن قمنا بسرد الأحداث السياسية لثورة الأمازيغ ضد سلطة بني أمية، لكن سوف نعيدها لا لشيء إلا لمتتبع الأحداث ومعرفة سياق دولة برغواطة في خضم هذه التطورات السياسية المذكورة سابقاً.

عين الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الجحباب عاملاً من قبله على المغرب، وقد أسند ابن الجحباب ولاية السوس وتامسنا إلى ابنه إسماعيل، أما طنجة وما يليها من المغرب الأقصى فقد أسندها إلى عمر بن عبد الله المرادي، هذا الأخير عرف عنه تعصبه للعرب على حساب الأمازيغ، وهنا ثار الأمازيغ عليه، فأرسل ابن الجحباب إليه سنة 116هـ جيشاً ونجح الجيش العربي في إخماد ثورة الأمازيغ، ومن هذا المنطلق وجد في بلاد الأمازيغ أرضية خصبة لفكر مذهب الخوارج، وقد تطرقنا إليها فيما سبق في خضم الأطروحة (الإباضي المعتدل في مغرب الوسط، المتطرف في القسم الجنوبي للمغرب الأقصى)، وقد تطرقنا إلى شخصية أمازيغية تبنت مذهب الخوارج من قبيلة مطغرة هو مسيرة المطغري، وقد حاول ملاقاته الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بغرض الشكوى من استبداد عماله ببلاد المغرب (الأمازيغ)، لكن لزم ذكر أن الأبرشي الكلبي حاجب الخليفة لم يأذن لهم بملاقاته الخليفة¹، فعادوا إلى بلادهم وقرروا شق عصا الطاعة عن الدولة الأموية، وبالتالي وجد أن السبيل الوحيد للخروج من ظلم ولاة وعمال بني أمية هو ثورة ضد الحكم الأموي، واستقلال بلاد الأمازيغ، وهذا بعد ما لقيه ميسرة من تعال وتعصب عند محاولة ملاقاته الخليفة الأموي، وعليه خرج مسيرة المطغري من

1- البكري، ص 132

اعتداله وتحول إلى مذهب خوارج الصفرية¹، وهنا تزعم جموع الأمازيغ ضد الحكم العربي وانضم إليه أمازيغ برغواطة برعامة طريف وولده صالح²، وهنا تستوقفنا ظاهرة توحد الأمازيغ ضد العدو المشترك وهي علامة قلما حدثت في تاريخ الأمازيغ لكن واضح أن استبداد عمال الدولة الأموية في بلاد الأمازيغ زاد كل الحدود، ولهذا انتشرت الثورة في كل أرجاء الإقليم الغربي لبلاد الأمازيغ، فتوسعت في طنجة وقتل عاملها عمر بن عبد الله المرادي، ثم سار ميسرة إلى السوس في حشود ضخمة من برغواطة وغيرها من قبائل الأمازيغ وهزم قوات إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، وقتله ثم جاءت معركة الأشراف التي هزم فيها العرب، وقد قتل ميسرة من قبل الأمازيغ ويرجع سبب قتل ميسرة إلى أنه كان يسعى إلى طلب السلم حقناً للدماء، هذا الأمر لم يوافق عليه الأمازيغ فأقدموا على قتله ونصبوا مكانه خالد بن حميد الزناتي سنة 122هـ، وهنا يظهر دور طريف في تأسيس كيان برغواطة، حيث أنه كان صاحب وحليف ميسرة المطغري فأبدى استيائه لمقتل صاحبه وانقلاب أتباعه عليه فاعتزل الثورة وتراجع إلى إقليم تامسنا ليؤسس دولة مستقلة في هذا الإقليم من المغرب الأقصى، وهنا نصل إلى نقطة بداية دولة برغواطة ككيان سياسي مستقل له حكام ارتقوا إلى مصاف الملوك أولهم طريف، ويذكر ابن خلدون³ أن طريف بن شمعون أبو صالح انسحب إلى تامسنا عقب مقتل ميسرة سنة 122هـ، حيث كانت قبائل الأمازيغ تعاني من الجهل الشديد، أي أسلمة سطحية، فقام فيهم ودعا نفسه ملكاً، فبايعه الأمازيغ، وهنا أسس الدولة وأصبح يشرع لهم الشرائع، ويذكر أن الاختلاف في دولة برغواطة أثار جدلاً في كل النواحي، وقد طالت حتى مؤسسيها، سواء كان طريف أم ابنه صالح، ومهما يكن فإننا نجد أنفسنا أمام إشكالية ديانة دولة برغواطة التي تعتبر انعكاس لعوائق التعريب، وهذا ما سنفصل فيه في العنصر الموالي.

¹ - لقد تم التطرق إليه انفا ويذكر هنا انه أكثر مذهب الخوارج تطرفا اما اكثرهم اعتدالا فهو الاباضي راجع عنصر مذهب الخوارج في الاطروحة

² - البكري، المغرب، ص135. ابن عذارى، البيان، ج1، ص: 52.

³ - ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 428.

ج - إشكالية ديانة برغواطة:

لقد ناقش إشكالية ديانة برغواطة عدة مؤرخين قدامى ومعاصرين، واثير حولها جدل كبير وعليه فإن إشكالية انحراف البرغواطين عن تعاليم الإسلام الصحيحة يرجعها البعض إلى ان الأمازيغ أنفسهم في تلك الفترة كانوا حديثي العهد بالإسلام.

ونحن بصدد مناقشة انعكاس عوائق التعريب وأول ما يثير اهتمامنا هو:

- 1- أسباب ثورة ميسرة المطغري وحليفه طريف أسباب متصلة أساسا بكرامة الأمازيغ ومحاولة إذلالهم وسياسة الميز العنصري والاستغلال التي عرفتھا المنطقة منذ تعيين عبد الله بن الحبحاب على القيروان وعمر بن عبد الله المرادي على طنجة. وقد رأينا فيما سبق أن هذا الخلق ثابت لدي الأمازيغ، أي أن كرامتهم خط أحمر لا يجوز تجاوزه، وقد برهن على ذلك الأمازيغ خلال تاريخهم الطويل مع الوافد الأجنبي.
- 2- إن ثورة الأمازيغ لم تكن إلا نتيجة منطقية للظلم الذي تعرضوا له، وهي نزعة وطنية قومية شملت كل أمازيغ تلك المنطقة بتبنيهم مذهب الخوارج في شقه الصفري.
- 3- التحالف الضخم الذي بدأت منه ثورة ميسرة ثم تأسيس دولة برغواطة، واستطاعت هذه الأخيرة ضمت قبائل أمازيغية تحت لواءها، وكذا ضمان تحالف لقبائل أخرى، ونتيجته تشكيل طائفة نشأت من رد فعل سلبي إزاء العرب وليس الإسلام، وخدمت في الأخير النزعة القومية الأمازيغية¹.

1- محمد الطالبي، البربر البرغواطيون البدعة والمتأقفة والنزعة الوطنية، ترجمة عبد الجليل الأزدي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م، ص: 13.

4- وجود إشكالية في الديانة نفسها حيث يذكر بوعرفة¹ "والديانة المزعومة تقوم على نقيض أركان

الإسلام، وفي الكثير من الأحيان هي محاكاة له".

ولكي لا نبتعد عن موضوع أطروحتنا وهو إشكالية علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ، لزم منا معرفة سبب نشوء هذا الفكر أو الدين أو المذهب، حيث يذكر محمد الطالبي "لقد كان الدين الجديد ثمرة مثاقفة في خدمة الكبرياء الوطني الجريح"²، وقد حلل ظاهرة برغواطة بحكم أنها رد فعل عن العصبية العربية³، وبالتالي رد فعل سلبي إزاء التعريب فذكر أنه "اعتقد البرابرة المهانون أن بإمكانهم الحصول على هويتهم من المذهب الخارجي الصفري والعتور على تزيق لألامهم"، وعليه يجب أن نستعرض الملوك الأوائل لدولة برغواطة لمعرفة كيف تطور فكرهم أو بالأحرى كيف وجد هذا الانحراف عن تعاليم الدين الإسلامي:

- طريف بن شمعون بن اسحق بن يعقوب: يعتبر مؤسس دولة برغواطة أثرت عدة فرضيات حول أصله حيث أن هناك فريق من المؤرخين يرون أن أصل طريف عربي وهم سعد زغلول وحسين مؤنس وأحمد العبادي واسمه طريف بن مالك أو ملوك. أما فريق آخر فيذكر أن أصله يهودي واسمه طريف بن شمعون بن اسحق بن يعقوب، وأنه اعتنق الإسلام، ومن أنصار هذا الرأي محمد عبد الله عنان وحمد عبد المنعم حسين، أما من الذين يذكرون أنه أمازيغي الأصل فهو محمد إسماعيل⁴.

1- عبد القادر بوعرفة، معجم الفرق والنحل في الجزائر، ص: 38.

2- محمد الطالبي، ص: 20.

3- هناك عدة امتلة حول إهانة الأمازيغ من طرف العرب فناهيك عما ذكر سابقاً حول أخذ الجزية ووشمهم من طرف الولاة فقد تعرض الأمازيغ أيضاً إلى الإهانة في المشرق فيذكر محمد الطالبي، البربر البرغواطيون البدعة والمثاقفة والنزعة الوطنية ص: 22 "إذ نعرف أن القادم من المغرب.. يكون عرضة لبعض الحوادث المزعجة فمثلا زفير بن الهذيل تعرض للاحتقار بسبب سحنته المغربية وهو يناقش الفقه في حضرة أبي حنيفة".

4- سحر السيد عبد العزيز سالم، ص: 15.

- صالح بن طريف: حارب وهو طفل رفقة والده طريف لنصرة المذهب الصفري بغرض تحرير الأمازيغ من استبداد عمال وولاة الدولة الاموية خلف والده في حكم دولة برغواطة¹، وهناك تضارب في الآراء حول من ادعى النبوة، هو أم والده أم ولده، فلم تذكر المصادر باستثناء ابن خلدون أنه هو من ادعى النبوة²، وأيضا ينفرد ابن حوقل أن صالح ليس ابن طريف وإنما ابن عبد الله، دخل العراق وارتحل إلى بلاد الأمازيغ³، فيذكر ابن حوقل "وبسلا رباط يرباط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة، وقد خرجت والناس يسكنون ويرابطون برباطات تحف بها وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون في وقت وينقصون لوقت ورباطهم على برغواطة قبيلة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي سُئِتْ عمارة بلاد الإسلام. ذلك أن رجلاً كان يعرف بصالح بن عبد الله دخل العراق... فنزل بينهم وكان بربري الأصل مغربي المولد مضطلعا بلغة البربر يفهم غير لسان من ألسنتهم ودعاهم إلى الإيمان به، وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم واحتج بقول الله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه "سورة البقرة، الآية 14، وأن محمداً ﷺ نبي حق عربيّ اللسان مبعوث إلى قومه وإلى العرب، خاصة وأنه صادق فيما أتى به من القرآن والأحكام"⁴، ومهما يكن فإن الذي خلفه ابنه إلياس.

1- محمد الطالبي، ص: 20.

2- ابن خلدون العبر، ج6، 430

3- ابن حوقل، ص: 81-82. تذكر سحرعبد العزيز سالم، ص17 "أنه لا يجب الأخذ برأي ابن حوقل وأنه غير دقيق فيما أورد عن نسب صالح بن طريف، وهذا بحكم أن ابن حوقل جغرافي قبل أن يكون مؤرخاً ثم أنه مشرقي وليس مغارياً."

4- ابن حوقل، ص: 81-82.

- إلباس بن صالح البرغواطي: خلف إلباس والده صالح بن طريف بن شمعون في حكم دولة برغواطة¹، في

عهده دخل ضمن سلطته عدد كبير من قبيلة زناتة زاد حكمه عن خمسين سنة وتوفي سنة 173هـ أو

176هـ².

- يونس بن إلباس البرغواطي: أدى فريضة الحج وبذلك يكون أول ملوك برغواطة يؤدي الفريضة، ويذكر

ابن عذارى، "فولي ابنه يونس بن إلباس وذلك بعدما وصل من المشرق، حج ولم يحج أحد من أهل

بيته، فأظهر ديانة جده ودعا إليها"³ بمعنى هو من جرّ دولة برغواطة نحو فكرها المشبوه الذي اتهمت به

من طرف عدة مؤرخين، بحكم أنه شرع شرائع خارجة عن الإسلام برغواطة وقد اتسم عهده بالاستبداد

وقتل كل من لا يؤمن بمعتقداته⁴.

ولكي لا نخرج عن موضوع أطروحتنا، لزم الرجوع إلى أسباب وجود هذا الفكر الجديد المحاكي للدين

الإسلامي، لكن ليس الإسلام الصحيح لدولة برغواطة، حسب توجهات المفكرين فهي مثاقفة "استرداد

شخصيتهم وإثباتها في مواجهة سيطرة الآخر - يقصد بها العرب والتعريب - الروحية المستلبّة"⁵ وقد أعطى

محمد الطالبي مقارنة بين الشعوبية الفارسية ونزعة الوطنية الأمازيغية فذكر "أن القبائل البربرية المدعوة

للحصول على هويتها في المذهب البرغواطي شهدت تحولاً عنيفاً، فعندما لم تخلص نهائياً للإسلام إلى

حدود الاستشهاد، تشربته بكيفية عميقة كي لا تستطيع بعد ذلك التحرر منه إلا بإعطائه نظيراً في شكل

لئم - يقصد به مثيل وشبيهه وقرين - مصمم ومؤلف في البلد، وبذلك اختلفت النزعة الوطنية البربرية

1- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 429. "يذكر أن بداية حكمه 127هـ.

2- نفسه، ص: 429

3- ابن عذارى، البيان، ص: 224.

4- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 430.

5- لمزيد من المعلومات، راجع عبد القادر بوعرفة، معجم الفرق والنحل في الجزائر، ص: 37، 41.

اختلافاً جذرياً عن الشعوبية الفارسية، فعوض رفض المثاقفة باسم القيم السلفية للحضارة انطوت عليها بالأحرى وأدمجتها ثم استخدمتها مثل مَقْفَر¹.

ومن خلال تحليل محمد طالبي نلاحظ أن الديانة البرغواطية هي رد فعل إزاء السياسة الاستبدادية للعرب، مثلها مثل الشعوبية الفارسية، لكن اختلفت عندما اتخذت بديلاً للإسلام، فقد أقامت محاكاة له باتخاذ شرائع أخرى لا تمت لدين الإسلامي بأي صلة، أي بعبارة أخرى انحراف عن شعائر الإسلام حيث وجدت حسب رأينا ثلاث مراحل مرحلة الاندماج، مرحلة استخدام (الوسيلة)، مرحلة القفز بمعنى التجاوز.

(1) مرحلة الاندماج: هي قبل ثورة ميسرة فقد تقبل الأمازيغ الإسلام والعروبة، وقد فصلنا ذلك خلال

الفصلين الأول والثاني، وبالتالي مشروعية السلطة العربية الإسلامية المتمثلة في دولة الأموية.

(2) مرحلة الاستخدام (الوسيلة): وهي الانشقاق عن العروبة والتمسك بالإسلام مع استخدام وسائل

تتيح له ذلك وقد وجدت أي الاحتفاظ بالمرجعية الدينية (الإسلام في شقه الصفري). ونبذ السلطة السياسية (الدولة الأموية) أي تحرر من سلطة السياسية للدولة المركزية². وهذا بالقيام بثورة ضد حكم المركزية في المشرق.

(3) أما مرحلة التجاوز: هي ظهور الدولة البرغواطية بمذهبها وفكرها المثير للجدل أي تجاوز الإسلام

بعدما تجاوزت العروبة عند تبنيها في الثورة المذهب الصفري، ومنه لزم تلخيص المبادئ التي تجاوزت فيها الإسلام وبالتالي أقامت انحرافات خطيرة في العقيدة.

أ- في مجال النبوة: الفكر البرغواطي لم ينكر نبوة سيدنا محمد ﷺ ولكن أقام تأويلاً يخرج النصوص

القرآنية عن معناها، وقفز بذلك إلى الكفر أو الزندقة³ وعليه فإن التجاوز تمثل بأن ذكر أن سيدنا محمد ﷺ

1- محمد الطالبي، ص: 21.

2- نفسه، ص: 27.

3- راجع سلمى محمود اسماعيل، الصراع الاثني والمذهبي في المغرب الأقصى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م، إشكالية مذهب برغواطة، ص: 121-127.

أرسل إلى العرب وأوجد الدليل في القرآن من سورة إبراهيم، الآية: 04 ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾¹ ومنه وحسب مفهومهم يترتب عليه أن نبي الأمازيغ يجب أن يكون منهم، ولا يتكلم إلا بلسانهم، وهذا تجاوز لتعاليم الإسلام التي تقضي أن سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء وبهذا تعتبر رد سلمي إزاء العربية بلغتها وعصبيتها في ظل الدولة الأموية.

وعليه وبما أنهم أقروا بنبوته سيدنا محمد ﷺ إلا أنهم أقروا أنه للعرب فقط¹ ومنه من يكون نبي الأمازيغ؟ هنا أوجدوا أن صالح بن طريف هو نبي الأمازيغ والدليل أوجدوه أيضاً في القرآن الكريم من سورة التحريم، الآية: 04 ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾². وأصبحت عبارة صالح المؤمنين مقدسة لدى البرغواطيين. ويذكر محمد الطالبي أن خطوة دولة برغواطة لم تكن إلا خطوة جريئة، وبالتالي لم تكن تحرر كلياً من الإسلام³، وإنما تجاوز له بحكم ان قاعدة ديانتهم مأخوذة من القرآن، مع تحريفات واضحة حسب ما تمليه عليهم أفكارهم للتحرر كلية من العربية والعرب، وبذلك التحرر من عصبية العرب.

ويستخلص مما سبق أن التجاوز في الفكر البرغواطي يعني التحرر من السلطة العربية، وبالتالي التحرر من التعريب وتمثل في مجال النبوة بادعاء صالح لها بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ حيث نبوة صالح حسب زعمهم

1- محمد الطالبي، ص: 20.

2- سورة التحريم، الآية 04، راجع شيخ حسين محمد مخلوف زيادة، تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، أسباب النزول، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق طبعة خامسة 1998م، أسباب النزول للنيسابوري. سورة التحريم ص: 398. «ملخص الآية حول خلاف بين النبي وزوجاته أمهات المؤمنين وصالح مؤمنين تعني كل فرد صالح مؤمن»

3- محمد الطالبي، ص: 20.

تكملة لنبوه سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه السلام، وأنه يحمل اللسان الأمازيغي اسم واراياوارا (ومعناه الذي ليس بعده أحد)¹.

ب- في مجال الكتب المقدسة (قرآن دولة برغواطة): لقد نبذت دولة برغواطة كل ما هو عربي بما فيهم القرآن الذي هو باللغة العربية، وقد أوجد صالح قرآناً باللسان الأمازيغي يشمل ثمانين سورة²، وقد اقتضى أن يصاغ ضمن لهجة مشتركة بين مختلف القبائل الأمازيغية المجتمعة في إقليم تامسنا، ويذكر محمد طالبي "والواقع أن القرآن المنسوب إلى صالح شكل منظور البرغواطين وأثر مقدس وموضوع احترام ودراسة يحفظونه عن ظهر قلب ويرتلونه في صلواتهم"³، ويرى كثير من مفكرين أن القرآن الأمازيغي هو انحراف عن الديانة الإسلامية إلا أن سعد زغلول يذكر "ويروي الكتاب أخباراً غريبة من انحراف أبناء صالح بن طريف وقومهم برغواطة من التني وتحريف أصول الإسلام وابتكار لآيات من القرآن، ونعتقد أن في ذلك كثير من المبالغة من الكتاب الذين يخدمون أغراضاً مذهبية وسياسية معادية لبني طريف... ونعتقد أن الأصل فيما نسب إليهم من التحريف هو أنهم كانوا يؤدون شعائر الدين بالبربرية، كما أنهم ترجموا القرآن إلى لغتهم، من هذا ما يقال من أنهم كانوا يقولون - مقر باكش- وتفسيره الله الكبير أي الله أكبر كما كانوا يقولون - إيسن ياكش- وتعني بسم الله وإيجن ياكش وتفسيره الواحد الله و-وودام ياكش- معناه لا أحد مثل الله ونظن أنها ترجمة لآية الإخلاص"⁴.

1- محمد الطالبي، ص: 25.

2- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 429.

3- محمد الطالبي، ص: 26.

4- سعد زغلول، ج2، هامش ص: 433.

ومن خلال ما تقدم فإذا فرضنا أن القرآن البرغواطي ما هو إلا ترجمة عن القرآن الكريم، وبالتالي نعلم حالياً أن ترجمة القرآن الكريم بعدة لغات متاحة¹.

ما نلاحظه سواء أكان قرآن برغواطة ترجمة² أو تحريفاً فإنه مع ذلك لم تتم استعارة اسم الله الواحد من العرب وإنما من التراث الأمازيغي أي التوحيد بروحه الأمازيغية، أي نبذ كل مصطلح أتى من العرب والاستعانة بالتراث الأمازيغي القديم في مصطلحه **ياكش***. والذي يذكر أن ياكش مشتقة من باكوس (Bacchus) والذي يتجلى معناها إله الخير، وكذا يذكر معناه المعطى أو العاطي أو الوهاب³، ومهما يكن فإن الدولة البرغواطية بفكرها لم تكن إلا تعبير عن نزعة وطنية⁴ أمازيغية بغض النظر عن معتقدها الذي كان حقيقة بينذ كل ما هو تعريب.

ثانياً: تبني الأمازيغ لمصطلحات عربية عقدية إسلامية.

- المصطلح العقائدي لدى الأمازيغ:

- 1- لمزيد من المعلومات حول فتوى ترجمة القرآن، راجع محمد محمود كانو، كتاب ترجمة القرآن الكريم بين الحظر والإباحة، جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الأولى، 2011م.
- 2 - لمزيد من المعلومات حول ترجمة القرآن تحديداً الأمازيغية راجع كهينة زموش، مقالة نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية "جهود الشيخ بوسنة أتمودجا" القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ملتقى الأمازيغ، 2010م. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف 2011م، الجزائر، ص: 33-54. "...والآن وقد رأينا أن ترجمة معاني القرآن أمر جازئ، بل واجب يفرضه الواقع ويلزمنا به الدين الإسلامي الذي أتى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة"، ص: 41. ونضيف أن أول ترجمة القرآن الكريم إلى الأمازيغية هي من طرف المغربي الحسين البوعمراني إلى اللهجة السوسية، وصدرت الترجمة في 426 صفحة من الحجم الكبير، عام 2004.
- *- يتعلق الأمر بالروحانية (**Anemisme**)، أي بكلمة مستعارة من تاريخ الأمازيغ القديم، فالمعتقد الأمازيغي في التاريخ القديم الطوطمية أو عبادة الحيوانات و، وبالتالي نستخلص أن الفكر الديني له أهميته لدى الأمازيغ منذ القدم حيث كانت البيئـة الأمازيغية كان لها تراث ضخم من المعتقدات التي واصلت مسيرتها حتى مع اعتناقهم الإسلام.
- 3- سعد زغلول، ج2، هامش ص: 433.
- 4- محمد الطالبي، ص: 27.

تعتبر اللغة الوعاء الأساسي الذي يتضمن ثقافة المجتمع، وقد عرف المجتمع الإنساني اللغة منذ القدم¹، فاللغة ظاهرة تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، وبهذا اختص بها فأتاحت له أن يكون المجتمع وأن يقيم الحضارة، ولهذا نجد اللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة، وقد عرف اللغوي العربي ابن جني (المتوفى عام 392هـ) اللغة بالعبارة التالية: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"²، وعلى هذا الأساس نلاحظ أن ألسنة الشعوب والأمم مختلفة، فلكل شعب مصطلح خاص به يميزه عن غيره، وبهذا وجدت اختلاف اللغات فمثلاً المصطلح في اللغة الفرنسية يختلف عنه في الإنجليزية، ويختلف عنه في العربية ومنه فالمصطلحات هي التي تحدد ماهية المجتمع، وعليه فإن وجود اللغة يشترط وجود المجتمع، وبهذا نستنتج أن اللغة ليست هدفاً في ذاتها وإنما هي وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية³.

وقد ميز العالم اللغوي السويسري دي سوسير (De Saussure) بين ثلاثة مصطلحات أساسية في

علم اللغة وهي مصطلحات⁴:

- (langue): وتعني اللغة الواحدة في إطارها الكلي مثل اللغة العربية أو الفرنسية أو اللغة الأمازيغية.

- (parole): تعني الكلام أو الاستخدام الفردي للغة عند الفرد الواحد.

- (langage): القدرة اللغوية عند الإنسان بصفة عامة.

وما يهمنا هنا هو المصطلحات التي تتكون منها اللغة، فهناك اختلاف كبير بين الأمازيغية والعربية

حيث سبق أن ذكرت في المدخل، حيث لاحظنا أن لكل لغة مصطلحاتها الخاصة لكن حين نحدد مجالات

1- محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة، ص: 09.

2- نفسه، ص: 10.

3- نفسه، ص: 12.

4- نفسه، ص: 12.

البحث في المصطلح العقائدي لدى الأمازيغ نجد أن الأمازيغ وعلى خلاف غيرهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن مصطلحات جديدة يعبرون بها عن دلالات عقائدية، لكن تبنا المصطلحات العقائدية الإسلامية كما هي في شقها العربي، وسأخذ كنموذج افتتاحية للشيخ بوسته*، حيث كان في جل خطبه يفتتح كلامه بما يلي:

الافتتاحية شيخ بوسته:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ إِوْكَليْدُ يَقْوَانُ يَخْلُقْنَ إِقْنَوَانُ يَخْلُقْنَ الدُّنْيَا وَالدِّينَ. صَلَاةُ أَفْنِي الْعَدْنَانُ ذَا الصُّوْحَابَا أَكْنُ
إِلَّانُ، صَلَاةُ دِغْنُ أَفِيدُ سِتَيْتِيلِينُ، دُوَيْدُ إِخْدَمَانُ حَسَانُ سَنِيَا يَصْفَانُ ذِي الْقَاعَةَ أَنْدَا أَفْغُونُ إِيْلِينُ".

ومعانيها تقريباً، هي نفس معاني قولنا "الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين".

ومن خلال مقارنة نجد عدة كلمات متقاربة أو بالأحرى نفس مصطلحات الحمد لله، الدنيا، الدين، الصلاة، النبي، وكلها مصطلحات من وحي القرآن الكريم، وسنورد صيغة البسملة.

فقد ترجمة البسملة¹ بصيغتها "بسم الله الرحمن الرحيم" بالصيغة التالية: "سَيِسْمَ أَوْكَلِيدُ يِيوَانُ دُو
الرَّحْمَةَ يُوْسَعَانُ أَرْحِيمُ أَوْرَنَسَعِي وَيِسْنُ السَّيْنُ".

وبهذا فإن المصطلحات العقائدية الأمازيغية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللغة العربية، وقد اعتمد الأمازيغ على المصطلحات العقائدية العربية في لغتهم الأمازيغية، حيث ان اللغة الأمازيغية قابلة بطبيعتها الصرفية والاشتقاقية

*- الشيخ بوسته: هو الشيخ محمد أمزيان بوسته من مواليد 11 نوفمبر 1931م ببلاد القبائل، دائرة إيفولمين، ولاية تيزي وزو، توفي في 26 جانفي 2006، انخرط في جمعية علماء المسلمين الجزائريين في أكتوبر 1951م، تفرغ إلى ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية. راجع كهينة زموش، نقل معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية، ص: 43-44.
1- نفسه، ص: 50.

لحمل مضامين إسلامية وعدم إيجاد مقابل لها عكس الأترك والفرس وهذا دليل على الصبغة الإسلامية للهوية الأمازيغية، حيث أن الأمازيغ قد أسلم جلهم وتأکید على الطابع الإسلامي للشخصية الأمازيغية، وبهذا فهو مغرب إسلامي قبل أن يكون مغرب عربيا. حيث نجد التراث الأمازيغي يزخر بقصائد شعرية أمازيغية غنية جداً بالمفردات الإسلامية، وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

ثالثاً: التراث الديني الأمازيغي وأنماطه.

إن التراث الإنساني ذلك الإرث، المثقل من ترسبات الحضارات أو بعبارة أخرى هو التقاء الحضارات وتبادل الثقافات والتأثير والتأثر بين الشعوب حتم لازم¹.

وبهذا يعتبر التراث الديني الأمازيغي بمثابة قصة بذرة قديمة غرست في تراب هذا المجتمع وإرتوت بماءه منذ أن هبت نسمة الإسلام عليها²، وبالتالي أنبتت وأبنت وتشكل بذلك التراث الديني الأمازيغي الإسلامي.

1) مفهوم التراث:

كلمة "التراث" وردت في مادة (وَرَثَ)³ ويقصد بها وَرَثَةٌ ماله ومجده وورثته عنه ورثا، وقال تعالى في كتابه العزيز عن دعاء سيدنا زكريا في سورة مريم الآيتان: 05 و06 ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِنْ وِرَآءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ يَرْتُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ أي يبقى بعدي، فيصير له ميراثي والورث واحد.

1- محمود محمد الطنحاي، مدخل إلى التراث العربي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1984، ص: 15.

2- اوريدة قرچ، ماهية التراث الديني الأمازيغي وأنماطه، الأصول، القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، منشورات وزارة الدينية والأوقاف ملتقى الأمازيغ 2000م ص: 10.

3- ابن منظور، ص: 4808-4809.

ويذكر الجوهري¹ الميراث أصله مِوَرَاثٌ انقلبت الواو ياء لِكسرة ما قبلها والتراث أصله التاء فيه واو، وبالتالي الوَرِثُ والتُّرَاثُ والميراث ما وُورِثَ وقيل الوَرِثُ والميراث في المال والإرث في الحَسَبِ. والتراث: ما يَخْلُقُهُ الرَّجُلُ لَوَرِثَتِهِ والتاء وفيه بدل من الواو، وبالتالي أورثه الشيء أعقبه إياه.

هذا من الناحية اللغوية، أما من الناحية الاصطلاحية فإن كلمة التراث مرادف لعبارة الموروث الشعبي² أي حصيلة الممارسات الشعبية بأبناء المنطقة عبر كل فترات التاريخ، وبالتالي نجد أنه اتحاد بين الممارسات الشعبية ما قبل الإسلام وكذا تطورها ما بعد فترة الإسلام أي العادات لأمازيغية ذات الصبغة الإسلامية أو الثقافة الإسلامية³.

(2) التراث الديني الأمازيغي الإسلامي:

إن التراث الديني الأمازيغي يشكل جزءا هاما من الموروث التي تزخر به منطقة الأمازيغ (راجع ملحق رقم 04 صور لأشكال الزراي الخاصة بمنطقة الأمازيغ من صورة رقم 01 إلى الصورة رقم 04).

وتتمثل طبيعة هذا التراث الذي نجد جذوره ممتدة منذ التاريخ القديم لدى الأمازيغ، بأنه تراث يمكن ان يستوعب الديانات، وعليه فان طابعه صبغته الديانة الإسلامية منذ اعتناق جل الأمازيغ الإسلام⁴، حيث أنه من المعلوم أن الدين الإسلامي الذي هو خلاصة الأديان السماوية جاء يبني الإنسان على منهج يطابق السنة

1- ابن منظور، ص: 4809.

2- اوريدة فرج، ماهية التراث الديني الأمازيغي وأتماطه، ص: 11.

3- يقصد بثقافة في مادة (ت ق ف) وتفيد التسوية والتقويم أين تَقَفَ الرجل بمعنى حاذِقَ الفهم وكذا تَقَفَ الشيء يعني سرعة التعلم. راجع ابن منظور، لسان العرب، ص: 492-493. ومنه الدلالة الاصطلاحية لكلمة ثقافة هي المنهج الذي تحقق به الحياة في أسلوب التفكير والطريقة السلوكية في العيش الجماعي، ومنه على ضوء مفهوم الثقافة نضيف كلمة إسلامية ليتجلى المفهوم بما يلي: المفهوم المنهجي في مباشرة الحياة ومواصفات إسلامية ذات عناصر أساسية (العنصر العقائدي، العنصر الفكري، العنصر السلوكي العملي، العنصر التاريخي)، راجع عبد الحميد النجار، مقاربات في قراءة التراث، الدار المالكية، تونس، ط1، 2015، ص: 25-27.

4 - Georges Marcais, *Le costume Musulman d'Alger*, Librairie Plon, Collection de centenaire de l'Algérie 1830-1930.P 86.

الكونية التي تقوم ثقافتها على معادلة الوحدة والتنوع¹، هذه المعادلة أنشأت البناء الثقافي للأمة (وحدة الثقافة الإسلامية) أي نشأت عنه كل التراث المادي والمعنوي الذي أنتجته على مدى تاريخها بمعنى منذ نقطة التحول وهي الفتح الإسلامي لبلاد الأمازيغ .

وإذا ركزنا على طبيعة المجتمع الأمازيغي المعروف بتنوع عاداته وتقاليده فإننا نلاحظ أنه منذ دخول الفكر الإسلامي على الثقافة الأمازيغية بعد زوال الحكم البيزنطي وبعد اعتناق الأمازيغ الإسلام أثر واضح في إحداث نهضة حضارية إسلامية تلونت بألوان الثقافة الأمازيغية²، على مختلف الأصعدة، وهنا نتساءل عن الموروث الثقافي الأمازيغي الذي تشكل منذ آلاف السنين ما موقف الإسلام منه؟

وتجيب أوريدة فرج "كان من سهل تحويرها وتعديلها لتتلاءم مع الفكر الجديد بحيث لا تتعارض مع العقيدة الموحدة الجديدة ولا تختلف معها، وبإلوان التي يمكن توظيفها في خدمة هذه العقيدة"³، ويضيف عبد العزيز غوردو "فلا شك أن عادات البربر القديمة التي تضرب بجذورها عميقا في التاريخ لم يكن من السهل تجاوزها ببساطة... وبذلك انتهى الأمر إلى التعايش بين إسلام "رسمي" لا يستوعبه إلا راسخون في العلم، وآخر شعبي لعموم الناس وهنا الجذور التاريخية العميقة التي تفسر نجاح الظواهر الدينية في القرون اللاحقة المهذوبة، التصوف، الزوايا"⁴، وبالتالي نستخلص مما سبق ذكره أن التراث الأمازيغي هو تلك الثقافة التي استمدتها الأمازيغ على مدى قرون وقرون أي بعبارة أخرى الموروث الثقافي أو على حد تعبير الدكتور عمار يزلي هو ذلك الكل التراكمي⁵، ومنه ما هي سمات هذا التراث الذي ميز منطقة الأمازيغ والذي نبع من شخصية

1- عبد المجيد النجار، مقاربات في قراءة التراث، ص: 22.

2- أوريدة فرج، ماهية التراث الديني الأمازيغي وأتماطه، ص: 15.

3- نفسه، ص: 16.

4- عبد العزيز غوردو، ص: 74.

5- عمار يزلي، مقياس انثروبولوجيا الأديان، محاضرات مدرسة الدكتورالية، الدين والمجتمع، غير مطبوعة، 2009.

الأمازيغي المسلم؟، وعليه سوف نركز على التراث الأمازيغي الإسلامي الذي تجلّى أساساً في الحفاظ على الموروث الثقافي الممثل في الأعراف .

(3) العرف الأمازيغي والإسلام:

إن طبيعة المجتمع الأمازيغي محافظ على تقاليده و متمسك بتراثه حيث يذكر عثمان عكاك "وهكذا لم تختلف أحوال معظم البربر رغم مرور حضارات اختلافاً جذرياً باهتمام وهم لا يزالون إلى الآن في تقشف ومسكنة غير مقصودة...والبربر من أشد الأجناس تمسكا بالقديم ومحافظه عليه، وعدم الإقبال على الحديث والمستحدث"¹.

وتؤكد جل المصادر أن الأمازيغ مازالوا محافظين على أعرافهم التي عرفوا بها عاشقين للحرية، فعلى الرغم من تعرض المنطقة إلى موجات احتلال فإن القوانين العرفية بقيت هي المطبقة مُشكّلةً بذلك التراث الأمازيغي فلا قوانين الآتية من الشرق ولا تلك الآتية من الغرب استطاعت محوها، فعلى رغم من كل ما قامت به الشعوب المستعمرة من جهود إلا أنها باءت بالفشل جميعاً، وقد استمر الأمازيغ على مر العصور في احترام وتمسكهم بأعرافهم²، حتى إذا وجدناهم قد قبلوا جميع الديانات التي مرت ببلادهم إلا أنهم لم يقبلوا منها إلا العقيدة³ خاصة أن الإسلام دين كوني يحترم خصوصيات المجتمعات، وفي الإسلام تعتبر الأعراف والتقاليد مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي شريطة أن لا تخالف قواعده ومبادئه ورسالة الإسلام رسالة للإنسانية جمعاء، وقد أرسل سيد الخلق ﷺ إلى الناس كافة عكس الأنبياء والرسل الذين سبقوه الذين أرسلوا إلى أقوامهم حيث نستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ سورة سبأ، الآية 28، وبهذا فإن من عوائق التعريب تمسك الأمازيغ بتراثهم الذي يحتوي على الاعرف، وبهذا سيتم

1- عثمان عكاك، البربر، ص: 68.

2- كهينة زموش، ص: 42.

3- نفسه، ص: 43، نقلاً عن حسين بن شيخ آث ملويا، التعريف بالأمازيغ وأصولهم.

توسيع الشرع الإسلامي ليصبح قادرا على احتواء العرف وفي هذا الإطار وجدت كتب النوازل* حيث أن هذه الأخيرة (كتب النوازل) تتناول ظاهرة الطابع المحلي للأمازيغ ومقابلتها بالشرع الإسلامي في من أبرز مميزاتا فهي لا تتناول المسائل الفقهية بشكل عام، وإنما تحدد مسائلها في المكان والزمان والموضوع¹، وما تطرحه من مشاكل دينية ضمن الإطار الاجتماعي، ومنه النازلة هي السؤال الذي يأتي بتفاصيل القضية الشرعية²، ويذكر بذلك أسماء الأطراف المعنية وحتى تاريخ النازلة، وخلاصة القول من عوائق التعريب تماسك الأمازيغ بأعرافهم الضاربة منذ القدم مع صبغة إسلامية.

(4) الشعر الديني الأمازيغي:

إن الشعر الديني الأمازيغي هو ميزة من مميزات التراث الأمازيغي الديني وتختص أغلبها بمدح شخصية الرسول ﷺ كما نجد بعضها تختص بمدح الأولياء الصالحين (الصلحاء) وتنتقل إلى عدة جوانب من الحياة الروحية للأمازيغ كعلاقة المسلم الأمازيغي بخالقه، وبالتالي المواضيع جلها دينية مستمدة من الثقافة الإسلامية والهدف منها تعليم وتربية الفرد الأمازيغي دينيا وعلى الطريقة الشفوية³، وزرع القيم الروحية في شخصيته وكذا بث الوعي الديني في أوساط المجتمع الأمازيغي⁴، وهذا النوع من الشعر هو نتاج اكتمال للشخصية الدينية للفرد الأمازيغي في ظل هويته (الأمازيغية)⁵، يذكر غوستاف لوبان "لقد تعربت البربرية كما تعرب البربر أنفسهم نتيجة اتصالها باللغة العربية... وأمر طريف مثل هذا يثبت لنا مقدار تأثير العرب الذي لم يكتب مثله لأية

* - أشهرها المعيار المغرب، والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أكبر موسوعة في النوازل الفقهية بالغرب الإسلامي مؤلفه أحمد بن يحيى الونشريس، ولد بتلمسان 834 هـ وتوفي عام 914 هـ بفاس.

1- محمد حجي، نظريات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1م، 1990 ص: 58.

2- نفسه، ص: 59.

3- أوريدة قرج، ماهية التراث الديني الأمازيغي وأماطه، الأصول، القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ص: 28.

4- نفسه، ص: 28.

5- إيدير إبراهيم، التناص مع القرآن الكريم في الشعر الروحي الأمازيغي، قصيدة راشدة لأشير مجيد أنموذجا، ملتقى الأمازيغ 2000م، ص: 89.

أمة أخرى ومن هذه الأمم اليونان والرومان الذين دام سلطانهم في شمال إفريقية داوم سلطان العرب من غير أن يتفق للغتهم أي أثر في اللغة البربرية¹. وإنها لإشكالية في حد ذاتها. ومنه، عامل تأثير لا يعتمد على فترة مكوث الوافد بقدر ما يعتمد على عوامل أخرى، وقد قام أحمد مختار عمر بمقارنة أبيات شعرية أمازيغية (ميزابية)* لشاعر باجوا صالح²:

يولد سيدنا محمد	نضوا الدونيت اس النوار
أربي زال أتسلمد	فواسى سجد نتاس الاشجار
توليد تزييري ترسو	لتشعشع أماس نيجنوان
تفكرانغ آس آيديلول	يا الله أناوي أيزلون

والترجمة الأبيات بالعربية:

ولد سيدنا محمد	وأشرققت الدنيا بالأنوار
اللهم صل وسلم	على من سجدت له الاشجار
طلع بدر الرسول	وأشرققت في كبد السماء
فذكرنا يوم ميلاده	يا الله سننشد أناشيد الأفراح

والقصيدة طويلة لكن الكلمات العربية واضحة فيها ومن بينها الإسلام، الرسول، القرآن. وبالتالي، كلها كلمات مستمدة من الدين الإسلامي وهذا ما يجيب على إشكاليتها أن تأثير البربرية أو الأمازيغية باللغة العربية لم يكن حاصل لولا الإسلام وأسلمة، الأمازيغ أولاً. ومنه فإن فعلاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ علاقة وطيدة تتصل اتصالاً كبيراً بالإسلام.

1- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ص 271

*- يذكر أن هجرة الاباضية إلى وادي ميزاب من سدراتة ووارجلان ووادي أريغ ووادي سوف كانت بداية القرن 5هـ وقد سبق ان ناقشنا مسألة نمسك بني ميزاب بمهويتهم الأمازيغية في ضل الحضارة الإسلامية.

2- أحمد مختار عمر، ص: 91. راجع أيضا محمد على ديبوز، الجزء الأول، ص: 55، 56.

كما نجد شعراً مقتبساً من قصص القرآن الكريم وهذا دليل أن أصحابها لهم ثقافة إسلامية لا عربية وقد أجرى الباحث محمد الشامي¹ دراسة مقارنة لنص شعري ينتمي لأمازيغية القبائل الجزائرية وهو الشعر الذي جُمع من طرف الكاتب مولود معمري، حيث حُوّل إلى أمازيغية منطقة الريف وأمازيغية الأطلس وأمازيغية سوس، وكانت نتائج بعد دراسة دقيقة إلى ان المادة المعجمية التي تتفق فيها اللهجات الأربع هي 66%.

ولزم أن نشير هنا إلى ما أشار إليه إيدير إبراهيم² حيث يذكر أن أغلب التراث الأمازيغي هو تراث شفوي مازال بذاكرة الأجيال وهو يضيع يوماً بعد يوم فعلينا الحفاظ عليه ومتابعته لأننا إذا تركناه تُقَطَّع الصلة بينه وبين الأجيال القادمة، وبهذا نفقد التواصل معه حيث رأينا سابقاً عن الأمازيغية لم يُقدَّر لها أن تدون في الكتابات لكن تداولت شفويًا على نطاق واسع³، وبالتالي فالتراث الشعبي الديني منظومة معرفية ثرية وحقل جمالي خصب متنوع في أشكاله ومضامينه، وحتى لهجاته الأمازيغية مع العلم أن الدين يحتل الصدارة في مواضيعه المدائح الدينية التي تعتمد على الشعر الديني الأمازيغي.

رابعاً: ظهور اللهجات المغربية.

(1) مفهوم اللهجة:

ورد في لسان العرب مادة (ل-ه-ج)⁴ "واللَّهْجَةُ واللَّهْجَةُ: جرس الكلام والفتح أعلى، ويقال فلان

فصيحُ اللَّهْجَةِ، واللَّهْجَةُ وهي لُغَتُهُ التي جيلَ عليها فاعتادها ونشأ عليها.

1- عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب إشكالية التعددية اللغوية، دار الشروق، بدون تاريخ، ص: 162

2- إيدير إبراهيم، التناص مع القرآن الكريم في الشعر الروحي الأمازيغي، ص: 90.

3- خالد عيقون، جمالية المدائح الدينية، الأشكال الدلالات، الأصول، ملتقى الأمازيغ 2000م، ص: 157.

4- ابن منظور، مادة (ل-ه-ج)، ص: 4048.

واللّهجة: اللسان، وقد يُحرّك في الحديث: ما من لهجة أصدف من أبي ذرّ، وفي حديث آخر: أصدق لهجة من أبي ذرّ. قال: اللّهجة اللسان..."

وعرف في غالب اللهجة اصطلاحاً¹: بأنها مجموعة الخصائص اللغوية تنتمي إلى بيئة معينة، ويشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة التي تعد جزءاً من بيئة أكبر، تضم لهجات عدة وتتميز عن بعضها بظواهرها اللغوية، غير أنها تتفق فيما بينها بظواهر أخرى لا تسهّل اتصال أفراد تلك البيئات بعضهم ببعض وفهم ما يدور بينهم من الحديث، أي بمعنى آخر اللهجة جزء من اللغة، حيث أن اللغة تشمل عدداً من اللهجات وتخضع لقواعد وقوانين تضبطها.

ويتضح مما سبق أن مفهوم اللغويين القدامى² للهجة يختلف عما هو متعارف عليه حالياً، إذ استعمل القدامى كلمة "الحن" للدلالة على اللهجة بمفهومها الحديث.

كما نلاحظ أن التباين في اللهجات موجود منذ القدم، فمثلاً القراءات السبع للقرآن الكريم انعكاس للهجات العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية. أو بعبارة أخرى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات، والسبب الرئيسي في هذا التفرع إلى انتشار اللغة في مناطق مختلفة واسعة واستخدمها من طرف جماعات كثيرة العدد، ومنه ينتج عن هذا وجهان إحداهما تفرع اللغة واحدة إلى لهجات محلية (Dialectes locaux) يتكلم بكل لهجة منها منطقة خاصة من مناطق هذه اللغة، وأخرى تفرع³ اللغة الواحدة إلى لهجات اجتماعية (Dialectes sociaux) تتكلم بكل لهجة منها طبقة خاصة من طبقات السكان، وهنا لزم ذكر استعراض أهمية التوفيق بين التاريخ وعلم اللهجات.

1- إبراهيم موسى الزقراطي، أسس الاسماء الجغرافية، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، 1997م، ص: 13.

2- نفسه، ص: 14.

3- على عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة 1983م، ص: 107.

(3) التاريخ وعلم اللهجات (Histoire et dialectologie):

يذكر عبد الله العروي في ملاحظاته حول ضرورة تجديد تاريخ المغاربي "من مستلزمات التجديد أولاً خلق ذهنية معاصرة عند المؤرخين المغاربة... ومنها ثانياً تأسيس مدرسة وطنية للحفريات... ومنها ثالثاً إقرار دراسة اللهجات حسب توزيعها الجغرافي وتطورها الزماني"¹ وعليه فان لفهم التاريخ أدوات مساعدة و علم اللهجات أداة من الأدوات لفهم أوسع للظاهرة التاريخية ، ويضيف صدقي على أزايكو في هذا الصدد " إن دراسة اللهجات اللغة يمكن لها بالفعل أن تعطينا معلومات ليس فقط على الاتجاه العام لتقلبات مختلف المجموعات البشرية على طول وعرض إفريقيا الشمالية، بل ستفيدنا كذلك في معرفة أنماط العيش الأصلية للمجموع البشري الذي تنتمي إليه كل مجموعة من هذه المجموعات"² وبهذا يمكننا ان نستخلص أن التعاون بين التاريخ (Histoire) وعلم اللهجات (Dialectologie) قد يُسفر إلى أهمية قصوى في دراسة³ عدد من المسائل الخاصة بالتاريخ، منها ما يتعلق بالإسكان (Peuplement) وبهذا تظهر العلاقات الدائمة ومستمرة من العلاقات المتغيرة، واللهجات هي بمثابة وثيقة منطوقة اذا صح هذا التعبير تُبين لنا ما نُنَج منها من تأثير وتأثر.

1- عبد الله العروي، ج1، ص: 22، 23 بتصرف.

2- صدقي على أزايكو، التأويل التسيي (الجينيولوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، ص: 19.

3- لوسيان فيفر (Lucien Febvre)، التاريخ وعلم اللهجات ترجمة صدقي على إزايكو، وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهدات إلى الأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001م، ص: 533.

وعليه لزم على التاريخ أن يتدخل في الدراسات اللسانية¹ لمعرفة الجانب المخبئ منه وبتالي كشف الغطاء عنه وهذا بمعرفة الفترات التاريخية التي تعتمد على فترات كالغزوات الكبرى والاكنتساحات (Ravages)* بهذا نستخلص ان علم اللهجات (Dialectologie) تساعد دراسته لتحديد الأصل الجغرافي لمجموعة معينة من الكلمات في لهجة ما أو اللهجة محددة في إقليم معين²، ونفس الشيء يمكن أن يقال حينما يتعلق الأمر بدراسة تكوين أقاليمنا والكيفية التي تم بها ذلك.

ويذكر لوسيان فيفر في أهمية علم اللهجات "حينما نتمكن من أن نرى جيدا... أن إقليما ينمو كأى كائن حي، بطريقة بطيئة وعلى مدى مدة طويلة وأنه لكي يُتصور وجوده وتاريخه، لا ينبغي أن يتخيله المرء وكأنه مكيف في نموه بدعامة صلبة مزعومة في الحدود الطبيعية، بل بالبحث في داخله بالذات، إن صح التعبير عن قانون نموه التدريجي، فإن ذلك سيكون مرة أخرى دعما مناسباً كالذي وفره علم اللهجات يؤكد أبحاثنا بأعماله ويساعدنا مثلاً على التمييز عند حدود إقليمين ومجموعتين تاريخيتين بين نصيب كل منهما في احتلال الأرض وتثبيتها"³. وهذا ما يهمننا في موضوع علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ والانعكاس الذي ولدته العوائق، ومنه البحث في الانعكاس في ذات السكان أنفسهم سواء أمازيغ محافظين أو أمازيغ مستعربين، وبالتالي عند خوضنا لدراسة اللهجات نستطيع تمييز مجموعتين سواء أمازيغ أو عرب، وبهذا تصبح اللهجة المغاربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، وهذا ما سوف نفصل فيه في العنصر التالي.

(3) اللهجة المغاربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية:

1- لوسيان فيفر (Lucien Febvre)، ص: 535.

*- اعتمد الكاتب لوسيان فيفر على إقليم أوصو (Ossau) الموجود في جنوب غربي فرنسا لدراسة لهجات بيارني (Patois Béarnais) في سبتمبر 1890 كنموذج لمعرفة العلاقة بين التاريخ وعلم اللهجات.

2- نفسه، ص: 537.

3- نفسه، ص: 537-538.

اللهجة المغاربية أو ما يعرف بالدارجة¹، ويقصد بها في هذه الدراسة هو الكلام الراجح في الأسواق والطرفات، وهي من أبرز الأشكال اللغوية الجديدة. وهذا الشكل اللغوي يعتبر عائقا أمام التعريب.

حيث انه عند توافد العربية على منطقة بلاد الأمازيغ منذ الفتح الإسلامي وجدت التحولات عديدة عرفتها المنطقة في كل المجالات بما فيها المشهد اللغوي، فبعكس مناطق الشام والعراق فإننا نجد التقارب الكبير بين العربية وبقية اللغات السامية الأخرى هنالك مثل الأرامية والبابلية، وهذا ما يفسر الدور الكبير في سرعة وسهولة وشمولية تعريب تلك المناطق²، مع احتفاظ كل منطقة ببعض الخصوصيات اللغوية البسيطة، في حين أنه في بلاد الأمازيغ كان لذلك التباعد اللغوي بين العربية والفرع اللغوي الأمازيغي³ دوراً كبيراً في عملية تكييف العربية عند انتشارها في المنطقة، حيث انتهى بها المطاف إلى تشكل قالب جديد من اللهجة يعرف بالدارجة المغاربية⁴، والتي هي في الحقيقة سوى عملية تاريخية طويلة صرحت فيها معطيات لغوية عديدة عربية وأمازيغية في قالب واحد، فنحن هنا أمام حالة صراع لغوي⁵، ورغم أن التعريب مس أغلبية الأمازيغ فلم تكن العربية هي الوحيدة التي تؤثر على اللغات الأمازيغية بل في المقابل كانت العربية تعرف تحولات كبيرة مست بنيتها المعجمية والنحوية والصرفية، وبهذا أثرت اللغات الأمازيغية على العربية مثلما أثرت العربية على الأمازيغية، ما أدى في النهاية إلى انصهار المكونين اللغويين في طابع جديد عرف باللهجة أو الدارجة المغاربية إذن نحن أمام حالة تُلقبُ في اللسانيات بقاعدة التأثير والتأثر المؤدي إلى ظاهرة الانصهار⁶. وهي لغة التخاطب اليومي لدى سكان شمال

إفريقيا سواء الأمازيغ المستعربين أو المحافظين وهي أقرب معجمياً إلى العربية ونحوياً إلى الأمازيغية

1- شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999م، ص: 11.

2- محمد الكوخي، ص: 182.

3- نفسه، ص: 182.

4- نفسه، ص: 182.

5- لمزيد من المعلومات حول الحالات العامة للصراع اللغوي وتولد اللهجات، راجع على عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص: 82-104.

6- محمد الكوخي، ص: 183.

ولقد أورد على عبد الواحد وافي أن الأمازيغية هُزمت أمام العربية¹، وذكر أيضاً أحمد توفيق المدني أن التعريب أوجد اللغة العامية الدارجة هي من أفصح لغة عربية عامية لان أغلب عبارتها (98%) هي عبارات فصيحة قرآنية². ومنه، يؤكد أنها أفصح كثيراً وأقرب إلى لغة القرآن من العامية التي يتكلمونها في اليمن أو حتى في كثير من أنحاء الحجاز، وأكد هذا القول أيضاً سعيد بن عبد الله الداودي الذي ينفي وجود لغة أمازيغية واحدة أي لا وجود للغة أمازيغية معيارية ويصرح "عن هذه الخريطة اللغوية المعقدة، وهذا البحر المتلاطم من اللهجات هي التي يراد لها ان تكون نداءً للغة العربية"³ مع العلم والمعروف أن اللغة العربية قبل الإسلام كانت مجموعة لهجات* وجدت في شبه الجزيرة العربية و بهذا انزل الله سبحانه القرآن بلهجة قريش قبيلة سيدنا محمد ﷺ في حين رفض هذا الرأي كل من محمد الكوخي ومحمد شفيق** ولكي نفهم مدى تواجد الأمازيغية في الدارجة وكذا مدى تواجد العربية فيها لزم استعراض مستويات المجال اللساني اللغوي والذي يتجلى في أربعة مستويات⁴.

- المستوى المعجمي (Lexical): مجموع ألفاظها وحروف معانيها.

1 - حيث ذكر على عبد الواحد وافي، ص: 85. في عنصر عوامل الصراع اللغوي نزوح عناصر أجنبية إلى البلد وبأخص الحالات التي يحدث فيها تغلب لغة الواحد على المحلي "ومع ما كان للعرب من قوة الشوكة، ورفق اللغة، واتساع الحضارة، وحماية الدين وسطوة الغالب، لم يتم النصر للغة على القبطية والبربرية إلا بعد أمد طويل"

2- أحمد توفيق المدني، ص: 142، 143.

3- سعيد بن عبد الله الداودي، حول عروبة البربر، مدخل الي عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، منشورات الفكر، المغرب، المغرب، الرباط، الطبعة الأولى، 2012، ص 20

*- مع العلم اننا نضيف ان بعض الكلمات التي وجدت في القرآن الكريم لم تفهم من طرف قريش ونورد مثال على ذلك كلمة مناص سورة ص، الآية 03 ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَرْنَ فَنَادُوا وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ لم تفهم حتى مر صحابي بديار غير دياره ليجد طفل يلعب ويحتجز غلّة ويقول لا مناص ومن هنا فهمت أنها لا مفر تفسير مسير بمعنى كثيراً من الأمم أهلكتنا قبل هؤلاء المشركين فاستغاثوا حين جاءهم العذاب ونادوا بالتوبة وليس الوقت وقت القبول توبة ووقت فرار وخلص مما أصابهم.

** - إن كل من مفكري محمد الكوخي ومحمد شفيق قد اعتبروا الدارجة المغاربية هي نوع من المقاومة التي اتخذتها الأمازيغية.

4- محمد شفيق، الدارجة المغربية في شمال إفريقيا مجال توافد بين الأمازيغية والعربية، ص: 07.

- المستوى النحوي الصرفي (Morphologie et grammatical): أي صياغة التي تشكل حروفها وكيفية بناء تصنيفها (La morphologie).

- المستوى التركيبي (Syntaxe): هي الطريقة التي تتركب فيها الجمل وكيفية الربط بينها.

- المستوى الفونولوجي (Phonologie): هو نظام الأصوات اعتبارا من مخارج الحروف وتفاعل هذه الحروف فيما بينها.

وسنركز على المستويين الفونولوجي والمعجمي لأنهما مرتبطين باللسان*.

- **المستوى الفونولوجي**: علاقة الدارجة بالأمازيغية من حيث الصوتيات¹، لعل من أبرز المظاهر التي

يبدو عليها التأثير الأمازيغي في العربية، وبالتالي إنتاج الدارجة وأكثرها وضوحا² هو موضوع الصوتيات وطريقة

النطق، حيث كان للنسق الفونولوجي الأمازيغي ونظامه الخاص في نطق الحروف بمعنى مخارج الحروف، وبالتالي

ظهرت طريقة مميزة للمغاربة المستعربين في نطق الحروف والكلمات العربية وأكبر مثال على ذلك طغيان

الصوامت³ (الحروف المسكنة) على الكلمات الأمازيغية حيث عند جرد الفونيمات** الأمازيغية نجد 27 حرفا

صامتا⁴ في اللغة الأمازيغية .

*- إن التعريب مرتبط أساسا بتداول اللغة حيث أن اللغة ليست فقط ألفاظ متنوعة وإنما في الواقع كل لسان منشأة اجتماعية لها هندستها وهيأتها ولها تاريخ قديم متصل بتاريخ حديث ترى عليه بصماته (محمد شفيق، المرجع السابق، ص: 29).

1- لقد خصص محمد شفيق عنوان لعلاقة الدارجة بالأمازيغية من حيث الصوتيات (la phonétique) الدارجة المغربية في شمال إفريقيا مجال توافد بين الأمازيغية والعربية، ص: 15-20.

2- محمد الكوخي، ص: 184.

3- نفسه، ص: 184.

**- فونيمات مفرد فونيم أو اللافظ أو الصوت phoeme وهو في اللسانيات الفونولوجية اصغر وحدة أساسية في الدراسة الصوتية الحديثة لاية لغة بشرية أو أصغر وحدة صوتية تستعمل في بناء الكلام وعلي سبيل المثال في العربية حرف (ص) يتميز عن حرف (س) في الكلمتين صار و سار وبهذا يكون صوت ص متميز عن صوت س وبهذا اختلاف الكلمتين في معني يرجع الي اختلاف بين صوتي صاد و السين وهذا ما يسمي الفونيم، راجع مدخل إلى اللغة الأمازيغية، مفتاحة أعمار عائشة بوحجار، فاطمة بوخريص، أحمد بوكوس، عبد الله بومالك، محمد المدلاوي، المهدي إعزي، حميد السويقي، ترجمة رشيد لعبدلوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004م، ص: 17.

4- نفسه، ص: 17.

والمعروف أيضاً أن العرب لا تبدأ بساكن¹ وإنما تقف دائماً عند الساكن*، وما يميز الأمازيغية هو أنها تبدأ بالساكن بحكم تواجد 27 صامتاً، فمثلاً إذا ما أخذنا كلمة بحر ففي العربية تنطق بحر بفتح الباء أما للدارجة فالباء يسكُن (بحر) وبهذا فالكلمة ظاهرها عربي لكن باطنها تأثير أمازيغي. وما يميز اللهجات في بلاد الأمازيغ هو أن تبدأ بالساكن وهي ميزة الأمازيغية وليس العربية، وقد صرح محمد شفيق "ولا غرابة في هذا كله بأن الدارجة المغربية متأثرة في العمق بالنسق الفونولوجي الأمازيغي (نظام مخارج الحروف)".² ويذكر غوستاف لوبان "ومع أن الفاتحين** الذين ظهروا قبل العرب لم يستطيعوا أن يفرطوا على الامم المغلوبة لغايتهم قدر العرب، بالعكس على فرض لغتهم عليهم. ولما صارت اللغة العربية عامة في جميع البلاد التي استولوا عليها حلت محل ما كان فيها من اللغات كالسريانية واليونانية والقطبية والبربرية..."³. وما ذلك فان الأمازيغية موجودة في اللهجات المغاربية بمميزات الفونولوجية كما سبق الإشارة.

- المستوى المعجمي: إن التداخل المعجمي بين لغات أمر مألوف ومعروف عند المختصين في

اللسانيات لأن اللغات منشآت اجتماعية⁴ "حية"^{***}.

ومما لا شك فيه أن اللهجة المغاربية أو الدارجة قد حرفت عددا مهما من الكلمات العربية عن معانيها

الحقيقية⁵.

1- محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، ص: 17.

*- هذه أحد مميزات أحكام التجويد القرآن الخاصة بالأربعة عشر قراءة.

2- محمد شفيق، المرجع سابق الذكر، ص: 15.

**- نتحفظ على كلمة الفاتحين الذين استعملها غوستاف لوبان فهم محتلين أكثر منهم فاتحين.

3- غوستاف لوبان حضارة العرب، ص: 456.

4- محمد شفيق، المرجع سابق الذكر، ص: 31.

***- حيث يقصد بها أن اللغة تنمو وتتطور وليست مستقرة وثابتة وهذا حسب الظروف التاريخية والتي تستعمل غالباً عند أغلبية المجتمع، أما ما يقابلها هو اللغة الميتة التي لم تعد تتداول، وبالتالي أصبحت من الماضي ونذكر مثال اللغة اللاتينية.

5- محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، ص: 33.

فمثلا على سبيل المثال كلمة **موالية**¹ في شمال إفريقيا تعني أهله (بشد وسكون الميم وإدغامها) فالقبائل الأمازيغية المستعربة اعتمدت في نسبها العربي بالولاء لا على نسبها الحقيقي وبهذا أصبح الانتماء بالولاء أصبح أساسا للقرابة، ويفسر هذا على أن من أخذ الكلمة أول الأمر عن العرب كان أمازيغي اللسان، وبالتالي فهم الكلمة حسب الظروف التاريخية آنذاك، وبهذا أوحى إليه بمدلول لتلك الكلمة غير مدلولها الحقيقي.

ويظهر من جملة ما ذكر سابقاً أن فك الترابط المعجمي بين العربية والأمازيغية في اللهجات شمال إفريقيا يتطلب منهجية دقيقة لأصحاب الاختصاص في اللسانيات.

وسنقدم أمثلة²: بزاف تعني الكثير، أزرب تعني السرعة، أرا تعني أعطى؛ وهنا عدة أمثلة أوردتها عدة مؤرخين³ اهتموا بعلاقة اللهجة شمال إفريقيا بالأمازيغية.

وتعتبر عملية التركيب اللغوي من اقدم الوسائل التي استعملها الأمازيغ في مجال إغناء رصيده المعجمي حيث تعتمد المسالة على إدماج كلمتين معروفتين لتركيب كلمة جديدة و قد تكون الكلمتان مدججتان في الإسميين او اسم وفعل او فعلين⁴ ان وجود هذه الطريقة في التركيب اللغوي عند الأمازيغ دليل على أنها قديمة وقد انعكس ذلك على النطق عند المغاربة نتيجة الاحتكاك بين القبائل العربية والأمازيغية أدى إلى وجود لغتين في مكان واحد وعلي سبيل المثال نذكر يقول ابن منظور في لسان العرب مادة ق ل ش "ليس في كلام العرب شين بعد اللام في كلمة عربية محضة إنما الشينات كلها في كلامهم قبل اللّامات"⁵

1- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصل والهوية، هامش رقم 40، ص: 30.

2- محمد الكوخي، ص: 187.

3- راجع محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارده بين الأمازيغية والعربية، فقد خصص فصلا كاملا حول القائمة المعجمية بالألفاظ الدارجة التي هي من أصل أمازيغي، ص: 39-174.

4- صدقي على أزايكو، التأويل التّسبي (الجينيولوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، ص: 19، 20.

5- ابن منظور، ص: 3721.

ويذكر أيضاً في مادة ص ر ج "الصاد و جيم لا يجتمعان في كلمة واحدة"¹ وعليه سيكون نتيجة هذا التنافس أو صراع اللغوي كلمات في ظاهرها عربية لكن باطنها وروحها أمازيغية وحدث بسبب احتكاك* بين اللغتين العربية والأمازيغية وهذا ما نلاحظه ليومنا هذا، حيث يذكر العربي عقون أن المستعربين في المغرب لا يزالون يستعملون الكلمة الأمازيغية (دابا) أما في الجزائر يستعملون مثلاً كلمة (ضروك) وهي كلمة محرفة عن كلمة العربية (ذاك الوقت)² وبالتالي رغم أنها كلمة عربية، إلا أنها روحها أمازيغية بطريقة التركيب اللغوي الذي شرحت سالفاً. ولزم ذكر دراسة لمحمد بودهان حيث يتساءل هل الداريجة المغاربية هي مستوي العامي الشفوي للعربية الفصحى عربي، بناء على القرابة المعجمية بين الاثنين؟³ يؤكد ان هذا الاستنتاج خاطئ بحكم ان العامية في أي لغة تنطوي على الاستعمال اليومي وبالتالي درجة المستوي التواصل، الدارج و الشعبي لنفس اللغة التي تملك مستوي اخر أدبيا خاص بالكتابة أي لغة واحدة بمستويين اثنين لكن في حال الداريجة المغاربية يختلف الأمر وسنورد مثال⁴ أورده ضمن عدة امثلة، المثال هو عبارة "عطيني واحد زوج خبزات" وإذا ترجمت حرفياً إلى الفصحى فستصبح أعطيني واحد اثنين من الخبزات، تعبير غير عربي لا معنى له، لأنه في العربية تكون العبارة أعطيني خبزتين، وواضح أن التعابير الداريجة المغاربية لا معنى لها في اللغة العربية الفصحى رغم أن مفرداتها عربية، لكن ترجمتها حرفية لمفردات أمازيغية لها مدلولها ضمن القواعد النحوية والتركيبية⁵ الخاصة باللغة الأمازيغية⁶.

1- ابن منظور، ص: 2424.

*- نلاحظ اننا كلما اتجهنا غرباً فإننا نلاحظ زيادة في الأمازيغ المحافظين ديموغرافياً وكذا من خلال المسح اللغوي نلاحظ زيادة في المحافظة على المفردات الأمازيغية التي اندمجت اندماجاً كلياً في اللهجات المحلية خاصة في المغرب الأقصى ومنه نستخلص ان التعريب كان تقريباً كلياً في الجهة الشرقية ونسبي في الجهة الغربية.

2- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصل والهوية، هامش رقم 49، ص: 31.

3- محمد بودهان، في الهوية الأمازيغية للمغرب، منشورات تاويزا طبعة الكترونية، ط2، 2013م، ص: 104-110.

4- نفسه، ص: 107.

5- نفسه، ص: 108.

6- لمزيد من المعلومات حول الجانب التركيبي والنحوي للغة الأمازيغية راجع مدخل الي اللغة الأمازيغية، مفتاحة أعمر عائشة بوحجار، فاطمة بوخريص، أحمد بوكوس، عبد الله بومالك، محمد المدلاوي، المهدي إعزي، حميد السويقي، ترجمة رشيد لعبدلوي ص: 64-90.

وبهذا نستخلص أن الدارجة المغاربية روحها أمازيغية، فلا يكفي ان تكون الكلمات المعجمية من أصل عربي لتكون لهجة للغة وإلا لكانت الفارسية لغة عربية، لأنها تأثرت في كلماتها بالعربية لكنها مستقلة بحكم المستوي التركيبي والنحوي.

وفي الختام فمن الواضح أن اللهجة أو الدارجة لم تكن إلا انعكاس لعوائق التعريب، حيث نستخلص أن انعكاسات العوائق تولدت في الشكل الباطني للغة، حيث وجدت الدارجة التي عبرت عن هوية السكان الأصليين لشمال إفريقيا (الأمازيغ) رغم تعريبهم الظاهري، ومنه اقتبس مقولة محمد الكوخي¹ في مفهوم الدارجة أنها "عربية منطوقة من قبل الأمازيغ، ومجعولة في خدمة أذهان أمازيغية". وبالتالي هناك تأثير وتأثير بين العربية والأمازيغية حيث انه لزم ان ينكب المختصون في اللسانيات لدراسة اللهجة المغاربية ويستخرجون منها الإشكاليات المطروحة بدقة.

1- محمد الكوخي، ص: 188.

الخاتمة

إن موضوع دراستنا هو علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ، وهذا البحث هو دراسة تاريخية تحليلية ذات طابع تفصيلي، أي يندرج ضمن ما يصلح تسميته بـ"التاريخ الجديد" *la Nouvelle Histoire* حيث أن دراسة هذا الموضوع لزم أن تتخطى الدراسة التقليدية للتاريخ من ناحية الوقائع السياسية، وتهتم بالإنسان وأحواله المتغيرة باستمرار على مر العصور، أي تفاعل الإنسان مع بيئته وتفاعله ومع المؤثرات الخارجية وما نتج عنها، ولذا يتمحور البحث حول الأمازيغ كمجتمع، ودور الإسلام كمحرك ومُسير أثر في بناء كيانه والمتمثل في التعريب، وساهم في ذلك بانعكاسات ليست دينية فحسب وإنما سياسية، واجتماعية، وثقافية.

ومنه، فإن دراسة علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ تهتم بالإنسان الأمازيغي ليست كفرد مستقل وإنما كمُساهم ومؤثر في القضايا الثقافية الدينية، وعليه فالدراسة تتمحور حول فهم آليات التطور والتبدل للمجتمع الأمازيغي، وهي تهتم بنوعان من العلاقات؛ الأولى التفاعل الثقافي بين الثقافات بحكم تقبل الآخر وبالتالي تبني الحضارة العربية الإسلامية بكل مكوناتها، وقد حُددت ضمن العوامل التي قُسمت بدورها إلى خارجية وذاتية، والثانية التفاعل المتبادل بين الثقافات بحكم التأثير والتأثير، وقد حددنا ضمن فصل العوائق أي بالمعنى الإجمالي تقبل الإسلام ورفض التعريب، وهذا ما سيساعدنا على فهم أجزاء مهمة من ديناميكية المجتمع الأمازيغي، وترجمتها، بمعنى معرفة انعكاساتها في السلوكيات الاجتماعية، الثقافية والدينية، وما لاحظناه أن الظاهرة الاجتماعية الواحدة والمتمثلة في دراستنا هذه بالتعريب يمكن أن تُقرأ قراءات متباينة ومتعددة في نفس الوقت، ذلك أن المعارف التاريخية نسبية أساسًا، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تأثير الحاضر على الكتابة التاريخية، حيث أن القراءة تتم تحت ضغط الحاضر أو نسبية الظرف أو إرادة الإيديولوجيين. وهذا ما لاحظناه من خلال مختلف أطروحات الأيديولوجيين سواء الغربيون أو الشرقيون أو حتى المغاربة أنفسهم، متأثرين سواء بالشرقيين أو الغربيين. واول ما تفرضه معالجة الإشكالية هو تبيان العوامل الفعالة في تكوين شخصية الانسان المُوَّرب الأمازيغي، ومن هنا نرى أن أية معالجة صحيحة للقضايا التي ترتبط بالتفاعلات الثقافية يجب أن تستند إلى

معرفة تاريخية شاملة بكل جوانبها، حيث أن تركيبة المجتمع الأمازيغي محصلة لتراكمات تاريخية واقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية تمتد طيلة العصر الوسيط.

وعلى هذا الأساس فنحن أمام مستوى دراسة يتعلق **بالعرق والتاريخ**، وفيما يخص الدراسات التاريخية المختصة بهذا النوع، فهناك نوعان من التاريخ، التاريخ التجميحي، هذا الأخير عكسه التاريخ الساكن الذي لا يقدم تغييراً في المجتمع، أما العصر الوسيط لدى الأمازيغ فقد كان حيويًا ومتغيراً أدى إلى إنتاج تاريخ تجميحي، بمعنى أن كل مجتمع يتطور في اتجاه موازي لمجتمعات أخرى مؤثرة به، وهذا ما حدث للمجتمع الأمازيغي الذي أوجد هذا النوع من التاريخ إذ اجتمعت فيه العوامل والعوائق، فمنهم من تبني التعريب بمستوياته سواء اللغوية كمستوي ابتدائي إلى العرقي كمستوي نهائي، ومنهم من نبذ التعريب العرقي بعدما تفقه في الإسلام.

وبهذا فقد عاجت الدراسة حادثين هامين وهما **إسلام الأمازيغ** الذي كان كُلي، وكذا ظاهرة **تعريب الأمازيغ التي كانت جزئية**، حيث كانت النتيجة الطبيعية أن يتَّعرب الأمازيغ بعد إسلامهم، وبهذا تعلموا لغة القرآن الكريم بحكم أنه مصدر التشريع الإسلامي، فأضفى على الدين صبغة كونية، عبرت عن تصوراتهم باللغة العربية، ومن هنا سارت العربية في بلاد الأمازيغ أول الأمر، بموازاة انتشار الإسلام، لكن عوائق تخللت سيرها المطرد مع انتشار الإسلام، وبهذا تأخر التعريب وتقدمت الأسلمة، وهذا ما يفسر إشكالية أسلمة جُل الأمازيغ وتعريب أغلبيتهم وليس جُلهم، وكانت بذلك الأطروحة تركز على تفسير تغير سرعة التعريب مقارنة بسرعة انتشار الإسلام، أي أنه من الناحية البشرية تميزت بلاد الأمازيغ باحتفاظ جزء من الأمازيغ بمميزاتهم التي عهدوها منذ آلاف القرون خاصة في مناطق جغرافية محددة كالمناطق الجبلية والصحراوية، حيث احتفظوا بلغتهم الأصلية كلغة حديث فقط مع أسلمتهم بطبيعة الحال.

إن الهدف من الدراسات التاريخية ليس فقط مساهمة في اكتشاف ماضي الإنسانية، بل المساعدة على التعرف على الكيفية التي يمكن بها للإنسان من دمج ماضيه المتعدد في حاضره الدائم والسير بذلك نحو المستقبل، وبالتالي فالدراسة "علاقة الإسلام بتعريب الأمازيغ" أوجدت النقاط التالية:

1- إن نقطة التحول التاريخي كانت منذ الفتح الإسلامي، حيث أنه مع بداية هذه الفترة سينقسم

تاريخ الأمازيغ إلى عهدين يتناقضان ضمن تاريخ مجتمع واحد ألا هو مجتمع الأمازيغي. وبهذا علاقة

الأمازيغ بالعرب جاء منذ نقطة التحول وهي الفتوحات الإسلامية.

2- إقبال الأمازيغ في مجملهم في النهاية إلى اعتناق الإسلام كنتيجة تعتبر فريدة في المجتمعات التي طالها

الفتح، ومنه لم تبق أقلية مسيحية رغم أن قسماً من الأمازيغ كان يدين بها وحتى أنه أوجد فلسفتها

وأسسها، وعلى رأسهم القديس أغسطين والقديس دونا وغيرهم.

3- سيؤدي اعتناق الأمازيغ للدين الإسلامي إلى وقوع تغيرات مختلفة مست ميادين جد متنوعة من

حياة الأمازيغ بحكم التأثير والتأثير.

فالتأثير: تجلّى في أن الأمازيغ في كل حقبة من تاريخ الإسلام، يُعتبرون من أكبر الشعوب الإسلامية

التي لعبت دوراً أساسياً وهاماً في جميع المجالات:

- **المجال العسكري** وسعت دائرة الأمة الإسلامية ولاسيما في جهة بلاد الغرب الإسلامي (بلاد

الأمازيغ والأندلس)، وكمثال على ذلك جيوش طارق بن زياد أغلبتهم أمازيغ ودورهم في فتح الأندلس، وكذا

دور قبيلة كتامة الأمازيغية التي نقلت على كاهلها توسيع رقعة الخلافة الفاطمية ونقلها إلى مصر وبناءها أكبر

جوامعها الذي مازال مفخرة يفتخر به المصريون لحد اليوم، ألا وهو جامع الأزهر.

- **الناحية السياسية** دول إسلامية قامت على كاهلهم كالأدارسة، الرستميون، بني زيري، الحماديون،

المرابطون، الموحدون.

الناحية الثقافية نشر الدعوة الإسلامية في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء. ومنه فإسلام هؤلاء يعود

الفضل فيه للأمازيغ.

وبهذا فقد لعب الأمازيغ دوراً أساسياً منذ اعتناقهم الإسلام، فأسلمتهم ستؤدي إلى تشكيل لحمة ربطتهم بالعرب مما أدى إلى الاندماج، وعليه يأتي المستوى الثاني من الدراسة وهو التعريب، فاندماج الأمازيغ في الحضارة العربية الإسلامية كان نتيجة أسلمتهم، ومن ثم تعريبهم، ويذكر صديني على أزايكو في مقاله التأويل الجينولوجي لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ "إرادة الإدماج من جهة، والرغبة في الإدماج من جهة أخرى، تلتقيان إذن لإرضاء تلك الإرادة وتلبية هذه الرغبة وذلك بخلق أسس جديدة للتاريخ" وقد ترجم ذلك في الأطروحة بعوامل التعريب الخارجية أولاً ثم الذاتية ثانياً المرتبطة بالأمازيغ أنفسهم، ومن هنا تداخلت وكثرت العوامل فيما بينها في شتى المجالات لنصل إلى مستوى بنيوي متداخل تداخلاً يصعب علينا تحليله إلا إذا قُسم إلى مجالات.

ومن هنا نستخلص أن التعريب ارتبط ارتباطاً متيناً بالأسلمة حيث أن العربية لغة رسخها الإسلام، وأعطاهها بعداً مقدساً، وهذا ما جعل الأمازيغ يتعلقون بها ويبدعون فيها.

وأما من ناحية سيرورة التاريخ انتقل التعريب من اللغوي إلى الجينولوجي، أي إشكالية إنكار الذات لدى الأمازيغ، وبالتالي كان نتيجة التعريب وجود أمازيغ مستعربين، ومن هنا نقتبس ما ذكره الأستاذ رابح لونيبي في مقاله "علاج فانوني لعقدة الانتساب الي الآخر لدي بعض المغاربة" فيرجع عامل انكار الذات لدي الامازيغ الي العامل النفسي و يقيم مقارنة بين ما يحس به الامازيغي امام العربي من نظرة الدونية الي ما يشبه ما يحس به الأسود إتجاه الأبيض و عليه يؤدُ الأسود ان يلبس قناع ابيض ليتخلص من الإحساس بالدونية امام ذوي البشرة البيضاء و هذا ما ذهب اليه فانون في كتابة بشرة سوداء -قناع ابيض و عليه فانكار الذات

لدي الامازيغ ترجع أساسا الي عصبية الدولة الاموية للعنصر العربي و احتقار كل ما هو ليس عربي و تصنيفهم ضمن الموالي أي مواطنون درجة ثانية ، و لكي يتخلصوا من هذا الإحساس كان لزاما عليهم ان يتعربوا ، لكن لماذا لم يقاوموا التعريب مثل ما حدث ان قاوموا الرومنة ، حيث اننا عاجلنا إشكالية العدد بين الرومنة و التعريب، و سبب يرجع أساسا الي حبههم للإسلام و خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، فتوازي انتشار الإسلام مع التعريب .

لكن في نفس الوقت وُجِدَ أمازيغ محافظين، وهم الأمازيغ الذي أسلموا وحافظوا في الوقت ذاته على هويتهم، لغتهم وبذلك خصوصياتهم، وقد تُرجم ذلك في الأطروحة من خلال فصل العوائق واستنتجنا بذلك أن الإسلام لا شك أنه يحمل قيماً ومبادئ نبيلة وعظيمة، لكن المسلمين عبر تاريخهم الطويل أعطوا أسوأ أشكال الفهم لهذا الدين، وأول صدام عرقل التعريب هو العصبية العربية في عهد الدولة الأموية، و بتالي فالعصبية العربية عهد الدولة الاموية لعبت دوران دور ساعد علي التعريب و اخر كان عائقا امام التعريب ، حيث أظهرت الدراسة وجود فرق بين فترة الفتوحات الراشدية وفتوحات الدولة الأموية، هذه الأخيرة تميزت بظلم ولائها واستعباد الأمازيغ رغم إسلامهم، باستثناء فترة الخليفة "عمر بن عبد العزيز" التي تميزت بالاستقرار النسبي، وإرساء معالم المساواة بين الأمازيغ والعرب، وعليه تعرف الأمازيغ في هذه الفترة على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف الصحيحة فقبلوه أو على حد تعبير الأستاذ رايح لونيبي "لم يتقبل الأمازيغ الإسلام، إلا بعد ما تبين لهم أنه الدين الأسمى والأكمل والأقرب إلى العقل والقلب... وقد لاحظ الأمازيغ أن الإسلام لا يتناقض مع قيمهم وثقافتهم وتقاليدهم المتمثلة في عشق الحرية والعدل"، ومن هنا وجد الصدام بين الأمازيغ وسياسة التعريب، وكانت النتيجة استقلال الأمازيغ عن الخلافة في الشرق التي لم تعد تُلبى مقاصد الأمازيغ من حب للحرية وعدل ومساواة وشكلوا بذلك دويلات إسلامية أمازيغية مستقلة محتفظين بالدين الإسلامي كمرجعية دينية، بعدما تعرفوا على الإسلام وأدركوا أنه دين التكامل، دين البساطة، دين المساواة والرقي الاجتماعي دين

علمي لا قومي لقوله جل جلاله ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران آية 85).

وبهذا أصبح الأمازيغ يثورون على السلطة العربية سياسياً لا دينياً لتتقدم الأسلمة ويتراجع التعريب، والجدير بالذكر، فقد اختلف تاريخ المغرب عن المشرق من خلال ما رأيناه في الأطروحة، فتاريخ المشرق لم يرتبط فيه التعريب بالإسلام، والدليل أنه في المشرق ليس كل ناطق بالعربية مُسلم، ومثال على ذلك الأقباط بمصر والأرمن الكاثوليك ببلاد الشام، ففي المشرق التعريب سبق الإسلام أما المغرب فالإسلام تماشا مع التعريب، وبهذا نجد ارتباط وثيق بين الإسلام والتعريب لكن ليس ارتباط حتمي ضروري، والدليل هناك من رفض ونبذ التعريب من الأمازيغ.

ومهما يكن فلقد تعرب الأمازيغ حباً في الإسلام، وقد نبذ بعضهم التعريب أيضاً حباً في الإسلام، كرد فعل سببه جور الولاة في عهد الدولة الأموية، مع إدراكهم الكلي ان الدين الإسلامي دين كافة الشعوب وليس خاصاً بالمجتمع العربي وحده، حيث أنه عقيدة مستقلة عن الأصل تماماً عكس الديانة اليهودية التي تمثل قومية وديانة في نفس الوقت.

وفي الختام التعريب هو تضافر عدة عوامل تداخلت فيما بينها، لكن يبقى العامل الحاسم هو اقتناع الأمازيغ بأن العربية ضرورية لفهم الإسلام، بمعنى وجب على كل من اعتنق الإسلام تحصيل اللغة العربية، وأصبح بذلك حقيقة قائمة لم يستطع الاستعمار في الفترة الحديثة اقتلاعه، أي ما يعرف في علم النفس باللاوعي الجماعي، وقد كان هذا العامل نقطة ارتكازية أوجدت باقي العوامل، ومهما يكن فإن الدين الإسلامي يحمل في جوهره بدور اعتناقه فقد حافظت فئة من الأمازيغ على انتمائها ولغتها، وتجلت بذلك العوائق التي حالت دون تعريب هذه الفئة من الأمازيغ لكن تجلت عوامل أخرى في أسلمتها. وبهذا فأسلمة الأمازيغ أسلمة لم

تتزعج عند مجيء الاستعمار، حيث إذ كان اعتناقهم للإسلام بفعل قوة مادية بإكراه على طريق العنف (السيف) كان لابد أن يزول مفعول هذا الإكراه عند مجيء الاستعمار، ومحاولاته المتكررة للتصير، ومن هنا نرى أن الأمازيغ المحافظين مازالوا متمسكين بالإسلام تمسكاً لم يضعفه لا مرور الزمن ولا ظلم واضطهاد الحركة الاستعمارية التي حاولت بكل الوسائل استعادة مجد الكنيسة الإفريقية في بلاد الأمازيغ، ومهما يكن سواء أمازيغ محافظين أو أمازيغ معربون، فما يُوحَدنا هو الإسلام وقد ذكر القرآن الكريم الأمة بمفهوم الأمة الإسلامية في السور التالية، سورة الأنبياء، الآية 92 ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٢﴾. سورة المؤمنون اية 52 ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٥٢﴾.

وعليه فإن الأقوام هي واحدة عند الله في الإسلام ومعيار التفضيل يكون للتقوى لا الأصل مثلما حدث في الدولة الأموية وعصبتها العربية، ودليل سورة الحجرات، الآية 11 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَبِ بِنِسِ الْأَسْمِ الْأَسْوَقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾.

وبهذا فقد برهن الأمازيغ على فقههم لجوهر الدين الإسلامي عندما ثاروا ضد قانون الظهير البربري في المغرب الأقصى 16 ماي 1930 الذي ينص بموجبه "أن تحل الأعراف الأمازيغية محل المحاكم الشرعية الإسلامية" وهنا خرج الأمازيغ رافضين لهذا القانون، وبالتالي نستخلص أنه رغم أن الأمازيغ مجتمع محافظ على تراثه وأعرافه وتقاليده وتمسك بها إلا أن هذا لا يقارن بتمسكهم بالإسلام.

وبهذا أيقنوا وبرهنوا على معرفتهم الفرق بين التعريب الذي هو فكرة سوسيولوجية والإسلام الذي هو دين الحق، دين عالمي كوني، وحتى الأمازيغ المتعربون فقد تعربوا حباً في الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنكروا بذلك ذاتهم التي كانت من الأمور الجوهرية التي تمسكوا بها قرون وقرون بعد تاريخهم الطويل.

ومع كل هذا يجمع المؤرخون والسيوسولوجيون أن الأمازيغ حتى وإن تعربوا واستعربوا يظلون على الدوام

متميزين عن عرب شبه الجزيرة العربية بترائهم ولهجتهم وثقافتهم وعاداتهم المتوارثة منذ آلاف السنين.

انتهى بحمد الله

الملاحق

ملحق رقم 01: تاريخ تواجد الأمازيغ منذ التاريخ القديم إلى التاريخ الوسيط

ملحق رقم 02: خرائط بلاد الأمازيغ (أ) خريطتين (دولة بني زيري، هجرة بني هلال)

(ب) خريطتين للفتوحات الإسلامية

(ج) خريطتين للجهات الناطقة بالأمازيغية حاليا

(د) خريطة بلاد الأمازيغ

ملحق رقم 03: صور وأشكال خاصة بالأمازيغ وتراثهم

صورة رقم 01: رجل أمازيغي من الطوارق

صورة رقم 02: رجل من اتحاد ايت عطا المغرب الاقصي

صورة رقم 03: امرأة أمازيغية بالزي التقليدي

صورة رقم 04: ثمثال من جمال

صورة رقم 05: مسلتان بونيقيتان

ملحق رقم 04: أشكال لزراي من مناطق متعددة من بلاد الأمازيغ

الشكل رقم 01: زراي لمنطقة تيزي وزو

الشكل رقم 02: زراي من منطقة غرداية

الشكل رقم 03: زراي من منطقة بني مزاب

الشكل رقم 04: زراي من جبال عمور تعود لسنة 1890

ملحق رقم 05: خرائط دول الخوارج (خريطة الرستميون، خريطة بني مدرار)

ملحق رقم 06: خريطة توسع الدولة الاموية

ملحق رقم 07: الخط العربي في بلاد الأمازيغ

1- خريطة للخط العربي في العالم الإسلامي

2- خريطة فترات توسع الكتابة العربية في العالم الإسلامي

3- أشكال الخط المغاربي

4- مخطط يُبين ملامح نشوء الخط المغاربي

ملحق رقم 08: الانساب

1- نسب الرسول محمد صل الله عليه وسلم

2- نسب القبائل العربية (العاربة والمستعربة)

ملحق رقم 09 خرائط بلاد الأمازيغ (عصر الولاة، عصر الدويلات الأمازيغية)

ملحق رقم 10: خطبة طارق بن زياد (نموذج عن أمازيغي متعرب)

ملحق رقم 11: قصيدة مفدي زكريا إلمادة الجزائر القسم الخاص بموضوع اطروحتنا

ملحق رقم 12: جدول للحروف العربية يقابلها حروف لاتينية وأخرى أمازيغية

ملحق رقم 13: خرائط قديمة لبلاد الأمازيغ: 1- خريطة لبلاد الأمازيغ تعود إلى سنة 1630

2- خريطة بلاد الأمازيغ تعود إلى سنة 1771

ملحق رقم 14: دولة برغواطة

ملحق رقم 01: تاريخ تواجد الأمازيغ منذ التاريخ القديم إلى التاريخ الوسيط

المصدر: البربر ذاكرة وهوية، غابرييل كامب ص 387 ص 391. بتصرف

800-146 ق م: قرطاج

- حوالي 450 ق م: قرطاج تغدو إمبراطورية افريقية
- 396 ق م: استلاء الليبيين والنوميديين الثائرين على تونس
- 220-203 ق م حكم سيفاقس ملك النوميديين الماسيسيليين**
- مملكة الماسيسيليين النوميديية
- 203-148 ق م حكم ماسينيسا توحيد نوميديا والاستلاء على قرطاج
- 146 ق م تخریب قرطاج وتأسيس مقاطعة افريقيا الرومانية
- 148 - 118 ق م حكم يوغوفا وصراعه مع روما
- 148-118 ق م حكم ميسيسيا 105-46 ق م الاسرة الماسيلية في الشرق (كوزا، ماستانبار ماسينيسا الثاني ويوبا الأول)

- 46 ق م هزيمة يوبا وانشاء المقاطعة الرومانية في أراضي مملكة نوميديا سابقا

25 ق م - 40 م الاسرة الموريتانية يوبا الثاني وبطليموس

- 42 م انشاء المقاطعتين الرومانيتين موريتانيا الطنجية (المغرب) وموريتانيا القيصرية (وسط الجزائر وغربها)

146 ق م - 400 م: الاحتلال الروماني

- 100م - 400م اعتناق الأمازيغ المسيحية في مقاطعة افريقيا ونوميديا
- 225م الاحتلال الروماني يبلغ أقصاه في افريقيا الشمالية
- 250-300م ثورات الأمازيغ ضد استبداد السلطة الرومانية
- 305-313 م انتشار الدوناتية
- 372-376م تمرد فيرموس قائد أمازيغي
- 396-430م تولية القديس اغسطينوس أسقفا على كنيسة هيون (عنابة)

439-533م المملكة الوندالية.

- 455م القائد الأمازيغي ماستيس يعلن نفسه امبراطور في الاوراس

533-647 م السيطرة البيزنطية.

- وجود امارات أمازيغية مستقلة
- توغل البدو الجمالين من الأمازيغ زناتة إلى الصحراء

بداية عهد جديد ظهور العرب في بلاد الأمازيغ:

- 647م ظهور العرب الفاتحين في بلاد الأمازيغ شرقا، معركة سبيلطة

- 670 م تأسيس القيروان من طرف عقبة بن نافع
- 686 م - 683 م مقاومة كسيلة قبيلة اورية واستلاءه على القيروان
- 695 م - 702 م مقاومة الكاهنة قبيلة جراوة الاوراس
- 711 م جيش طارق بن زياد الأمازيغي يفتح الاندلس
- 670 م - 750 م اعتناق الأمازيغ للإسلام مع ظهور مذهب الخوارج الاباضية والصفرية
- 750 م - 780 م ثورة الخوارج ببلاد الأمازيغ

تأسيس الدويلات في بلاد الأمازيغ:

- 800 م - 909 م دولة الاغالبة
- 776 م - 909 م دولة الرستمية
- 757 م - 922 م دولة الادارسة

الدولة العبيدية (الفاطمية):

- 893 م أبو عبيد الله الشيعي لدى قبيلة كتامة الأمازيغية
- 902 م - 910 م توسع كتامة في افريقية ووسط بلاد الأمازيغ
- 922 م توسع الفاطميين في المغرب الأقصى
- 969 م - 973 م توسع في مصر واتخاذ القاهرة عاصمة

الدولة الزيرية:

- 973 م - 1060 م تواجد الدولة الزيرية في افريقية ووسط بلاد الأمازيغ
- 973 م - 984 م حكم بولوغين وتأسيس مدينة الجزائر

الدولة الحمادية:

- 1015 م - 1163 م تأسيس الدولة الحمادية في وسط بلاد الأمازيغ
- 1016 م - 1088 م حكم النصر وتأسيس مدينة بجاية
- 1050 م اجتياح قبائل بني هلال وبني سليم بلاد الأمازيغ بعد طردهم من مصر في موجات هجرة متتالية

الامبراطوريات الأمازيغية:

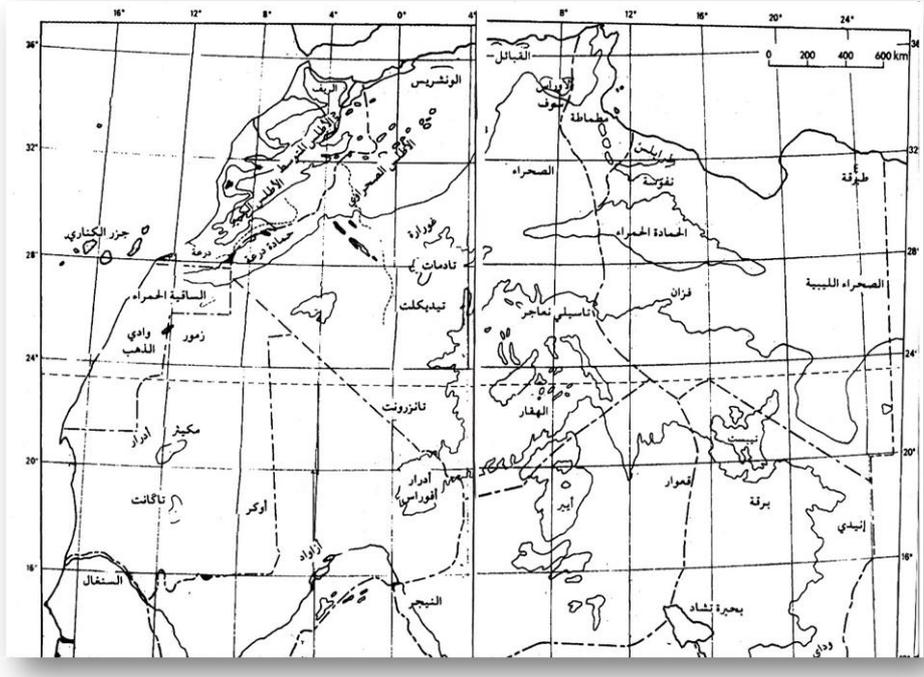
(1) الإمبراطورية المرابطين:

- حدودها (غربالصحراء، المغرب، غرب الجزائر والاندلس)
- 1059 م - 1062 م القضاء على دولة برغواطة
- 1061 م - 1088 م حكم يوسف بن تاشفين وتأسيس مراكش

(2) الإمبراطورية الموحدين:

- حدودها (بلاد الأمازيغ والاندلس = الغرب الإسلامي)

(د) خريطة بلاد الأمازيغ



المصدر: البربر ذاكرة وهوية، غابرييل كامب، ص 50 ص 51.

الملحق رقم 03: صور وأشكال خاصة بالأمازيغ وتراثهم
الصورة رقم 01: رجل أمازيغي من الطوارق (الصحراء)



الصورة رقم 02: رجل من آيت إسفول (اتحاد آيت عطا، الاتحاد الأطلس)

الصورة رقم 03: إمرأة أمازيغية بالنزي التقليدي



الصورة 04: جَمال في ثَمثال صغير من الطين موجود في متحف سوسة (تونس)

وهذا الثمثال دليل على أهمية الجمال في بلاد الأمازيغ



الصورة 05: مسلتان بونيقيتان موجودتان كل من متحف تونس والآخر موجود بمتحف قالمة (الجزائر)

المصدر: البربر ذاكرة وهوية، غابرييل كامب، (الشكل 04 ص 165، الشكل 05 ص 187



ملحق رقم 04: أشكال لزراي من مناطق متعددة من بلاد الأمازيغ

المصدر: صور التقطت حديثا مارس 2017 من طرف الباحثة حميدة بوبكر طالبة الدكتوراه تخصص علم الاجتماع.

وقد توصلت ان الزخرفة الموجودة في زراي الأمازيغ قديما هي رموز اتصال بين الام وابنتها عندما تتزوج

الصورة رقم 01: صورة لزراي من منطقة تيزي وزو.



الصورة رقم 02: صورة لنزاي من منطقة غرداية:



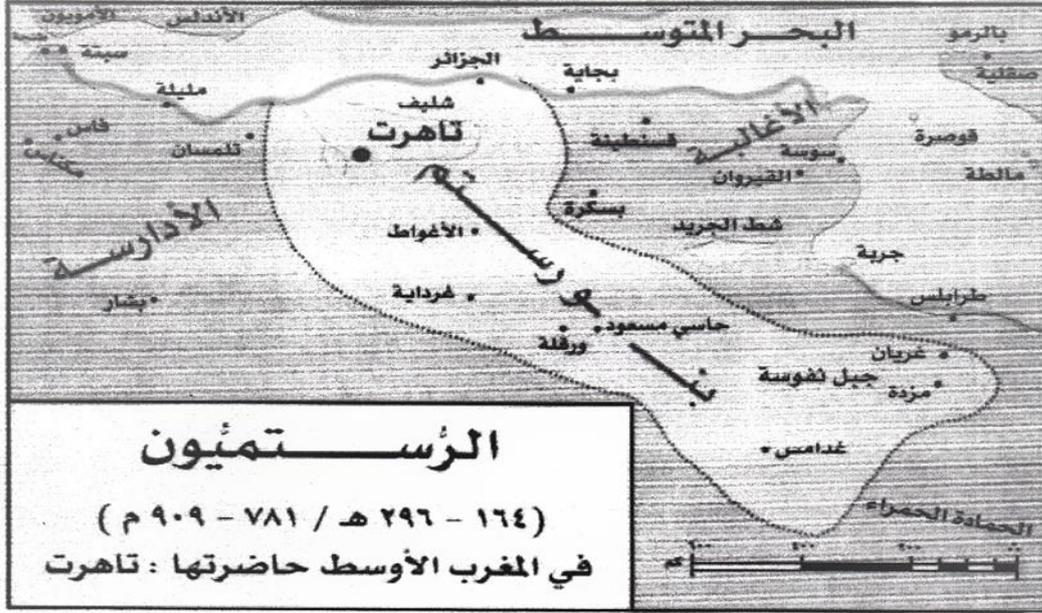
صورة رقم 03: صورة لنزاي من منطقة بني مزاب

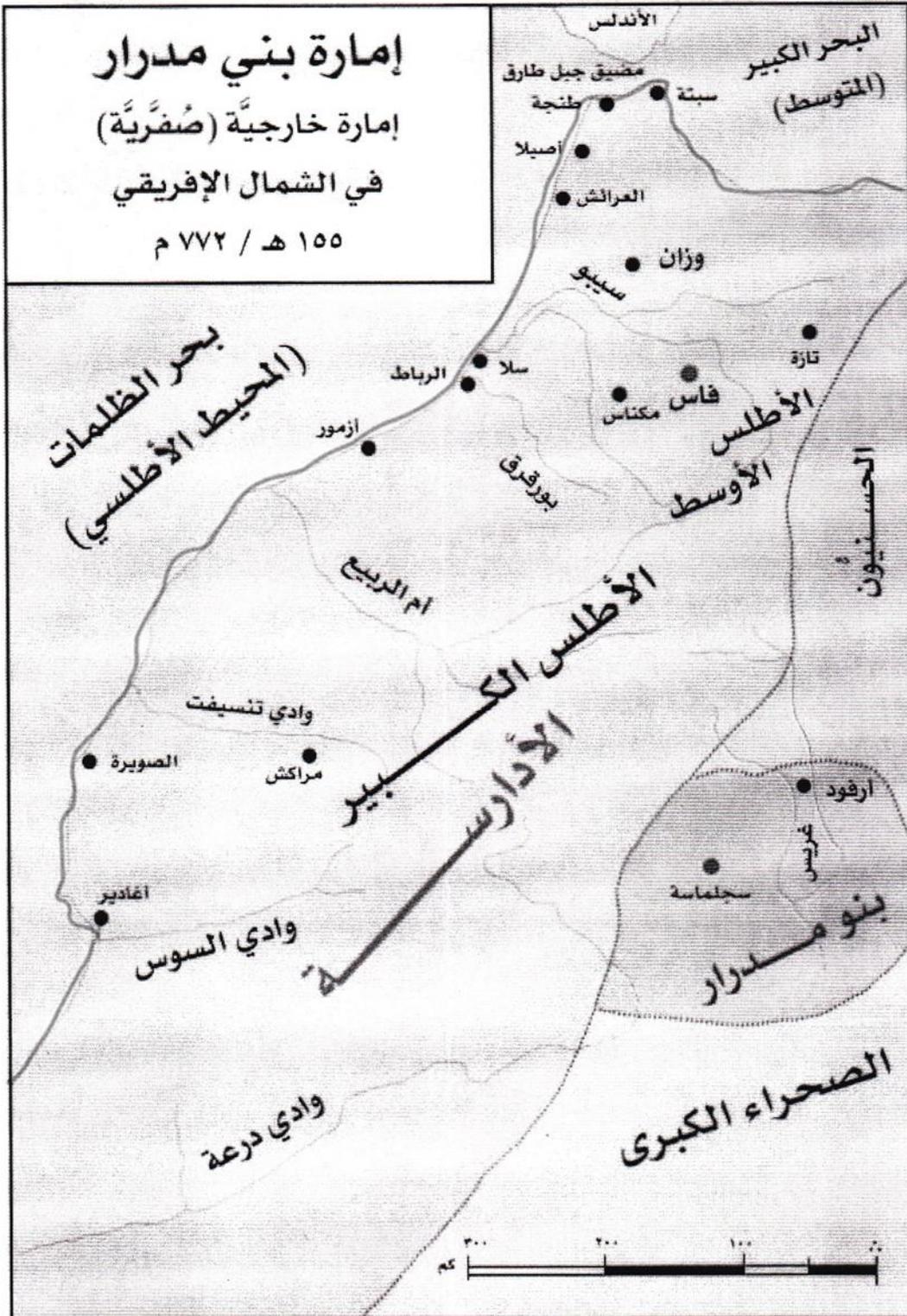


صورة رقم 04: صورة لزرابي من جبال عمور يعود إلى سنة 1890

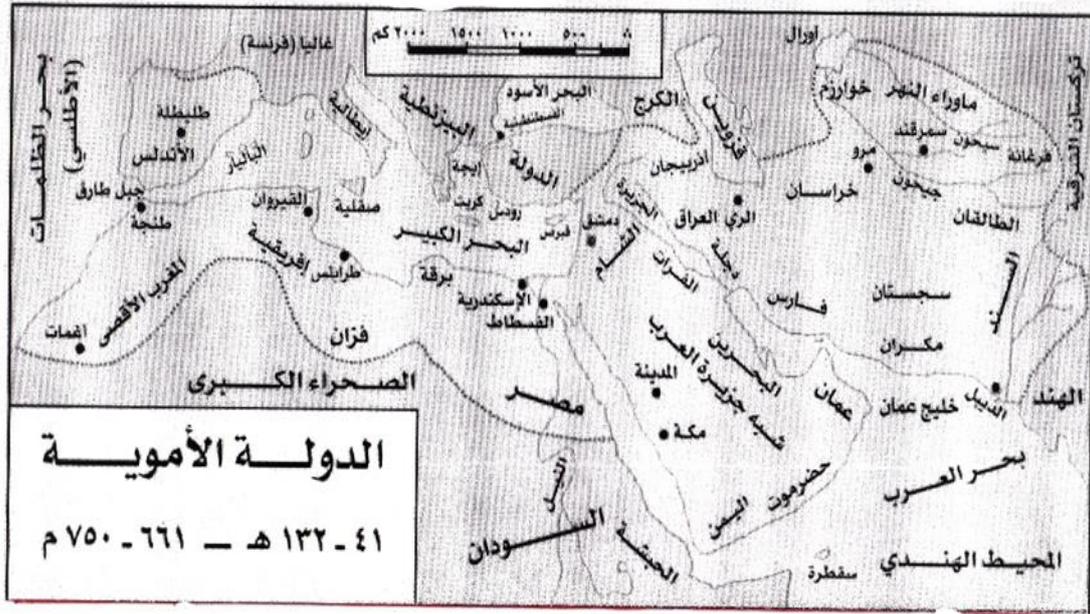


الملحق رقم 05: خرائط دول الخوارج





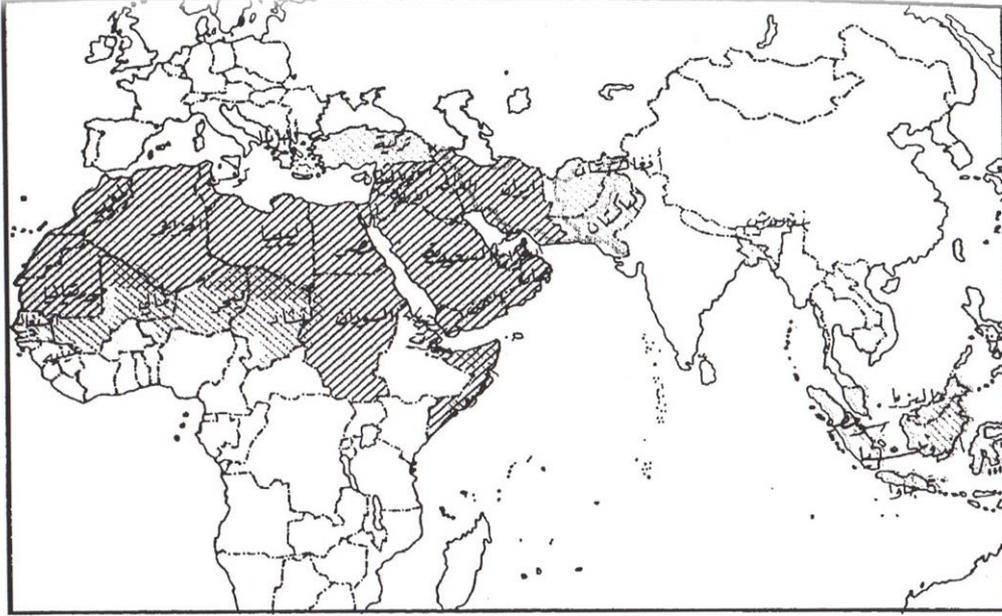
ملحق رقم 06: خريطة توسع الدولة الاموية (تمثل الإمبراطورية العربية)



المصدر: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، تأليف شوقي أبو خليل، ص 47

ملحق رقم 07: الخط العربي في بلاد الأمازيغ

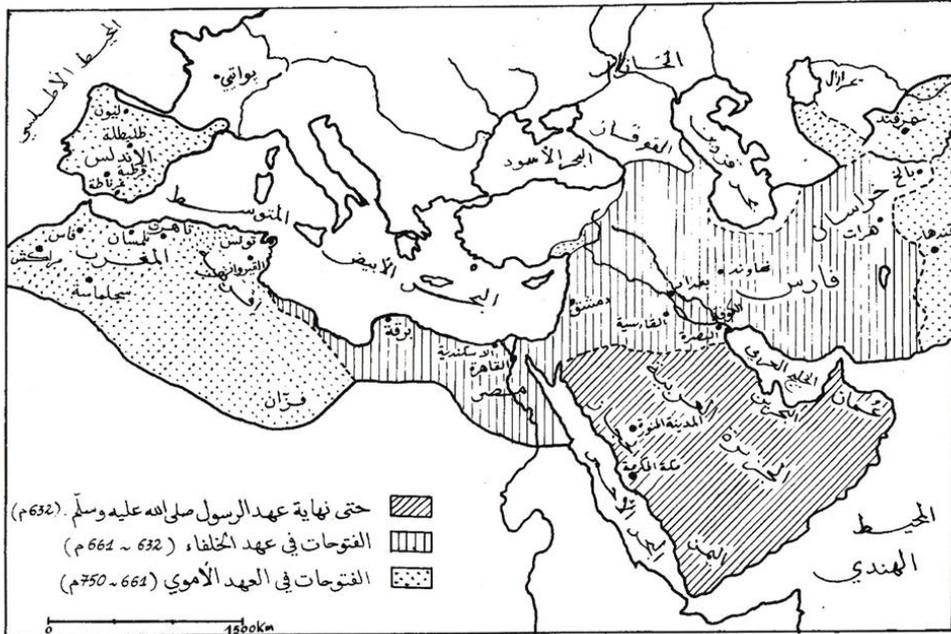
خريطة رقم 01: الخط العربي في العالم الإسلامي



استعمال الخط العربي بشكل عام
استعمال الخط العربي لأغراض الدين والشعائر

الخريطة الخط العربي في العالم الإسلامي

المصدر: أطلس الحضارة الإسلامية، تأليف إسماعيل راجي الفاروقي، ص 370
خريطة رقم 02: فترات توسع الكتابة العربية في العالم الإسلامي.



خريطة توسع الكتابة العربية في العالم الإسلامي

المصدر: كتاب الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق، تأليف: عمر أفا، محمد مغراوي ص 26

المصدر: كتاب الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق تأليف: عمر أفا، محمد مغراوي ص 31 ص 14

نماذج من الأنواع الخمسة للخط المغربي

ثم صرحت أكتب في الكاغيد حتى استفام خطي وجاد،
وترونق أوكاد، بلازمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد
رحمة الله. وكان ذا أخك حسن، مروفق مستحسن، وكان
يعلمني انتظام الحروف واتسافها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعريفها.

الخط الكوفي المتغرب

ثم صرحت أكتب في الكاغيد حتى استفام خطي وجاد،
وترونق أوكاد، بلازمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد
رحمة الله. وكان ذا أخك حسن، مروفق مستحسن، وكان
يعلمني انتظام الحروف واتسافها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعريفها.

الخط المبسوط

ثم صرحت أكتب في الكاغيد حتى استفام خطي وجاد،
وترونق أوكاد، بلازمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد
رحمة الله. وكان ذا أخك حسن، مروفق مستحسن، وكان
يعلمني انتظام الحروف واتسافها، ويفر لي النسبة
من الكتابة وتعريفها..

الخط الجوهري

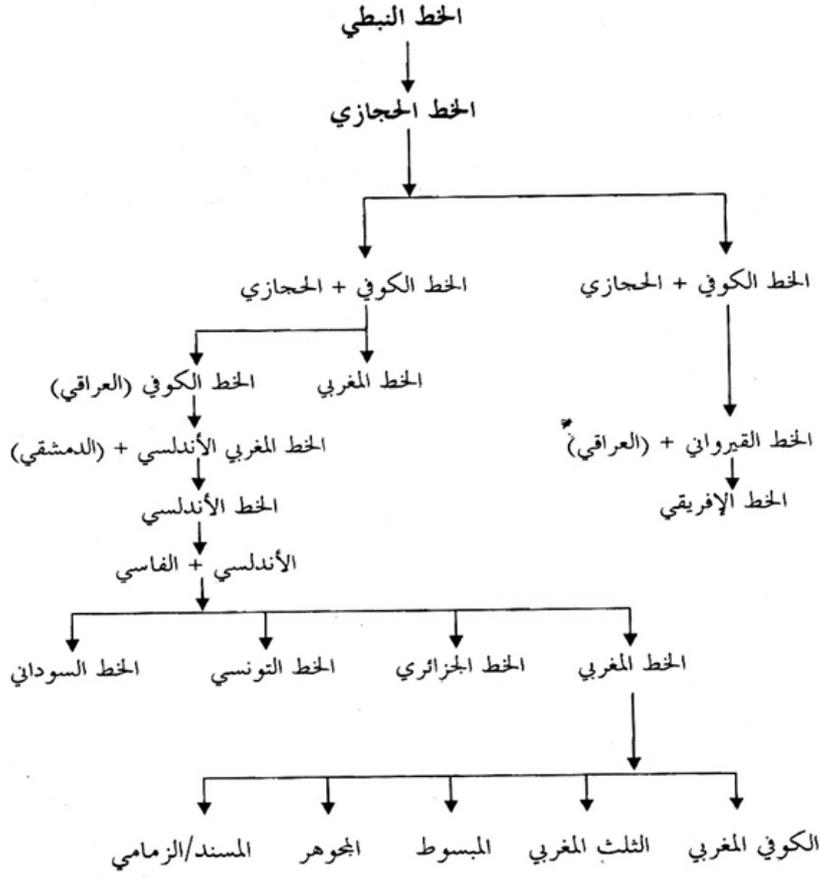
ثم صرحت أكتب في الكاغيد حتى استفام خطي وجاد،
وترونق أوكاد، بلازمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد
رحمة الله. وكان ذا أخك حسن، مروفق مستحسن، وكان
يعلمني انتظام الحروف واتسافها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعريفها..

الخط المشرقي المتغرب

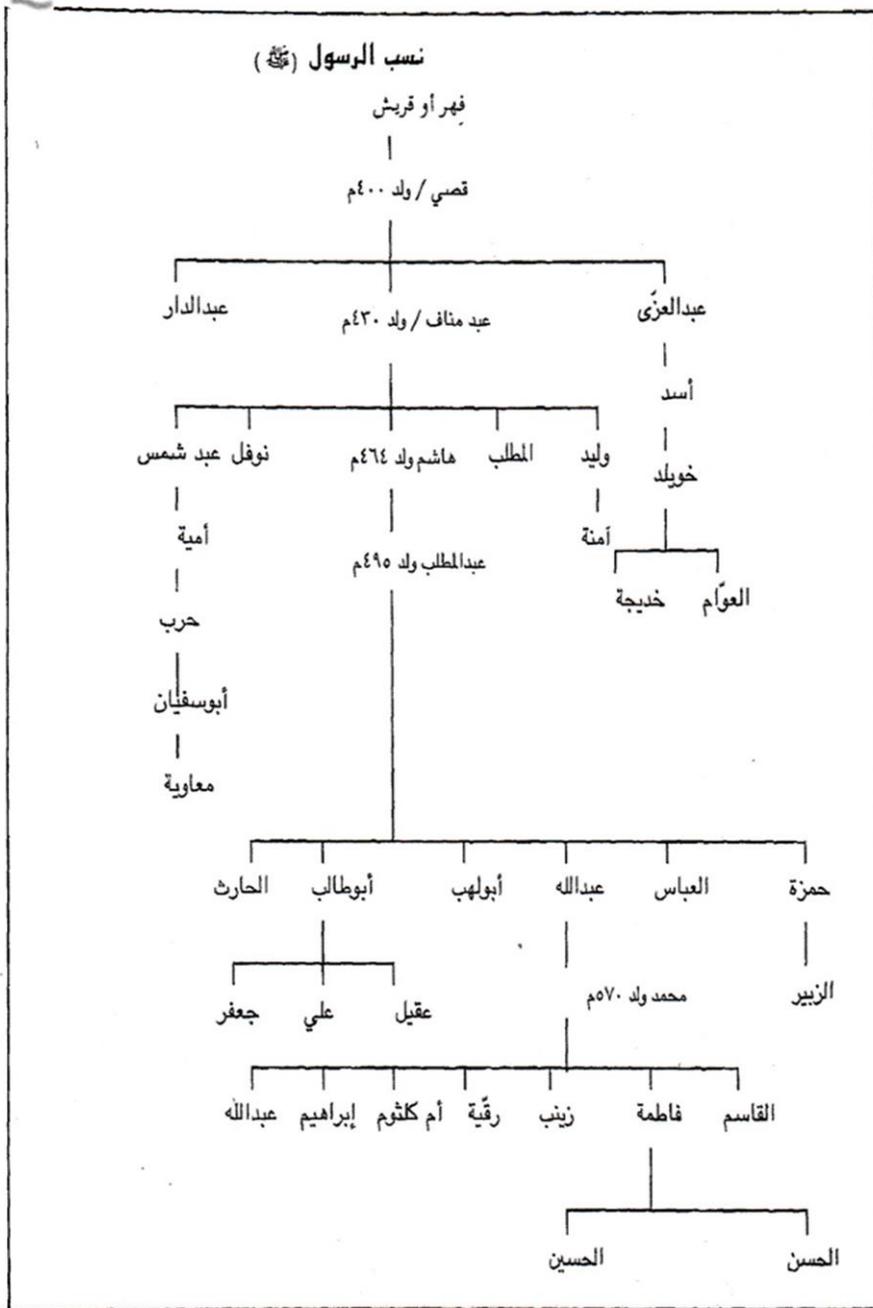
ثم صرحت أكتب في الكاغيد حتى استفام خطي وجاد،
وترونق أوكاد، بلازمت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد
رحمة الله. وكان ذا أخك حسن، مروفق مستحسن، وكان
يعلمني انتظام الحروف واتسافها، ويفر لي النسبة من
الكتابة وتعريفها..

خط المسند - الزمامي

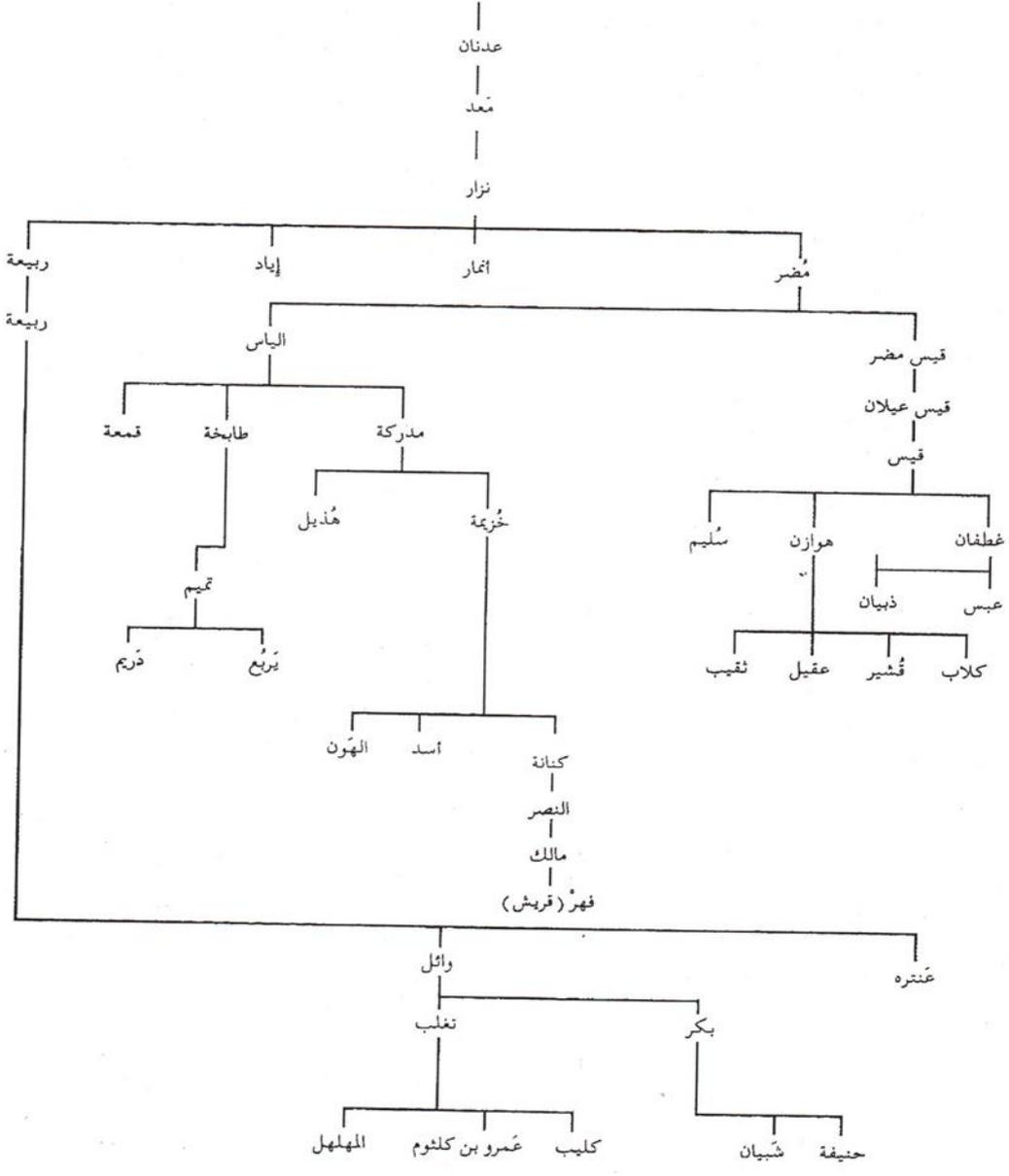
رقم 04: مخطط يُبين ملامح نشوء الخط المغربي (في بلاد الأمازيغ)



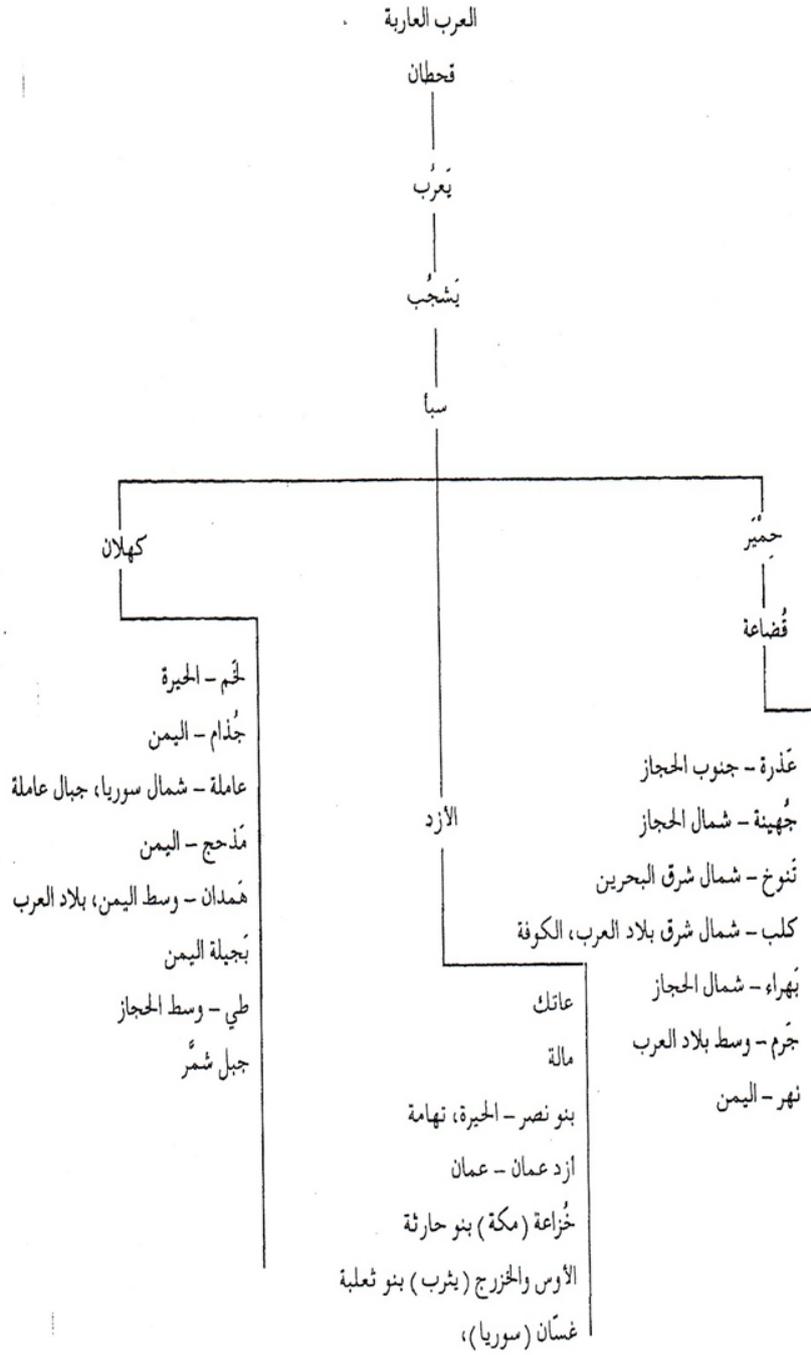
المصدر: كتاب الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق المؤلفان: عمر أفا، محمد مغراوي ص 34



العرب المُستعربة (١)



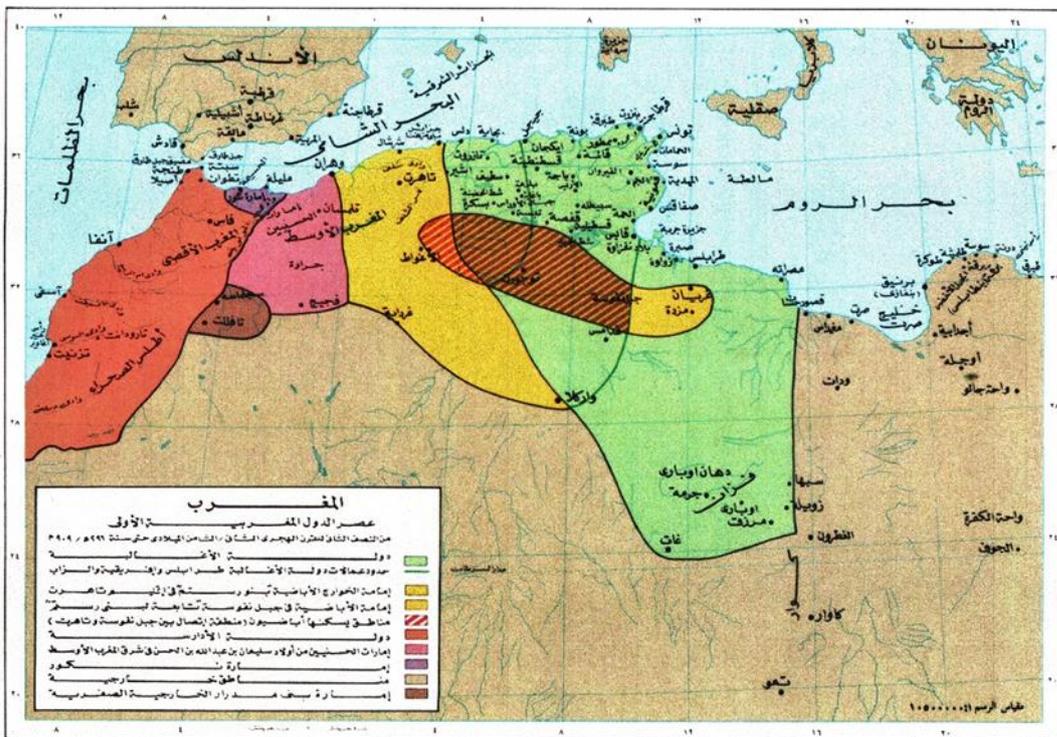
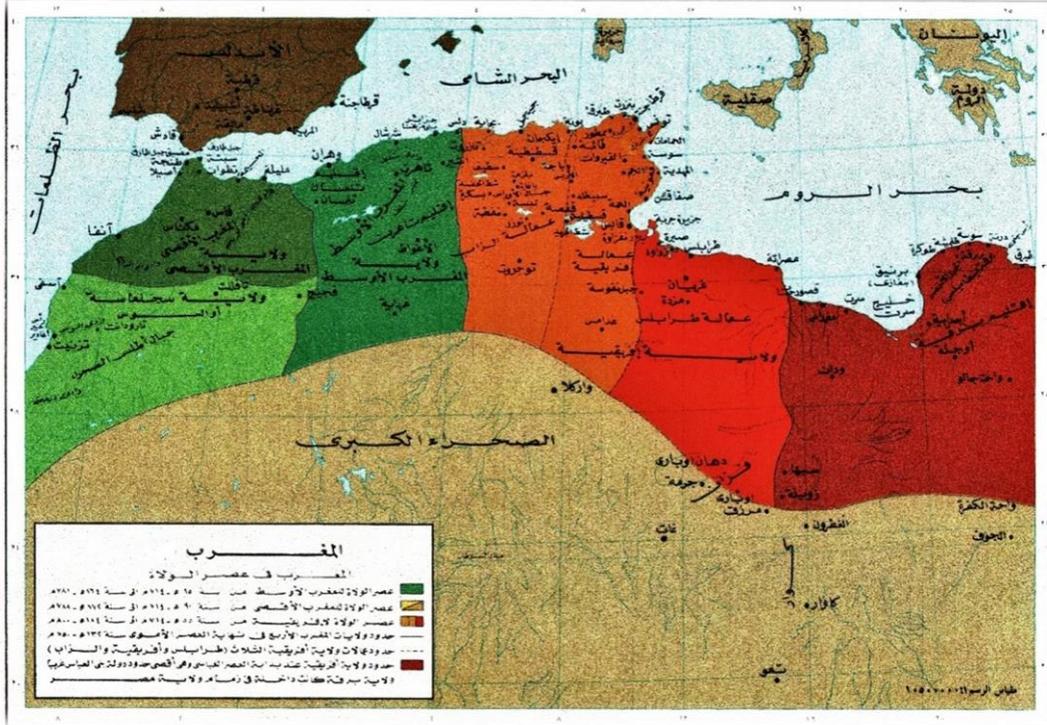
نسب القبائل العربية



ملحق رقم 09: خريطين لبلاد الأمازيغ

(أ) بلاد الأمازيغ عصر الولاة

(ب) عصر الدويلات الأمازيغية مستقلة عن الخلافة



المصدر: أطلس تاريخ الإسلام، المؤلف: حسين مؤنس ص 158 ص 159

ملحق رقم 10: خطبة طارق بن زياد (نموذج لأمازيغي تعرب)

المصدر كتاب النبوغ المغربي في الادب العربي، عبد الله كنون ص 347 - ص 348

اِخْطَبَ

خُطْبَةٌ لطارق بن زياد

قالها في جيشه الذي فتح به الأندلس بعد ان أحرق الأحفان التي حملتهم
الى الجبل المسمى باسمه قطعاً لاملهم في الرجوع .

أيها الناس : أين ألقفوا البحر من وراءكم والعدو أمامكم وليس لكم
والله الا الصدق والصبر . واعلموا أننا في هذه الجزيرة أضغع من
الأيام في مأذبة اللثام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وسدحتة وأقواته
مؤفورة . وانتم لا وزر لكم إلا سبوفكم ، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه
من أيدي عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم سجزواكم
امراً ، ذهبتم ريحكم وتعوّضت قلوب من رعيها منكم : اجراء
عليكم . فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمنأجزوا
هذا الطاغية ، فقد أقت به لكم مدبرته الحصينة . وإن اتم هاز
الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت وبني لم أحدركم امراً انا
عنه بنجوة ، ولا ممتنكم على حطة أرخص متاع فيها النفوس (من

غير ان) أبدأ بنفسي . واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً
استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما
حظكم فيه بأوفى من حظي . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة
من الحور الحسن ، من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ،
والحلل المنسوجة بالعقيقان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان .
وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الأبطال عرباناً ،
ورضيتكم بملوك هذه الجزيرة أظهاراً وأختاناً . ثقةً منه بارئياً حكم
للطعان ، واستأجركم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظهم منكم
ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها
خالصة لكم من دونه ومن دون المومنين سواكم . والله تعالى ولي
إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين . واعلموا اني اول مجيب
الى ما دعوتكم اليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل نفسي على طاعة
القوم « لذريق » فقاتله ان شاء الله تعالى فاحلوا معي فان هلكت بعده
فقد كفيتمكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان
هلكت قبل وصولي اليه فاحلفوني في عزيمتي هذه واحلوا بانفسكم
عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون .

١ - هذه الكلمة ليست بالاصول التي وقفنا عليها وبدونها لا ينسجم الكلام وفي
رواية اخرى للخطبة ولا حملكم بالاثبات والتأكيد ، ومع ذلك يبقى في الكلام تقطيع .

ملحق رقم 11: قصيدة مفدي زكريا

قصيدة الشاعر "مفدي زكريا" إلياذة الجزائر

وُهَبْنَا العُروبةَ جِنسًا و دِينًا وَإِنَّا بِمَا قَد وُهَبْنَا رَضِينَا
إِذَا كَانَ هَذَا يُوَحِّدُ صَفًّا وَيَجْمَعُ شَمَلًا رَفَعْنَا جَبِينَا
وَإِن كَانَ يَعْرَبُ يَرْضَى الهَوَانُ، وَيَلْبَسُ عَارًا. أَسَانَا الظَنُونَا
وَقُلْنَا: كُسَيْلَةَ كَانَ مَصِيبَا وَكَاهِنَةُ الحَيِّ أَعْلَمُ مِنَّا
فَأَهْلًا و سَهْلًا بَابِنَاءِ عَمِّ نَزَلْتُمْ جَنَائِرَنَا فَاتِحِينَا
وَمَرْحَى لِعُقْبَةَ فِي أَرْضِنَا يُنْبِئُ الحَجَجِي، وَيُشِيعُ يَقِينَا
وَيُعَلِّي الصَّوَامِعَ، فِي القَيروَانِ وَيَرْفَعُهَا لِالدَّفَاعِ حُصُونَا
يُبْتُ المَرَاجِلَ فِي كُلِّ قَجِّجٍ قَرَأَتِ أَسَالِيْبُهُ العَالَمِينَا
وَبَادِلِهِ السُّمُرُ تَبْرًا مِجْلِحٍ و مَا كَانَ فَرَّانٌ عَنْهُ ضَنِينَا
و مَا كَانَ جَوْهَرُ الإِّ مَدِينَا لِعُقْبَةَ... يَوْمِ اسْتَقَلَّ السَّفِينَا

شغلنا الوري، وملانا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

المصدر: محفوظ كحوال، من أروع قصائد مفدي زكريا مع دراسة أدبية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011،

ص. 204

ملحق رقم 12: جدول للحروف العربية يقابلها اللاتينية ويقابلها الأمازيغية

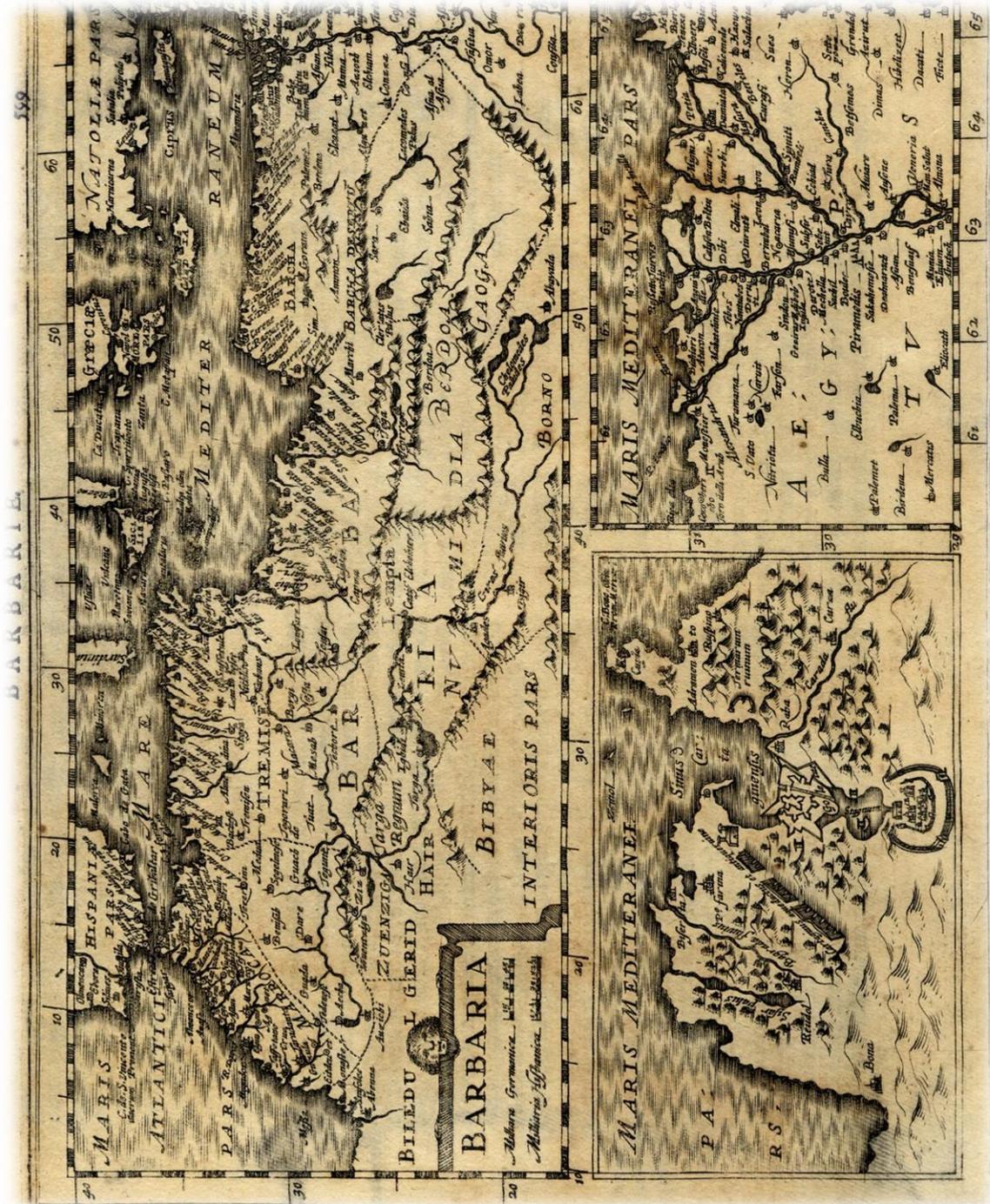
اسم الحرف	التيفيناغ	اللاتينية - الإغريقية	بالعربية
ا، او، اغرا	.	a	ا
ba با	o	b	ب
		-	-
ca شا		c	ش
da دا		č	تش
dar ظار		d	د
		-	-
	E	ɖ [(d =)]	ظ
		e	ا
f a فا		f	فا
ga قا	γ	g	قا
	-	-	-
		g ^w	قا
g ^w		-	-
yeğ يج		g̃	ج
gar غار			ج
ha ها		h	ها
him هيم		h	ح
i		i	ا
ja za جا		j	ج رخوة
K ك	,	k	ك
		-	-
Kwem كم		kw	ك (١)
	-	-	-
la لا		l	ل
ma ما	□	m	م
na نا		n	ن
qil قيل	...	q	ق
ail عيل		a	ع
ra را	0	r	ر
rar رار		r	ر
sa سا	o	s	س
sar صار		s	ص
ta تا	+	t	ت
		-	-
tar طار	E	t	ط
yet يتس		t	تس
u. uγru و، أو وγرو (١)		u	و
wa وا	:	w	و (نصف صائت)
xa خا	::	x	خ
ya يا		y	ي
za زا	#	z	ز
zar زار	*	z	ز
yez ينز		z	نز

المصدر: كتاب مبادئ في الصوتيات الأمازيغية لبن قسمية العمري ص 19

ملحق رقم 13: خرائط قديمة لبلاد الأمازيغ

(1) هذه خريطة بربريا (Carte de Barbarie) نسبة إلى البربر الأمازيغ تعود إلى سنة 1630 وضعها الجغرافيين (Gerhard / Gerardus Mercator) وطبعت في أمستردام بجمولندا في السنة المذكورة من طرف (Cloppenburgh) لقد كانت هذه الخريطة المستمدة من أطلس الصغرى لمكاتور في القرن السادس عشر للملاحظة.

Carte ancienne / old map – Barbarie (Maroc, Alegria, Tunisie, Lybia) – Mercator – 1630



ب) خارط أبلاد الأمازيغ تعود إلى 1771 لكنها أكثر تفصيلا من الخريطة السابقة حيث تظهر أسماء المناطق والمدن في كل شمال افريقيا والساحل البربري بأسمائها الأمازيغية قبل أن يتم تعريبها مع بعض الاسماء اللاتينية أ التي تم تحريفه عن الاسم الأمازيغي الاصلي

Carte des cotes de barbarie, de Fez d'Alger, de Tunis, et de Tripoli



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش وحفص

- تفسير القرآن الكريم:

- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن الكثير دمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، على أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة

للطباعة والنشر، الجيزة، مصر، المجلد 13

- حسين محمد خلوف زيادة، تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، أسباب النزول، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، طبعة خامسة، 1998م.

- محمد فريد وجدي، المصحف المفسر (المقدمة) الدار العربية للكتاب، 1985.

- القواميس:

- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد على كبير محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف، كورنيش النيل القاهرة.

- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، دمشق، 1998.

- المصادر المطبوعة:

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم أبو الحسن، الكامل في التاريخ، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة.

- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفسار، دار الكتب اللبناني، بدون طبعة ولا تاريخ.

- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

- ابن عذارى محمد أبو العباس المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان
وليفي بروفسال، دار الثقافة بيروت، لبنان الطبعة الثالثة، 1983.

- ابن حوقل، محمد بن علي أبو قاسم، كتاب صورة الأرض، ج1، دار صابر للطباعة والنشر.

- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر
المسمى العبر مراجعة سهيل زكار ووضع الحواشي خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر،

بيروت، لبنان ج6، ج7، 2001.

- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار العودة، بيروت، لبنان. بدون طبعة، بدون تاريخ

- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى،

. 1988

- البلاذري أحمد بن يحيى أبو الحسن، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983.

- البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي،
القاهرة، مصر.

- أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ابن الزيات (617هـ/1220م) التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس
السبتي، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثانية، 1997.

- أبو العباس الغبريني. أحمد بن أحمد بن عبد الله (644هـ/714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة
السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان،

الطبعة الثانية، أبريل، 1979.

- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أدريس الحمودي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،
المجلد الأول، المكتبة الثقافية الدينية، بورسعيد، مصر، بدون تاريخ.

- الدباغ عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج1، تعليق أبو الفضل التنوخي، دار الكتب المصرية، بدون تاريخ.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح، الملل والنحل تحقيق أمير علي مهني، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، 1993.
- الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ ولا طبعة.
- القيرواني إبراهيم بن قاسم، أبو إسحاق تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب دار الفرحاني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1994.
- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967.
- المالكي عبد الله بن محمد أبو بكر، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونشاكلهم، وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة الثانية، 1994.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي أبو محمد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب، دار البيضاء، الطبعة السابعة، 1978.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان وضع حواشيه محمد أمين صناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا، دار أبي رراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2005.

- المراجع باللغة العربية:

- إبراهيم أحمد العدوي، نظام المواطنة في الإسلام ومنجزاته للحضارة العربية، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامي، بحوث تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، 2000.
- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2000.
- إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب (127هـ/542هـ)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1999.
- إبراهيم موسى الزقراطي، أسس الأسماء الجغرافية، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، 1997.
- أبو يعلى الزواوي، تاريخ زاوية مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة الجزائر، الطبعة الأولى، 2005.
- م
- ابن منصور عبد المالك بن محمد بن إسماعيل التعالي، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبط وعلق حواشيه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية بيروت، طبعة 02، 2000.
- الناصري، أحمد بن خالد أبو العباس، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج1، ج2، ج3، ج4، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة 1، 1997.
- العربي إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار، الجزء الأول، الخلفية السوسيو-تاريخية، مطبعة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2000.
- العربي إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الانهيار، ج1، دار مصر المحروسة القاهرة، 2005.
- العربي دحو، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1986.
- العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الهوية والأصول، مؤسسة تاوليت، 2010.
- العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية.، منشورات دحلب، حسين داي الجزائر، 1991.

- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931
- أحمد عصيد، الأمازيغية في خطاب الإسلام السياسي، مؤسسة تاوليت للنشر الإلكترونية، 2010
- أحمد فكري، مسجد جامع القيروان، مطبعة المعارف، مصر، 1936.
- أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. بدون تاريخ
- أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي إلى بداية العصر التركي، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، 1971.
- أحمد معيط، الإسلام الخوارجي، دار الحوار للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى، 2000.
- أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- أحمد زاهد، الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة، مؤسسة تاوليت للنشر الإلكتروني تامغناست للنشر، بدون تاريخ.
- الحسين أسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (19هـ/7-15م) سلسلة الدراسات والأطروحات رقم 02، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، طبع مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004.
- الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ-12 و13م، نشأته، تياراته دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2004.
- أنطوان خليل ضوامط، التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية، دراسة نقدية في المناهج، دار الحدائث للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005.
- بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/10م، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا، الطبعة الأولى، ماي 2003.

- بكيز بن سعيد أغوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، مطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1991.

- بن عميرة محمد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و9هـ (13-15م) دراسة في تاريخ السوسيوثقافي، دار الغرب والتوزيع، وهران، الجزائر.

- بوزياني دراجي، سلسلة العصبية القبلية، قبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها، أعيانها، ج1، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

- بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغاربية، مؤسسة بوزياني للنشر، الجزائر، 2013.

- بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد مغرب والأندلس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القبة، الجزائر.

- جورج غريب، العرب في الأندلس، موسوعة في الأدب العربي، رقم 21، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة،

1978.

- حسن جلاب، الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الادب)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الثالثة،

سبتمبر 1995

- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، مكتبة البوليشين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة.

- حلمي مرزوق، أصول العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجموعة بحوث التي

ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري، مؤسسة شباب الجامعة

الإسكندرية، مصر، 2000.

- خالد صمدي، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن 7هـ، جذورها، آثارها، مناهجها، الجزء الأول، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2006.

- رابح لونيبي، البديل الحضاري، دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددها، دار المعرفة، الجزائر، 1998.

- رابح لونيبي، دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر، بدون تاريخ.

- راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2005، بيروت، لبنان

- سحر السيد عبد العزيز، بحوث مشرقية ومغربية في تاريخ الحضارة الإسلامية، ج1، مؤسسة الشباب الجامعي، الإسكندرية، مصر، 1997.

- سعيد بن عبد الله الدارودي، حو لعروبة البربر، مدخل إلى عروبة الأمازيغيين - من خلال اللسان - منشورات الفكر، المغرب، الرباط، الطبعة الأولى، 2012.

- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدارار والأدارسة حتى قيام دولة الفاطميين الناشر منشأة الإسكندرية، مصر، 1990.

- سالم عبد العزيز صلاح، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2009م

- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، سلسلة الأدب العربي (الجزء 10)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى.

- صابر طعيمة، دراسات في الفرق، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، 1983.

- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر (من العهد الفينيقي إلى خروج الفرنسيين (814ق.م 1962م) دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 2002.

- صدقي على أزايكو، الإسلام والأمازيغ، مطبعة دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2002.

- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2009

- صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1979.
- صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، دار هومة للطباعة والنشر، بدون تاريخ، الجزائر.
- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج1، ج2، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2009.
- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1، غير مدونة دار النشر، الطبعة الثانية، طنجة، المغرب، 1960.
- عبد الأحد ستي، فرحات حليلة، المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994.
- عبد الحليم عويس، العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994.
- عبد الحميد العوني، الأمازيغ والأمازيغية في 26 لغة قديمة منشورات الحلبي، مطبعة الأورومتوسطة المغربية تمارة المغرب، 2010.
- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الطبعة الأولى، دار النشر للثقافة، القاهرة، مصر، 2007.
- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت، ديسمبر، 1986.
- عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، رقم 06، الطبعة الأولى، فبراير، 2008.
- عبد الفتاح عباده، الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق، مطبعة الهندية بالمونكي، مصر، 1915.
- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1965.

- عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الرشاد الحديثة المغرب الأقصى، الرباط، الطبعة الأولى، 2000.
- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، دراسة وتوثيق، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، تموز، 2014.
- عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الأغالبة، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمد أدريس، تقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1990.
- عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب، طبع ونشر إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
- عبد القادر بن مصطفى المغربي، الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، 1908.
- عبد القادر بوعرفة، معجم الفرق والنحل في الجزائر، السلسلة الفلسفية، منشورات مخبر الأبعاد القيمة للتحويلات الفكرية والسياسية في الجزائر، الطبعة الأولى، 2005.
- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج1، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2005.
- عبد المجيد النجار، مقاربات في قراءة التراث، الدار المالكية، تونس، الطبعة الأولى، 2015.
- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وآثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1983م.
- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968
- عبد الهادي التازي، جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، المجلد الأول، دار النشر المعرفة الرباط، المغرب، الطبعة الثانية، 2000.
- عثمان سعدي، الأمازيغ البربر عرب عارية عروبة شمال إفريقيا عبر التاريخ، شركة الملتقي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998

- عثمان عكاك، موجز التاريخ للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003.

- عثمان عكاك، البربر، تامغناست للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ

- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/1038-1121م) دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988.

- عصام دين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق.

- عفيف عبد الفتاح طيارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- علاوة عمارة، دراسات في تاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، سلسلة الكتب الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2008.

- على محمد الصلابي، خلافة مالك بن مروان ودوره في الفتوحات الإسلامية، دار الفجر التراث، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 2013.

- عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2005.

- عمر آنا. محمد مغراوي، الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2007.

- عواطف بنت محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11هـ-12هـ، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2008.

- عز الدين مناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، أشكالية التعددية اللغوية دار الشروق.

- على عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، دار عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الطبعة الرابعة، 1983.

- غوردو عبد العزيز، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، جدلية التمدين والسلطة، تقديم عبد الرحمن تمردي، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الطبعة الثانية، الكويت، 2010.

- مبارك بن محمد المليبي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون تاريخ.
- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1987.
- محمد القبلي، ملاحظات حول التجارب الوسيطية ببلاد المغرب الكبير، مجلة مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1987.
- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق والتفاعل، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1987.
- محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان، ماي، 1985.
- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، الرباط، الطبعة الثانية، 1977.
- محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 02 الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1991.
- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983.
- محمد الهادي حارش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر، 2013.
- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1992.
- محمد الهادي لعروق، سمير بوريمة، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، بدون تاريخ.

- محمد بديع الشريف، الصراع بين المولى والعرب، دار الكتاب العربي، مصر، 1983
- محمد بن حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن 1هـ إلى 9هـ دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، الطبعة الأولى، 2004 (فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات).
- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربعة للنشر، تونس، 1986.
- محمد بن زين العابدين رستم، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009.
- محمد بودهان، في الهوية الأمازيغية للمغرب، منشورات تاويزا للطبع الإلكتروني، الطبعة الثانية، المغرب، 2013.
- محمد شفيق، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين، مكتبة تواليت الإلكترونية.
- محمد شفيق، الداريجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999.
- محمد شيت الخطاب، قادة الفتح الإسلامي، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، 2002.
- محمد كوخى، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، التحدّد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ إفريقيا الشرق، المغرب، دار البيضاء، 2014.
- محمد كامل حسن المحامي، الجزية في الإسلام، ضريبة الرؤوس وضريبة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- محمد عابد الجابري، يقظة الوعي العروبي في المغرب، تطور الوعي القومي في المغرب العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 08، حركة الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، أبريل، 1986.
- محمد على الدبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، ج2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1963.
- محمد عكاشة، تاريخ الحكم في الإسلام، دراسة في مفهوم الحكم والتطور، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية، 2002.

- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية (160هـ/296هـ) دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.

- محمد حجي، نظريات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1990

- محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 1964.

- محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط، الدولة - المدينة - الاقتصاد، تنسيق محمد مغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1999.

- محمد ضيف الله بطانية، الحياة الاقتصادية في العصور الأولى للإسلام، دار كندي للطباعة والنشر، عمان، الأردن.

- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئة على الأمة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1992، المجلد الأول، الثاني، الثالث.

- محمد نجيب بوطالب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم 41، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو، 2002.

- محمود محمد الطنحاي، مدخل إلى التراث العربي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1984.

- محمد محمود كانو، ترجمة القرآن بين الخطر والإباحة، جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الأولى،

2011

- محمد محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دارالمنار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988

- محمد مختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، مطبعة بني إزناسن سلا، المغرب، 2001.

- محمد حلمي عبد الوهاب، ولاة وأولياء السلطة والمنصوفة في إسلام العصر الوسيط تقديم رضوان السيد الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب في منتصف القرن الرابع الهجري، نشر وتوزيع دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1985.

- محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة.

- محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 2002.

- مسعود أحمد مصطفى، أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.

- مفيد خالد أحمد عيد، العلاقة بين الفقه والدعوة، مكتبة دار البيان، ابن الحزم.

- موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى إنتهاء تورات الخوارج سياسة والنظم، الطبعة الثانية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي. دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2002.

- فرج عبد العزيز نجم، القبيلة، الإسلام والدولة، مؤسسة تاوليت للنشر الإلكتروني، 2010.

- قصي حسين، موسوعة الحضارة العربية العصر الأموي، دار والبحار، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.

- مفتاحة أعمر. عائشة بوحجار. فاطمة بوخريص. أحمد بوكوس. عبد الله بومالك. محمد مدلاوي المهدي إعرزي. حميد السويفي، مدخل إلى اللغة الأمازيغية، ترجمة رشيد لعبدلوي، مطبعة المعارف

الجديدة، الرباط، 2004.

- نازلي معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة

الأولى، يوليو، 1986.

- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م، منشورات تبر الزمان، تونس،

2004.

- هاشم العلوي القاسمي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري منتصف القرن العاشر ميلادي، مطبعة فضالة، الجزء الأول، المغرب، طبعة خاصة، 1995.

- هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004.

- هشام موساوي، النظام الاجتماعي في الإسلام، دار الصفوة، بيروت، لبنان. بدون سنة.

- هند شلبي، القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن 5هـ، الدار العربية للكتاب، الرياض، الطبعة الأولى 1983.

- يسرى عبد الرازق الجوهري، شمال إفريقية، دراسة في الجغرافية التاريخية، شمال إفريقية، دراسة في الجغرافية التاريخية، دار الجامعات المصرية الإسكندرية، 1970م

- يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الطبعة الخاصة، 2009
- المراجع المترجمة:

- إسماعيل راجي الفاروقي، لويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة رياض نور رياض، مكتبة العبيدكان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1998.

- ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن البدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، 1987.

- إميل ف. غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، مؤسسة تواليث الإلكترونية، 2010.

- أندري برنيان. أندري نوشي. إيف لاكوست، ترجمة إسطنبول رابح. منصف عاشور، الجزائر بين الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

- جورج مارسليه، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، راجعه مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991.

- جوزيا رويس، فلسفة الولاء، ترجمة أحمد الأنصري، مراجعة حسن حنفي المجلس الأعلى للثقافة، مصر، القاهرة الطبعة الأولى، 2002.

- جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة محمود عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1996
- مجموعة مؤلفين (ليليا بنسالم. إرنست كلنير. عبد الله الحمودي. جان فافري. جاك بيرك. عبد الله العروي)،
الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار
توقال للنشر، دار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1988.

- سالم شاكرا، تمازيغن أسس (الأمازيغيون إلوم) ترجمة عبد الله راوا، مؤسسة تاوليت للنشر الإلكتروني، 2010
- شارل أندري جوليان تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830،
الجزء الثاني، تعريب محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية للنشر، 1983.

- عبد القادر جغلول، مقدمات في تايخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة
والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 1997.

- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
- غوستاف لوبان، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة عادل زعيتز، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1957.
- غوستاف لوبان، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتز، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، 1979.
- كارل بروكمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،
الطبعة الخامسة، 1968.

- لوسيان فيفر، التاريخ وعلم اللهجات ترجمة صدقي على إزايكو، وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهدات إلى
الأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،

ط1، 2001م

- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين عمر كامل مسقاوي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1986.

- محمد الطالبي، البربر البرغواطيون البدعة والمثاقفة والنزعة الوطنية، ترجمة عبد الجليل الأزدي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م

- نيقولاس أوستلر، إمبراطوريات الكلمة تاريخ اللغات في العالم، ترجمة محمد توفيق البرجيمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2011.

- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محفوظ، الجزء الأول، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1988.

الملتقيات:

- بلهاري فاطمة، إسهام حكام بني رستم في أسلمة مجتمع المغرب الأوسط وتعريبه، الملتقى الدولي السابع حول الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط، 26-28 افريل 2012، منشورات وزارة التعليم العالي، تونس، 2014

- عمر مولود عبد الحميد، دور المسجد والفتوى في حماية الأمن الفكري، الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه، بحوث الملتقى المغاربي بسكرة الجزائر، 22-24 ماي 2010م، منشورات وزارة الدينية والاقواف، الجزائر

- مسعود مزهودي، محاضرة حول دور الأمازيغ في إثراء الحضارة الإسلامية، الملتقى الوطني الثاني حول البعد الروحي في التراث الوطني الأمازيغي، باتنة، الجزائر، 2005م، محاضرة غير مطبوعة. نسخة الكترونية

- مجموعة كتاب (كهينة زموش، أوريدة فرج، إيدير إبراهيم، خالد عيقون) القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ملتقى الأمازيغ 2010، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، الجزائر.

المقالات:

- إبراهيم حركات، انتشار اللغة العربية كان نتيجة حتمية للفتوح الإسلامية، مجلة اللسان العربي، دار المعارف

الإسلامية، العدد 06.

- أحمد على، مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى، مجلة التعريب العدد 42، سوريا، 2011.

- إسماعيل العربي، صنهاجة وكتامة وغيرها من البربر، مجلة الأصالة، وزارة التعليم والشؤون الدينية، العدد 08، السنة

1972.

- الجاروي عباس بن عبد الله، مراحل التعريب الأولى في المغرب، مجلة اللسان العربي، العدد 07، المغرب، منشورات دار

المنظومة، 1970.

- الحسن السائح، العروبة مدينة الإسلام الذي فجر طاقات العرب في بوتقة إنسانية، مجلة لسان العرب، عدد 06.

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترمة والتعريب في العالم العربي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق

التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب الأقصى، 1986، العدد 06.

- رابح لونيسي، علاج قانوني لعقدة الانتساب الي الآخر لدي بعض المغاربة، الموقع الالكتروني، مؤسسة

الحوار المتمدن، 2017

- صدقي على أزيكو، التأويل النسبي (الجينيولوجي) لتاريخ شمال إفريقيا، هل يمكن تجاوزه؟ مجلة كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، الرباط، العدد 15، 1990.

- على أحمد، مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى، مجلة التعريب، العدد 42، سوريا، رجب/يونيو

2012م

- على سعيد إسماعيل، خيرة التعريب في الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، مصر، عدد 89، 1998.

- عبد الرحيم بدر، ازدهار اللغة العربية رهن بتشجيع الدول بالروح الإسلامية، مجلة اللسان العربي، العدد 06.

- عبد العزيز حسين، اللغة العربية انتشرت بفضل المد الحضاري للإسلام، مجلة اللسان العربي، العدد 06.

- عائشة عبد الرحمن، مقال القرآن دعامة الوحدة بين العروبة والإسلام. مجلة اللسان العربي، العدد 06
- عز الدين الخطيب التميمي، اللسان العربي شعار الإسلام، مجلة اللسان العربي، العدد 06.
- عبد الوهاب الديبش، تعريب المغرب، مقارنة تاريخية، مجلة بصمات العدد 04، نشر دار المنظومة، المغرب، 2009.
- عبد الوهاب الديبش، تعريب المغرب، مقارنة تاريخية، مجلة البصمات العدد الرابع، نشر دار المنظومة، 2009.

- على أحمد، مظاهر التعريب في المغرب الكبير في العصور الوسطى، مجلة التعريب، العدد 42، سوريا، يوليو 2012.
- عبد العزيز الدوري، الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب، مجلة المستقبل العربي، لبنان، فبراير، 1981.
- محمد بن حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي. تطور الوعي القومي في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت لبنان العدد 08، ط1، أبريل 1986م

- محمد زايد، تعريب الشمال الإفريقي، مجلة المستقبل العربي، العدد 02، النشر دار المنظومة، لبنان، 1978.
- محمد عبد الملك الكتاني، اللغة العربية مرآة تنعكس عليها قيم الإسلام، مجلة لسان العرب، العدد السادس، فاس. 1986

- محمد عادل الشريف، العربية لغة عالمية خالدة لأنها لغة القرآن، مجلة لسان العرب، العدد 06.
- محمد عابد الجابري، يقظة الوعي العروبي في المغرب، مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية (سلسلة تطور الوعي القومي في المغرب العربي مركز دراسات الوحدة العربية).

- محمد عبد الملك الكتاني، اللغة العربية، مرآة تنعكس عبيها قيم الإسلام، مجلة الإسلام العربية.
- محمود الجومرد، ولا الإسلام ما استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة الحضارة الإنسانية، مجلة لسان العرب، عدد 06، 1986.

- موسى لقبال، تيار الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا ونتائجه، مجلة الجزائر في التاريخ، العدد 03.

- مصطفى الرزق، الفكر الإسلامي ولغة القرآن عنصر ثقافي تطعم به اللغة القومية، مجلة اللسان العربي، العدد 06.
- محمد محمود الرامي، قرآن روح الإسلام والعربية، جزء من هذه الروح، مجلة لسان العرب، العدد 06.
- كارل كليز، عدم تعادل انتشار الإسلام واللغة العربية في العالم، مجلة لسان العربي، العدد 06، ي المكتب الدائم
لتنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، المغرب، 1986
- محمد مزين، الأرض في العلاقات بين فاس وباديتها خلال القرنين 16م/17م، تطور العلاقات بين البوادي والمدن في
المغرب العربي، سلسلة ندوات ومناظرات العدد 10، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،
1988.
- هشام الصفدي، نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، وزارة التعليم والشؤون الدينية، الجزائر، العدد الثامن،
ماي، جوان، 1972،

الأطروحات:

- بوخالفة عزي، تغريبه بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة تخصص
الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، 2002-2003
- بوخالفة نور الهدى، الإسلام والتعريب في الشمال الإفريقي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، إشراف عبد العزيز
الدوري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1986.
- سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط، مذكرة ماجستير التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، السنة الجامعية
2003-2004.
- محمد إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، رسالة دكتوراه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب،
الطبعة الثانية، 1985.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Sadok Belshi, La convention des Berbères à l'islam, maison tunisienne, 1981.

- S. Gsell. Monument antique de l'Algérie Albert Fontemoing, édition 1910 «Tome 1-4.
- G.H Bousquet, les berbères, presses histoire et institution de France, Paris, 1957.
- Georges Marcais, Le costume Musulman d'Alger, Librairie Plon, Collection de centenaire de l'Algérie 1830-1930.

الفهارس

(أ) فهرس القبائل:

- أ -

- أزداجة: ص 22، 25

- أوربة: ص 22، 26، 71، 72، 157، 170، 182، 184، 206، 263، 299، 409

- أوريغة: ص 22

- أداسة: ص 22

-الازد: ص 70، 71، 83

- الاثيج: ص 92، 97، 193

- أيت بنور: ص 276

- أيت أسفول: ص 288، 290، 416

-أيت علوان: ص 288

-أيت عطا: ص 288، 406، 415

-أيت شاكر: ص 288

-أيت شعيب: ص 288

- ب -

- بني هلال: ص 88، 89، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 101، 102، 103، 104، 107،

108، 109، 110، 111، 113، 114، 116، 117، 119، 180، 186، 193، 254،

285، 357، 406، 409

- بني سليم: ص 82، 89، 92، 94، 97، 99، 100، 101، 103، 115، 180، 409، 410

- بني مخزوم: ص 139

- بني عبد الدار: ص 139

- بني فهر: ص 139

- بني تميم: ص 147، 171

- بني هاشم: ص 190، 193، 208

- بني مصاب: ص 274

- ج -

- جراوة: ص 25، 119، 130، 131، 145، 170، 179، 197، 367، 409

- جدالة: ص 26، 90، 94، 194، 279

- د -

- دكالة: ص 115، 306، 320، 343

- ر -

- زكراة: ص 306، 320.

- رياح: ص 92، 94، 95، 97، 104، 114، 131، 160، 269

- ز -

- زغبة: ص 94، 95، 97، 104، 110، 114.

- زناة: ص 22، 24، 53، 70، 72، 91، 96، 97، 106، 110، 112، 113، 114، 146،
179، 188، 189، 197، 240، 271، 272، 274، 276، 282، 283، 289، 322،
352، 358، 365، 366، 367، 373، 408.

- زواوة: ص 25، 72، 120، 129، 317، 344، 345.

-زواغة: ص 22، 70، 203، 207، 366، 367.

- ص -

- صنهاجة: ص 09، 22، 24، 25، 26، 70، 77، 78، 90، 91، 94، 95، 96، 97، 106،
107، 108، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 121، 129، 146، 148، 279،
288، 289، 295، 313، 342، 354، 358، 362.

- ض -

- ضريسة: ص 22، 70، 177، 271، 358.

- ع -

- عبد شمس: ص 190.

- عجيسة: ص 22

- عدي: ص 83، 94، 110.

- عدنانية: ص 36، 187.

- غ -

- غمارة: ص 22، 25، 70، 77، 78، 116، 146، 192، 295، 306، 367.

- ق -

- قحطانية: 187، 269.

-قريش: ص 04، 37، 58، 59، 66، 139، 159، 190، 192، 199، 208، 214، 220،
260، 351، 355، 391.

- ك -

-كتابة: ص 22، 24، 25، 90، 91، 106، 107، 112، 113، 114، 128، 129، 132،
151، 186، 205، 287، 354، 400، 409.

- كزولة (جزولة): ص 22، 342.

- ل -

-لمطة: ص 22، 209، 302، 342.

- لماية: ص 70، 72

- لمتونة: ص 25، 151، 279، 295.

-لواتة: ص 22، 24، 25، 51، 52، 84، 149، 152، 154، 192، 200، 203.

- م -

- مزاتة: ص 184

- مسوفة: ص 26، 90، 279

- مطغرة: ص 177، 368.

- مطماطة: ص 205، 285، 267، 296.

- مصمودة: ص 22، 115، 120، 287، 289، 306، 320، 322، 358، 365، 367.

- مغراوة: ص 53، 96، 197، 269، 315.

-مكناسة: ص 22، 70، 269، 271.

- ن -

- نفاوة: ص 22، 25، 149، 154، 302، 341.

- نفوسة: ص 22، 24، 25، 80، 149، 153، 171، 175، 231، 273، 276، 293، 296،

302.

- ه -

- هرغة: ص 320.

- هزرجة: ص 306، 320.

- هزميرة: ص 306، 320.

- هنتاة: ص 306.

- هوارة: ص 22، 24، 25، 26، 115، 203، 230، 271، 272، 289، 322، 358.

- و -

- ولهاصة: ص 341.

(ب) فهرس الأماكن:

- أ -

- الإسكندرية: ص 02، 03، 23، 341، 345.

- اليمن: ص 30، 32، 33، 36، 73، 75، 78، 82، 119، 145، 161، 171، 195، 232،
391.

- القيروان: ص 42، 44، 48، 51، 52، 53، 54، 74، 78، 79، 83، 85، 88، 95، 97،
99، 126، 130، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144،
147، 158، 159، 160، 179، 183، 184، 185، 196، 203، 204، 206، 207،
208، 209، 226، 227، 228، 230، 263، 278، 302، 310، 311، 334، 335،
336، 338، 341، 343، 345، 349، 354، 357، 361، 370، 409.

- الاندلس: ص 03، 09، 23، 69، 70، 71، 72، 73، 76، 85، 86، 87، 88، 90، 91،
92، 112، 116، 123، 124، 142، 145، 154، 159، 161، 197، 198، 201، 202،
204، 229، 230، 258، 261، 265، 266، 267، 268، 271، 319، 322، 323،
324، 330، 334، 338، 341، 351، 352، 360، 362، 365، 366، 409.

- المهديّة: ص 97، 119، 126، 127، 205، 206.

- السودان: ص 03، 21، 23، 148، 149، 151، 401.

- جبال الاطلس: ص 02، 106، 144، 151، 283، 285، 286، 287، 288، 289، 296،
318، 329، 386، 415.

- الزاب: ص 74، 106، 114، 146، 274.

- أودغشت: ص 148، 149.

- أزمور: ص 342، 366.

- أسفي: ص 342.

- الانباط: ص 346، 347.

- البتراء: ص 347.

- الاوراس: ص 25، 42، 48، 90، 106، 169، 124، 281، 284، 285، 289، 296،

344، 408.

- القاهرة: ص 94، 140، 361، 409.

- الرقة: ص 361.

- ب -

- برقة: ص 03، 21، 23، 24، 25، 51، 52، 55، 63، 82، 83، 92، 94، 95، 106،

108، 111، 151، 152، 154، 155، 169، 209، 254.

- برغواطة: ص 73، 115، 170، 306، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371،

372، 273، 374، 375، 376، 377، 407، 409، 438.

- بغداد: ص 94، 111، 140، 316، 361.

- ت -

- تاهرت (تيهرت): ص 74، 79، 80، 134، 140، 149، 151، 179، 184، 186، 207،

203، 204، 205، 207، 272، 273، 275، 301، 302، 357.

- تلمسان: ص 25، 53، 87، 97، 112، 116، 149، 197، 226، 339، 363، 364،
384 .

- تامسنا: ص 115، 365، 366، 368، 369، 376.

- تهودة: ص 184، 283

- تونس: ص 25، 45، 56، 74، 78، 79، 83، 89، 97، 99، 109، 116، 123، 135،
141، 142، 143، 144، 145، 161، 165، 169، 232، 234، 235، 262، 269،
281، 285، 296، 311، 316، 349.

- ج -

- جبل نفوسة: ص 22، 80، 171، 175، 273، 293، 296، 302.

- جربة: ص 135، 169، 256، 273، 329.

- د -

- دمشق: ص 48، 63، 83، 85، 123، 133، 140، 145، 154، 171، 174، 175، 179،
292، 298، 334، 345.

- س -

- سجلماسة: ص 70، 148، 149، 151، 179، 271، 279، 302، 357، 365.

- ط -

- طرابلس: ص 22، 24، 25، 42، 51، 52، 92، 97، 98، 109، 117، 126، 169، 178،
231، 232، 247، 272، 281.

- طنجة: ص 24، 42، 48، 52، 71، 87، 109، 122، 154، 169، 175، 198، 201،
232، 247، 259، 271، 330، 368، 369، 370.

- غ -

- غدامس: ص 301.

- غرناطة: ص 87، 267.

- ف -

فاس: ص 26، 70، 72، 87، 88، 134، 140، 177، 196، 206، 207، 229، 232،
263، 294، 295، 311، 330، 343، 344، 345، 357، 363.

فزان: ص 44، 55، 80، 149، 434.

- ق -

- قابس: ص 80، 87، 268، 281، 345.

- قمونية: ص 42، 52، 135، 136.

- قلعة بني حماد: ص 145، 344، 362.

- قصور سوس: ص 283.

- م -

- مراكش: ص 148، 232، 282، 306، 310، 314، 338، 339، 345، 349، 409.

- مصر: ص 2، 3، 5، 9، 24، 42، 45، 46، 48، 55، 56، 59، 60، 63، 64، 94، 95،
104، 105، 108، 111، 113، 115، 116، 135، 140، 142، 143، 144، 153،
155، 161، 169، 185، 186، 205، 218، 232، 261، 262، 271، 302، 322،
337، 345، 350، 353، 400، 403.

- ميزاب: ص 106، 274، 275، 276، 277، 385.

ج) فهرس الاعلام:

- أ -

- الأنبياء عليهم سلام:
- سيدنا إسماعيل عليه السلام: ص 30، 32، 33، 58 .
- سيدنا نوح عليه السلام: ص 21، 27، 28، 33
- ابي مهاجر دينار: ص 45، 54، 57، 137، 149، 157، 200، 263، 264.
- إبراهيم بن الاغلب: ص 74، 76، 126، 134.
- ابن الاشعب: ص 133، 161.
- ابن العريف: ص 310، 311.
- أبو جعفر المنصور: ص 121، 262.
- أبو جهم عبد الرحمان بن نافع: ص 158.
- أبو مسعود سعد ابن مسعود التجيني: ص 158.
- أبو عبد الرحمن الحبلي: ص 158.
- أبو تمامة بكر بن سواده الجذامي: ص 159.
- أبو سعيد جعتل بن عاهان بن عمير: ص 159.
- أبو الجبل يعلي الفاسي: ص 311.
- أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي المراكشي (ابن زيات): ص 320، 321، 342، 343.
- ابي نجم هلال بن يوسف الغريبي: ص 315.
- الحسن البصري: ص 310.

- ادريس الأول: ص 69، 70، 71، 72، 77، 78، 91، 207، 229، 230، 267، 294،
349، 356، 363.

- ادريس الثاني: ص 70، 71، 72، 73، 74، 229، 230.

- إسماعيل بن عبيد الله بن ابي مهاجر دينار: ص 158، 159، 369.

- إسماعيل بن عبيد الانصاري: ص 159، 226.

- الأسد بن فرات: ص 186، 224.

- الابرشبي الكلبي: ص 368.

- المعز بن المنصور: ص 91.

- الوتيرة: ص 43

- البهلول بن راشد الحجري الرعيبي: ص 354.

- البهلول بن الرائد: ص 186

- المهدي بن تومرت: ص 05، 66، 277، 304، 353، 356.

- اوغسطين: ص 250، 251، 279.

- ب -

- باديس بن منصور بن بلكين: ص 91، 92.

- بلكين الزيري الصنهاجي: ص 91، 94، 111، 112، 113.

- الامبراطور بوجانا: ص 169.

- ت -

- تاشفين بن علي: ص 323، 338.

- تراجان: ص 248.

- تاكفريناس: ص 248.

- ح -

- حسان بن نعمان: ص 51، 57، 60، 63، 78، 83، 138، 141، 148، 152، 154، 159،

183، 199، 200، 235، 264، 334.

- حماد بن بلكين: ص 91، 92، 111.

- حيان بن ابي جبلة القريشي: ص 159.

- ج -

- جرجير: ص 42، 43، 58، 52، 168.

- جيناديوس: ص 43، 169.

- جيلدون: ص 149، 250.

- د -

- داريوس: ص 29

- ز -

- زمار بن صقلاب (صولات): ص 53، 197

- زهير بن قيس البلوي: ص 51، 57، 83، 262، 264.

- س -

- سالم بن سلامة السوسي: ص 306.

- سلمة بن سعيد: ص 177، 178.

- سليمان بن يسار: ص 335

- سفيان بن وهب: ص 335.

- سمكو بن واسول: ص 224، 344.

- ش -

- شاعر (صاحب عقبة): ص 125، 126، 127.

- ص -

- صالح بن منصور: ص 73، 77، 78، 145.

- ط -

- طارق بن زياد: ص 88، 123، 197، 198، 201، 202، 265، 322، 341، 351، 352،

360، 400، 407، 409، 432.

- طريف بن شمعون: ص 366، 369، 371، 373.

- طلق بن جابان: ص 159.

- ع -

- عثمان بن عفان (رضي الله عنه): ص 43، 52، 56، 81، 264.

- عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): ص 15، 45، 51، 59، 135، 136، 196، 219، 270،

327، 350.

- عبد الله بن سعد بن ابي سرح: ص 42، 51، 52، 56، 264.
- عبد الله بن غانم: ص 188، 186.
- عبد الله بن وانودين: ص 115
- عبد الله بن سعدون: ص 311
- عبد الله بن زبير: ص 135، 261.
- عبد الرحمن بن رستم: ص 80، 178، 203، 204، 205، 272.
- عبد الرحمن الداخل: ص 121.
- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم: ص 186.
- عبد الرحمن بن الحبيب الفهري: ص 262.
- عبد السلام الزواوي: ص 224، 345.
- عبد الوهاب بن رستم: ص 272، 273.
- عبد المؤمن بن علي: ص 115، 304، 315.
- عبد الملك بن مروان: ص 45، 60، 63، 64، 83، 135، 142.
- عبيد الله بن حبحاب: ص 143، 174، 175، 177، 226، 259، 368، 369، 370.
- عقبة بن نافع: ص 43، 44، 45، 51، 52، 53، 54، 57، 119، 122، 123، 125، 127،
- 135، 136، 137، 138، 139، 141، 148، 149، 157، 160، 164، 169، 182،
- 200، 204، 226، 227، 228، 262، 263، 264، 314، 324، 357، 363، 409.
- عكرمة (مولى ابن العباس): ص 177، 224، 339، 344.
- علي بن تاشفين: ص 323.

- علي بن رباح: ص 335.

- علي بن زياد: ص 335.

- عمرو بن العاص: ص 02، 11، 15، 45، 46، 51، 55، 151، 152، 154، 264.

- عمر بن عبد العزيز: ص 02، 66، 156، 158، 160، 174، 175، 186، 196، 226،

227، 259، 264، 298، 334، 335، 402.

- ف -

- فيرموس: ص 192، 250، 408.

- ق -

- قسطنطين: ص 43، 44، 168، 255.

- ك -

- الكاهنة (دهيا بنت ماتييه بن تيفان) ص 51، 108، 119، 130، 131، 132، 142، 154،

170، 183، 188، 199، 261، 299، 259، 409.

- م -

- ماسينيسا: ص 20، 166، 192، 408.

- محمد بن يزيد: ص 63

- محمد بن مقاتل العيكي: ص 74.

- محمد السنوسي: ص 356.

- مخلد بن كيداد: ص 113، 205.

- معاوية بن ابي سفيان: ص 53، 54، 63، 65، 153، 169، 164.

- معاوية بن حديج: ص 43، 51، 53، 56، 63، 135، 136، 168، 169.
- موسى بن نصير: ص 51، 57، 59، 62، 63، 81، 122، 138، 196، 197، 201، 226،
258، 263، 264، 265.

- موهب بن يحيى المعافري: ص 159.
- ميسرة المطغري: ص 85، 177، 178، 179، 192، 260، 369، 370.

- ه -

- هارون الرشيد: ص 74، 76، 196.
- هرثمة بن الاعين: ص 126، 127.
- هشام بن عبد الملك: ص 66، 84، 85، 123، 159، 227، 259، 260، 262، 368.
- هلال بن ثروان(شروان): ص 359.
- هود بن محكم بن هود الهواري الاوراسي: ص 224، 344.

- ي -

- يزيد بن ابي مسلم: ص 175، 259.
- يعقوب المنصور الموحدى: ص 338، 339.
- يوسف بن تاشفين: ص 268، 295، 322، 323، 338، 409.

(د) فهرس الموضوعات:

الصفحة

المقدمة..... 01

المدخل

I (I) الأمازيغ والأمازيغية..... 14

أ) مفهوم الأمازيغ..... 14

ب) اللغة الأمازيغية..... 17

ج) خصائص اللغة الأمازيغية..... 20

د) التوزيع الجغرافي للأمازيغ..... 21

هـ) مواطن الأمازيغ..... 23

II (II) مفهوم الإسلام..... 27

III (III) مفهوم العرب والعربية والتعريب..... 28

أ) مفهوم العرب..... 28

ب) مفهوم التعريب..... 29

ج) مفهوم اللغة العربية..... 36

الفصل الأول: العوامل الخارجية لتعريب الأمازيغ

I (I) العوامل التاريخية..... 39

أولاً: ضعف سلطة بيزنطا وقوة الحضارة العربية الإسلامية..... 40

ثانياً: العنصر العربي والفتوحات الإسلامية..... 49

1- مدلول مصطلح الفتح..... 49

2- نتيجة الفتوحات الإسلامية (فصل الصحابة والتابعين في الفتوحات)..... 51

3- نسب الرسول ﷺ..... 57

II (II) العوامل السياسية..... 59

أولاً: تعريب الدواوين..... 59

ثانياً: السيطرة السياسية للدولة الأموية..... 65

ثالثاً: تأسيس كيانات سياسة عربية..... 67

69 (1) إمارة الأدارسة.
74 (2) دولة الأغالبة.
77 (3) إمارة ناكور.
79 (4) سلطة الدولة الرستمية.
81 (III) العوامل الاجتماعية.
82 أولًا: الهجرة ودورها في تعريب الأمازيغ.
82 (1) القبائل العربية المهاجرة إبان الفتح الإسلامي.
85 (2) هجرة العرب إلى الأندلس.
88 (3) هجرة قبائل بني هلال إبان الدولتين الزييرية وحمادية.
88 أ- تأسيس الدولة الفاطمية لبلاد الأمازيغ.
91 ب- الجذور التاريخية لدولة الزييرية والحمادية.
92 ج- الزحف الهلالي.
94 - لمحة تاريخية لأسباب الهجرة.
97 - نتائج الهجرة.
103 - مراحل امتزاج القبائل العربية بالقبائل الأمازيغية وآثارها.
103 (1) المراحل.
116 (2) آثارها.
117 ثانيًا: التمازج البشري.
117 (1) المصاهرة والزواج.
120 (2) ظاهرة السبي وعلاقتها بالتعريب.
123 (IV) العوامل العسكرية.
123 أولًا: حروب الفتوحات الإسلامية.
123 ثانيًا: دور الرباطات في تعريب الأمازيغ.
129 ثالثًا: دور الجيش في عملية التعريب.
129 (1) تفكيك القبائل الأمازيغية باندماجها في الجيش.
132 (2) آلية الجيش الاستيطاني.
133 (3) ظاهرة التّجمير.
134 (V) العوامل الاستراتيجية.
134 أولًا: دور المدن في تعريب الأمازيغ.
135 (1) القيروان.
141 (2) تونس.
145 ثانيًا: دور البيوتات العربية في تعريب الأمازيغ.

147	العوامل الاقتصادية.....(VI)
148	أولاً: دور الطرق التجارية في تعريب الأمازيغ.....
151	ثانياً: تعريب الأمازيغ بسبب آلية الجباية الإسلامية.....
157	العوامل الدينية.....(VII)
157	1- دور علماء الدين العرب في تعريب الأمازيغ.....
161	2- المذهب المالكي وعلاقته بتعريب الأمازيغ.....

الفصل الثاني: التعريب الذاتي للأمازيغ

165	العوامل التاريخية.....(I)
165	أولاً: تأثير الحضارة الفينيقية.....
168	ثانياً: العلاقات بين بيزنطا والأمازيغ والعرب.....
170	العوامل السياسية.....(II)
170	أولاً: دور الخوارج في تعريب الأمازيغ.....
180	ثانياً: عدم نجاح التجارب الوحدوية لبلاد الأمازيغ.....
183	ثالثاً: التنافس والصراع المذهبي في بلاد الأمازيغ.....
187	العوامل الاجتماعية.....(III)
187	أولاً: تشابه القبيلة العربية والقبيلة الأمازيغية.....
187	1) ماهية القبيلة لدى الأمازيغ والعرب.....
191	2) النظام القبلي.....
194	ثانياً: التمايز الاجتماعي (نظام الولاء).....
199	العوامل العسكرية.....(IV)
199	- نظام الرهائن والتطوع في الجيش.....
202	العوامل الاستراتيجية.....(V)
203	أولاً: تاهرت.....
205	ثانياً: المهديّة.....
206	ثالثاً: فاس.....
208	العوامل الاقتصادية.....(VI)
208	- دور الأسواق في تعريب الأمازيغ.....
210	العوامل الدينية.....(VII)
210	أولاً: القرآن واللغة العربية.....
224	ثانياً: دور علماء الدين الأمازيغ في التعريب.....
225	ثالثاً: دور المساجد في تعريب الأمازيغ.....

227.....	(1) مسجد القيروان.....
229.....	(2) جامع القرويين.....
229.....	أ- نبذة تاريخية حول جامع القرويين.....
230.....	ب- بناء جامع القرويين.....
231.....	رابعاً: رحلات الحج ودورها في التعريب.....
233.....	(VIII) العوامل الثقافية واللغوية.....
233.....	أولاً: اللغة البونيقية وتشابهاً باللغة العربية.....
238.....	ثانياً: التعدد اللغوي الأمازيغي ووحدة اللغة العربية.....
240.....	(IX) العوامل النفسية.....
241.....	- تأثير المبادئ الدينية على نفسية المجتمعات.....

الفصل الثالث: عوائق التعريب في بلاد الأمازيغ

246.....	(I) العوائق التاريخية.....
246.....	أولاً: أوضاع الأمازيغ تحت سلطة روما.....
256.....	ثانياً: مستويات الإدماج لدى الأمازيغي.....
258.....	(II) العوائق السياسية.....
258.....	أولاً: العصبية العربية للدولة الأموية وسياسة جور ولاة إفريقية.....
261.....	ثانياً: الصراع الأمازيغي العربي أثناء الفتوحات.....
265.....	ثالثاً: الصراع الأمازيغي العربي في الأندلس.....
258.....	رابعاً: تأسيس دولة وإمبراطوريات أمازيغية بمرجعية إسلامية.....
270.....	(1) دول الخوارج.....
271.....	أ- سجلماسة.....
272.....	ب- القوى المعارضة للدولة الرستمية.....
274.....	ج- الإباضية ووادي ميزاب.....
277.....	(2) الإمبراطوريات الأمازيغية (الموحدين).....
278.....	(III) العوائق الاجتماعية والجغرافية.....
278.....	أولاً: ظاهرة الترحال للقبائل الأمازيغية.....
280.....	(1) الصحراء.....
283.....	(2) الجبال.....
285.....	ثانياً: طبيعة القبيلة الأمازيغية (الجانب البنيوي).....
292.....	(IV) العوائق الاقتصادية.....
292.....	أولاً: الأوضاع الاقتصادية في الدولة المركزية. (الازمات الاقتصادية).....

293.....	ثانيا: ملكية الأرض والجوانب المرتبطة بها
297.....	ثالثا: القبيلة الأمازيغية ومعاشها
300.....	رابعا: الطرق التجارية
303.....	(V) العوائق التعليمية
303.....	- عادة التدريس بالأمازيغية
307.....	(VI) العوائق الدينية
308.....	أولا: التصوف والصلحاء
308.....	(1) ماهية التصوف
310.....	(2) نشأة وعوامل ظهور التصوف ببلاد الأمازيغ
312.....	(3) أسباب نجاح التصوف ودور الصلحاء في المجتمع الأمازيغ
315.....	(4) إسهامات الصوفية في الحفاظ على الهوية الأمازيغية
315.....	أ) الصوفية والمجتمع الأمازيغي
316.....	ب) دور الزوايا الصوفية في المحافظة على الهوية الأمازيغية
318.....	(5) علاقة الصوفية (صلحاء) بالفقهاء والسلطة
318.....	أ) علاقة الصوفية بالسلطة
321.....	ب) علاقة الصوفية بالفقهاء
324.....	(VII) العوائق النفسية
325.....	أولا: مثاقفة الأمازيغ عبر سيرورة تاريخهم
329.....	ثانيا: علم النفس ومكتسبات اللغة

الفصل الرابع: انعكاسات عوامل وعوائق تعريب الأمازيغ

332.....	(I) انعكاسات عوامل التعريب
332.....	أولا: ظهور الثقافة العربية الإسلامية في بلاد الأمازيغ
332.....	أ) الدراسات الدينية (علم القراءات وعلم الحديث)
333.....	- دراسة علم القراءات (دخول القراءات إلى بلاد الأمازيغ، مراحل أطوار القراءات بإفريقية)
337.....	- ظهور دراسة علم الحديث (مراحل علم الحديث)
339.....	ثانيا: دور علماء الأمازيغ في إثراء الحضارة الإسلامية
346.....	ثالثا: الإسلام وانتشار الخط العربي
346.....	(1) نشأة الخط العربي
347.....	(2) علاقة الأمازيغ بالخط العربي
350.....	رابعا: ظاهرة الأشراف
350.....	(1) تطور الأنساب في الإسلام

351	(2) مصادر الأنساب عند الأمازيغ
353	(3) الأنساب عند الأمازيغ
357	خامسا: تعريب الأسماء
360	سادسا: تأثيرات العربية في العمران الأمازيغي
364	(II) انعكاسات عوائق التعريب الأمازيغ
364	أولا- ظهور أديان أمازيغية لمناهضة التعريب في بلاد الأمازيغ
364	أ- ظاهرة برغواطة
368	ب- قيام دولة برغواطة
370	ج- أشكالية ديانة برغواطة
377	ثانيا: تبني الأمازيغ لمصطلحات عربية عقديّة إسلامية
377	- المصطلح العقائدي لدى الأمازيغ
380	ثالثا: التراث الديني الأمازيغي وأماطه
380	(1) مفهوم التراث
381	(2) التراث الديني الأمازيغي الإسلامي
383	(3) العرف الأمازيغي والإسلام
384	(4) الشعر الديني الأمازيغي
386	رابعا: ظهور اللهجات المغاربية
386	(1) مفهوم اللهجة
388	(2) التاريخ وعلم اللهجات
389	(3) اللهجة المغاربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية
397	- خاتمة
406	- الملاحق
440	- قائمة المصادر والمراجع
462	- الفهارس:
463	(أ) فهرس القبائل
468	(ب) فهرس الأماكن
473	(ج) فهرس الاعلام
480	(د) فهرس الموضوعات

